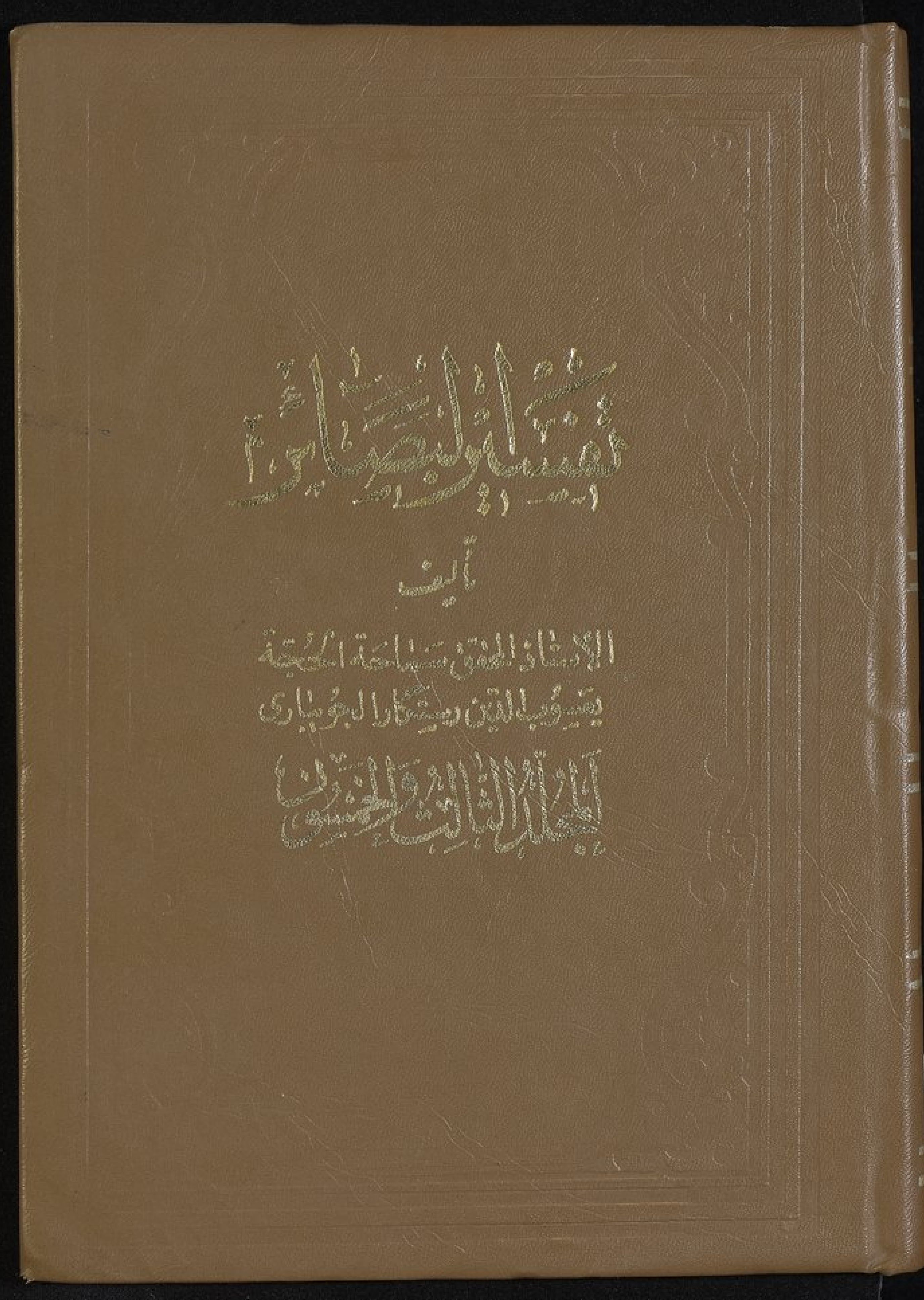
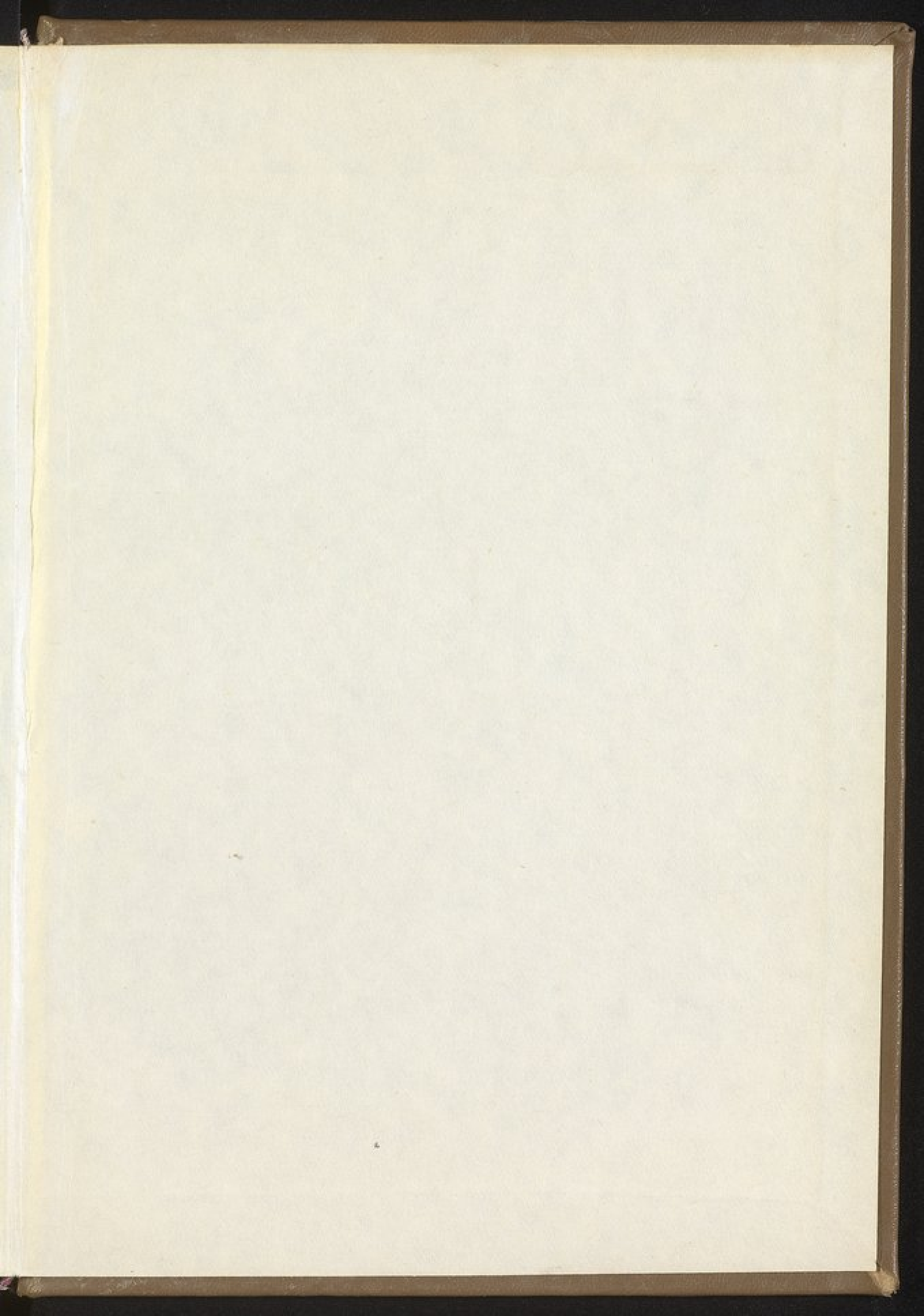
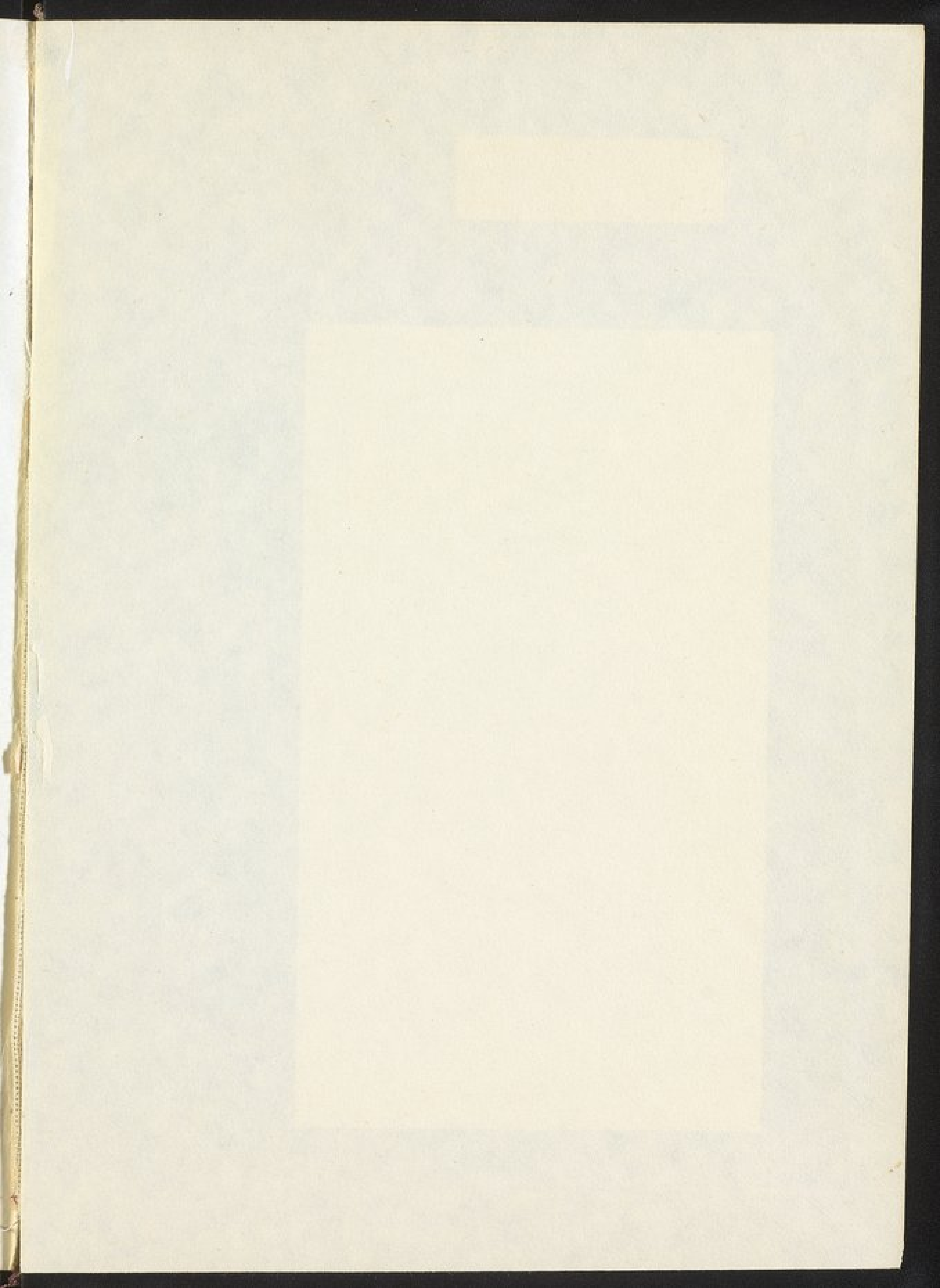

تفسير البصائر
تأليف
الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد الثالث والخمسون







Juybari ...

المجلد الثالث والخمسون

من كتاب

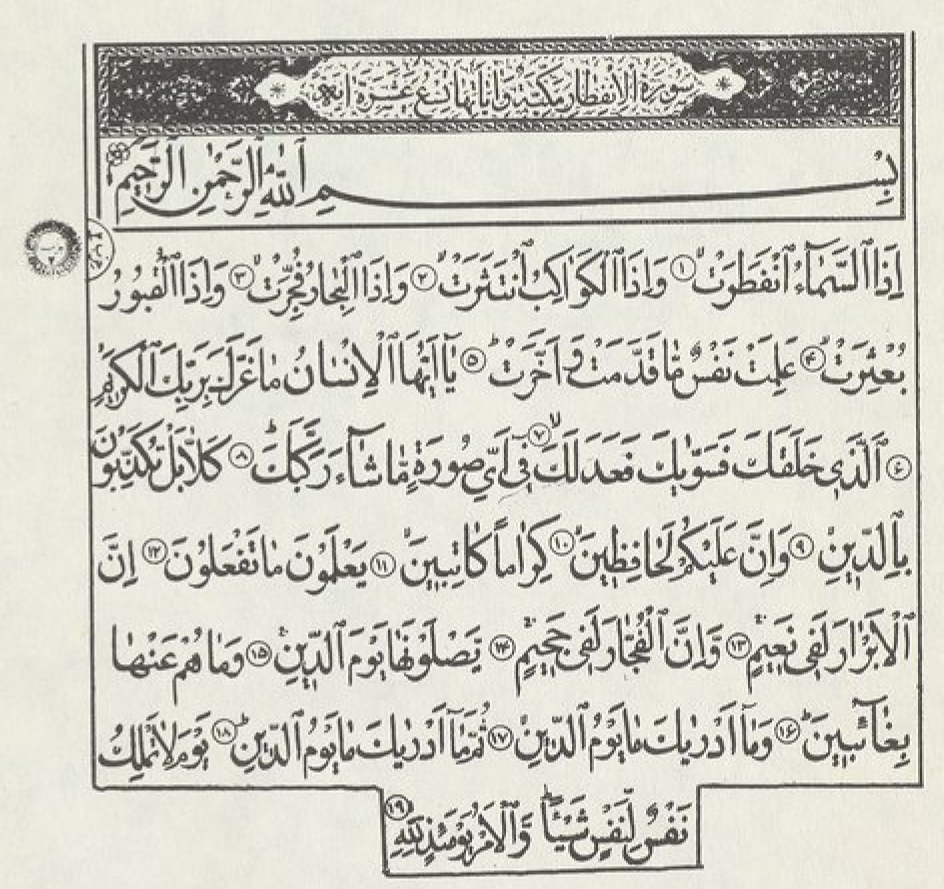
تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباری

ایران - قم

١٤٠٣ هق = ١٣٦١ هش



سورة الانفطار مكية وآياتها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ
بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ
بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا
بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ
نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جآءكم بصآئر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها
الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ،
تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي
روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر
في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ،
وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد
في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق: رحمة الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن الحسين بن أبي العلاء قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: من قرأهاتين السورتين، وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة: «إذاالسماء إنفطرت» و «إذا السماء إنشقت» لم يحجبه الله من حاجته، ولم يحجزه من الله حاجز، و لم يزل ينظر إلى الله، وينظرالله إليه حتى يفرغ من حساب الناس.

رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة إلاّ أن في المجمع «الحسن بن أبي العلاء» بدل «الحسين بن أبي العلاء» و «لم يحجبه من الله حجاب» بدل «لم يحجبه الله من حاجته» و في البرهان والبحار والوسائل «لم يحجبه من الله حاجب» بدل «لم يحجبه الله من حاجبة» وفي نور الثقلين «من حاجبة» بدل «من حاجته» و «يفرق» بدل «يفرغ».

اقول: من قرأهما متدبراً، وعلم بما تستهدفان به، وآمن و عمل صالحاً فهو يوم القيامة غير محجوب عن رحمة الله جل وعلا، فينظر الله تعالى إليه نظر رحمة وغفران، وهو لا ينظر إلاّ وقد أحاطته رحمة الله عز و جل.

قال الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» القيامة: ٢٢ـ٢٣)

وقال: «ان الابرار لفي نعيم» الانفطار: ١٣)

وقال: «فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً» الانشقاق: ٧ـ٩)

وفى المجمع: أبى بن كعب قال : قال النبى ﷺ : ومن قرأها أعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة ، وأصلح الله شأنه يوم القيامة.

أقول : ان الرواية مردودة لمكان ابى بن كعب، ولكن متنها مؤيد بمضامين روايات صحيحة واردة فى فضل بعض السور القرآنية الاخرى .

وفى البرهان : روى عن النبى ﷺ انه قال: من قرأ هذه السورة أعاذه الله أن يفضحه حين ينشر صحيفته وستر عورته ، وأصلح له شأنه يوم القيامة ، ومن قرأها وهو مسجون أو مقيد وعلقها عليه سهل الله خروجه وخلصه مما هو فيه، ومما يخافه أو يخاف عليه، وأصلح حاله عاجلاً باذن الله تعالى .

وفيه: وقال الصادق عليه السلام : من قرأها عند نزول الغيث غفر الله له بكل قطرة تقطر ، وقرائتها على العين يقوى نظرها ، ويزول الرمد والغشاوة بقدرة الله تعالى.

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورتين عند إجتماع شرائط التأثير ما فى الروايتين الاخيرتين فتأمل جيداً .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة إشارة إلى مسئولية كل نفس عن عمله ، وعلمها يوم القيامة بما عملت في الحياة الدنيا من الأعمال: صغيرها وكبيرها ، سرّها وعلنها ،خيرها و شرها . . . مباشرة أوغيرها من طريق التسبيب ، مع الاشارة إلى بعض أشراط الساعة الملازمة لبعث الانسان المتصلة به،و خطورتها، والانذار بأهوالها والتخويف بمشاهدتها ...

وفيها تنديدو تذكير للانسان المغترّ على طريق الخطاب الاستنكاري عما جعله يغتر ، فيستهين بنعمة الله جل و علاو يجرؤ على الوقوف منه موقف الكفر والجحود بنعمة الله تعالى وفضله ، وإشارة إلى ما هو الباعث على جحودهم و هو تكذيبهم بالجزاء الرباني يوم القيامة ، و إلى ضبط الأعمال بواسطة الملائكة الموكلين على الانسان .

و فيها تقرير لمصير الناس يوم الجزاء أما الابرار الصالحون ففي الجنة و نعيمها ، وأما الفجار الآثمون ففي الجحيم وعذابها، مع التنديد بالمكذبين الذين يقفون من الله عزوجل موقف الكفر والنكران مع عظيم نعمه جل وعلا عليهم في حسن الخلق ومواهب العقل ...

﴿النزول﴾

سورة الانفطار مكية، نزلت بعد سورة «النازعات» وقبل سورة «الانشقاق» وهي السورة الثانية والثمانون نزولاً ومصحفاً معاً.

وتشتمل على تسع عشرة آية، سبقت عليها ر ٤٤٠٤ آية نزولاً، ور ٥٨٢٩ آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على ر ٨٠ كلمة وقيل: ر ١٠٠ كلمة، وعلى ر ٣٢٧ حرفاً، وقيل: ر ٣٢٩ حرفاً وقيل: ر ٣١٩ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

ولهذه السورة ثلاثة أسماء: ١- سورة «الانفطار» ٢- سورة «المنفطر ٣- سورة «إنفطرت» والمشهور هو الأول.

في أسباب النزول: للسيوطي: أخرج إبن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: «يا أيها الانسان ما غرك ..» الاية قال: نزلت في أبي بن خلف.

وفي تفسير نيسابوري: فروى عن إبن عباس انها نزلت في الوليد بن المغيرة. وعن الكلبي ومقاتل في الأشد بن كلدة. وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعاقبه الله تعالى وأنزل الاية. والأقرب انها تتناول جميع العصاة وخصوص السبب لا يقدح العموم.

﴿القراءة﴾

قرأحمزة وعاصم وأبوجعفر «فعدلك» بالتخفيف ، والمعنى : أمالكالله أيها الانسان وصرفك إلى أىّ صورة شاء حسنة أمقبيحة ، قصيراً أمطويلاً ، شبيهاً بالأب ومن إليه ، أمشبيهاً بالام ومن إليها . و قيل : معناه : عدل بعضك ببعض ، فكنت معتدل الخلقة متناسبها ، فلاتفاوت فيها .

وقرأ الباقون بتشديد الدال . و المعنى : جعلك معتدلاً سوىّ الخلق بلا تفاوت فى الخلقة ، وفعدل خلقك ، وأخرجك فى أحسن تقويم .

وقرأأبو عمرو « ركبك كلا» بالادغام ، والباقون بالفك لفقدشرط الادغام .

وقرأ أبو جعفر « بل كذبون » بياء الغيبة ، إخباراً عنالكفار المكذبين، و قرأالباقون بتاء الخطاب ، خطاباً لهم. والقراءة الثانية هىالمشهورة .

وقرأ أبوعمرو وإبن كثير « يوملايملك » برفع اليوم علىأنه خبر لمبتدإ محذوف أىهو يوم لايملك . والمعنى : يومالدين هويوم لاتملك نفس ... أوعلى البدل من «يومالدين» أورداً على اليوم الاول ، فيكون نعتاً ا «يوم الدين »وقيل : على تقدير : الجزاء يومالدين .

وقرأ الباقون بالنصب خبراً لجزاء المضمر لانهحدث وتكون أسماءالزمان اخباراً عنالحدث أىأعنى اواذكر . أوهو منصوب المحل كأنه قيل : فىيوم لا- تملك نفس. أو بمعنى : انهذه الاشياء تكون يوم ... أوعلى معنى : يدانونيوم... لانالدين يدلعليه. وقيل:علىأنهفىموضع رفع إلاّ انهنصب لانهمضافغيرمتمكن.

«الوقف و الوصل»

«انفطرت لا» و«انتثرت لا» و«فجرت لا» لمكان العطف ، و«بعثرت لا»لجواب الشرط، و«أخرت ط» لتمام الشرط والجزاء ، وإبتداء التالى، و«الكريم لا»للوصف التالى ، و«فعدلك لا» لمتعلق التالى بناء على أن «فى أى صورة »متعلق. «فعدلك»

و«ركبك ط » لتمام الكلام بناء على أن « كلا» تو كيد لتحقيق «بل»و من جعله ردعاً عن الاعتراف.لم يقف، و«بالدين لا»لاتصال الكلام، و«لحافظين لا»للوصف التالى ، و«كاتبين لا» كالسابق . و «نعيم ج» لتمام الكلام والعطف ، و «جحيم ج» لاحتمال مابعده الاستيناف والنعت .

و«يوم الدين ج » لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال، و«بغائبين ط»لاستفهام التالى . و«يوم الدين لا »للعطف ، و«يوم الدين ط» لمن قرأ «يوم تملك » بالفتح ، و أما على قراءة الرفع فلايوقف على «الدين» لان «يوم تملك» بدل منه أو نعت . . و «شيئاً ط » لتمام الكلام .

﴿ اللغة ﴾

١٠- النثر والانتثار - ١٤٨٥

نثر الشيء ينثره نثراً ونثاراً - من باب ضرب ونصر -: رمى به متفرقاً. تقول: نثر الحبَّ أي بذر. النثر: خلاف النظم. والمفعول: منثور: خلاف المنظوم.

قال الله تعالى: « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» الفرقان:٢٣)

إنتثر الشيء: تفرَّق. تقول: نثرته فانتثر من المطاوعة.

قال الله تعالى: «وإذا الكواكب إنتثرت » الانفطار: ٢) أي تساقطت وتفرَّقت وفسد نظامها.

ويقال: تناثر القوم: مرضوا فماتوا.

في المفردات: نثر الشيء: نشره وتفريقه. يقال: نثرته فانتثر.

٨- الغرور - ١٠٧٧

غرَّه فلان يغرُّ غرّاً وغراراً وغروراً - من باب نصر -: خدعه وأطمعه بالباطل كأنه جعله غرّاً.

قال الله تعالى: « وما يعدهم الشيطان إلاَّ غروراً » النساء: ١٢)

الغرور: تزيين الخطاء بما يوهم أنه صواب.

ويقال: ما غرَّك بفلان أي كيف إجترأت عليه قال الله تعالى: «ما غرَّك بربك الكريم » الانفطار: ٦) أي كيف إجترأت عليه.

من الحسى غرّة الرجل : وجهه . والغرّة: بياض في جبهة الفرس وغرّة كل شيء : أوّله .

الغرّ والغرير : الشاب الذى لاتجربة له كأنه في أوّل حياته .

وفى حديث : « لاتطردوا النساء ولاتغترّوا بغرّتهن » .

الغرر - بالتحريك - التعريض للمهلكة . الغرّة: الغفلة والبله .

ونهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر وهومثل بيع السمك في الماء والطير في الهواء ومافيه إغترار على المشترى مماكان له ظاهر يغترّ به المشترى وباطن مجهول .

غرّ الراعى : رعى إبله. وغرّ الطائر فرخه: زقّه ومنه يقال : غرّ فلان من العلم مالم يغرّ غيره أى زقّ وعلّم . يقال : أناغريرك من هذا الامر : مثل في الخبرة والعلم أىانى عالم به فمتى سئلتنى عنه أخبرتك به من غير إستعداد لذلك ولاروية فيه .

فى المفردات: الغرر : الخطر وهو من الغرونهى عن بيع الغرر .والغرير: الخلق الحسن إعتباراً بأنه يغرّ . وقيل: فلان أدبر غريره وأقبل هريره فباعتبار غرّة الفرس وشهرته بهاقيل : فلان أغرّ إذا كان مشهوراً كريماً .

وقيل : الغرر لثلاث ليال من أول الشهر لكون ذلك منه كغرّة من الفرس.

وفى المجمع: قال إبن السكيت : الغرور : مارايت له ظاهراً تحبه وفيه باطن مكروه ومجهول .

و فى الحديث : « المؤمن غرّ كريم » أى ليس بذى مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضدّ الخب

وفى دعاء شهر رمضان : « اللهم أذهب عنّى فيه الغرة » يعنى الاغترار بنعمة الله والأمن من مكر الله . وفى حديث: «وليلة الجمعة ليلة غرّاء» أى شريفة فاضلة على سائر الليالى ...

وفى النهاية : ومنه الحديث: « ماأجد لمافعل هذا فى غرة الاسلام» غرة الاسلام : أوله . وغرة كل شيء : أوله .

وفيه: « انه نهى عن بيع الغرر » هوما كان له ظاهر يغر المشترى وباطن مجهول.

وفيه: «لاغرار فى صلاة ولاتسليم » الغرار: النقصان وغرار النوم : قلته و فى حديث معاوية : «كان النبى ﷺ يغر عليا بالعلم » أن يلقمه إياه يقال : غر الطائر فرخه : إذازقه .

ومنه حديث ابن عمر وذكر الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال: «إنما كانا يغران العلم غراً »

٥٤- الصورة - ٨٨٤

صار يصور صوراً - من باب قال - : صوت . وصار فلان الشيء إلى نفسه : أماله .وصار وجهه إليه : أقبل به عليه .

وصور يصور - من باب علم - : مال .

وصور الشيء يصوره تصويراً - من باب التفعيل - : جعل له صورة وشكلاً وهيئة ونقشه ورسمه .

الصورة : ماتنقش به الأعيان ويتميز بها غيرها .

والصورة على ضربين: أحدهما- محسوسة يدركها كل أحد كصورة الانسان والفرس وغيرهما مما يدرك بالمعاينة .

ثانيهما - معقولة يدركها اولو الالباب دون غيرهم كصورة الانسان فى عقله وذوقه وماخص به من المعانى

وإلى القسمين أشار تعالى بقوله: «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم» الاعراف : ١١) وقال : «فى أى صورة ماشاء ركبك» الانفطار: ٨) وقال : «هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء » آل عمران : ٦)

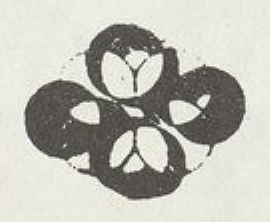
وجمع الصورة: صورو صور وصور . والتصاوير جمع الجمع: التماثيل ... تصورت الشيء : توهمت صورته فتصورلي .

فـي النهاية : في أسماء الله تعالى : « المصوّر» و هو الذى صوّر جميع الموجودات و رتّبها فاعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على إختلافها و كثرتها عن غيرها .

والصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته .يقال:صورة الفعل كذاو كذا أي هيئته وصورة الامر كذاأي صفته.

وفى القاموس و شرحه : صار الشيء يصوره صوراً : قطعه و فصله صورة صورة ومنه صارالحاكم الحكم إذاقطعه وحكم به .

والصور بالضم : القرن ينفخ فيه ومنه قوله تعالى : « يوم ينفخ في الصور » الصور : أصل النخل . والصور : شطالنهر .



﴿النحو﴾

١- (اذا السماءانفطرت)

«إذا» ظرف إستقبال، تتضمن لمعنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية، والفعل بعدها إماظاهر كقوله تعالى: « إذاجاء نصرالله» وإمامقدر كقوله عزوجل « إذاالسماء انفطرت » على تقدير : إذاانفطرت السماء. فالسماء فاعل لفعل مقدر يفسّره المذكور و« انفطرت» فعلماض من باب الانفعال ، وتأنيثه لتأنيث السماء مجازاً .

٢- (واذا الكواكب انتثرت)

الواو للعطف ، والجملة عطف على ماقبلها ،و« الكواكب» جمع الكوكب من منتهى الجموع ، و « إنتثرت » فعل ماض من باب الافتعال ، وتأنيثه باعتبار جماعة الكواكب .

٣- (واذ االبحار فجرت)

انالجملة عطف كالسابقة ، و«البحار» جمع البحر منجموع التكسير ، و «فجّرت» فعلماض، مبنياً للمفعول من باب التفعيل، وتأنيثه باعتبار جماعةالبحار.

٤- (واذا القبور بعثرت)

انالجملة عطف على السابقة كالسابقة ، و«القبور» جمع القبر من جموع الكثرة ، و«بعثرت» فعلماض ، رباعي كدحرج ، وتأنيثه باعتبار جماعة القبور .

٥- (علمت نفس ماقدمت واخرت)

«علمت» فعل ماض ، وتاء التأنيث باعتبار تأنيث فاعله «نفس » مجازاً ، و

تنوين الفاعل للتقليل ولكنها تفيد التكثير بحسب المقام، و «ما» موصولة،محلها النصب على انه مفعول به لفعل العلم ، و «قدمت» فعل ماض من باب التفعيل ، و فاعله ضمير مستتر فيه . راجع إلى «نفس» والجملة صلة الموصول ، على حذف العائد أى قدّمته «وأخرت» عطف على «قدمت» أى أخرته. والجملة بتمامها جواب ا «إذا» و «علمت» عامل لها .

٦- (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم)

«يا» حرف نداء ، و «أىّ» وصلية ، تفصيل بين حرف النداء وبين المنادى المؤلف بالألف واللام ، و «ها» تنبيهية ، و «الانسان» هو المنادى، و «ما» إستفهامية فى موضع رفع على الابتداء ، و «غرّ» فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «ما» وكاف الخطاب للانسان فى موضع النصب على المفعول به ، والجملة خبر المبتداء، و «بربك» متعلق به «غر» و «الكريم» صفة ا «بربك» وقيل : «ما» للتعجب. وهذا ليس بشىء إذ لو كان للتعجب لقال : ما أغرك .

٧- (الذى خلقك فسواك فعدلك) .

«الذى» موصولة ، فى موضع جرّ ، صفة ثانية من الرب و «خلق» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الرب ، وكاف الخطاب للانسان فى موضع نصب، مفعول به ، و الجملة صلة الموصول ، و الفاء فى « فسوّاك » للتفريع ، و الفعل ماض من باب التفعيل ، وفاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الرب، و كاف الخطاب كالسابق، و «فعدلك» كسابقه إلاّ ان الفعل ماض ثلاثياً لا مزيد فيه .

٨- (فى أى صورة ماشاء ركبك) .

فى «فى» وجوه : أحدها - متعلق ب «ركبك» على تقدير : ركبك فى أىّ صورة شاء بناء على زيادة «ما» إعراباً . ثانيها - متعلق بعامل مقدر، بناءاً على أن «ما» شرطية لان ما بعد الشرط لايعمل فيما قبله ، ولا يكون متعلقاً به «عدلك» لان الموصول لا يتعلق بما قبله . والتقدير : كونك فى أى صورة . و «شاء» على

الثانى فعل شرط و «ركبك» جزاؤه ثالثها ـ ان «فى» بمعنى «إلى» فالجار والمجرور متعلق بـ «عدلك» أى عدلك إلى أى صورة أى صرفك. رابعها ـ ان «فى» متعلق بمحذوف أى حاصلاً فى بعض الصور المرادة. خامسها ـ متعلق بـ «عدلك» ويكون فى «أى» معنى التعجب أى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال: ماشاء ركبك. و قال الزجاج: إن جعلت «ما» صلة ـ زائدة ـ مؤكدة تعلق قوله: «فى أى صورة» بـ «ركبك» وشاء صفة لـ «صورة» أى شاءها. ولا يكون «ما» شرطاً، وان تعلق الجار بـ «ركبك» لانك تقول: زيداً إن تضرب أضرب، فتنصب بـ «أضرب» والمعنى: أى فى صوره ماشاء أن يركبك ركبك.

و «أى» موصولة مجرور بحرف «فى» اضيفت إلى «صورة» و «ركب» فعل ماض من باب التفعيل، و كاف الخطاب للانسان فى موضع النصب، مفعول به، والجملة نعت لـ «صورة» على حذف العائد أى ركبك عليها.

وقيل: لاموضع للجملة لان «فى» تتعلق باحد الفعلين، فالجميع كلام واحد، وإنما تقدم الاستفهام على ما هو حقه.

وقيل: «ركبك» عطف على «عدلك» على حذف العائد.

٩ـ (كلابل تكذبون بالدين)

«كلا» فى الاصل حرف وضع لنفى ماتقدم وتحقيق غيره والمعنى: ليس الامر كماتعتقدون أو تقولون أو تفعلون. وفى «كلا» ههنا وجوه: أحدها ـ بمعنى «حقاً» ثانيها ـ بمعنى «ألا» وعلى هذين الوجهين فيبتدأ بها. ثالثها ـ بمعنى «لا» فيكون المعنى: ليس الامر كما تقولون: انه لابعث ولاحساب ولاجزاء. رابعها ـ بمعنى الردع والزجر أى لاتغتروا بحكم الله و كرمه فتتركوا التفكر فى آياته...

و «بل» حرف إضراب، فان تلاها جملة كان معنى الاضراب إما الابطال كقوله تعالى: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» وإما الانتقال من غرض إلى آخر كالمقام، وإن تلاها مفرد فهى حرف عطف. و قيل: لم يقع هذا

الوجه في القرآن الكريم . وقيل : وقع وهي في الوجهين حرف إبتداء عاطفة .

و«تكذبون» فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر من باب التفعيل و«بالدين» متعلق بـ«تكذبون» .

١٠- (وان عليكم لحافظين)

الواو للحال ، و «إن» حرف تأكيد ، و «عليكم» متعلق بمحذوف ، وهو الخبر المقدم لحرف التأكيد، واللام في «لحافظين» للتوكيد ،ومدخولها منصوب. إسماً لحرف التأكيد: «إن»

١١- (كراماً كاتبين)

نعتان من «لحافظين» باعتبار الموصوفين، وهم حفظة الأعمال من الملائكة.

١٢- (يعلمون ماتفعلون)

«يعلمون» في موضع نصب، نعت ثالث من «لحافظين» ويجوز أن يكون حالاً منهم . أي يكتبون عالمين. و«ما» موصولة ، في موضع نصب، مفعول به لـ«يعلمون» وقيل : على تقدير «بما» و «تفعلون » فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر ، صلة للموصول على حذف العائد أي تفعلونه .

١٣- (ان الابرار لفي نعيم)

«ان» حرف تأكيد ، و «الابرار» جمع البار و هو الذي يعمل البر ، إسم لحرف التأكيد ، و اللام في «لفي» للتأكيد ، و «نعيم» مجرور بـ«في» و التنوين عوض عن المضاف إليه أي نعيم الجنة . والجار والمجرور متعلق بمحذوف و هو الخبر لـ«ان» أي لمستقرّون في نعيم الجنة .

١٤- (وان الفجار لفي جحيم)

الواو للعطف ، والجملة عطف على ماقبلها ، و «الفجار» جمع الفاجر ، و الباقي ظاهر مما تقدم .

١٥- (يصلونها يوم الدين)

«يصلون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب ، و فى موضع الفعل وجوه : أحدها - فى موضع نصب ، حال من الضمير فى الخبر المحذوف ، ثانيها - نعت لـ «جحيم» . ثالثها - فى موضع رفع ، على أنه خبر بعد الخبر ، والتقدير : ان الفجار لمستقرون فى جحيم صالون فيها .

وضمير التأنيث «ها» فى موضع نصب مفعول به، راجع إلى «جحيم» ، و«يوم» منصوب على الظرفية ، متعلق بـ «يصلونها» ، اضيف إلى «الدين» .

١٦- (وماهم عنها بغائبين)

الواو للعطف ، والجملة المنفية عطف تفسيرى على «يصلونها» وقيل: للحال ، و «ما» حرف نفى مشبهة بليس ، و«هم» راجع إلى «الفجار» إسم «ما» و«عنها» متعلق بـ «غائبين» وضمير التأنيث راجع إلى «جحيم» و«غائبين» خبر لـ «ما» والباء جائت للتأكيد .

١٧- (وما أدراك مايوم الدين)

الواو للاستيناف ، و«ما» للاستفهام فى موضع رفع للابتداء ، و«أدرى» فعل ماض من باب الافعال ، وكاف الخطاب للرسول (صلى الله عليه وآله) فى موضع نصب ، مفعول به، والجملة خبر المبتداء ، و«ما» مبتداء و«يوم الدين» خبره .

١٨- (ثم ما ادراك مايوم الدين)

«ثم» حرف عطف، والجملة التالية عطف على الجملة السابقة، والباقى ظاهر مما تقدم .

١٩- (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)

فى «يوم» وجهان : أحدهما - الرفع على البدل من «يوم الدين» ثانيهما - خبر لمحذوف أى هو يوم لاتملك .. أو الجزاء يوم الدين ... وأما على قراءة النصب فعلى تقدير : أعنى أو اذكر أو يجازون. ويحتمل على الظرفية ، فالفتحة فيه فتحة بناء لا فتحة إعراب .

و«لا» حرف نفي . و«تملك» فعل مضارع لغيبة التأنيث، و«نفس» فاعل الفعل و«لنفس» متعلق بـ«تملك» و«شيئاً» مفعول به، والواو للحال ، و«الامر» مبتداء و «يومئذ» متعلق بمحذوف ، و«لله» اللام للاختصاص ، والجار و المجرور متعلق بمحذوف وهو خبر المتبداء .



﴿ البيان ﴾

١- (اذا السماء انفطرت) .

تقرير لطرف آخر من أشراط الساعة ، أولها إنفطار السماء واسلوب هذا المطلع قد تكرر في صدد الانذار بالبعث والتخويف من أهوال مشاهده . . .

وهذه الآية الكريمة تشبه بقوله جل وعلا : « إذا السماء إنشقت » وإنفطار السماء هو: تشققها و زوال هذا السقف الذى يبدو منها فى مرأى العين ، وعند ئذ يتغيّر نظام الوجود بنظام آخر ، ويتبدل الارض بغير الارض و السموات . . . فلم يبق نظام السموات عند خراب نواميس الكون بأسره على ما نراه فى حياتنا الدنيا .

وفى حذف الفعل أولاً وإسناده إلى الضمير ثانياً على شريطة التفسير من إفادة التحقق لامحالة ما لا يخفى .

٢- (و اذا الكواكب انتثرت) .

بيان لعلامة ثانية علوية من علائم مجيىء الساعة ، وهى إنفضاض الكواكب و تساقطها و إنتثارها بسرعة وشدة من درّ منثّر : شدد للكثرة ، وعند ئذ يختل توازن الكون . فالعلامتان فى الآيتين الكريمتين من علائم الساعه هما علويان : إنفطار السماء و إنتثار الكواكب ، و هذا يجيىء تالياً لما قبله ، إذ متى إنشقت السماء و إنتقض تركيبها و إختلّ نظامها إنتثرت كواكبها . . .

وفى إيثار الفعلين من أفعال اللازم من التهويل مالايخفى، وفى الاية الكريمة من تشبيه الكواكب بلآلى منظومة قطع سلكها، فانتثرت و تفرّقت مالايخفى أيضاً.

٣- (واذا البحار فجرت) .

إشارة إلى بعض أشراط الساعة الواقعة فى العالم السفلى ، و هو فتح بعض البحار فى بعض ، بازالة ما بينها من حواجز ، فصارت بحراً واحداً ، و اختلط العذب بالملح .

٤- (واذا القبور بعثرت) .

إشارة إلى علامة ثانية من علائم سفلية من أشراط الساعة، وهى تفتح القبور عما فيها من الاموات حيث تنطق منها الحياة التى كانت مندسّة فيها ، و كأنها قذائف تنفجر من باطن الارض . . . وفى إيثار الفعلين « فجرت و بعثرت » مبنيين للمفعول من التهويل مالايخفى .

٥- (علمت نفس ماقدمت و اخرت) .

جواب عن الشرط المتقدم تنديد بالمكذبين الذين يقفون من الله جل وعلا موقف الكفر و النكران مع عظيم نعمه عليهم فى حسن الخلق ، ومواهب العقل . وبيان خطورته ومصير الأبرار والفجار فيه ، ومسئولية كل عن عقيدته وقوله و عمله إذ يقف الناس جميعهم أمام الله عزوجل موقف القضاء ، فيذكر ويعلم كل منهم ماصدر منه من الاعمال: صغيرها و كبيرها، وسرّها وعلنها ، فتتجلى للنفوس أعمالها على حقيقتها ، فتستند إليها مباشرة كانت أم تسبيباً .

و فى هذا حث على الايمان وترغيب فى الطاعة ، و إرعواء عن الكفر و زجر عن المعصية ، و تقريع على المتكاسلين فى تكاسلهم فى أداء ما امروا به .

ان تسئل : كيف قال الله عزوجل ذلك بانه أثبت العلم لنفس واحدة مع أن كل نفس تعلم ما أحضرت يوم القيامة مباشرة أو تسبيباً ؟ .

تجيب : ان هذا مما اريد به عكس مدلوله ، ومثله كثير فى كلام الله تعالى كقوله : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » الحجر : ٢) فان ربّ هنا بمعنى كم للتكثير .

و ان الاية الكريمة فيمعنى قوله تعالى : «يوم تجد كل نفس ما عملت» آل عمران : ٣٠) و ان التنوين فى «نفس» للنوع أىالنفس الانسانية لاالنباتية ولاالحيوانية ولا الفلكية .

ومن المحتمل ان فى تنكير «نفس» ايماء إلىوحدة النفوس يومئذ فىالعلم بما عملت فىالحياة الدنيا ، فالنفوس كلها يومئذ سواء فىهذا العلم الذى يكشف كلشيء فتصبح النفوس كلها أشبه بنفس واحدة .

٦ـ (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم) .

إن الخطاب بـ «ياأيها الانسان» إستدعاء لمعانى الانسانية التى أودعها الله جلوعلا فيالانسان منقوى عاقلة مدركة منشأنها أنتميز بينالحق و الباطل ، بين الهدى و الضلال ، بين الخير و الشر ، بين السعادة و الشقاء وبين الصلاح و الفساد . . . و من شأنها أن تضع بين يدى الانسان ميزاناً سليماً يضع فى إحدى كفتيه ما أحسن الله جل و علا به إليه ، و يضع فيالكفة الاخرى ما يقدر عليه من شكر ، وذلك باحسان العمل كما قال جل و علا : «و أحسن كما أحسن الله إليك» القصص : ٧٧) .

فاذا رأىالانسانالكفة التىوضع فيهاإحسانالله جلوعلا إليه ملأىبالعطايا والمنن ، ثم لم يضع فىالكفة الاخرى شيئاً فى مقابل هذا الاحسان ، بل وتجاوز هذا ، فملأ الكفة كفراً بالله عزوجل و محادة لله تعالى و لاوليائه . . . فأى إنسان هو ؟ و أى جزاء يجزى به ؟ .

و فى توجيه الخطاب إلى الانسان بماأنه إنسان حجة لثبوت الخصال التى يذكرها من نعمه جلوعلا عليهالمختصة بالانسان منحيث المجموع،وفىالخطاب إكرام وتمييز عن سائر الاحياء حيث ناداه بانسانيته الكريمة الواعية الرفيعة ، كما أن فى تعليق الغرور على صفتى الربوبية والكرم حجة فى توجيه العتاب و التوبيخ إلى الانسان المغرور .

فان تمرد المربوب وتوغله في معصية ربه الذي يدبر أمره و يغشيه نعمه ظاهرها وباطنها كفران لاترتاب الفطرة السليمة في قبحه، ولافي إستحقاق العقاب عليه وخاصة إذا كان الرب المنعم كريماً لايريد في نعمه وعطاياه نفعاً ينتفع به. ولاعوضاً يقابله به المنعم عليه ويسامح في إحسانه ويصفح عما يأتي به المربوب من الخطيئة والاثم بجهالة، فان كفران النعمة حينئذ أقبح وأقبح، و توجه الذم و اللوم أشد وأوضح.

فالاستفهام توبيخي يوبخ الانسان بكفران خاص لاعذر له يعتذر به عنه، و هو كفران نعمة ربه الكريم، ففي تعرض عنوان الكرم لله عز و جل دون سائر الصفات ايذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان، ويقول له: إفعل ماشئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الحياة الدنيا، فسيفعل مثله في الاخرة، فانه قياس عقيم وتمنية باطلة، بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة، والاجتناب عن الكفر والمعصية. فكأنه قيل: ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفة الزاجرة عنه الداعية إلى خلافه؟

ففي قوله جل وعلا: «ماغرك» إنكار على الانسان أن يدعوه توالي الاحسان عليه، و تكاثر النعم بين يديه إلى أن يتخذ من ذلك أسلحة يحارب بها ربه المحسن الكريم.

و في إختيار صفة «الكريم» لله عز و جل في المقام من بين صفاته العليا إلفات إلى إحسانه العظيم الذي أفاضه الله على الانسان، وإلى مقدار جحود الانسان و كفرانه و ضلاله مع هذا الفضل الغامر الذي يجده الانسان في كل ذرة من ذراته، و مع كل نفس من أنفاسه... فكرم الكريم و إحسان المحسن إذا قوبل ممن أكرم وأحسن إليه بالاستخفاف ثم النكران والجحود، ثم بالحرب و العدوان على الحدود... كان من مقتضى الحكمة والعدل معاً أن يؤدب هذا

الجاحد المنكر، وأن يذوق مرارة الحرمان كماذاق حلاوة الاحسان . . . وإلاّ فقد الاحسان معناه ، و ذهب ريحه الطيب الذى يجده الذين يعرفون قدره و يؤدون حقه . . .

نعم ان الله جل وعلا كريم كرماً لاحدود له ، و لكن هذا الكرم لايقع إلاّ حيث المواقع التى تحيى به، وتثمر أطيب الثمر فى ظله، انه كرم بحكمة وحساب و تقدير ، ولقد وسع كرمه جل و علا سيئات المسيئين إذ يقبل توبتهم ، وجعل السيئة سيئة مثلها، و الحسنة إلى سبعمأة وأضعافها ... ثم كيف يعرف كرم الكريم ويطمع فى أن ينال منه من لايعرف الكريم ذاته، ومن لا يرجو له وقاراً ؟ ان حجة هؤلاء داحضة ، ومكر اولئك يبور .

ان تسئل : لوقيل : « ماغرّك بربك العزيز أوالمنتقم » أونحو ذلك لكان أولى لان للانسان المعاتب أن يقول : غرّنى كرمك الذى وصفت به نفسك ؟

تجيب : ان مجموع الصفات صار كشىء واحد وهوالكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ماشاء ركبك

فالمعنى : ماغرّك برب ، هذه صفته ، وهذا شأنه، و هو قادر على أن يجعلك فى أىّ صورة شاء ! فماالذى يؤمّنك من أن يمسخك فى صورة القردة والخنازير و نحوها من الحيوانات ...

ومعنى الكريم ههنا : الفيّاض على المواد بالصور ، ومن هذه صفته ينبغى ان يخاف منه تبديل الصورة .

٧- (الذى خلقك فسواك فعدلك)

تقرير لبعض كرم الكريم جل و علا على الانسان وإحسانه إليه ، فلقد خلق الله تعالى هذا الإنسان فى أحسن تقويم ، فعدل خلقه و أحسن صورته و منحه عقلاً إمتازبه على كثير من الخلائق : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً »

الاسراء : ٧٠)

وان الاية تقرر لربوبية الله جل وعلا فى أصل الوجود وما ينمو ويكمل به الوجود المتلبسة بالكرم، فان من تدبيره عز وجل خلق الانسان بجميع أجزاء وجوده ثم تسويته بوضع كل عضو فيما يناسبه من الموضع على ما تقتضيه الحكمة الالهية ثم عدله بعدل بعض أعضائه وقواه ببعض بجعل التوازن والتعادل بينها فما يضعف عنه عضو يقوى عليه عضو فيتم به فعله .

كما أن الاكل مثلاً بالالتقام وهو للفم ، و يضعف الفم عن قطع اللقمة و و نهشها و طحنها ، فيتم ذلك بمختلف الأسنان ، و يحتاج ذلك إلى نقل اللقمة من جانب من الفم إلى آخر ، وقلبها من حال إلى حال ، فجعل ذلك للسان . ثم الفم يحتاج فى كل الأكل إلى وضع الغذاء فيه فتوصّل إلى ذلك باليد . و تمّم عملها بالكف و عملها بالأصابع على إختلاف منافعها وعملها بالأنامل ، و تحتاج اليد فى الأخذ و الوضع إلى الانتقال المكانى نحو الغذاء ، و عدل ذلك بالرجل .

و على هذا القياس فى أعمال سائر الجوارح والقوى و هى ألوف و آلاف لايحصيها العدّ ، و الكل من تدبيره جل و علا و هو المفيض لها من غير أن يريد بذلك إنتفاعاً لنفسه ، و من غير أن يمنعه من إفاضتها مايقابله به الانسان من نسيان الشكر و كفران النعمة ، وفهو تعالى ربه الكريم .

و فى الاية الكريمة من التنبيه على أن من قدر على ذلك بدأ فهو أقدر عليه إعادة مالايخفى ، و فيها وطرفيها هزّ لكل ذرة فى كيان الانسان و ايقاظ لانسانيته . . .

٨ (فى أى صورة ماشاء ركبك)

لم تعطف على سابقها ولم يقل : ففى أيّ صورة . . . بالفاء العاطفة على نسق ماتقدمها لانها كالبيان لقوله تعالى : «عدلك» .

والايات الثلاث قوية لاذعة ، و ليست منقطعة عـن المطلع الذى أكدفيه مجيىء يوم القيامة ، ومحاسبة الناس على أعمالهم ، فجائت تندد بالذين لا يخشون الله تعالى ويكفرون بنعمته وفضله .

وفى «ما» تفخيم يشير إلى قدرة الخالق وعظمة الصانع وحكمة الرب جل وعلا وما أودع فى جرم الانسان الصغير من قوى يعمر بها هذه الارض و يفتح بها مغالق كنوزها ، ويستأهل أن يكون خليفة الله تعالى على وجه الارض ، مع إرادة التهويل من نظير هذا الاسلوب .

٩- (كلا بل تكذبون بالدين)

هتاف تنديدى موجه إلى الكفار فى معرض بيان الباعث على جحودهم لله عزوجل و هو تكذيبهم بالجزاء يوم القيامة ، وردع عن إغترار الانسان بكرم الله تعالى و جعله ذريعة إلى الكفر و المعاصى مع كونه موجباً للشكر والطاعة ، و «بل » إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض: وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل كثرت جرئتكم على أعظم من ذلك بحيث تكذبون بالبعث والجزاء تماماً أو بدين الاسلام الذى هما من جملة أحكامه ، فلا تصدقون سئوالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاباً ولا البعث والجزاء .

ومن المحتمل أن يكون الردع رداً على جواب مفترض ينبغى أن يجيب به الناس على قوله تعالى: «ياأيها الناس ماغرّك بربك الكريم » وهو قولهم: لم نغتر بكرمك يا كريم ... فجاء الرد عليهم : « كلا» لقد غرّكم كرمى ، و إلاّ فلماذا «تكذبون بيوم الدين » ؟ أليس تكذيبكم بما جاءت به رسل الله إليكم مع مواصلة إحسانى إليكم و توالى نعمتى عليكم - أليس ذلك منكم إغتراراً بكرمى ؟

وعلى هذا فيكون الانسان المخاطب فى قوله عز و جل : «ياأيها الانسان ما غرّك بربك الكريم » هو ذلك الانسان الكافر بالله سبحانه المكذب بآياته ... و

هو الغارق في العاصي الذى لم يلتفت إلى ماوراء الحياة الدنيا ، ولم يعمل للآخرة حساباً كأنه مكذب بها ...

١٠- (وان عليكم لحافظين)

تو كيد في معرض الانذار بأن الله عزوجل قدجعل عليهم من يحصي ويحفظ كل ما يصدر منهم و يسجله عليهم من حفظة الاعمال . . . وينطوى التوكيد على توكيد الجزاء الاخروى أيضاً ، كما انه يحذّر عن تماديهم في غيّهم ببيان أن أعمالهم محصاة عليهم ، و فيه إشارة إلى أن أعمال الانسان حاضرة محفوظة يوم القيامة من طريق آخر غير حضورها للانسان العامل لها من طريق الذكر ، وذلك حفظها بكتابة كتاب الاعمال من الملائكة الموكلين بالانسان ، فيحاسب عليها .

والجملة حالية من فاعل «تكذبون» مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق مايكذبون به. فالمعنى: انكم تكذبون بالبعث والحساب والجزاء حال كون الملائكة يحفظون أعمالكم ... ولايضيعون شيئاً منها .

ان تسئل : لماذا لم يقل : «لراعين» بدل «لحافظين» ؟ .

تجيب : ان الفرق بين الحفظ و الرعاية : ان نقيض الحفظ الاضاعة ، ونقيض الرعاية الاهمال ، و لهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع : همل . و الاهمال مايؤدى إلى الاضاعة . فعلى هذا يكون الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك والرعاية فعل السبب الذى يصرف به المكاره عنه .

١١- (كراماً كاتبين)

في وصف الرقباء بالكرامة و تعظيمهم بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء بانه عندالله جل وعلا من علائم الامور والاشغال حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام الذين ينفذون أوامر الله تعالى ويكتبون لاعمال الناس، وفي ذلك ايماء إلى أنهم مفطورون على العصمة ، مصونون عن الاثم و المعصية بحسب الخلقة ، ففي الاية تنزيه لهم عن الاثم والمعصية .

١٢- (يعلمون ماتفعلون) .

إنذار وتحذير وتنبيه للناس، وتنزيه لكتبة أعمالهم عن الخطأ في تشخيصها:
ن الكفر و الايمان ، من الهدى و الضلالة ، من الصواب و الخطأ ، ومن الحق و
لباطل ، وفي تمييزها ، من الطاعة و المعصية ، و الحسنة والسيئة ، فهم محيطون
أفعال الانسان على ماهي عليه كما انهم حافظون لها على ماهي عليه من الحق و
لباطل ، ومن الخير و الشر . . .

وفي الاية الكريمة دلالة على أن هؤلاء الرقباء الكتبة عالمون بنيات الناس
، لا طريق إلى العلم بخصوصيات الافعال وعناوينها و كونها حقاً او شراً ، خيراً
شراً ، حسنة أو سيئة إلا العلم بالنيات . . فعلمهم بالافعال لايتم إلا من العلم
لنيات . . .

١١- (ان الابرار لفي نعيم) .

مستأنف بياني سيق لتقرير نتيجة حفظ أعمال الناس بكتابة الرقباء الكتبة
، الحياة الدنيا ، وظهورها يوم القيامة وغايتها من الجنة ونعيمها لطائفة ، و من
جحيم وعذابها لآخرين .

ففي الاية الكريمة وتاليها بيان لمصير الناس يوم الجزاء وإنذار بخطورته،
نسيمهم على طريق تقرير مآل أمرهم يوم القيامة إلى طائفتين كقوله تعالى :
ريق في الجنة و فريق في السعير » بحسب أعمالهم في الحياة الدنيا ، فمنهم
خيار الصالحون الصادقون في ايمانهم كما أن فيها بياناً لحال من لايغترون
رم الله جل وعلا ، وهم الذين عرفوا فضله وإحسانه عليهم ، فآمنوا به و إستقاموا
ى شريعته ولزموا حدوده ، وأوفوا بماعاهدوا الله تعالى عليه.

وفي الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف، كما أن في تأكيد الجملة
في التأكيد ـ إن و اللام ـ من تسجيل الحكم مالايخفى. و في تنكير «نعيم»
يم كما في تنكير «جحيم» تهويل فتدبر واغتنم جداً .

١٤- (وان الفجارلفى جحيم)

بيان لاحوال الذين اغتروا بكرم الله تعالى وإحسانه عليهم فى الحياةالدنيا ، ومآل أمرهم فى الاخرة من جحيم وعذابها . وان« الفجار» فعال للمبالغة ، وفيه من حصول ملكة الفجور لهم ، وان من حصلت لهفهو مخلد فى النار .

ولايخفى انالمؤمنين مندمجون فىتعبير الابرار، وان الكفار مندمجون فى تعبير الفجار ، غيران المتبادرانه قداريد بوصف المؤمنين بالابرار ، والكفار بالفجار تلقين كون الايمان الصادق يوجه صاحبه نحو الخير والبر بينما الكفر يوجه صاحبه نحوالاثم والفجور . وانالاية الكريمة فى تعليق الحكم علىالوصف كسابقها فتأمل جيداً .

١٥- (يصلونها يوم الدين)

بيان لاحوال الفجار فىالنار. وانالجملةإماصفةمن «جحيم» ومن «الفجار» أومستأنفة بيانية ، مبنية على سؤال نشأمن تهويلها ، كأنه قيل : ماحالهمفيها ؟ فقيل : يقاسون حرّها ولايفارقونها .

١٦- (وما هم عنها بغائبين)

تقرير لدوام نفى غيبتهم عنالجحيم ، لالنفى دوامالغيبة كمازعم بعضهملان الجملة الاسمية المنفية قديراد بها إستمرار النفى لالنفى الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام و الثبات بعد النفى لاقبله . و المراد خلودهم فى النار و ملازمتهم لها .

١٧- (ثم ماأدراك مايوم الدين)

سؤال تهويل يراد بهعرض هذا اليوم علىماهو عليه من هول لايوصف ،و فزع لايعرف كنهه لانه شيء لمتره العيون ، ولم تحم حوله الظنون .

و تفخيم لشأن يوم الدين الذىهم يكذبون به إثر تهويل لأمره ، ببيان انه خارج عن دراية الخلق على أيّة صورة تصوروه فهو فوقها ، و كيفما تخيلوه فهو

أطم من ذلك وأعظم كما أن الصبى لايتصور الجماع ولايدرك لذة الوقاع .

وفى إظهار اليوم موضع الاضمار تأكيد لأمر التفخيم .

١٨- (ثم ما أدراك مايوم الدين)

فى إيثار حرف التراخى «ثم» ايماء إلى أن الامر السابق لايدرك واقعه فى هذه الحياة الدنيا، وإن مضت السنون، ومرت الدهور ... و«ما» إستفهامية إنكارية. خبر ا «يوم الدين» لا العكس لان مدار الافادة هو الخبر لا المبتداء ، وان مناط إفادة الهول والفخامة فى المقام هو «ما» لا «يوم الدين » أى أىّ شيء عجيب فى الهول و الفظاعة، وإن كلمة «ما» وإن وضعت لطلب الحقيقة وشرح الاسم ولكن قد يطلب بها الوصف .

وتكرار الجملة تأكيد للتفخيم والهول .

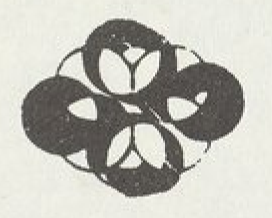
١٩- (يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله)

بيان إجمالى لشأن يوم الدين إثر إبهامه ، وبيان خروجه عن دراية الخلق بطريق إنجاز الوعد، فان نفى إدرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء ، وفى إظهار «لنفس» موضع الاضمار إذلم يقل: «لها» مبالغة فى التحذير ، و يكون أوقع فى النظم وآكد فى الاستعداد .

ان تسئل : كيف قال الله عزوجل : «يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً» والنفوس المقبولة الشفاعة تملك لمن شفعت فيه شيئاً وهو الشفاعة، وقد قال تعالى : «لا يملكون الشفاعة إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهداً» مريم : ٨٧) ؟

تجيب : ان المنفى ثبوت النصرة بالملك والسلطنة والشفاعة ليست بطريق الملك والسلطنة ، فلاتدخل فى النفى ، و يؤيده قوله تعالى : « والامر يومئذ لله » فليست الشفاعة كالملك والسلطنة الدنيوية ينال بهما اليليق قليلاً ، وغيره كثيراً. فلاتدخل الشفاعة التى لاينال بها إلاّ من كان يليقاً وباذن الله تعالى - فى النفى كما فى آية الشفاعة .

وقوله تعالى : « والامر يومئذلله» تأكيد لماسبق . و في قيد الامر لله بيوم القيامة مع أن الامر كله لله عزوجل في جميع الازمان والاحوال ... إشارة إلى أن الناس وإن كانوا في الدنيا يظنون انهم يملكون شيئاً ، ويملكون فيما بينهم الضر والنفع ، فان هذا الظاهر من أمرهم يقصر في الحياة الدنيا لن يكون لهم منه شيء في الاخرة كما يقول تعالى: «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار »غافر : ١٦) وأما الشفاعة فقد سبق الكلام آنفاً منافيها فتأمل جيداً .



«الإعجاز»

واعلم أن القرآن الكريم قد ذهب إلى أبعد ما يمكن أن يتصوره العقل من صور الاثارة الصارخة التى تهيج النفوس الساكنة وتوغر الصدور ... فكيف بالنفوس المستعرة حقداً أو حنقاً، وبالصدور الممتلئة غيظاً وشنآناً؟

فاستمع إلى سورة «الانفطار» ..

وهى من اواخر السور النازلة بمكة المعظمة، ينفطر بها القلوب، و كانت أمثال هذه السورة تقرع أسماع قريش والفجار، أسماع المشركين والكفار، و أسماع المكذبين والطغاة . . فتخرس ألسنتهم، و تضطرب مشاعرهم، وتختلط أفكارهم، و تبلد إحساسهم، ويطاش صوابهم : فما تدرى قريش ماذا تقول أو تفعل ...

حتى إذا أفاقت شيئاً من ذهولها فعلت تضرب ضربات طائشة، وتهذى هذياناً محموماً إذ كان عليها أن تفعل شيئاً - أىّ شيء - لتدفع هذا القضاء الذى لا يملك أحد دفعه ... شأن الغريق وقد احتواه الماء وجرفه التيار . . انه يضرب بيديه و رجليه ضربات طائشة يائسة، وإن كان على يقين انه من المغرقين ! .. ولقد فعلت قريش شيئاً أشبه بهذا فاتجهت إلى المستضعفين من المسلمين أمثال «بلال» بن رباح . وعمار بن ياسر و غيرهما - ترميهم بالعذاب، وتصبّ عليهم البلاء صباً ...

ولكن المعذبين المقهورين لم يزدادوا على الشدة والبلاء إلاّ ايماناً ويقيناً، وهنا يجنّ جنون قريش حيث لم يزدها هذا التخبط والخبال فيما كانت تفتّ فيه

من ضروب الايذاء و التعذيب للمستضعفين من المسلمين ــ إلا غيظاً على غيظ و تكذيباً على تكذيب حين لم تنل بكل قوتها و بطشها وجبروتها منالاً من هؤلاء الضعاف المعزولين من كل قوة إلا قوة القرآن الكريم ﷺ . وما جاء به النبي الخاتم ﷺ .



﴿التكرار﴾

ثلاث سور يشتمل كل واحدة منها على تسع عشرة آية : ١- سورة الانفطار. ٢- سورة الاعلى . ٣- سورة العلق .

وقد تكرر قوله تعالى : « وما أدراك مايوم الدين ثم ماأدراك مايوم الدين» تعظيماً ليوم الدين وتهويلاً لأمره . وقيل : أحدهما للمؤمن ، والثانى للكافر .

وقد تكررت النفس فى قوله عزوجل :«يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً »وكان الوجه أن يقال : يوم لاتملك لها شيئاً ، مبالغة فى التحذير ، و ليكون أوقع فى النظم، وآكد في الاستعداد .

ونحن نشير في المقام إلى صيغ ثلاث لغات- أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة- الصيغ التى جائت فى هذه السورة، وفى سائر السور القرآنية:

١- جاءت كلمة (النثر) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثلاث مرات :

١- سورة الانفطار : ٢) ٢- سورة الفرقان : ٢٣) ٣- سورة الانسان : ١٩)

٢- « « (الغرور) « « « « « ٢٧ مرة:

٣- « « (الصور) « « « « « ١٩« :

﴿التناسب﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفساها .

اما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «النازعات» فقدمر ان غرضها توكيد رباني بوقوع يوم البعث و الحساب والجزاء لامحالة ، وإشارة إلى بعض ظروفه و مشاهده و أقوال الكفار في ذلك مع بيان إنذاري بمصير الطغاة وعبيد الدنيا ، ورد عليهم ، وإثارة الخوف فيهم و حملهم على الارعواء ، وبيان تبشيري بمصير الخائفين مقام ربهم ، والمطيعين لله عزوجل ، وفي ختامها إشارة إلى سؤالهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت البعث وقيام الساعة وجواب عنه .

جائت هذه السورة بالاشارة إلى مسئولية كل نفس عن عمله يوم القيامة ، و علمها يومئذ بماعملت في الحياة الدنيا ، وإلى بعض أشراط الساعة الملازمة لبعث الانسان المتصلة به ، وخطورتها والانذار بأهوالها والتخويف بمشاهدتها . . . و الاشارة إلى ماهو الباعث على جحود الطغاة و هو تكذيبهم بالجزاء الرباني يوم القيامة ، وإلى مصير الناس يومئذ فالابرار ففي الجنة والفجار ففي النار .

واما الثانية : فلما اشير في سورة «التكوير» إلى بعض أشراط الساعة وأهوال يوم القيامة وأحوال الناس يومئذ ، بدئت هذه السورة بذكر بعضها الاخرى ، ثم

اشير فيها إجمالاً إلى ماجائت فيسورة «التكوير »إبهاماً ممايتعلق بعلم النفس وكتابة عملها ، ومصير أصحابها يوم القيامة ليتأكد ويتقرر فيالأذهان...فكل منهما حديث عنيوم القيامة وإرهاصاتها ، فكان جمعهما في هذا السياق منجمع النظير إلى نظيره .

وأما الثالثة : فلما بدئت السورة بأربعةامور منأشراط الساعة علىطريق الشرط - تتعلق ثنتان منها بالعلويات وهما -: إنفطار السماء ، وإنتثارالكواكب ،وآخران منها بالسفليات و هما - : تفجير البحار ، و بعثار القبور - اشير إلى الجزاء المترتب على تلك الشروط التي هي مجمع تلك الامور ، وظهورها و وقوعها ، فقال تعالى : « علمت نفس ماقدّمت وأخرت » .

ثم وجّه الخطاب إلى الانسان المغتر بكرامة ربه و إحسانه عليه باسلوب التنديد و التذكير عما جعله يغترّ ، فيستهين بنقمة اللّٰه جل و علا ، ويجرؤ على الوقوف منه موقف الكفر والجحود و التكذيب ، وهو الذي خلقه و سوّى أعضائه ، و جعله متناسب الخلق، ووهبه من المواهب ماميّزه على غيره . ان اللّٰه تعالى لما أخبر عنوقوع الساعةو الحشر بيّن مايدل عليه عقلاً بتوجيه الخطاب إلى المكذبين المغترين في معرض بيان الباعث على جحودهم ، وهو تكذيبهم بالجزاء الرباني يوم القيامة ، ثم اشير إلى مصير الناس و مآل أمرهم يومئذ فالابرار الصالحون فيالجنة ونعيمها، والفجار الآثمون فيالجحيم وعذابها .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

وإني لم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً ، فآياتها محكمة والله جل وعلا هو أعلم .



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ـ (واذا البحار فجرت)

في الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس وقتادة والجبائي : أي فتح بعضها في بعض ، عذبها في ملحها والعكس بانشقاق جوانبها ، فصارت بحراً واحداً بزوال مابينها من الحواجز ، ففاضت على وجه الارض حيناً من الدهر ، فملئت و فاض ماؤها لاضطراب الارض وزلزالها الشديد ، ووقوع الخلل في جميع أجزائها ، فتبدو هذه القارات ، و كأنها جزر صغيرة غارقة في الماء . ٢ ـ قيل : ان المراد بتفجير البحار : ان كل شيء يضطرب يومئذ ولا يستقر على حاله .

٣ ـ عن الحسن : أي ذهب مياه البحار ويبست كلها ، وذلك انها أولاً راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرّقت فذهب ماؤها بأن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية . ٣ ـ قيل : أي فاضت مياه البحار ، و ارتفعت أمواجها و اندلعت النيران من باطنها ، فتصبح ناراً هائجة ملتهبة بالتفجرات ، فالحرارة التي تتحكمها ، فترجعها إلى مابدأت رجعاً إلى النار وإلى المادة الفردة .

اقول : و الاول هو المروي من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً .

٢ـ (واذا القبور بعثرت) .

في الاية الكريمة أقوال : ١ ـ عن إبن عباس ومقاتل : أي بحثت عن الموتى فاخرجوا منها عند البعث . ٢ ـ قيل : أي ظهرت الاسرار ، و كشفت أحوال المنافقين

الخفية . . .

٣- عن الفراء : أخرجت الارض مافي بطنها من الذهب والفضة ، وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الارض ذهبها وفضتها . ٤- قيل: أي قلبت الارض وأخرج مافيها من أهلها أحياء يقال : بعثرت المتاع قلبته ظهراً لبطن ، وبعثرت الحوض وبعثرته إذا هدمته و جعلت أسفله أعلاه . و قيل : أي قلب تراب القبور و بعث الموتى الذين فيها أحياء .

بعثرة القبور : هي إخراج ما فيها من أموات حيث تنطلق منها الحياة التي كانت مندسّة فيها ، و كأنها قذائف تتفجر من باطن الارض .

أقول : والاول هو الانسب لغة وسياقاً ، وفي معناه الاخير .

٥ (علمت نفس ماقدمت وأخرت)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس وعكرمة وقتادة وإبن زيد : أي علمت كل نفس من النفوس البشرية ماقدّمت من الفرائض التي أدّتها ، وماأخرت من الفرائض التي ضيعتها . ٢- عن إبن مسعود والقرظي : أي علمت كل نفس من النفوس العادية ماقدمت من خير أوشر ، وماأخرت من سنّة حسنة استنّي بها بعده أوسنة سيئة عمل بها بعده . فالمراد بالنفوس غير نفوس المعصومين عليهم السلام ، فان نفوس المعصومين قدسية تعلم حقائق أعمالها قبل موتها وقبل قيامتها فلاتشملهم « نفس » لانها منكرة لاتستغرق النفوس قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : «لو كشف الغطاء ماازددت يقيناً » .

٣- قيل: أي إذا كانت هذه الأشياء قامت القيامة، فحوسبت كل نفس بما عملت واوتيت كتابها بيمينها أو بشمالها ، فتذكرت عند قراءته جميع أعمالها ...

٤- قيل: أي علمت كل نفس وقت تلك المذكورات وهو يوم القيامة ماقدمت من الاعمال التي عملتها في الدنيا . وماأخرت منها فلم تعمله بالكسل والتسويف ، فيذكر ويعلم كل منهم ماصدر منه من الاعمال : صغيرها و كبيرها، سرّها وعلنها.

وهذا غير ما يحصل لها من العلم بنشر كتاب أعمالها لظاهر قوله تعالى: «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» القيامة: ١٥)

٥- قيل: أي علمت كل نفس ماقدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، و أخرت وراءه من شيء حسن سنّه، فيعمل به بعده. ٦- قيل: أي علمت كل نفس بماقدمت ماعملته في أول العمر، وبما أخرت ماعملته في آخره فيكون كناية عن الاستقصاء.

اقول: والثاني هو المروى.

٦- (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم)

في الانسان أقوال: ١- عن إبن عباس: انه ههنا هو الوليد بن المغيرة. ٢- عن عكرمة: انه ههنا هو ابي بن خلف. ٣- قيل: أي ياأيها الانسان العاقل الذي اوتي من قوة الفكر وبسطة القدرة ماأوتي حتى صار بذلك أفضل المخلوقات...

٤- عن مقاتل والكلبي: انه أبو الأشد بن كلدة الجمحي. و ذلك انه ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعاقبه الله تعالى، فأنزل الله جل و علا هذه الاية. ٥- قيل: الانسان ههنا هو الكافر المنكر للبعث والمكذب بيوم الدين.

اقول: والأنسب بظاهر السياق التنديدي هو الشمول لجميع العصاة، وان خصوص السبب لايقدح في العموم، فالمراد بهذا الانسان هو المكذب بيوم الدين والفاجر في كل وقت ومكان، وإن كان في الخطاب إستدعاء لمعانيه...

وفي قوله تعالى: «ماغرّك» أقوال: ١- عن إبن عباس: أي ما الذي غرّك حتى كفرت بربك الكريم أي المتجاوز عنك. ٢- عن قتادة والحسن: أي ماغرّك شيطانك الخبيث المسلط عليك حتى طمعت في الكرم اللاحق لأجل الكرم السابق. وتقول: الله كريم. جاهلاً بأنه كريم عادل، ومن عدله أن يثيب الابرار الصالحين، ويعذب الفجار المفسدين.

٣- عن الحسن أيضا: أي ماغرك جهلك و حمقك. وقيل: أي ما أجهلك و

أغفلك عن ربك . ٥- قيل: أى ماغرّك عفوالله تعالى إذلم يعاقبك فى أول مرة إذا عصيته وخالفته . ٦- قيل: أى أىّ شىء خدعك وجرأك على عصيان ربك الكريم الذى أنعم عليك بنعمة الوجود والعقل والتدبير، ولاتزال أياديه تتوالى عليك و نعمه تترى لديك ؟

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها

وفى «الكريم» أقوال: ١- قيل: الكريم هو المنعم الذى كل أفعاله إحسان وإنعام لايجرّ به نفعاً، ولايدفع به ضراً . ٢- قيل: الكريم هو الذى يعطى ماله و ماليس عليه ، و لايطلب ماله . ٣- قيل: الكريم هو الذى يقبل اليسير ويعطى الكثير . ٤- قيل: الكريم : من كرمه انه لايرضى بالعفو عن السيئات حتى بدّلها بالحسنات ...

اقول : كل ذلك من مصاديق الكرم لابمعناه .

٧- (الذى خلقك فسواك فعدلك)

فى قوله تعالى : «فسواك» أقوال : ١- قيل: أى فسوّاك إنساناً فى بطن امك و جعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر الاعضاء ، فتسمع وتبصر وتأكل و تكلم و تبطش وتمشى . ٢- قيل: أى جعل أعضاءك سوية سليمة معدّة لمنافعها . ٣- قيل: أى فبرأك وصوّرك فأحسن صورتك . ٤- قيل: أى جعلك مستعداً لقبول الكمال.

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

وفى قوله تعالى : «فعدلك» أقوال: ١- قيل: أى فجعلك معتدلاً سوى الخلق ومتناسب الاعضاء ... كما يقال : هذا شىء معدّل ، فلاتمشى كالبهائم والحشرات قال الله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ٢- قيل: أى فجعلك معتدل القامة تام الخلق. ٣- عن مقاتل: أى فخلقك فى العينين والاذنين واليدين والرجلين.

والمعنى : عدل بين ما خلق لك من الاعضاء التى فى الانسان منها : إثنان لا تفضل يد على يد، و لارجل على رجل ...

كل ذلك على قراءة التشديد .

٤- قيل: أى فأمالك وصرفك إلى أىّ صورة شاء إما حسناً وإما قبيحاً ، إما طويلاً وإما قصيراً . وهذه على قراءة التخفيف .

اقول : وعلى الاول جمهور المحققين وفى معناه الثانى و الرابع هو الانسب بقراءة مشهورة .

٨- (فى أى صورة ماشاء ركبك)

فى الاية الكريمة أقوال: ١- قيل: أى إلى أىّ صورة شاء إما حسناً وإما قبيحاً وإما طويلاً وإما قصيراً . ٢- عن عكرمة وأبى صالح : أى إن شاء فى صورة إنسان ، وإن شاء فى صورة حمار، وإن شاء فى صورة قردة ، وإن شاء فى صورة خنزير . ٣- عن مكحول : أى إن شاء ذكراً ، وإن شاء انثى. ٤- عن مجاهد : أى فى أىّ شبه منه ام أو أب منه خال أو عم أو غيرهم .

٥- قيل: أى فيما بينك وبين آدم. ٦- قيل: أى فى أىّ صورة ماشاء من صور الخلق ركبك . ٧- قيل: أى لو شاء ركبك على غير هذه الصورة والمعنى : ان الله تعالى يقدر على جعلك كيف شاء ولكنه خلقك فى أحسن تقويم حتى صرت على صورتك التى أنت عليها لا يشبهك شىء من الحيوان. ٨- قيل: أى فى أىّ شىء صورة شاء من ذكر أو انثى أو جسيم أو نحيف حسن أو دميم طويل أو قصير .

اقول : والخامس هو المروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

٩- (كلا بل تكذبون بالدين)

فى « كلا» أقوال : ١- قيل: ان« كلا» بمعنى«لا» والمعنى: ليس الامر كما تزعمون انه لا بعث ولا حساب ولا جزاء، وليس هنا موضع الانكار للبعث مع وضوح الامر فيه و قيام الدلالة عليه . ٢- قيل: ليس الامر كما تقولون من أنكم فى عبادتكم غير الله محقون ويدل على ذلك قوله تعالى:«ماغرك بربك الكريم» والمعنى :ليس كما غررت به. ٣- قيل: ان« كلا» بمعنى حقاً .

٤- عن الفراء : أى ليست كما غررتم به و كفرتم بالله تعالى بل كذبتم بيوم الدين . ٥- قيل: ردع عن إغترار الانسان بكرم الله تعالى و جعل ذلك ذريعة إلى الكفر والمعصية والمعنى: إرتدعوا بكرمى لكم، فانكم لاتستقيمون على ماتوجبه نعمى عليكم ويدعوه إرشادى لكم، بل تجترئون على ماهو أعظم منه، وهو التكذيب بيوم الدين، فلاتغتروا إذ لاينفعكم الاغترار ، فارجعوا عن ضلالكم الذى لامصدر له إلاّ التكذيب بالبعث. ٦- قيل: لاتغتروا بحلم الله تعالى و كرمه، فتتركوا التفكر فى آياته ، فتكفروا بالله وتكذبوا بيوم الجزاء .

اقول : والخامس هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : «بالدين» أقوال: ١- عن مجاهد وقتادة: الدين هو الجزاء. ٢- قيل: أى بطاعة الله والجزاء عليها . ٣- قيل: اريد بالدين كل الدين : العقيدة و الجزاء الوفاق يوم الدين بالحساب والثواب والعقاب ، والجزاء الحق بالحياة بعد الموت . ٤- عن الجبائى : الدين هو الاسلام الذى جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٥- قيل: الدين : هو يوم الدين على تقدير: «يوم» .

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق ، والاول هو الجمود فى اللفظ .

١٠- (وان عليكم لحافظين)

فى «لحافظين » أقوال : ١- قيل: هم الذين يحفظون أعمال الانسان: خيرها وشرها ، صغيرها و كبيرها . و هم غير الحفظة الذين يحفظون الانسان من مردة شياطين الجن والانس، ومن هوام الارض وآفات كثيرة ... وغير الملائكة الذين يتوفونه من ملك الموت. ٢- قيل: هم الذين يحفظون الاعمال ويحفظون الانسان من بين يديه ومن خلفه بأمر الله تعالى. وأما ملك الموت فغير هؤلاء الحافظين لقوله تعالى : «حتى إذا جائتهم رسلنا يتوفونهم »الاعراف : ٣٧)

٣- قيل: هم يحفظون الاعمال والانسان وإذا جاء أجله يتوفونه .

اقول : والثانى هو المؤيد بالايات الكريمة والروايات الواردة فى المقام

فانتظر واغتنم .

١٧- (وما أدراك مايوم الدين)

في الخطاب أقوال : ١- عن قتادة : خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و المعنى : ماأعلمك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم وماأشعرك ماحقيقة يوم الجزاء . فلاتحيط علماً بواقعه لانك لاتعرفه إلابالوحي الذي يصفه لك ، ولايصفه لك بواقعة . ٢- قيل : خطاب للانسان المتقدم ذكره . و المعنى : ان أمرك أيها الانسان المغتر بربك الكريم لعجيب ، فأنت لاه عن يوم الجزاء غيرمبال به، و قد كنت خليقاً أن تتعرف حقيقة حاله لتأخذ نفسك الحيطة ، وتتدبر أمرك ،ولاتركن إلى كرم ربك، فانك لاتدري ماقدّر لك .

٣- قيل : خطاب لكل كافر . ٤- قيل : خطاب لكل إنسان : من مؤمن و كافر ومن مطيع وعاص .

أقول : وإن كان ظاهر السياق يؤيد الاول ، ولكن هذا التعبير كناية عن فخامة أمر يوم الدين وشدة هوله .

١٨- (ثم أدراك مايوم الدين)

في تكرار الاية الكريمة أقوال : ١- قيل: فيه تأكيد للتفخيم والتهويل . ٢- قيل: اريد بنفي الدراية الاولى نفي علم اليقين بيوم الجزاء ، و بنفي الدراية الثانية نفي عين اليقين . ٣- عن الجبائي : اريد بالجملة الاولى « ما أدراك ما يوم الدين » من النعيم لاهل الجنة ، وبالثانية «ثم ما أدراك مايوم الدين » من العذاب لاهل النار . ٤- قيل: أحدهما للكافر والاخر للمؤمن .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

١٩- (يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً و الامر يومئذ لله)

في «نفس لنفس» أقوال : ١- عن مقاتل : اريد بالنفس الاولى عموم النفس ، وبالثانية نفس الكافرين و المعنى : لاتملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة .

٢- قيل: اريد بالنفسين نفوس الكفار و الفجار الآثمين . ٣- قيل : اريد بالنفسين عموم النفوس .

اقول : والاخير هوالانسب بظاهر السياق حيث انالنكرة فيسياق النفى تفيد العموم .

و فى« الامر » أقوال : ١- قيل: «الامر» هو الحكم . والمعنى : الحكملله تعالى وحده فىالجزاء والثواب والانتقام والعفو والغفران. وذلك انالله تعالى قد ملك فىالحياة الدنيا كثيراً من الناس اموراً وأحكاماً ، وأما القيامة فلاأمر لسواه ولاحكم .

ان تسئل : وعلى هذا فلاتصح شفاعة الشفعاء لأحد ؟

تجيب : انذلك لايكون إلاّ بأمرالله تعالىوإذنه وهومن تدابيره...

٢- عنقتادة : «الامر» القضاء . والمعنى : ليس يومئذ أحد يقضى شيئاً و لا يصنع شيئاً إلاّ ربالعالمين . ٣- قيل: «الامر »هوالدين والمعنى : الدين كلهلله دون سائرخلقه ، وليس لأحد منخلقه معه يومئذ أمرولانهى .

٤- قيل : «الامر» الملك . والمعنى: انذلك اليوم يوملاتملك نفس لنفس، ولاتغنى نفسعن نفس شيئاً ، فتدفع عنها بلية نزلت بها، ولاتنفعها بنافعة ، و قد كانت فىالحياة الدنيا تحميها ، وتدفع عنها منبغاها سواء . فبطلذلك يومئذ لان الملك صارلله وحده و هو الذى لايغلبه غالب ولايقهره قاهر، و اضمحلت هنالك الممالك وذهبت الرياسات ،وحصل الملك للملك الجبار ، فلاملك ولاتصرف فى ذلك بظاهر وحقيقة إلاّلله تعالىوحده .

٥- قيل: «الامر » هوالشان . ومعنى الآية الكريمة : فلاأحد فى ذاك اليوم يملك نفعاً أوضراً لنفسه أولغيره و الشأن كله يومئذلله وحده ، فلا وساطة ولا شفاعة بللامودة ولارحمة إلاّماشاء اللهتعالى بخلاف الدنيا ، ولاينازعهفيه أحد .

٦- قيل:اريد بالامر كلالامر. والمعنى:انالامر كلهلله تعالى يومالجزاء:

أمر الملك والاحياء ، أمر الادانة والعفو ، أمر الثواب و العقاب ، امر الشفاعةو العذاب ، وأمر الحكم والقضاء ، وأمر التنفيذ وماإليها . . . و ان كان كذلك فی الحياة الدنيا إلا ان الله تعالی حرّر الانسان فیالدنيا فی بعض الامر، و خيّره بين الايمان والكفر ، بين الحق والباطل ، بين الهدی والضلالة ، بين الفلاح والخيبة، بين السعادة والشقاء ، بين الصلاح والفساد ، بين الصدق و الكذب ، بين الامانة و الخيانة، وبالجملة بين طريق الجنة و الرضوان ، و الجحيم والنيران لان الدنيا دارإبتلاء وتكليف ، ودار الاخرة دارحساب وجزاء .

اقول . والتعميم هوالأنسب بظاهر السياق ، والمؤيد بالايات القرآنية...



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (اذا السماء انفطرت)

يوم القيامة يوم تنشق السماء وتغيّر نظامها بأمر الله جل وعلا ، فيزول يومئذ هذا السقف الذى يبدو منها فى مرأى العين ، فلم يبق نظام الكواكب يوم القيامة على ما نراه فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى: «ويوم تشقق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً» الفرقان:٢٥)

وقال : «وإذا السماء فرجت» المرسلات : ٩)

وقال: « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» الرحمن : ٣٧)

وقال : «فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ـ فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية » الحاقة : ١٣ـ ١٧)

٢- (واذا الكواكب انتثرت)

وحين تنكدر الكواكب و تنطمس ، وتنمحى النجوم و تتفرّق بخروجها من مداراتها التى ركزت فيها عند ذهاب ضوءها فتتساقط بشدة، سوداء لاضوء لها ،فيختل عندئذ توازن الكون ونواميس الوجود ونظام العالم .

قال الله تعالى : «فاذا النجوم طمست »المرسلات : ٨)

وقال : «وإذا النجوم انكدرت »التكوير : ٢)

٣- (واذا البحار فجرت)

وتجيىء الساعة يوم تتفجّر البحار كلها فملأ جميعها بفجر بعضها فى بعض:

عذبها في ملحها ، وملحها في عذبها بالانشقاق ، فصارت بحراً واحداً لزوال الحائل بينها بالرجفة والزلزال ، تلو إختلال النظام العلوى .

والاية في معنى قوله تعالى : « وإذا البحار سجرت » التكوير : ٦) بامتلاء البحار .

٤- (واذا القبور بعثرت)

ويوم يقلب تراب القبور ، وباطنها إلى ظاهرها بقلب الارض أسفلها أعلاها ليخرج من فيها من الموتى أحياء وللحساب والجزاء .

قال الله تعالى : «وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» الحج : ٧)

وقال : « أفلايعلم إذابعثر مافي القبور » العاديات : ٩)

وقال : « يوم يخرجون من الأجداث سراعاً » المعارج : ٤٣)

وقال: « ونفخ في الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنامن مرقدنا هذاما وعدالرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينامحضرون فاليوم لاتظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلا ما كنتم تعملون» يس : ٥١- ٥٤)

٥- (علمت نفس ماقدمت وأخرت)

إذاوقعت تلك الحوادث السماوية والارضية وتحقق يوم القيامة علمت يومئذ كل نفس غير معصومة ماعملت في الحياة الدنيامن خير أو شر، ومن طاعة أومعصية، صغيرها و كبيرها ، وماأخرت مما سنته من سنة حسنة أوسيئة ، فعملت بها بعد موتها إذتكتب في صحيفة أعمالها ...

قال الله تعالى : « يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء »آل عمران : ٣٠)

وقال : «هنالك تبلوا كل نفس ماأسلفت » يونس : ٣٠)

وقال : «يعلم ماتكسب كل نفس »الرعد : ٤٢)

وقال : « ولتنظر نفس ماقدّمت لغد» الحشر : ١٨)

وقال: «ينبّؤا الانسان يومئذ بماقدّم وأخر »القيامة : ١٣)

وقال:«ونكتب ماقدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» يس: ١٢)

٦ـ (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم)

ياأيها الانسان الفاجر في الارض بالكفر و الطغيان ، وبالفساد والاضلال ، المغرور بالدنيا ومتاعها ،وبتأخير العذاب بالهلاك والدمار، المكذب بيوم البعث والحساب و الجزاء ... أيّ شيء غرّك ، و أدخلك في الغرة فتغررت بربك الذي خلقك وربّاك؟ وأيّ شيء سوّل لك الكفر حتى كفرت به، والمعصية حتى عصيته، والطغيان حتى خالفته ؟؟؟ فتقصر في حقه وتتهاون في أمره وتفسد في الارض ،وتسوء أدبك في جانبه الذي أكرمك بفضله، وبرّه ولايريد من نعمه ، وعطاياه نفعاً ينتفع به ولا عوضاً يقابل به المنعم عليه فلاعذر لك أن تعتذر به يوم القيامة .

قال الله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولىّ ولاشفيع وإن تعدل كل عدل لايؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب أليم بما كانوا يكفرون »الانعام : ٧٠)

وقال : «ياأيها الناس ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور »فاطر : ٥٠)

وقال : «يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان إلاّ غروراً »النساء : ١٢٠)

وقال : «فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور » الحديد : ١٤)

وقال: «لايغرّنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم و بئس المهاد »آل عمران : ١٩٦ ـ ١٩٧)

وقال : «ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون» التحريم : ٧)

٧ - (الذى خلقك فسواك فعدلك)

ومن آثار كرم الله جل و علا عليك أيها الانسان المغتر انه هو الذى خلقك من نطفة و لم تك شيئاً مذ كوراً فسواك إنساناً فى بطن امك ، ووهبك من المواهب ماميزك على غيرك إذخلقك فى أحسن تقويم فصرفك ...

قال الله تعالى: «أولا يذكر الانسان أناخلقناه من قبل و لم يك شيئاً» مريم:٦٧)

وقال: «أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً» الكهف:٣٧)

وقال: «لقدخلقنا الانسان فى أحسن تقويم » التين : ٤)

٨- (فى اى صورة ماشاء ركبك)

فى أىّ صورة ماشاء ركبك من بينك إلى آدم من قصير وطويل ، من حسن وقبيح ، من بياض وسواد ، من ذكر وانثى ، ومن شبه بالأب والام و العم و الخال و غيرهم على ما اقتضته الحكمة الالهية ، ركبك فى صورة هى من أعجب الصور و أحكمها وأجملها ، وركبك تركيب أجزاء الجسم بعضها ببعض وتركيبه بالروح والعكس ، ولوشاء لركبك على غير هذه الصورة .

فاذا صوّرك ربك أيها الانسان المغتر بصورة حسنة على وفق مشيئته وحكمته، ففيها منبثق من كرمه وحده، ومن فضله وإحسانه وحده ، فلاينبغى لك أن لاتشكره ،ولا تقدر له بل عليك أن تتدبر فى هذه الصورة الجميلة المعتدلة كاملة الشكل و التناسب وفتشكر له وتطيعه .

قال الله تعالى: « هو الله الخالق البارىء المصور » الحشر : ٢٤)

وقال: «هو الذى يصوّركم فى الارحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم» آل عمران : ٦)

وقال : «وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » غافر : ٦٤) وماورد فى المقام فمن باب التأويل .

٩- (كلا بل تكذبون بالدين)

ليس الامر كما ينبغي أن يظهر منكم أيها الفجار المغترّون ، و الكفار الآثمون ، الايمان والطاعة والشكر لربكم الكريم بالتفكر في الايات التكوينية والتدوينية ، والآفاقية والانفسية ، وأن لاتغترّوا بربكم الكريم ، وأن لاتجترؤا على الكفر والكفران ، وعلى المعصية والطغيان ، بل كنتم تكذبون بيوم البعث و الحساب والجزاء ، فويل لكم .

قال الله تعالى: « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلاّ كل معتد أثيم » المطففين : ١٠ - ١٢)

وماورد في المقام فمن باب الجرى والانطباق فتأمل جيداً .

١٠- (وان عليكم لحافظين)

وإن عليكم أيها الفجار المغترون، والكفار المكذبون لرقباء من الملائكة يحفظون عليكم ما تعتقدون من الكفر و الايمان ، و يحصون ماتقولون من خير القول وسيّئه ، يحفظون ما تسمعون من الحق والباطل ، ويحصون ماتعملون من الطاعة والمعصية، ويحفظون ماتفعلون من صالح الاعمال وفسادها ، و كل مايصدر منكم بالكتابة .

قال الله تعالى : « إذا يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد » ق : ١٧- ١٨) .

وقال: «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل و سارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لايغير مابقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم » الرعد : ١٠ - ١١) .

وقال : « إن كل نفس لما عليها حافظ » الطارق : ٤) .

و قال : « و هو القاهر هو فوق عباده و يرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرّطون » الانعام : ٦١) .

فينبغي لكل إنسان أن يستحيي من ملائكة الله جل و علا الذين معه ، ولا يفارقونه ليلاً ونهاراً، فلا يكفر بالله عزوجل ولا يعصيه، وأن يكون الانسان لملازمة الملائكة إياه أشد على طاعة الله تعالى مواظبة ، وعن معصيته أشد إنقباضاً ، فكم من عبد يهم بمعصيته ، فذكر مكانهم فارعوى و كف عنها ، فيقول : ربي يراني ، و حفظتي علي بذلك تشهد .

وما يظهر من السياق ان الخطاب للكفار المفترين، ولكن المؤمنين غير خارجين منه .

١١- (كراماً كاتبين)

حال كون هؤلاء الحافظين كراماً عندالله جل وعلا ، هم مكرمون بفضله و إحسانه ، وهم يكتبون لما يعمل الناس من الاعمال كلها ، ومايعنون من الحسنات أو السيئات جميعها : صغيرها و كبيرها ، خيرها و شرها ، صالحها و فاسدها ، ظاهرها و باطنها . . .

قال الله تعالى : « كرام بررة » عبس : ١٦) .

وقال :«بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » الانبياء : ٢٦ _ ٢٧) .

وقال : «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف : ٨٠) .

وقال : « ان رسلنا يكتبون ماتمكرون » يونس : ٢١) .

وما ورد في كتابتهم أعمال العباد بقرد انها تناسب عالم الملائكة حافظيها ، وهي تطبيقهم ماعندهم من نسخ الالواح التي ترسم فيها الاعمال عليها .

وأما القول بكتابة الاعمال في الاوراق بالاقلام ، أو ان الملائكة هم أرواح تتجلى فيها تلك الاعمال ، فتبقى فيها بقاء المداد في القرطاس ، فلم تنزل فيه آية ولا ترد فيه رواية .

١٢- (يعلمون ماتفعلون) .

يعلم هؤلاء الملائكة الحافظون كل ماتفعلون من خير أو شر ، من حسنة أو سيئة ، ومن طاعة أو معصية . . . وكل ذلك مستطر في الزبر .

قال الله تعالى : « وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر » القمر : ٥٢ - ٥٣) .

ومن غير بعيد أن يكون الملائكة الحافظون يعلمون ما في صدور الانسان من النيات والخطورات حسنها وقبيحها ، فلايستره منهم حاجب ، ولايخفى عليهم شيء من عمله ، ولاماتحدث به نفسه .

١٣- (ان الابرار لفي نعيم) .

ان الابرار هم الذين يعرفون فضل الله جل وعلا وإحسانه عليهم ، ولايغترون بكرمه ، فهم مؤمنون عن معرفة ، صادقون في ايمانهم ، فاعلون البر على الناس ، مخلصون في أفعالهم ، مؤتمرون بما أمر الله جل و علا به ، ومنتهون عما نهاهم عنه ، مأمول منهم الخير والاحسان ، مأمون منهم الشر والاساءة ، مستقيمون على شريعة الله عزوجل ، وملتزمون حدوده ، هم مستقرون في الجنة ، ومتنعمون بنعيمها على مايشتهون

قال الله تعالى : « ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخرة والملائكة و الكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وإبن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون - وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون » البقرة: ١٧٧ - ١٨٩)

وقال : « ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة

النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنا فس المتنافسون »
المطففين : ٢٢ ـ ٢٦)

فالابرار هم الذين ندعوا الله جل وعلا أن يوفينا معهم ونقول: «ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار »آل عمران : ١٩٣)

١٤- (وان الفجار لفى جحيم)

وان الفجار هم مكذبون بيوم الدين ، متهتكون لحرمات الله جل وعلا ، متعدون حدوده ، آثمون يخاف الناس من شرهم وفسادهم ، هم مستقرون فى نار محرقة لايكتنه أحد كنهها ، ولايقدر قدرها .

وهم الذين يصفهم الله عزوجل فى السورة التالية بقوله : «ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أووزنوهم يخسرون ـ كلا ان كتاب الفجار لفى سجين ـ الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » المطففين : ١ ـ ١٥)

وقال : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى »النازعات: ٣٧ ـ ٣٩)

١٥- (يصلونها يوم الدين)

هؤلاء الفجار المكذبون بيوم الجزاء ، هؤلاء الكفار المتعدون لحدود الله جل وعلا وهؤلاء الطغاة المغترون بربهم الكريم ، يلقون يوم الجزاء فى نار جهنم يقاسون حرّها ، ويذوقون لهيبها ، ويلزمونها ولايفارقونها قال الله تعالى : «وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم »الواقعة : ٩٢ـ٩٤)

وقال : «ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب »ق:٢٤ـ٢٥)

وقال : «ان كتاب الفجار لفى سجين ـ ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا

الذى كنتم به‌تكذبون » المطففين : ٧- ١٧)

وقال: « ألم‌تر إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً و أحلّوا قومهم‌دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار »ابراهيم : ٢٨- ٢٩)

وقال:« وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً إذارأتهم من‌مكان بعيد سمعوا لهاتغيظاً و زفيراً وإذا القوامنها مكاناً ضيقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً» الفرقان : ١١- ١٤)

١٦- (وما هم‌عنها بغائبين)

وهؤلاء الفجار المتعدون ، والمجرمون المغترون‌بربهم الكريم ما كثون فى‌الجحيم ،لايغيبون عنها ، ولايخرجون منها أبداًبعدأن يدخلوها ، فهم‌فى‌عذاب دائم .

قال‌الله تعالى : «وماهم بخارجين من‌النار »البقرة : ١٦٧)

وقال: «يريدون‌أن‌يخرجوا من‌النار وماهم‌بخارجين منها ولهم عذاب‌مقيم» المائدة : ٣٧)

وقال : « ومن يعص‌الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها و له عذاب مهين »النساء : ١٤)

وقال : «وأماالذين‌فسقوا فمأواهم النار كلماأرادوا أن‌يخرجوا منهااعيدوا فيها وقيل لهم‌ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به‌تكذبون »السجدة : ٢٠)

وقال : « ان‌المجرمين فى‌عذاب‌جهنم خالدون‌لايفترّ عنهم وهم فيه‌مبلسون وماظلمناهم ولكن كانواهم الظالمين ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال‌انكم ما كثون لقدجئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » الزخرف : ٧٤-٧٨)

١٧- (وما أدراك مايوم الدين)

وأىّ شىء أعلمك وعرّفك أيها النبى‌ﷺ ماحقيقة يوم‌الجزاء ، وقدبلغ من‌الهول والشدة ، ومن الفزع والصيحة أن‌لايبلغها علم‌المخلوقين ، ولاحقيقتها و

صف الواصفين ، ولا كنهها خبر المخبرين ، لانه شيء لم تره العيون ولم تحم حوله الظنون ... فلا تحيط علماً بحقيقة يوم الدين وإن كنت عالماً به ولكن بالصفة على طريق الوحي.

ونظير الآية الكريمة في بيان تفخيم يوم الجزاء وهوله وفزعه وشدته قوله تعالى : «وما أدراك مايوم الفصل » المرسلات : ١٤)

وقوله جل وعلا : «وما أدراك ما الحاقة » الحاقة : ٣)

وقوله سبحانه : « وما أدراك ما القارعة » القارعة : ٣)

١٨- (ثم ما أدراك مايوم الدين)

ثم أيّ شيء أعلمك و أشعرك مايوم الجزاء ، يوم لاشيء أعجب في الهول و الفظاعة، ولا أشد في الخوف والفزع منه، فلا يدرك واقعه في هذه الحياة الدنيا ، و إن مضت السنون ومرت الدهور ...

و نظير الاية الكريمة في التأكيد لتعظيم أمر يوم الجزاء ، و تفخيم شأنه وتهويل موقفه قوله تعالى: «الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة » الحاقة : ١-٣)

وقوله جل وعلا : « القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارقة» القارعة : ١-٣)

١٩- (يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله)

هذا اليوم المهول هو يوم يتعرى فيه الناس من كل قوة وسلطان ، فلا يملك أحد يومئذ لأحد شيئاً من النفع ، ولا يدفع أحد عن أحد مكرهاً ولا شيئاً من الضر ، فالامر كله لله عزوجل لا يملك أحد معه من الأمر شيئاً .

قال الله تعالى :«فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً » سباء : ٤٢)

وقال : «يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب »غافر : ١٦-١٧)

وقال : «الملك يومئذ الحق للرحمن »الفرقان : ٢٦)

وقال: «الملك يومئذ لله يحكم بينهم» الحج: ٥٦)
وقال: «وإليه يرجع الامر كله» هود: ١٢٣)

فالناس وإن كانوا يملكون أسباباً في الحياة الدنيا على طريق المجاز للابتلاء والتكليف كما أن لهم من القوى فيها لذلك، ولكنها تنقطع يوم الجزاء، فان رابطة التأثير والتأثر بين الاسباب الظاهرية ومسبباتها منقطعة زائلة، فهم يفقدون المجاز أيضاً يومئذ، ولا يملكون يومئذ شيئاً من تلك الاسباب ولا من تلك القوى.. فيتجلى الملك الحق لله وحده لا شريك له، ولو مجازاً يومئذ، وعنده يبطل كل ملك ظاهري، وتنقشع كل سلطنة صورية...

قال الله تعالى: «أن القوة لله جميعاً ـ وتقطعت بهم الاسباب» البقرة: ١٦٥ـ١٦٦)
فليس لهم يومئذ إلا كمال العجز، وتمام الشلل، ونهاية الانفصال بين النفوس والانشغال عنها «يوم يفر المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس: ٣٤ ـ ٣٧)

ولو إنشغلت نفس عن نفسها، واتجهت إلى غيرها لم تكن لتفيده وتغنيه إذ لا تملك هناك شيئاً لنفسها فضلاً عما سواها.

فلا وزير لأحد ولا مشير يومئذ فيجفوه الاولياء، ويخذله الشفعاء، ويتبرأ منه الاقرباء وتصير الاخلاء أعداء إلا المتقين.

قال الله تعالى: «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا» البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧)

وقال: «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» الزخرف: ٦٧)

وأما الشفاعة فانها باذن الله تعالى، فلا يملك أحد شفاعة إلا انه اتخذ عند الله جل وعلا عهداً، ولا يشفع شفيع إلا لمن أذن له الرحمن وقال صواباً فالله جل وعلا

هو المالك لها لا غير.

قال الله تعالى: «لا يملكون الشفاعة إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهداً »مريم:٨٧)

وقال: «ولا تشفعون إلاّ لمن ارتضى» الانبياء: ٢٨)

وقال: «ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه »يونس: ٣)



﴿جملة المعانى﴾

٥٨٣٠- (اذا السماء انفطرت)

تقع القيامة حين تنشق السماء وتغيّر نظامها بأمر الله تعالى .

٥٨٣١- (واذا الكواكب انتثرت)

وحين تنكدر الكواكب وتنطمس فتفرّق لاضوءلها .

٥٨٣٢- (واذا البحار فجرت)

وحين تتفجّر البحار كلها ، فيفجر بعضها فى بعض حتى تصير بحراً واحداً .

٥٨٣٣- (واذا القبور بعثرت)

وحين يقلب تراب القبور فيخرج من فيهامن الموتى أحياء للحساب والجزاء

٥٨٣٤- (علمت نفس ماقدمت واخرت)

يومئذ علمت كل نفس ماعملت فى الدنيا وماأخرت من خير أوشر ، و من طاعة أو معصية .

٥٨٣٥- (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم)

ياأيها الانسان المغرور المكذب بالبعث والجزاء بعدالموت أى شيء غرك بربك الذى أكرمك بفضله وإحسانه عليك ؟ .

٥٨٣٦- (الذى خلقك فسواك فعدلك)

هوالذى خلقك من نطفة ولم تك شيئا ، فسوّاك إنساناً وصرفك .

٥٨٣٧- (فى أى صورة ماشاء ركبك)

في أي صورة ماشاء ربك ركبك من بينك إلى آدم من قصير وطويل ، من حسن وقبيح ...

٥٨٣٨ (كلا بل تكذبون بالدين)

لم يظهر منكم ماينبغي من الايمان والطاعة والشكر ، بل انكم لم تكتفوا بذلك، حتى كنتم تكذبون بيوم الجزاء بعد الموت .

٥٨٣٩- (وان عليكم لحافظين)

وإن عليكم من قبلنا حفظة من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم وأنفسكم .

٥٨٤٠- (كراماً كاتبين)

هؤلاء الحفظة اولوا كرامة وعزة عند الله عزوجل يكتبون أعمالكم :خيرها وشرها ، ظاهرها وباطنها .

٥٨٤١- (يعلمون ماتفعلون)

هم يعلمون كل ماتفعلون في الحياة الدنيا من خير أو شر ...

٥٨٤٢- (ان الابرار لفي نعيم)

ان الابرار الذين يعرفون كرم ربهم ولا يغترون به هم مستقرون في الجنة.

٥٨٤٣- (وان الفجار لفي جحيم)

وان الفجار الآثمين المكذبين بيوم الجزاء مستقرون في نار جهنم لا يكتنه أحد كنهها .

٥٨٤٤- (يصلونها يوم الدين)

هم يلقون يوم الجزاء في نار جهنم يذوقون لهيبها ويلزمونها .

٥٨٤٥- (وماهم عنها بغائبين)

وليس هؤلاء الفجار عن نار جهنم بغائبين . فهم فيها خالدون .

٥٨٤٦- (وما أدراك مايوم الدين)

وأي شيء أعلمك ماحقيقة يوم الجزاء .

۵۸۴۷- (ثم ما أدراك ما يوم الدين)

ثم أي شيء عرفك ما حقيقة يوم الجزاء، ولا يدرك واقعه في الدنيا وإن مدت السنون ومرت الدهور ...

۵۸۴۸- (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله)

أعني بيوم الدين يوم لا يملك أحد لأحد شيئاً من النفع، ولا يقدر أحد أن يدفع عن أحد شيئاً من الضر.



﴿ بحث روائي ﴾

في قرب الاسناد : باسناده عن سبط المصطفى سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليهما السلام عن أبيه عليه السلام : انه سئل عن قول الله : « و إذا البحار فجرت» فقال : هي سبعة أبحر ، فتصير بحراً واحداً قال : فيجعلها الله تبارك و تعالى يوم القيامة في قعر أبهام ملك يقال له : صيلفاً .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « و إذا البحار فجرت » قال : تتحول نيراناً ، و « وإذا القبور بعثرت » قال : تنشق، فيخرج الناس منها ، «وعلمت نفس ماقدمت و أخرت » أي ماعملت من خير وشر .

وفي المجمع : في الحديث : ان سائلاً قام على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسئل ، فسكت القوم ثم ان رجلا أعطاه فأعطاه القوم ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من استن خيراً فاستن به، فله أجره، ومثل اجور من اتبعه من غير منتقص من اجورهم . ومن استن شراً فاستن به . فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزاهم ، قال : فتلا حذيفة بن اليمان :«علمت نفس ماقدمت و أخرت »

و في الدر المنثور : عن حذيفة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من استن خيراً فاستن به فله اجره . و مثل اجور من اتبعه غير منتقص من اجورهم ، ومن استن شراً فاستن به، فله وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم و تلا حذيفة: «علمت نفس ماقدمت و أخرت » .

وفيه : عن عكرمة وقتادة ومجاهد في الاية الكريمة : « ما ادت الى الله مما

أمرها به وما ضيعت .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » : و روى ان النبى ﷺ لما تلا هذه الآية قال : غرّه جهله .

و فى نور الثقلين: وقال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : كم من مغرور بالستر عليه ومستدرج بالاحسان إليه؟ .

وفى نهج البلاغة : ومن كلام لمولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قاله عند تلاوته : « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم » :

« أدحض مسئول حجة ، و أقطع مغترّ معذرة ، لقد أبرح جهالة بنفسه . يا أيها الانسان ! ما جرّأك على ذنبك ، وما غرّك بربك ، وما أنّسك بهلكة نفسك ! أما من دائك بلول ! أم ليس من نومك يقظة! أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك! فلر بما ترى الضّاحى من حرّ الشمس فتظلّه ، أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده فتبكى رحمة له ! .

فما صبّرك على دائك ، وجلّدك على مصابك وعزّاك عن البكاء على نفسك. و هى أعزّ الأنفس عليك ! و كيف لا يوقظك خوف بيات نقمة ، و قد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته ! فتداو من داء الفترة فى قلبك بعزيمة ، و من كرى الغفلة فى ناظرك بيقظة ، و كن لله مطيعاً وبذكره آنساً ، وتمثّل فى حال تولّيك عنه ، إقباله عليك ، يدعوك إلى عفوه ، و يتغمّدك بفضله ، و أنت متولّ عنه إلى غيره .

فتعالى من قوىّ ما أكرمه ! و تواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته ! و أنت فى كنف ستره مقيم ، وفى سعة فضله متقلّب ؟ فلم يمنعك فضله ، ولم يهتك عنك ستره ، بل لم تخل من لطفه مطرف عين، فى نعمة يحدثها لك ، او سيئة يسترها عليك ، أو بلية يصرفها عنك . فما ظنك به لو أطعته ! و أيم الله لو أن هذه الصفة كانت فى متفقين فى القوة ، متوازيين فى القدرة لكنت أول حاكم على نفسك بذميم

الاخلاق ومساوى الاعمال .

وحقاً أقول : ماالدنيا غرّتك ولكن بها اغتررت ، و لقدكاشفتك الغطات و آذنتك على سواء، ولهى بماتعدك من نزول البلاء بجسمك، والنقض فى قوتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أوتغرّك ، ولربّ ناصح لهاعندك متّهم ، وصادق من خبرها مكذّب ... »الخطبة .

قوله عليه السلام : «أدحض مسئول حجة » على حذف المبتداء أى المغرور و الحجة الداحضة : الباطلة ، و«معذرة» : العذر و«أبرح» : أشد. والبرح : الشديد العظيم و«أنّسك »أى كيف لم تستوحش من الامور التى تؤدى إلى هلكة نفسك . و «بلول» مصدر بلّ الرجل من مرضه : إذابرىء و«الضاحى» : البارز و«يمضّ»:يؤلم و«بيات نقمة »: طروقها ليلة و«تورطت» : أوقعت و«مدارج »: طرق ومسالك ، و «تمثّل »: تصوّر و «يتغمّدك» : يسترك بعفوه و«مطرف عين» : زمان طرف العين. وطرفها : إطباق أحدجفنيها على الآخر و« متوازيين » : متساويين و«آذنتك »: أعلمتك .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «الذى خلقك فسوّاك فعدلك » قال: أى ليس فيه إعوجاج . و فى قوله تعالى : « فى أىّ صورة ماشاء ركبك » قال : لوشاء ركبك على غيرهذه الصورة .

وفى المجمع: وروى عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال لرجل : ماولدلك ؟ قال : يارسول الله ! وما عسى أن يولدلى إماغلام وإما جارية قال: فمن يشبه ؟ قال: يشبه امه أوأباه فقال صلى الله عليه و آله : لاتقل: هكذا ، إن النطفة إذا استقرّت فى الرحم احضرها الله كل نسب بينهاو بين آدم أما قرأت هذه الآية: «فى أىّ صورة ماشاء ركبك » أى فيما بينك وبين آدم .

وفيه : عن الصادق عليه السلام قال: لوشاء ركبك على غيرهذه الصورة .

وفى المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن محمد بن

الحنفية عن الامام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن علي عليه السلام في قوله تعالى : « في أي صورة ماشاء ركبك » قال: صور الله عز و جل علي بن أبيطالب عليه السلام في ظهر أبي طالب على صورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان علي بن أبيطالب أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان الحسين بن علي أشبه الناس بفاطمة، وكنت أنا أشبه الناس بخديجة الكبرى.

وفي الدر المنثور : عن مالك بن حويرث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤها في كل عرق و عصب منها، فاذا كان اليوم السابع أحضر الله كل عرق بينه و بين آدم ، ثم قرأ «في أي صورة ماشاء ركبك»

وفيه : عن عبدالله بن بريدة أن رجلاً من الأنصار ولدت له إمرأته غلاماً أسود فأخذ بيد إمرأته، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: والذى بعثك بالحق لقد تزوجني بكراً وما أقعدت مقعده أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صدقت إن لك تسعة وتسعين عرقاً وله مثل ذلك ، فاذا كان حين الولد إضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسئل الله أن يجعل الشبه له .

وفي أمالي الشيخ الطوسي : قدس سره باسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام - في حديث - ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: قل: ما أول نعمة أبلاك الله عز وجل وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني جل ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً ، قال : صدقت إلى قوله : فما الثالثة قال: ان أنشأني فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب قال : صدقت .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « كلا بل تكذبون بالدين » قال: برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام .

وفيه: في قوله تعالى : «وإن عليكم لحافظين »قال : الملكان الموكلان بالانسان و« كراماً كاتبين» يكتبون الحسنات والسيئات .

وفي رواية : قال مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام:

«إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه فاذاجاء أجله خلّيا بينه و بينه وان الأجل لجنة حصينة »

وفي الكافي : باسناده عن واصل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي ذر فقال : ياأباذر مالنا نكره الموت ؟

فقال : لانكم عمّرتم الدنيا وأخربتم الاخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب فقال له : فكيف ترى قدومنا على الله ؟ فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء منكم فكالآبق يردّ على مولاه قال: فكيف ترى حالنا عندالله ؟

قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب ان الله يقول : « إن الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم »

قال: فقال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين قال: أبوعبدالله عليه السلام : و كتب رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه ياأباذر اطرفني بشيء من العلم، فكتب إليه ان العلم كثير ولكن ان قدرت ان لاتسيء إلى من تحبّه فافعل ، قال : فقال له الرجل : وهي رايت أحداً يسيء إلى من يحبّه ؟ فقال له : نعم نفسك احبّ الانفس إليك فاذا أنت عصيت الله ، فقد أسأت إليها .

و في كنز الفوائد : للكراجكي باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل : «إن الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم »قال : الابرار نحن هم و الفجار هم عدوّنا .

وفي المناقب : عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كل مافي كتاب الله عزوجل من قوله : «ان الابرار »فوالله ماأراد به إلاّ علي بن ابيطالب وفاطمة وانا والحسين لانا نحن أبرار أبائنا وامهاتنا وقلوبنا علمت بالطاعات والبر وتبرأت من الدنيا وحبها وأطعنا الله في جميع فرائضه ، وآمنا بوحدانيته و صدقنا برسوله .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى:«يصلونها يوم الدين»قال :يوم المجازات

وفي المجمع: في قوله تعالى : «والامر يومئذلله » وحده أي الحكم له في الجزاء والثواب والعفو والانتقام وروى عمرو بن شمر عن جابر عن إبي جعفر عليه السلام انه قال : إن الامر يومئذ واليوم كله لله ياجابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله .

ولايخفى : ان كون الامر لله تعالى لايختص بيوم القيامة بل الامر لله دائماً ، فتخصيصه بيوم القيامة باعتبار ظهوره لاباعتبار أصله ، فالذي يختص به ظهور هذه الحقيقة ظهور عيان فيسقط اليوم أمر غيرالله جل وعلا وحكمه. ونظير الامر سائر ماعد في كلامه تعالى من مختصات يوم القيامة .

وفي تفسير القمي : عن إبن عباس في قوله تعالى : «والامر يومئذلله»: يريد الملك والقدرة والسلطان والعزة والجبروت والجمال والبهاء والهيبة وحده لاشريك له .



﴿ بحث فقهى ﴾

وقد إستدل بعض الاعلام من المحققين بقوله تعالى : «بل تكذبون بالدين» الانفطار : ٩)

على أن تكذيب يوم الدين كفر، وإنكار لتشريع الدين و فى إنكاره إنكار لربوبية الله جل و علا.

وقال بعضهم : ان سياق العتاب والتوبيخ والتهديد وخلود المكذبين الفجار فى النار و نفى الشفاعة فى حقهم يدل أن المعاد أصل من الاصول الاعتقادية التى تكذيبها يوجب الكفر والفجور اللذين يوجبان دخول المكذب فى النار والخلود فيها.

اقول : وما يظهر من السياق هو الاهتمام بأمر المعاد وان تكذيبه يوجب الكفر و الفجور والدخول فى الجحيم والخلود فيها، وأما دلالته على كونه أصلاً من الاصول الاعتقادية فلا، نعم ان الايات النازلة فى أمر المعاد أكثر من الايات النازلة فى غيره من الاصول الاربعة الاعتقادية الاخرى فى الدين الاسلامى مع التوحيد و النبوة و الامامة والعدل ، وان كثيراً من تلك الايات تدل على أن المعاد أصل من الاصول الاعتقادية الاسلامية و التشكيك فيه كالتشكيك فى التوحيد .

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد إختلفت الآراء والمذاهب في الكفار و الفجار : هل عليهم حفظة من الملائكة ، يكتبون عقائدهم الباطلة ، وأقوالهم المزخرفة، وأعمالهم الفاسدة أم لا؟

فأنكرت الجبرية من العامة للزوم البعث ، لـأن الكفار و الفجار عندهم مجبورون على ماهم عليه من الكفر والفجور ، وأما كتابة أعمال المؤمنين عندهم فللجزاء والثواب .

وقد ذهب بعض العامة إلى أن أمر الكفار ظاهر ، وعملهم واحد ، فلا حاجة إلى الكتابة إذقال الله تعالى : «يعرف المجرمون بسيماهم »الرحمن : ٤١)

و قد ذهبت الفرقة الناجية : الشيعة الامامية الاثنى عشرية إلى أن لكل إنسان مكلف : مؤمناً كان أم كافراً ، ذكراً كان أو انثى . . حفظة من الملائكة تكتب أعمالهم : خيرها وشرها ، صالحها و فاسدها ، صغيرها و كبيرها . . . و هم يستدلون على العموم بقوله عزوجل : «مايلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد» ق:١٨)
وقوله : «إن كل نفس لماعليها حافظ »الطارق : ٤)

وعلى خصوص الكفار بقوله تعالى :« وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون » الانفطار : ١٠ ـ ١٢)على ان الخطاب خطاب تهديد و توبيخ للكفار المكذبين ، والفجار المفترين بأن عليهم كتّاباً وحفظة تكتب فعالهم ...

و يستدل بقوله تعالى : «يعلمون ماتفعلون »الانفطار : ١٢) على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وان الناس هم المحدثون لها دون الله سبحانه ، و إلاّ فلا

يصح قوله تعالى : «تفعلون» رداً على من زعم ان الافعال حادثة من جهة الله سبحانه وانه محدثها .

ويستدل بقوله جل وعلا : «ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم» الانفطار : ١٣-١٤)

على إستحقاق أهل الجنة بنعيمها ، وأهل النار بعذابها ، و ذلك لان الله تعالى علّق الاول على البر، والثانى على الفجور ، و من غير مراء ان تعليق الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف فى الحكم .

نعم في الجنة درجات وغرف يتدرج إليها بعد الدخول فيها بالايمان وصالح الاعمال تفضلاً ، فلامنافاة بين الاستحقاق والتفضل ، خلافاً للبصريين من المعتزلة والجهمية والمجبرة ومن إليهم من أهل السنة .



«النفس و مرآتيتها»

قال الله عزوجل : «علمت نفس ما قدّمت وأخّرت »الانفطار:٥)

ونحن نرى المقام جديراً أن نبحث حول النفس ولو إجمالاً :

و اعلم أن النفس الانسانية جوهرة سماوية روحانية ، حيّة نورانية خفيفة متحركة ، غير فاسدة ، علاّمة درّاكة لصور الاشياء قبل مفارقة الابدان وبعدها . و انها ترى في ذاتها صور الأشياء ، فتدرك بحقيقتها وتشاهد الامور الغائبة عن حواسها بصفاء جوهرها كما تشاهد الاشياء المادية بحواسها ...

وان مثلها في إدراكها صور المحسوسات من المحسوسات والمعقولات ، و انعكاسها فيها كمثل المرآة التي تنعكس فيها صور الأشياء على حقيقتها: وجيهها وقبيحها ، خيرها وشرها ، صغيرها و كبيرها ...

وانها تسع جميع هذه الصور من أول الحياة إلى آخرها كما يرتسم في الهواء جميع صور الاشياء فتصل إلى أعيننا ورسمها فيها أشبه برسم الصور في المرآة . فانها ترسم فيها بحالة لطيفة في الطبقة الأثيرية ، والنفس تقبل من الصور على هذا النمط ما لا يتناهى ... كما نتذكر حوادث وعلوماً كثيرة مخزونة في نفوسنا ، و هذه الصور لا تنسى عند النفس ، وإنما نسيانها في الحياة الدنيا لضعفنا واشتغالاتنا...

قال الله تعالى : « يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه» المجادلة : ٦)

فكل حركة وقول ، وخطورة و فكر في النفس يدوّن فيها ، و كذلك ما

سنّته من حسنة أو سيئة عملت نفسها أو غيرها بها، فيظهر كلها لها بعد الموت .

قال الله جل وعلا : «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون » النحل : ١١١)

وقال: «ينبّؤا الانسان يومئذ بما قدّم وأخّر بل الانسان على نفسه بصيرة » القيامة : ١٣-١٤)

وقد صرّح جل وعز بمواضع عديدة في كتابه المجيد بعلم النفس ومحاسبتها بكل ما رسّم فيها من الخطورات القلبية والارادة والعزائم، ومن الاقوال والحركات والمسموعات والمبصرات والافعال العضوية ...

إذ يقول : «علمت نفس ما أحضرت »التكوير: ١٤)

ويقول : «هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت »يونس : ٣٠)

ويقول: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ـ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» آل عمران : ٢٩ ـ ٣٠)

ويقول : «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله»البقرة : ٢٨٤)

فكل ما رسم في صدورنا وما قام به أنفسنا من خير أو شر ، من كفر أو ايمان ، من حق أو باطل ، من هدى أو ضلالة ، من فلاح أو خيبة ، من صلاح أو فساد ، و من طاعة أو معصية ... تعلم به أنفسنا وتحاسب في يوم تكشف فيه الخفايا وتظهر السرائر وتبرز ما في الضمائر . . . لأن أنفسنا أشبه شيء بلوح محفوظ يرسم فيه كلما يرد عليه من طريق الحواس الخمس ، وما يقوم به من فكر، وما ينتسب إلى النفس بعد مفارقتها من الابدان ، وبعد مزاوجتها يوم القيامة .

قال الله تعالى : «هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله » الاعراف : ٥٣)

وقال : «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق : ٢٢)

وقال : «يوم تبلى السرائر » الطارق : ۹)

فاذا فارقت النفس ظهرت لهاصور أعمالها الحقيقة ، واطلعت على جميع ما كانت تتصور فى لحياة الدنيا و تقدم عليه ، وما كانت تسبب من الحق والباطل ، و الخير والشر ، ومن العزم والكسل ، فتتجلى لهاتجلياً واضحاً ، كماكانت كذلك بعدتخالطها بأبدا نها يوم البعث ، فتعلم ما قدمت وماأخرت ، فكانها خريطة فيها رسوم مختلفة ، فتنفر من الصور القبيحة فيها، وتفرح بالصور الجميلة .

قال الله عزوجل: « تودلو أن بينهاو بينه أمداًبعيداً »آل عمران: ۲۹)

وقال : «يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول ياليتنى قدمت لحياتى» الفجر :۲۳ -۲۴) لماتطلّع على قبائحها وعوراتها ...

وقال: «ياأيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »الفجر : ۲۷- ۳۰)

وقال : «ويومئذ يفرح المؤمنون» الروم: ۴) لماتطلّع على حسناتها وصالح أعمالها ...



﴿النفس وملكاتها﴾

ومن البديهي ان هيئات النفس تسري وتؤثر في البدن والعكس ، ولكن الاول أسرع سراية من الثاني لكونها من الملكوت التي من شأنها التأثير، و كون البدن من عالم الملك الذي من شأنه الانفعال ، لايمكن إخفاء الاحوال النفسانية كما ترى من ظهور هيئات الغضب و المساءة و المسرة و الرأفة . . . من وجوه أصحابها .

ولكن الجهل الذي هو من أصعب أمراض القلوب يغرّ صاحبه ويعميه،فيحسب انما في قلبه من الغل وسوء النية، ومن الحقد والحسد يخفيه ، والله تعالى يظهرها على صفحات وجهه في فلتات لسانه .

كماقال رسول الله الاعظم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : «ماضمر أحد شيئاً إلا وأظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه» .

و ذلك معنى قول الله عزوجل : « تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر » الحج : ٧٢)

وقوله : «فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول »محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣٠)

و ماورد : « لو بات أحد على معصية أوطاعة في مطمورة وراء سبعين باباً مغلقة لأصبح الناس يتقاولون بها لظهورها في سيماه و حركاته وسكناته و شهادة ملكاته بها »

قال الله تعالى : «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » الفتح: ٢٩).
وقال : «وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» النحل:٥٨)
وان سبب حصول الملكات للنفوس هو تكرار الافعال خيراً كانت أم شراً إذ لكل فعل منها تأثير فى النفس كما أن الافعال الصادرة من اليد و الرجل ، و نطق اللسان ونظر العين مؤثرة فى حصول الملكة المخصوصة فى النفس ، فتحصل تلك الآثار النفسانية فى جواهر النفوس بواسطة تلك الافعال الصادرة عن هذه الجوارح، فكانت صور تلك الافعال من تلك الجارحة المخصوصة جارياً مجرى الشهادة لحصول تلك الآثار المخصوصة فى جوهر النفس .

فمن فعل فعلاً أو تكلم بكلام أو استمع ورآى شيئاً ... يحصل له من ذلك أثر فى نفسه ، ويحدث فيها حال ، و كيفية نفسانية وهى ضرب من الصورة والنقش ، و إذا تكررت الأفاعيل إستحكمت الآثار فى النفس ، فصارت ملكات بعد ما كانت أحوالاً لها .

ثم يصدر بسبب هذه الملكة منها الفعل المناسب لها بسهولة من غير روية كصدق الصادق ، و كذب الكاذب ، وأمانة الأمين وخيانة الخائن، وذكر الذاكر لله جل وعلا وفحش الفحاش ... ومن ثم يتأتى الانسان ، و يقدر على تعلم الصنائع و يتهيأ للاكتساب العملية والعلمية ...ولولا هذا التأثر للنفس والاشتداد به فيها يوماً فيوماً مرة بعد اخرى لم يكن الانسان قادراً على تعلم الحرف والصنائع بل يحتاج فى كل تراخ و تعطل إلى تجشم كسب جديد ، و لم يتجع التأديب و التهذيب فى الانسان ، و لم يكن أيضاً فى تأديب الاطفال و تميز الاعمال بينهم فائدة .

فالآثار التى تحصل من أفعالنا وأحوالنا فى قلوبنا بمنزلة النقوش والكتابة فى الالواح : «اولئك كتب فى قلوبهم الايمان »المجادلة : ٢٢)
« الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب »

الرعد : ٢٨)

«الذين إذاذ كرالله وجلت قلوبهم »الحج : ٣٥)

«واذا ذ كرالله وحده إشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة و إذا ذ كر الذين من دونه إذايستبشرون »الزمر : ٤٥)

و « ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به»الحجر : ١١ـ ١٣)

«فالذين لايؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »النحل: ٢٢)

وتلك الالواح النفسية يقال لها: صحائف الاعمال الداخلية- إذهناك صحائف خارجية اخرى ـ و تلك الصور و النقوش الكتابية تحتاج فى حصولها فى تلك الالواح إلى مصوّرين و كتّاب ، غير تلك الموضوعات لاستحالة كون شيءواحد مصوراً ومتصوراً ، ونقاشاً ومنتقشاً ، و معلماً ومتعلماً ، وفاعلاً وقابلاً ، ومؤثراً و متأثراً . . .

و إستحالة كون المعطى للكمال قاصراً عنه ، فالمصورون و الكتّاب هم الكرام الكاتبون الحافظون أعمال العباد وأقوالهم كما قال الله تعالى : « ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد» ق : ١٨)

و قال : « و إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار : ١٠ـ١٢)

وهم على كثرة أصنافهم حسب أصناف العباد، وأقسام الاعمال على طائفتين:

أحدهما ـ ملائكة أصحاب اليمين ، وهم يكتبون أعمال أصحاب اليمين وهى الحسنات وصالح الاعمال ...

ثانيهما ـ ملائكة أصحاب الشمال،وهم الذين يكتبون أعمال أصحاب الشمال . وهى السيئات والاعمال الفاسدة ... حيث أشار إلى ذلك بقوله تعالى : «إذيتلقى

المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد »ق: ١٧)

وماورد في الخبر : « كل من عمل حسنة يخلق الله منها ملكاً يثاب به و من اقترف سيئة يخلق الله منها شيطاناً يعذب به » .

أشار جل وعلا إلى الاول بقوله : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة» فصلت : ٣٠)

وإلى الثاني بقوله : «هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم »الشعراء : ٢٢١ـ ٢٢٢)

و قوله : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين » الزخرف : ٣٦)

وماورد في كلام بعض الحكماء : «إعلم أنك ستعارض بأقوالك وأفعالك و أفكارك وستظهر لك من كل حركة فكرية أوقولية أو عملية صور روحانية و جسمانية فان كانت الحركة غضبية شهوية صارت مادة لشيطان يوذيك في حياتك ويحجبك عن ملاقات النور بعد وفاتك» إذقال الله تعالى : « كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجبوبون » المطففين : ١٥)

وإن كانت الحركة عقلية، صارت ملكاً تلتذ بمنادمته في دنياك وتهتدي بنوره في اخراك إلى جوار الله سبحانه و كرامته .

وهذا النور هو الذي أشار إليه بقوله جل وعلا: «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم »الحديد : ١٢)

فاذا ثبت لك ماذكرناه فقوله تعالى : «ماقدموا » إشارة إلى تلك الاحوال النفسانية والارتسامات المتتالية مرة بعد اخرى قبل رسوخ تلك الصفات ، و إذا صارت ملكة يعسر زوالها جداً ، و قوله جل و علا : « و آثارهم » إشارة إلى الملكات الراسخة التي هي أثر حاصل بعد إنقضائها ، و إنقطاع الاعمال

المستدعية لها .

واما كان هذا العالم دار التغير و الزوال و ألواح النفوس المتعلقة به . قابلة للمحو و الاثبات يمكن فيها تبديل الصفات والهيئات ، و إزالة السيئات بالحسنات والتوبة عن المعاصي قبل حصول الملكات أو بعده على قول بعيد .

قال الله عزوجل : « ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » هود : ١١٤)

وقال : «من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » الفرقان : ٧٠)

وقال: « كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » المطففين : ١٤)

وقبل سد أبواب المغفرة عند إستحكام الرين والظلمات لايظهر الله جل و علا تلك الآثار في الحياة ، وأما الآخرة فدار بقاء و جزاء ، ، فتظهر فيها الآثار . وتتجلى النقوش ، فيحشر الناس على حسب هيئاتهم ... أشار تعالى إليه بقوله جل وعلا: «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً » الزلزلة : ٦) على صور أعمالهم بصور الانسان والحيوان وغيرهما ...

قال الله تعالى : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم- قل كل يعمل على شاكلته» الاسراء : ٧١- ٨٤)

و بالجملة ان النفوس جواهر تختلف ماهياتها بالملكات الطيبة والخبيثة ، فتصير بعضها بالملكة التي حصلت لها بالايمان و صالح الأعمال خيرة نورانية شريفة مائلة إلى الالهيات عظيمة الرغبة في الاتصال بالروحانيات و مايناسبها ، و بعضها تصير نذلة خسيسة بالعصيان و الكفر مائلة إلى الجسمانيات ، فالنفوس كلها على منوال واحد ، و لكنها تختلف بالملكات الحاصلة لها ،

فحينئذ تختلف بحسب القوابل كنور الشمس يسود وجه القصّار و يبيض ثوبه.

قال الله عزوجل : «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها و تقواها قدأفلح من زكاها وقدخاب من دساها »الشمس : ٧ـ ١٠)



﴿ النفس وادراكها بعد المفارقة ﴾

قال الله عزوجل : «علمت نفس ماقدّمت وأخّرت » الانفطار : ٥)

ومن الظاهر ان النفس تدرك بعدمفارقتها من البدن ماسنته قبلها ،وهذامن المعضلات بين الحكماء والفلاسفة :

قال الشيخ الطوسى قدس سره فى التجريد : «إن النفس تعقل بذاتها و تدرك بالآلات»وقال شارح المقاصد. «لانزاع فى أن مدرك الكليات من الانسان هو النفس وأما مدرك الجزئيات على وجه كونها جزئيات،فعندنا النفس وعند الفلاسفة الحواس».

وذهب المشاؤن إلى أن النفس تدرك الجزئيات بتوسط الحواس الظاهرة و الباطنة . و ذهب شيخ الاشراق إلى أن حصول الاوضاع و الاضافات الخاصة بين الحواس و المحسوسات شروط لادراك النفس لمدركاتها الجزئية المحسوسة فى عالم المثال .

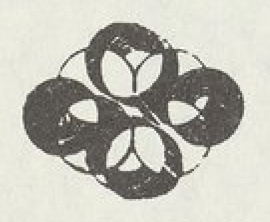
وذهب صدر المتألهين إلى أن للنفس مرتبة مثالية تدرك الجزئيات المحسوسة فيها، والحواس إنما هى آلات لادراك المحسوسات المادية ، و معدات تعدّ النفس لادراكها فى عالمها المثالى ، وأما الجزئيات المتخيلة والموجودة فى عالم المثال الأعظم ، فتدركها بنفسها من دون حاجة إلى آلة ، وتبعه على ذلك اتباع مدرسة و أصحاب الحكمة المتعالية ، و عليه يصح إدراك النفس للجزئيات بعد مفارقة البدن أيضاً .

ولما كان إدراك الجزئيات مشروطاً عند الفلاسفة بحصول الصورة فى الآلات،

فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لاتبقى مدركة للجزئيات إما لأنه ليس بحصول الصورة لافي النفس، ولافي الحس، وإما لأنه لايمتنع إرتسام صورة الجزئي في النفس.

وأما الظاهر من قواعد الاسلام فانه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية، وإطلاع على بعض جزئيات أحوال الاحياء سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الحياة الدنيا، ولهذا تنتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الاموات في إستنزال الخيرات، وإستدفاع الملمات، فان للنفس بعد المفارقة تعلّقاً ما بالبدن قبل يوم القيامة، وبالتربة التى دفنت فيها.

فاذا زار الحي تلك التربة، وتوجّهت تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين علاقات وإضافات ...



علم النفس فی دار الآخرة

بما سنته فی الحياة الدنيا

و تعلم كل نفس بعد أن زوّجت بأبدانها يوم القيامة بما عملت فی الحياة الدنيا ، وماسنته وعمل بها غيرها كما يشير إليه قوله جل وعلا : « علمت نفس ما قدمت وأخرت» الانفطار : ٥) سواءكانت سنة حسنة أم سنة سيئة .

وقد وردت فی المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

فی ثواب الاعمال : باسناده عن عبدالرحمن بن أبی عبدالله قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : لايتكلم الرجل بكلمة حق فأخذ بها إلاّ كان له مثل أجر من أخذبها ولا يتكلم بكلمةضلال يوخذ بها إلاّ كان عليه وزرمن أخذ بها .

وفی محاسن البرقی : باسناده عن إسحق بن عمار عن أبی عبدالله عليه السلام قال : ما من مؤمن سنّ على نفسه سنة حسنة أوشيئاً من الخير ثم حال بينه وبين ذلك حائل إلاّ كتب الله له ماأجری على نفسه أيام الدنيا .

وفی نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «وما أحدثت بدعة إلاّ ترك بها سنة ، فاتقوا البدع و الزموا المهيع ان عوازم الامور أفضلها وان محدثاتها شرارها»

قوله عليه السلام : «المهيع» : الطريق الواسع الواضع ، و «عوازم الامور» : ماتقادم منها .

وفی رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لايقتل نفس ظلماً إلاّ كان على إبن

آدم الاول كفل»

أى نصيب من الدم لانه أول من سن ّ القتل في الارض، فخسر دنياه و آخرته، فبقى مذموماً إلى يوم القيامة .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الهيثم بن أبى كهمش عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ست خصال ينتفع بها المؤمن بعد موته : ولد صالح يستغفر له ، و مصحف يقرأ منه ، و قليب يحفره ، وغرس يغرسه ، و صدقة ماء يجريه ، وسنة حسنة يؤخذ بها بعده .

و فى الخصال : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ليس يتّبع الرجل بعد موته من الاجر إلاّ ثلاث خصال : صدقة أجراها فى حياته ، فهى تجرى بعد إلى يوم القيامة صدقة ، موقوفة لاتورّث ، أو سنة هدى سنّها فكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره ، أو ولد صالح يستغفر له .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن ميمون القدّاح عن أبى جعفر عليه السلام قال : أيّما عبد من عبادالله سنّ سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك من غير أن ينقص من اجورهم شيء ، وأيما عبدمن عباد الله سن سنة ضلالة كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .

وفى مجالس الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن إسمعيل الجعفى قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : من سنّ سنّة عدل ، فاتبع كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من اجورهم شيء ، ومن سنّ سنة جور فاتبع كان له مثل وزر من عمل به من غير أن ينقص من أوزارهم شيء .

وفى نهج البلاغة: - فيما كتب الامام أمير المؤمنين على عليه السلام لما لك الاشتر النخعى رحمة الله تعالى عليه لما ولاّه على مصر - : «ولاتنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة، واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية، ولاتحدثنّ سنة تضرّ بشيء من ماضى تلك السنن ، فيكون الاجر لمن سنّها ، والوزر عليك

بما نقصت منها ».

فنهاه الامام عليه السلام عن نقض السنن الصالحة التى قد عمل بها من قبله من صالحى الامة ، فيكون الوزر عليه بما نقض والاجر لاولئك بما أسّسوا .

و فى الدر المنثور : عن الربيع بن أنس فى قوله تعالى : « ليحملوا أو زارهم كاملة» الاية قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : أيّما داع دعا إلى ضلالة فاتبع كان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أو زارهم شىء ، وأيّما داع دعا إلى هدى فاتبع ، فله مثل اجورهم من غير أن ينقص من اجورهم شىء .

و فى شرح الحديد : عن إبن المبارك انه قال : « كان فيما مضى جبار يقتل الناس على أكل لحوم الخنازير، فلم يزل الامر يترقّى حتى بلغ إلى عابد مشهور، فأراده على أكلها وهدّده بالقتل ، فشق ذلك على الناس،فقال له صاحب شرطته : إني ذابح لك غداً جدياً ، فاذا دعاك هذا الجبار لتأكل ، فكل ، فانما هو جدى فلما دعاه ليأكل أبى أن يأكل ، فقال : أخرجوه واضربوا عنقه ، فقال له الشرطىّ : مامنعك أن تأكل من لحم جدى ؟ قال : انى رجل منظور إلىّ . وانى كرهت أن يتأسى بى الناس فى معاصى الله فقدّمه فقتله .

و فى رواية : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « إعملوا ليوم تذخر له الذخائر وتبلى فيه السرائر»

كلمات قصار فى آثار معرفة

النفس و تبعات جهلها

غرر حكم و درر كلم فى المقام عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير-المؤمنين على عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١- قال الامام عليه السلام : «من عرف نفسه فقد عرف ربه»

٢- وقال عليه السلام : «أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه»

٣- وقال عليه السلام : «كفى بالمرء معرفة أن يعرف نفسه»

٤- وقال عليه السلام : «غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه»

٥- وقال عليه السلام : «من عرف نفسه تجرّد» أى عن حب الدنيا ومتاعها

٦- وقال عليه السلام : «من عرف نفسه جاهدها»

٧- وقال عليه السلام : «من عرف نفسه جلّ أمره»

٨- وقال عليه السلام : «من عرف نفسه لم يهنها بالفانيات»

٩- وقال عليه السلام : «من عرف نفسه كان لغيره أعرف»

١٠- وقال عليه السلام : «من عرف نفسه فقد إنتهى إلى غاية كل معرفة وعلم»

١١- وقال عليه السلام : «عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه»

١٢- وقال عليه السلام : «العارف من عرف نفسه فأعتقها ، و نزّهها عن كل ما يبعّدها و يوبقها»

١٣- وقال عليه السلام : «المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين»

١٤- وقال عليه السلام : «أفضل المعرفة معرفة الانسان نفسه»

١٥- وقال عليه السلام : «أفضل الحكمة معرفة الانسان نفسه»

١٦- وقال عليه السلام : «معرفة النفس أنفع المعارف»

١٧- وقال عليه السلام : «أفضل العقل معرفة المرء نفسه، فمن عرف نفسه عقل، و من جهلها ضلّ»

١٨- وقال عليه السلام : «كيف يعرف غيره من يجهل نفسه»

١٩- وقال عليه السلام : «كفى بالمرء جهلاً أن يجهل نفسه»

٢٠- وقال عليه السلام : «كفى بالمرء جهلاً أن يجهل عيوب نفسه»

٢١- و قال عليه السلام : «كلما زاد علم الرجل زادت عنايته بنفسه و بذل في رياضتها وصلاحها جهده»

٢٢- وقال عليه السلام : «رحم الله امرءاً علم أن نفسه خطاه إلى أجله، فبادر عمله و قصّر أمله»

٢٣- وقال عليه السلام : «من جهل نفسه كان بغيره أجهل»

٢٤- وقال عليه السلام : «إن عقلت أمرك أو أصبت معرفة نفسك، فأعرض عن الدنيا وازهد فيها، فانها دار الأشقياء وليست بدار السعداء بهجتها زور و زينتها غرور وسحائبها متقشّعة ومواقعها مرتجعة»

٢٥- وقال عليه السلام : «ليكفّ من علم منكم من عيب غيره لما يعرف من عيب نفسه»

٢٦- وقال عليه السلام : «من جهل نفسه أهملها»

٢٧- وقال عليه السلام : «من عصى نفسه وصلها» أى إلى الكمال بالمعرفة بالله جل وعلا أو إلى المعرفة نفسها أو إلى الجنة ونعيمها.

٢٨- وقال عليه السلام : «من كلّف بالعلم فقد أحسن إلى نفسه»

٢٩- وقال عليه السلام : «من لهج بالحكمة شرّف نفسه»

٣٠- و قال عليه السلام : «من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة و خبط في الضلال

و الجهالات »

٣١- وقال عليه السلام : «من صحت معرفته إنصرفت عن العالم الفانى نفسه وهمته»

٣٢- وقال عليه السلام : « نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس »

٣٣- وقال عليه السلام : «لاتجهل نفسك فان الجاهل بمعرفة نفسه جاهل بكل شيء »

٣٤- وقال عليه السلام : «ينبغي لمن عرف نفسه أن يلزم القناعة والعفة »

٣٥- وقال عليه السلام : «ينبغي لمن عرف شرف نفسه أن ينزّهها عن دنائة الدنيا »

٣٦- وقال عليه السلام : «ينبغي لمن عرف نفسه أن لايفارقه الحزن والحذر »

٣٧ وقال عليه السلام : «ينبغي لمن عرف نفسه أن لايفارقه الحذر والندم خوفاً أن تزلْ به بعد العلم القدم »

٣٨- وقال عليه السلام : «لايزكوا عند الله سبحانه إلاّ عقل عارف و نفس عزوف » أي معرضة عن المعاصى ومتاع الدنيا .

٣٩- و قال عليه السلام : « جالس الحكماء يكمل عقلك و تشرف نفسك و ينتف عنك جهلك »

٤٠- وقال عليه السلام : «للنفوس طبائع سوء والحكمة تنهى عنها»

٤١- وكان عليه السلام إذا أثنى عليه فى وجهه يقول : «اللهم إنك أعلم بى من نفسى ،وأنا أعلم بنفسى اللهم اجعلنى خيراً ممايظنون واغفرلى مالايعلمون »

٤٢- وقال عليه السلام : « إذا زكّى أحد من المتقين خاف ممايقال له، فيقول : أنا أعلم بنفسى من غيرى ، وربى أعلم بى منى اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مايظنون واغفرلى مالايعلمون »

٤٣- وقال عليه السلام : «خالطوا الناس بمايعرفون ودعوهم مما ينكرون، ولاتحمّلوهم على أنفسكم وعلينا ، فان أمرنا صعب مستصعب»

٤٤- وقال عليه السلام : «الحكماء أشرف الناس أنفساً وأكثرهم صبراً وأسرعهم عفواً وأوسعهم أخلاقاً»

٤٥- وقال عليه السلام : «أين تضلّ عقولكم وتزيغ نفوسكم ؟ أتستبدلون الكذب بالصدق وتعتاضون الباطل بالحق»

٤٦- وقال عليه السلام : «أعظم الجهل جهل الانسان أمر نفسه»

٤٧- وقال عليه السلام : «لاتفضحوا أنفسكم لتشفوا غيظكم ، و إن جهل عليكم جاهل فليسعه حلمكم»

٤٨- وقال عليه السلام : «من لم يذبّ نفسه فى إكتساب العلم لم يحرز قصبات السبق»



﴿ فرحكم ودرر كلم في استعداد النفس ﴾

واعلم ان النفس الانسانية جوهرة ثمينة تستعد للاتصاف بالتقوى والفجور، بالايمان والكفر، بالصلاح والفساد، بالطاعة والمعصية، ولقبول الخير والشر... وطبيعتها طبيعة الماء الذي يتلوّن بألوان مختلفة ... وللانسان إختيار في الاتصاف برذائل الصفات وفاضلها ... قال الله عزوجل: «ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قدأفلح من زكاها وقدخاب من دسّاها» الشمس: ٧-١٠)

وفي المقام كلمات قصار عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى مايسعه :

١- قال الامام علي عليه السلام: «إن النفس لجوهرة ثمينة، من صانها رفعها و من ابتذلها وضعها»

٢- وقال عليه السلام: «إذا أخذت نفسك بطاعة الله أكرمتها، و إن بذلتها في معاصي الله ابتذلتها»

٣- وقال عليه السلام: «العقل صاحب جيش الرحمن والهوى قائد جيش الشيطان والنفس متجاذبة بينهما، فأيهما غلب كانت في حيّزه»

٤- وقال عليه السلام: «التوفيق و الخذلان يتجاذبان النفس، فأيهما غلب كانت في حيّزه»

٥- وقال عليه السلام: «العقل و الشهوة ضدّان، و مؤيد العقل العلم و مزيّن الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما، فأيهما قصر كانت في جانبه»

٦- وقال عليه السلام : «النفوس طلقة لكن أيدي العقول تمسك أعنتها عن النحوس»

٧- وقال عليه السلام : « أقبل على نفسك بالادبار عنها أعني أن تقبل على نفسك الفاضلة المقتبسة من نور عقلك الحائلة بينك وبين دواعي طبعك ، وأعني بالادبار الادبار عن نفسك الامارة بالسوء المصافحة بيد العتو»

٨- وقال عليه السلام : «بالعقل كمال النفس»

٩- وقال عليه السلام : «ردع النفس عن زخارف الدنيا ثمرة العقل»

١٠- وقال عليه السلام : «ردع النفس عن تسويل الهوى ثمرة النبل »

١١- وقال عليه السلام : « ان النفس التي تطلب الرغائب الفانية لتهلك في طلبها وتشقى في منقلبها»

١٢- وقال عليه السلام : «ان النفس التي تجهد في إقتناء الرغائب الباغية لتدرك طلبها وتسعد في منقلبها»

١٣- وقال عليه السلام : « توقّوا المعاصي ، و احبسوا أنفسكم عنها ، فان الشقي من أطلق فيها عنانه»

١٤- وقال عليه السلام : «رحم الله امرءاً ألجم نفسه عن معاصي الله بلجامها وقادها إلى طاعة الله بزمامها»

١٥- وقال عليه السلام : «رحم الله إمرءاً قمع نوازع نفسه إلى الهوى ، فصانها و قادها إلى طاعة الله بعنانها »

١٦- وقال عليه السلام : «رحم الله امرءاً راقب ربه ، وتنكّب ذنبه، وكابد هواه ، وكذّب مناه ، إمرء ذمّ نفسه وألجمها من خشية ربها بلجام التقوى»

١٧- و قال عليه السلام : « ردّ من نفسك عند الشهوات ، و أقمها على كتاب الله عند الشبهات»

١٨- وقال عليه السلام : «ان من بذل نفسه في طاعة الله سبحانه و رسوله كانت نفسه ناجية سالمة وصفقته رابحة غانمة»

١٩- وقال عليه السلام : «إن في الموت لراحة لمن كان عبد شهوته، وأسير أهويته لأنه كلما طالت حياته كثرت سيئاته ، وعظمت على نفسه جناياته»

٢٠- وقال عليه السلام: «إن من شغل نفسه بالمفروض عليه عن المضمون له، و رضى بالمقدور عليه وله كان أكثر الناس سلامة فى عافية وربحاً فى غبطة وغنيمة فى مسرة»

٢١- وقال عليه السلام: «إن أسلمت نفسك لله سلمت نفسك

٢٢- وقال عليه السلام: «انك مدرك قسمك، ومضمون رزقك، ومستوف ما كتب لك، فارح نفسك من شقاء الحرص، ومذلّة الطلب وثق بالله وخفّض فى المكتسب»

٢٣- وقال عليه السلام: «إنك لست بسابق أجلك ولا بمرزوق ماليس لك، فلما ذا تشقى نفسك ياشقى»

٢٤- وقال عليه السلام: «انك إن ملّكت نفسك قيادك أفسدت معادك، و أوردتك بلاء لاينتهى وشقاء لاينقضى»

٢٥- وقال عليه السلام: «خير النفوس أزكاها»

٢٦- وقال عليه السلام: «لاتعص نفسك إذا هى أرشدتك»

٢٧- وقال عليه السلام: «إن النفوس إذا تناسب إئتلفت»

٢٨- وقال عليه السلام: «إذا نفذ حكمك فى نفسك تداعت أنفس الناس إلى عدلك»

٢٩- وقال عليه السلام: «بلين الجانب تأنس النفوس»

٣٠- وقال عليه السلام: «إن الله تعالى يحبّ السهل النفس السمح، الخليقة القريب الامر»

٣١- وقال عليه السلام: «تخيّر لنفسك من كل خلق أحسنه، فان الخير عادة»

٣٢- وقال عليه السلام: «تجنّب من كل خلق أسوأه وجاهد نفسك على تجنّبه فان الشر لجاجة»

٣٣- وقال عليه السلام: «حسن الخلق - بضم الخاء - للنفس، وحسن الخلق - بفتحها - للبدن»

٣٤- وقال عليه السلام: «من عوّد نفسه المراء صار ديدنه»

٣٥- وقال عليه السلام: «ذلّلوا أنفسكم بترك العادات، وقودوها إلى فعل الطاعات، وحمّلوها أعباء المغارم، وحلّوها بفعل المكارم، وصونوها عن دنس المآثم»

٣٦- وقال عليه السلام: «نفوس الاخيار نافرة من نفوس الاشرار، ونفوس الابرار أبداً تأبى أفعال الفجار»

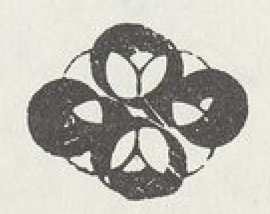
٣٧- وقال عليه السلام: «الاصدقاء نفس واحدة فى جسوم متفرقة»

٣٨- وقال عليه السلام: «الصديق من وقاك بنفسه، وآثرك على ماله وولده وعرسه»

٣٩- وقال عليه السلام: «لاترخّص لنفسك فى مطاوعة الهوى وايثار لذات الدنيا فتفسد دينك ولايصلح، وتخسر نفسك ولاتربح»

٤٠- وقال عليه السلام: «لاترخصوا لانفسكم، فتذهب بكم فى مذاهب الظلمة»

٤٢- و قال عليه السلام: «إن النفس حمضة و الأذن مجّاجة فلا تجبّ فهمك بالالحاح على قلبك، فان لكل عضو من البدن إستراحة»



كلمات قصار حول ما فيه

صلاح النفس و فسادها

غرر حكم ودرر كلم عن أبى الحسن المرتضى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام في المقام نشير إلى نبذة منها:

١ـ قال الامام على عليه السلام: «سبب صلاح النفس الورع»

٢ـ وقال عليه السلام: «سوسوا أنفسكم بالورع»

٣ـ وقال عليه السلام: «سياسة النفس أفضل سياسة»

٤ـ وقال عليه السلام: «في مجاهدة النفس كمال الصلاح»

٥ـ وقال عليه السلام: «من أجهد نفسه في صلاحها سعد»

٦ـ وقال عليه السلام: «من أهمل نفسه أفسد أمره»

٧ـ وقال عليه السلام: «عوّد نفسك السماح وتجنّب الالحاح يلزمك الصلاح»

٨ـ و قال عليه السلام: «عوّد نفسك حسن النية، و جميل القصد تدرك في مساعيك النجاح»

٩ـ وقال عليه السلام: «عجبت لمن يتصدى لاصلاح الناس و نفسه أشد شيء فساداً فلا يصلحها و يتعاطى إصلاح غيره»

١٠ـ وقال عليه السلام: «كيف يستطيع صلاح نفسه من لا يقنع بالقليل»

١١ـ وقال عليه السلام: «كيف يصلح غيره من لم يصلح نفسه»

١٢- و قال عليه السلام: «في خلاف النفس رشدها»

١٣- وقال عليه السلام: «كثرة الأكل و النوم يفسدان النفس ويجلبان المضرّة»

١٤- وقال عليه السلام: «من أمرك باصلاح نفسك فهو أحق من تطيعه»

١٥- وقال عليه السلام: «من كثر أكله قلّت صحّته وثقلت على نفسه مؤنته»

١٦- و قال عليه السلام: «من غرس في نفسه محبة أنواع الطعام جنى ثمار فنون الأسقام»

١٧- وقال عليه السلام: «نعم العون على أسر النفس و كسر عادتها الجوع»

١٨- وقال عليه السلام: «لاتجعلنّ للشيطان في عملك نصيباً وعلى نفسك سبيلاً»

١٩- وقال عليه السلام: «لاتعوّد نفسك الغيبة فان معتادها عظيم الجرم»

٢٠- و قال عليه السلام: «لاتعوّد نفسك اليمين فان الحلاّف لايسلم من الكذب»

٢١- وقال عليه السلام: «الغم مرض النفس»

٢٢- وقال عليه السلام: «الغم يقبض النفس ويطوى الانبساط»

٢٣- وقال عليه السلام: «آفة النفس الوله بالدنيا»

٢٤- وقال عليه السلام: «النفس الدنية لاتنفك عن الدنائات»

٢٥- و قال عليه السلام: «دلالة حسن الورع عزوف النفس عن مذلّة الطمع»

٢٦- وقال عليه السلام: «أعون شيء على صلاح النفس القناعة»

٢٧- وقال عليه السلام: «أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه»

٢٨- وقال عليه السلام: «أشفق الناس عليك أعونهم لك على صلاح نفسك، و أنصحهم لك في دينك»

٢٩- و قال عليه السلام: «إذا رغبت في صلاح نفسك فعليك بالاقتصاد و القنوع والتقلّل»

٣٠- وقال عليه السلام: «ثمرة الورع صلاح النفس والدين»

٣١- وقال عليه السلام :«ثمرة المحاسبة إصلاح النفس »

٣٢- وقال عليه السلام :« سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا»

٣٣- وقال عليه السلام :« صلاح النفس مجاهدة الهوى»

٣٤- وقال عليه السلام :«من أصلح نفسه ملكها»

٣٥- وقال عليه السلام :« من لم يصلح نفسه لم يصلح غيره»

٣٦- و قال عليه السلام : « من لم يصلح على إختياره الله سبحانه لم يصلح إختياره لنفسه »

٣٧- و قال عليه السلام : « من لم يتدارك نفسه باصلاحها أعضل دوائه و أعيى شفائه و عدم الطبيب »

٣٨- وقال عليه السلام :« من ذمّ نفسه أصلحها »

٣٩- و قال عليه السلام : « لاتترك الاجتهاد في إصلاح نفسك فانه لايعينك عليها إلاّ الجدّ »

٤٠- و قال عليه السلام : « ينبغي لمن أراد إصلاح نفسه و إحراز دينه أن يجتنب مخالطة الدنيا»

٤١- و قال عليه السلام : « وقّروا أنفسكم عن الفكاهات و مضاحك الحكايات ومحالّ النزاهات »

٤٢- وقال عليه السلام :« بشّر نفسك إذا صبرت بالنجح والظفر»

٤٣- و قال عليه السلام : « ذكر الله دواء أعلال النفوس » الاعلال : جمع عليل و هوداء.

٤٤- وقال عليه السلام :« ما أصدق الانسان على نفسه، وأيّ دليل عليه كفعله »

٤٥- وقال عليه السلام :« نظر النفس للنفس العناية بصلاح النفس»

٤٦- وقال عليه السلام :« إن سمت همتك لاصلاح الناس فابدأ بنفسك »

٤٧- وقال عليه السلام :« إن أفضل الناس عندالله من أحيى عقله ، وأمات شهوته ، و أتعب

نفسه لصلاح آخرته »

٤٨- وقال عليه السلام :« المال فتنة النفس ونصب الرزايا »

٤٩- وقال عليه السلام :« أزرى بنفسه من استشعر الطمع »

٥٠- و قال عليه السلام : « الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعها عن المعاصى »

٥١- وقال عليه السلام :« العفاف يصون النفس وينزّهها عن الدنايا »

٥٢- وقال عليه السلام :« الذكر نور العقل وحياة النفوس وجلاء الصدور »

٥٣- وقال عليه السلام :«السرور يبسط النفس ويثير النشاط »

٥٤- و قال عليه السلام : « حلّوا أنفسكم بالعفاف ، وتجنّبوا التبذير والاسراف »

٥٥- وقال عليه السلام : «حياء الرجل من نفسه ثمرة الايمان »

٥٦- وقال عليه السلام : «صوم النفس عن لذات الدنيا أنفع الصيام »

٥٧- وقال عليه السلام :« صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم ، و خلوّ القلب من جميع أسباب الشر »

٥٨- وقال عليه السلام : «شر أخلاق النفس الجور »

٥٩- وقال عليه السلام :« إعجاب المرء بنفسه حمق »

٦٠- و قال عليه السلام : « مسوّف نفسه بالتوبة من هجوم الأجل على اعظم الخطر »

٦١- وقال عليه السلام : «ثمرة التوبة إستدراك فوارط النفس »

٦٢- وقال عليه السلام :« إن مادحك لخادع لعقلك غاش لك فى نفسك بكاذب الاطراء و زور الثناء فان حرمته نوالك أومنعته إفضالك و سمك بكل فضيحة و نسبك إلى كل قبيحة »

٦٣- وقال عليه السلام :« ربح المسرف ما أبعده عن صلاح نفسه وإستدراك أمره »

٦٤- و قال عليه السلام: « ما من شيء أخلب لقلب إنسان من لسان و أصدع من

شيطان »

٦٥- وقال عليه السلام: « الحظ للانسان في الاذن لنفسه وفي اللسان لغيره »

٦٦- و قال عليه السلام: « إحبس لسانك قبل أن يطيل حبسك ويردي نفسك فلا شيء أولى بطول سجن من لسان يعدل عن الصواب ويتسرع إلى الجواب »



كلمات قصار في طاعة النفس

والمتقين ومعصيتها و المجرمين

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام حول طاعة النفس لله عزوجل ، ولنفسها وعمل المتقين، ومعصية النفس وأهل الدنيا والمجرمين نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام علي عليه السلام : « ينبغي للعاقل أن لايخلو في كل حال من طاعة ربه ومجاهدة نفسه »

٢ـ و قال عليه السلام : « لاخير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجل يجاهد نفسه على طاعة الله سبحانه »

٣ـ وقال عليه السلام : «وقوا أنفسكم من عذاب الله بالمبادرة إلى طاعة الله سبحانه»

٤ـ وقال عليه السلام : «من فضيلة النفس المسارعة إلى الطاعة»

٥ـ وقال عليه السلام : «من صبر فنفسه وقّر وبالثواب ظفر ولله سبحانه أطاع»

٦ـ و قال عليه السلام : « غالبوا أنفسكم على ترك المعاصي يسهل عليكم مقادتها إلى الطاعات » .

٧ـ وقال عليه السلام : «طوبى لمن ألزم نفسه مخافة ربه وأطاعه في السرّ والجهر»

٨ـ وقال عليه السلام : «طوبى لمن ذلّ في نفسه وعزّ بطاعته وغنى بقناعته»

٩ـ وقال عليه السلام : «طوبى لنفس أدّت لربها فرضها»

١٠ـ وقال عليه‌السلام : «إنما الحزم طاعة الله ومعصية النفس»

١١ـ وقال عليه‌السلام : «جرّب نفسك فى طاعة الله بالصبر على أداء الفرائض والدؤوب فى إقامة النوافل والوظائف»

١٢ـ وقال عليه‌السلام : «ذلّل نفسك بالطاعات وحلّها بالقناعة وخفّض فى الطلب، و أجمل فى المكتسب»

١٣ـ وقال عليه‌السلام : «من أهمل العمل بطاعة الله سبحانه ظلم نفسه»

١٤ـ وقال عليه‌السلام : «أكرم نفسك ماأعانتك على طاعة الله»

١٥ـ وقال عليه‌السلام : «أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه»

١٦ـ وقال عليه‌السلام : «إن أسعد الناس من كان له من نفسه بطاعة الله متقاضياً»

١٧ـ و قال عليه‌السلام : «إجعل لنفسك فيما بينك و بين الله سبحانه أفضل المواقيت و الأقسام»

١٨ـ وقال عليه‌السلام : «صابروا أنفسكم على فعل الطاعات وصونوها عن دنس السيئات تجدوا حلاوة الايمان»

١٩ـ وقال عليه‌السلام : «السجود النفسانى فراغ القلب من الفانيات والاقبال بكنه الهمة على الباقيات وخلع الكبر والحمية وقطع العلائق الدنيوية و التحلى بالخلائق النبوية».

٢٠ـ وقال عليه‌السلام : «فى طاعة النفس غيّها»

٢١ـ وقال عليه‌السلام : «من أطاع نفسه قتلها»

٢٢ـ وقال عليه‌السلام : «من أطاع نفسه فى شهوته فقدأعانها على هلكتها»

٢٣ـ وقال عليه‌السلام : «ظلم نفسه من عصى الله وأطاع الشيطان»

٢٤ـ وقال عليه‌السلام : «لاتطلبنّ طاعة غيرك وطاعة نفسك عليك ممتنعة»

٢٥ـ وقال عليه‌السلام : «إن طاعة النفس ومتابعة أهويتها اسّ كل محنة و رأس كل غواية».

٢٦- وقال عليه السلام : «إنكم إن أطعتم أنفسكم نزعت بكم إلى شرّ غاية»

٢٧- وقال عليه السلام : «من كرم النفس التحلى بالطاعة»

٢٨- وقال عليه السلام : «من تقوى النفس العمل بالطاعة»

٢٩- وقال عليه السلام : فى حق من أثنى عليه : «قدأحيى عقله ، وأمات شهوته و أطاع ربه وعصى نفسه»

٣٠- وقال عليه السلام : «إشغلوا أنفسكم بالطاعة وألسنتكم بالذكر، وقلوبكم بالرضا فيما أحبتم و كرهتم»

٣١- وقال عليه السلام : فى حق من ذمّه : « تغلبه نفسه على مايظن ، ولايغلبها على ما استيقن قدجعل هواه أميره وأطاعه فى سائر اموره »

٣٢- وقال عليه السلام : «إنما الحزم طاعة الله ومعصية النفس»

٣٣- وقال عليه السلام : «خادع نفسك عن العبادة ، وارفق بها وخذعضوها ونشاطها إلاّ ماكان مكتوباً من الفريضة ، فانه لابد من أدائها»

٣٤- وقال عليه السلام : «خدمة النفس صيانتها عن اللذات والمقتنيات ورياضتهابالعلوم والحكم وإجتهادها بالعبادات والطاعات وفى ذلك نجاة النفس»

٣٥- وقال عليه السلام : «من تمام المروة أن تستحيى من نفسك»

٣٦- وقال عليه السلام : «أحسن الحياء إستحياءك من نفسك »

٣٧- وقال عليه السلام : «غاية الحياء أن يستحيى الرجل من نفسه»

٣٨- وقال عليه السلام : «لاتخافوا ظلم ربكم بل خافواظلم أنفسكم»

٣٩- وقال عليه السلام : «نفسك أقرب أعدائك إليك »

٤٠- وقال عليه السلام : «لاعدوّ أعدى على المرء من نفسه »

٤١- وقال عليه السلام : «لاتحلم عن نفسك إذا هى أغوتك»

٤٢- وقال عليه السلام : «من ظنّ بنفسه خيراً ، فقد أوسعه ضيراً»

٤٣- وقال عليه السلام : «المتقون أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة ، و خيراتهم مأمولة

وشرورهم مأمونة »

٤٣- وقال عليه السلام : «المتقون أنفسهم قانعة وشهواتهم ميتة ، و وجوههم مستبشرة و قلوبهم محزونة»

٤٥- وقال عليه السلام : «الموقن أشد الناس حزناً على نفسه»

٤٦- وقال عليه السلام : «المؤمن نفسه أصلب من الصلد وهو أذلّ »

٤٧- وقال عليه السلام : «المؤمنون لانفسهم متهمون، ومن فارط زللهم وجلون، وللدنيا عائفون وإلى الآخرة مشتاقون ، وإلى الطاعات مسارعون»

٤٨- وقال عليه السلام : «ان المؤمن لايمسى ولايصبح إلاّ و نفسه ظنون عنده فلايزال زارياً عليها ومستزيداً لها»

٤٩- وقال عليه السلام في وصف المؤمن : «بشر المؤمن في وجهه وحزنه في قلبه أوسع شيء صدراً ، وأذلّ شيء نفساً ، يكره الرفعة ، ويشنأ السمعة ، طويل غمّه، بعيد همّه ، كثير صمته ، مشغول وقته ، صبور شكور، مغمور بفكرته ، ضنين بخلّته، سهل الخليقة ، ليّن العريكة ؛ نفسه أصلب من الصلد ، وهو أذلّ من العبد»

٥٠- و قال عليه السلام : « ان الله تعالى أطلع على الارض ، فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا ويبذلون أنفسهم و أموالهم فينا فاولئك منا وإلينا وهم معنا فى الجنة»

٥١- وقال عليه السلام : «إياكم وغلبة الدنيا على أنفسكم ، فان عاجلها نغصة و آجلها غصة » .

٥٢- وقال عليه السلام : «اقمعوا هذه النفوس فانها طلعة إن تطيعوها تزغ بكم إلى شر غاية » .

٥٣- وقال عليه السلام : «ان هذه النفوس طلعة إن تطيعوها تزغ بكم إلى شرغاية»

٥٤- وقال عليه السلام : «فياعجبا ومالى لاأعجب من خطاء هذه الامة على إختلاف حججها فى دياناتها لايقتصّون أثر نبيّ ولايقتدون بعمل وصيّ ، ولايؤمنون بغيب، ولا

يعفون عن عيب ، يعملون بالشبهات ، و يسيرون فى الشهوات ، المعروف فيهم ماعرفوا، والمنكر عندهم ماأنكروا، مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم،وتعويلهم فى المبهمات على آرائهم ، كأن كلاً منهم إمام نفسه ، قد أخذ فيمايرى بغير و ثيقات بينات ولاأسباب محكمات»



كلمات قصار فى كرامة

النفس وثمنها الجنة

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام على عليه السلام : «من كرمت نفسه قلّ شقاقه وخلافه »

٢ـ وقال عليه السلام :«من كرمت نفسه صغرت الدنيا في عينه »

٣ـ وقال عليه السلام : «من كرمت نفسه إستهان بالبذل والاسعاف »

٤ـ وقال عليه السلام :«من كرمت عليه نفسه لم يهنها بالمعصية »

٥ـ وقال عليه السلام : «من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته»

٦ـ وقال عليه السلام : «عليكم فى قضاء حوائجكم بكرام الانفس والاصول تنجح لكم عندهم من غير مطال ولامنّ »

٧ـ وقال عليه السلام : « عندالايثار على النفس يتبيّن جواهر الكرماء»

٨ـ وقال عليه السلام : «من أكرم نفسه أهانته »

٩ـ وقال عليه السلام : «من وثق بنفسه خانته »

١٠ـ وقال عليه السلام : «من أهان نفسه أكرمه الله » أى النفس الامارة بالسوء.

١١ـ وقال عليه السلام : «من حفظ لسانه أكرم نفسه »

١٢ـ وقال عليه السلام : « من شرفت نفسه كثرت عواطفه »

١٣- وقال عليه السلام: «تحبّب إلى خليلك يحببك، وأكرمه يكرمك، وآثره على نفسك يؤثرك على نفسه وأهله»

١٤- وقال عليه السلام: «بشرك يدلّ على كرم نفسك، وتواضعك ينبئ على شريف خلقك»

١٥- وقال عليه السلام: «كفى بالمرء فضيلة أن ينقص نفسه»

١٦- وقال عليه السلام: «ماحقّر نفسه إلاّ عاقل»

١٧- وقال عليه السلام: «مانقّص نفسه إلاّ كامل»

١٨- وقال عليه السلام: «بالايثار على نفسك تملك الرقاب»

١٩- وقال عليه السلام: «نزّل نفسك دون منزلتها ينزّلك الناس فوق منزلتك»

٢٠- وقال عليه السلام: «إن مكرمة صنعتها إلى أحد من الناس إنما أكرمت بها نفسك وزيّنت بها عرضك، فلا تطلب من غيرك شكر ما صنعت إلى نفسك»

٢١- وقال عليه السلام: «إزراء الرجل على نفسه برهان رزانة عقله وعنوان وفور فضله»

٢٢- وقال عليه السلام: «العاقل من يملك نفسه إذا غضب وإذا رغب وإذا رهب»

٢٣- وقال عليه السلام: «العاقل يضع نفسه فيرتفع، والجاهل يرفع نفسه فيتّضع»

٢٤- وقال عليه السلام: «النفس الكريمة لاتؤثر فيها النكبات»

٢٥- وقال عليه السلام: «النفس الشريفة لايثقل عليها المؤنات»

٢٦- وقال عليه السلام: «الكريم يرفع نفسه في كل ماأسداه عن حسن المجازاة»

٢٧- وقال عليه السلام: «من أخذ نفسه صان قدره وحمد عواقب أمره»

٢٨- وقال عليه السلام: «من كان عند نفسه عظيماً كان عند الله حقيراً»

٢٩- وقال عليه السلام: «من قلّ طمعه خفّت على نفسه مؤنته»

٣٠- وقال عليه السلام: «من كان له من نفسه زاجر كان عليه من الله سبحانه حافظ»

٣١- وقال عليه السلام: «من سمحت نفسه بالعطاء إستعبد أبناء الدنيا»

٣٢- وقال عليه السلام: «من شيم الابرار حمل النفوس على الايثار»

٣٣- وقال عليه السلام: «ماأصدق المرء على نفسه، وأيّ شاهد عليه كفعله، ولايعرف

الرجل إلاّ بعمله كما لايعرف الغريب من الشجر إلاّ عند حضور الثمر ، فتدل الاثمار على اصولها ، ويعرف لكل ذىفضل فضلها كذلك يعرف الكريم بآدابه و يفتضح اللئيم برذائله »

٣٤- وقال عليه السلام :« ما كرمت على عبدنفسه إلاّ هانت الدنيا فيعينه »

٣٥- وقال عليه السلام :« لايكرم المرء نفسه حتى يهين ماله »

٣٦- وقال عليه السلام :« لاتنجع الرياضة إلاّ في نفس يقظة » أىلاتفيد الرياضة .وليس المراد بالرياضة مابين المرتاضين السفلة الهندية ومن سلك مسلكهم .

٣٧- وقال عليه السلام :« أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فانك لن تعتاض عما تبذل من نفسك عوضاً »

٣٨- وقال عليه السلام :« أفضل الاعمال ماأكرهت النفوس عليها »

٣٩- وقال عليه السلام :« أعظم الناس رفعة من وضع نفسه »

٤٠- وقال عليه السلام :« أكثر الناس ضعة من تعاظم في نفسه »

٤١- وقال عليه السلام :« أجلّ الناس من وضع نفسه »

٤٢- وقال عليه السلام :« قلةالغذاء كرم النفس وأدوم للصحة »

٤٣- وقال عليه السلام :« من تكثّر بنفسه قلّ »

٤٤- وقال عليه السلام :« مالابن آدم و الفخر أوله نطفة و آخره جيفة لايرزق نفسه ولا يدفع حتفه »

٤٥- وقال عليه السلام :«إن لانفسكم أثماناً فلاتبيعوها إلاّ الجنة ، إن من باع نفسه بغير الجنة فقد عظمت عليه المحنة»

٤٦- وقال عليه السلام :« إن كنتم للنعيم طالبين فاعتقوا أنفسكم من دار الشقاء»

٤٧- وقال عليه السلام :« من باع نفسه بغير الجنة فقدظلمها »

٤٨- وقال عليه السلام :« ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنة فلاتبيعوها إلاّ بها»

٤٩- وقال عليه السلام :«من رغب في السلامة ألزم نفسه الاستقامة »

٥٠- وقال عليه السلام: « شوّقوا أنفسكم إلى نعيم الجنة تحبّوا الموت وتمقتوا الحياة»

٥١- وقال عليه السلام: « إنك إن أحسنت فنفسك تكرم ، وإليها تحسن »

٥٢- وقال عليه السلام: « انك إن أسأت ، فنفسك تمتهن وإياها تغبن »

٥٣- وقال عليه السلام: « عليكم في طلب الحوائج بشراف النفوس ذوى الاصول الطيبة فانها عندهم أقضى وهم لديهم أزكى»

٥٤- وقال عليه السلام: « على قدر شرف النفس تكون المروّة »

٥٥- وقال عليه السلام: « من حقّر نفسه عظّم»

٥٦- وقال عليه السلام: « من أدّى زكاة نفسه وقى شحّ نفسه»

٥٧- وقال عليه السلام: « من استدام رياضة نفسه إنتفع»

٥٨- وقال عليه السلام: « من لم يتّضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره»

٥٩- وقال عليه السلام: « من لم يعنه الله سبحانه على نفسه لم ينتفع بموعظة واعظ »

٦٠- وقال عليه السلام: « من حسن خلقه كثر محبّوه وأنست النفوس به»



غرر حكم ودرر كلم في

زهد النفس وملكها

كلمات قصار عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي ابن أبيطالب عليه السلام حول زهد النفس وملكها لنفسها نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام على عليه السلام :« إن الزاهدين في الدنيا لتبكي قلوبهم ، وإن ضحكوا و يشتدّ حزنهم وإن فرحوا ، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بمااوتوا »

٢ـ وقال عليه السلام :« خير الناس من زهدت نفسه ، وقلّت رغبته وماتت شهوته، وخلص ايمانه وصدق ايقانه »

٣ـ وقال عليه السلام :«ظلف النفس عن لذات الدنيا هو الزهد المحمود »

٤ـ وقال عليه السلام :« من زهد في الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربه »

٥ـ وقال عليه السلام :« أفضل الناس من تنزّهت نفسه وزهد عن غنيته»

٦ـ وقال عليه السلام :« أكره نفسك على الفضائل فان الرذائل أنت مطبوع عليها»

٧ـ وقال عليه السلام :« أسهروا عيونكم وضمّروا بطونكم، وخذوا من أجساد كم تجودوا بها على أنفسكم »

٨ـ وقال عليه السلام :« من تعاهد نفسه بالحذر أمن »

٩ـ وقال عليه السلام :« من صان نفسه عن المسئلة جلّ »أى عظم .

١٠ـ وقال عليه السلام :« من تورّع عن الشهوات صان نفسه »

١١ـ وقال عليه السلام :« من سخت نفسه عن مواهب الدنيا فقد إستكمل العقل »

١٢ ـ وقال عليه السلام « من طال حزنه على نفسه فى الدنيا أقرّ الله عينه يوم القيامة ، وأحلّه دار المقامة » .

١٣ ـ وقال عليه السلام « من وبّخ نفسه على العيوب إرتدعت عن كثرة الذنوب » .

١٤ ـ وقال عليه السلام : « أجلّ الملوك من ملك نفسه وبسط العدل » .

١٥ ـ وقال عليه السلام » « إملك عليك هواك و شحّ بنفسك عما لا يحلّ لك فان الشح بالنفس حقيقة الكرم » .

١٦ ـ وقال عليه السلام : «طوبى لمن سعى فى فكاك نفسه ولم تغلبه وملك هواه ولم يملكه».

١٧ ـ وقال عليه السلام : «طوبى لمن كظم غيظه ولم يطلقه وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه» .

١٨ ـ وقال عليه السلام : «فاز من غلب هواه وملك دواعى نفسه» .

١٩ ـ وقال عليه السلام : «قد يكذب الرجل على نفسه عند شدة البلاء بما لم يفعله» .

٢٠ ـ وقال عليه السلام : «قدرتك على نفسك أفضل القدرة ، وإمرتك عليها خير الامرة» .

٢١ ـ وقال عليه السلام : «من ملك نفسه علا أمره» .

٢٢ ـ وقال عليه السلام :«من ساس نفسه أدرك السياسة» .

٢٣ ـ وقال عليه السلام : «من لم يسس نفسه أضاعها» .

٢٤ ـ وقال عليه السلام : «من قوى على نفسه تناهى فى القوة» .

٢٥ ـ وقال عليه السلام : «من حق الملك أن يسوس نفسه قبل رعيته» .

٢٦ ـ وقال عليه السلام : «من حق الراعى أن يختار لنفسه مايختار لرعيته» .

٢٧ ـ وقال عليه السلام : «لاقوىّ أقوى ممن قوى على نفسه فملّكها» .

٢٨ ـ وقال عليه السلام : «إملك حميّة نفسك، وسورة غضبك وسطوة يدك وغرب لسانك، واحترس فى ذلك كله بتأخير البادرة ، و كفّ السطوة حتى يسكن غضبك ويثوب إليك عقلك» .

٢٩ ـ وقال عليه السلام : «إملك عليك هواك و شحّ نفسك ، فان شح النفس الانصاف منها فيما أحببت و كرهت» .

٣٠- وقال عليه السلام: «أعظم الملك ملك النفس»

٣١- وقال عليه السلام: «أقوى الناس من قوى على نفسه»

٣٢- وقال عليه السلام: «أفضل الحلم كظم الغيظ، وملك النفس مع القدرة»

٣٣- وقال عليه السلام: «أقوى الناس أعظمهم سلطاناً على نفسه»

٣٤- وقال عليه السلام: «أعظم الناس سلطاناً على نفسه من قمع غضبه وأمات شهوته»

٣٥- وقال عليه السلام: «ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الاهواء إلى كثير من الضرر»

٣٦- وقال عليه السلام: «إنما الحلم كظم الغيظ وملك النفس»

٣٧- وقال عليه السلام: «لا يسلم على الله من لا يملك نفسه»

٣٨- وقال عليه السلام: «أعقل الملوك من ساس نفسه للرعية بما يسقط عنها حجتها وساس الرعية بما تثبت به حجته عليها»

٣٩- وقال عليه السلام: «حق على الملك أن يسوس نفسه قبل جنده»

٤٠- وقال عليه السلام: «خير الامراء من كان على نفسه أميراً»

٤١- وقال عليه السلام: «إذا صعبت عليك نفسك فاصعب لها تذل لك، وخادع نفسك عن نفسك تنقد لك»

٤٢- وقال عليه السلام: «ضابط نفسه عن دواعي اللذات مالك ومهملها هالك»

كلمات قصار في الدنيا مزرعة الاخرة

وشهواتها وخداعها ومذلتها

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام فيما لابد لكل إنسان عاقل أن يجعل الدنيا مزرعة الاخرة، وان شهوات الدنيا ومتاعها توجب مذلة الانسان في الدارين نشير إلى نبذة منها :

١- قال الامام عليه السلام : « إجعل من نفسك على نفسك رقيباً ، واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً »

٢- وقال عليه السلام : « أعرضوا عن كل عمل بكم غنى عنه، واشغلوا أنفسكم من أمر الآخرة بما لا بد لكم منه»

٣- وقال عليه السلام :« إعقل عقلك، وأملك أمرك ، وجاهد نفسك ، واعمل للآخرة جهدك واتق الله في نفسك ، ونازع الشيطان قيادك و اصرف إلى الآخرة وجهك و اجعل لله جدّك »

٤- وقال عليه السلام :« إرتد لنفسك قبل يوم نزولك ، ووطّئ المنزل قبل حلولك »

قوله عليه السلام : «إرتد » فعل أمر بمعنى : إختر . أي المنزل

٥- عليه السلام :« إياكم و غلبة الدنيا على أنفسكم فان عاجلها نغصة وآجلها غصة »

٦- و قال عليه السلام : « ألا وقد أمرتم بالظعن ، و دللتم على الزاد فتزوّدوا من الدنيا تحرزون به أنفسكم غداً »

٧- وقال عليه السلام :« إجعل همك لآخرتك وحزنك على نفسك ، فكم من حزين وفدبه

حزنه على سرور الأبد، وكم من مهموم أدرك أمله»

٨- وقال عليه السلام: «الكيس من كان يومه خيراً من أمسه، وعقل الذم عن نفسه»

٩- وقال عليه السلام: «العاقل يتقاضى نفسه بما يجب عليه، ولا يتقاضى لنفسه بما يجب له»

١٠- وقال عليه السلام: «من خاف الوعيد قرّب على نفسه البعيد»

١١- وقال عليه السلام: «من النبل أن يبذل الرجل نفسه ويصون عرضه»

١٢- وقال عليه السلام: «إن سخاوت النفس عما فى أيدى الناس لأفضل من سخاء البذل»

١٣- وقال عليه السلام: «ماقدّمت من دنياك فمن نفسك، وماأخّرت منها فللعدو»

١٤- وقال عليه السلام: «ينبغى للعاقل أن يعمل للمعاد، ويستكثر من الزاد قبل زهوق نفسه وحلول رمسه»

١٥- وقال عليه السلام: «إن من أحب العباد إلى الله عبداً أعانه على نفسه، فاستشعر الحزن وتجلب الخوف، فزهر مصباح الهدى فى قلبه وأعدّ القرى لليوم النازل به»

١٦- وقال عليه السلام: «ولا تؤخر عمل يوم إلى غد وامض لكل يوم عمله»

١٧- وقال عليه السلام: «ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه»

١٨- وقال عليه السلام: «ألا مستعدّ للقاء ربه قبل زهوق نفسه»

١٩- وقال عليه السلام: «إن العاقل من نظر فى يومه لغده، وسعى فى فكاك نفسه و عمل لما لابد له منه، ولا محيص له عنه»

٢٠- وقال عليه السلام: «إن من كانت العاجلة أملك به من الآجلة، وامور الدنيا أغلب عليه من امور الآخرة، فقد باع الباقى بالفانى، وتعوّض البائد عن الخالد و أهلك نفسه، ورضى لها بالهائل الزائل، ونكب بها عن نهج السبيل»

٢١- وقال عليه السلام: «خذ من نفسك لنفسك، و تزوّد من يومك لغدك واغتنم عفو الزمان، و انتهز فرصة الامكان»

٢٢- وقال عليه السلام: «عجبت لمن يرى انه ينقص كل يوم فى نفسه وعمره وهو لا يتأهّب للموت»

٢٣- وقال عليه السلام : « حاسبوا أنفسكم بأعمالها وطالبوها بأداء المفروض عليها ، و الأخذ من فنائها لبقائها ، وتزوّدوا وتأهّبوا قبل أن تبعثوا »

٢٤- وقال عليه السلام :« حاربوا أنفسكم على الدنيا واصرفوها عنها، فانها سريعة الزوال كثيرة الزلازل وشبكة الانتقال »

٢٥- وقال عليه السلام :« رزقك يطلبك فأرح نفسك من طلبه »

٢٦- وقال عليه السلام :« خذوا من أجسادكم تجودوا بها على أنفسكم ، و اسعوا في فكاك رقابكم قبل أن تغلق رهائنها »

٢٧- وقال عليه السلام :« غالبوا أنفسكم على ترك المعاصي ، و غالبوا أنفسكم على ترك العادات تغلبوها »

٢٨- وقال عليه السلام :« طيّبوا عن أنفسكم نفساً وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً »

٢٩- وقال عليه السلام :« ما أعمى النفس الطامعة عن العقبى الفاجعة »

٣٠- وقال عليه السلام :« في كل نفس فوت »

٣١- وقال عليه السلام :« للنفوس حمام » أي آفة وموت .

٣٢- وقال عليه السلام :« عادعلى نفسه مزيّن لها سلوك المحالات وباطل الترهات »

٣٣- وقال عليه السلام :« من أهمل نفسه في لذاتها شقي وبعد »

٣٤- وقال عليه السلام : « من جمع المال لينتفع به الناس أطاعوه ومن جمعه لنفسه أضاعوه »

٣٥- وقال عليه السلام :« لم يوفق من بخل على نفسه بخيره وخلّف ماله لغيره »

٣٦- وقال عليه السلام :« لم يصدق يقين من أسرف في الطلب وأجهد نفسه في المكتسب »

٣٧- وقال عليه السلام :« الدنيا شرك النفوس وقرارة كل ضرّ وبؤس »

٣٨- وقال عليه السلام :« إشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكبر الوهن »

٣٩- وقال عليه السلام :« من سامح نفسه فيما يحبّ طال شقاها فيما لا يحب »

٤٠- وقال عليه السلام :« من حدّث نفسه بكاذب الطمع كذّبته العطية »

٤١- وقال عليه السلام :« من طبائع الاغيار إتعاب النفوس في الاحتكار »

۴۲- وقال عليه السلام: «أهن نفسك ماجمحت بك إلى معاصي الله»

۴۳- وقال عليه السلام: «إمنع نفسك من الشهوات تسلم من الآفات»

۴۴- وقال عليه السلام: «من غلبت عليه شهوته لم تسلم نفسه»

۴۵- وقال عليه السلام: «من اتبع نفسه فيما لاينفعه وقع فيما يضرّه»

۴۶- وقال عليه السلام: «من غرى بالشهوات أباح لنفسه الغوائل»

۴۷- وقال عليه السلام: «ان نفسك لخدوع إن تثق بها يقتدك الشيطان إلى إرتكاب المحارم»

۴۸- وقال عليه السلام: «إن من أبغض الخلائق إلى الله تعالى رجلاً و كله الله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل»

۴۹- وقال عليه السلام: «النفس الامارة المسوّلة تتملّق تملّق المنافق، وتتصنّع بشيمة الصديق الموافق حتى إذا خدعت، وتمكّنت تسلّطت تسلّط العدو وتحكّمت تحكم العتوّ وأوردت موارد السوء»

۵۰- وقال عليه السلام: «طلب الجمع بين الدنيا والاخرة من خداع النفس»

۵۱- وقال عليه السلام: «كن أوثق ماتكون بنفسك أخوف ماتكون من خداعها»

۵۲- وقال عليه السلام: «من اتهم نفسه أمن خداع الشيطان»

۵۳- وقال عليه السلام: «من خالف نفسه فقد غلب الشيطان»

كلمات قصار حول غنى النفس وعزها

وفقر النفس وذلها

غرر حكم ودرر كلم عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ قال الامام علي عليه السلام :« ظلف النفس عما في أيدى الناس هو الغناء »

٢ـ وقال عليه السلام :« من حسنت نفسه عزّ معسراً »

٣ـ وقال عليه السلام :« من عزّ النفس لزوم القناعة »

٤ـ وقال عليه السلام :« لاتجعلنّ نفسك توكلاً إلاّ على الله ولا يكن لك رجاء إلاّ الله »

٥ـ وقال عليه السلام :« خير الغنى غنى النفس »

٦ـ وقال عليه السلام :« غشّ نفسه من شرّبها الطمع »

٧ـ وقال عليه السلام :« لاتعدنّ عدة لاتثق من نفسك إنجازها »

٨ـ وقال عليه السلام :« ينبغي للعاقل أن يكتسب بماله الحمد ويصون نفسه عن المسئلة »

٩ـ وقال عليه السلام :« من صان نفسه وقّر »

١٠ ـ وقال عليه السلام :« من اعتذر بغير ذنب أوجب على نفسه الذنب »

١١ـ وقال عليه السلام :« فقر النفس شر الفقر »

١٢ـ وقال عليه السلام :« أكبر البلاء فقر النفس »

١٣ـ وقال عليه السلام :« إن الفقر مذلّة للنفس ، مدهشة للعقل ، جالب للهموم »

١٤ـ وقال عليه السلام: « شر النفس فقر النفس»

١٥ـ وقال عليه السلام: « من شرهت نفسه ذلّ موسراً » أي من كثر حرصه وأمله.

١٦ـ وقال عليه السلام: «من شرفت نفسه نزّهها عن ذلّة المطالب »

١٧ـ وقال عليه السلام: « من سامح نفسه فيما يحبّ أتعبته فيما يكره»

١٨ـ وقال : « من لم ينزّه نفسه عن دناءة المطامع ، فقد أذلّ نفسه ، و هو في الآخرة أذلّ وأخزى »

١٩ـ وقال عليه السلام: « من هانت عليه نفسه فلا ترج خيره»

٢٠ـ وقال عليه السلام: « ما أذلّ النفس كالحرص ولا شأن العرض كالبخل»

٢١ـ وقال عليه السلام: « نفاق المرء من ذلّ يجده في نفسه »

٢٢ـ وقال عليه السلام: « طوبى لمن ذلّ في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من كلامه و كفّ عن الناس شرّه و وسعته السنة ولم يتعدّ البدعة»

٢٣ـ وقال عليه السلام: « كل معتمد على نفسه ملقى»

٢٤ـ وقال عليه السلام: « من عظّم نفسه حقّر»

٢٥ـ وقال عليه السلام : «من أعجب بنفسه سخر به »

غرر حكم في رضا النفس

ونصحها وانصافها

درر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في المقام نشير إلى نبذة منها:

١ـ قال الامام علي عليه السلام : «من أنكر عيوب الناس ، ورضيها لنفسه ، فذلك الاحمق»

٢ـ وقال عليه السلام : «الراضي عن نفسه مستور عنه عيبه، ولو عرف فضل غيره لساءه ما به من النقص والخسران»

٣ـ وقال عليه السلام : «رضاك عن نفسك من فساد عقلك»

٤ـ وقال عليه السلام : «رضاء العبد عن نفسه مقرون بسخط ربه»

٥ـ وقال عليه السلام : «رضاء العبد عن نفسه برهان سخافة عقله»

٦ـ وقال عليه السلام : «شرّ الامور الرضا عن النفس»

٧ـ وقال عليه السلام : «من سخط على نفسه أرضاه ربه»

٨ـ وقال عليه السلام : «كفى بالمرء جهلاً أن يرضاه عن نفسه»

٩ـ وقال عليه السلام : «من رضي عن نفسه أسخط ربه»

١٠ـ وقال عليه السلام : «من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه»

١١ـ وقال عليه السلام : «من رضي عن نفسه ظهرت عليه المعائب»

١٢ـ وقال عليه السلام : «من لم يرض من صديقه إلاّ بايثاره على نفسه دام سخطه»

١٣ـ وقال عليه السلام : «هلك من رضي عن نفسه ووثق بما تسوّله له»

١٤- وقال عليه السلام: «فارق من فارق الحق إلى غيره ودعه ومارضى لنفسه»

١٥- وقال عليه السلام: «إرض للناس ماترضاه لنفسك تكن مسلماً»

١٦- وقال عليه السلام: «إرض للناس ماترضاه لنفسك، وأخلص لله عملك وعلمك وحبك وبغضك وأخذك وتركك وكلامك وصمتك»

١٧- وقال عليه السلام: «عجبت لمن ينكر عيوب الناس ونفسه أكثر شيء معاباً ولايبصرها»

١٨- وقال عليه السلام: «إذارأيت من غيرك خلقاً ذميماً فتجنّب من نفسك أمثاله»

١٩- وقال عليه السلام: «الكيّس من كان غافلاً عن غيره ولنفسه كثير التقاضي»

٢٠- وقال عليه السلام: «ليكن آثر الناس عندك من أهدى إليك عيبك وأعانك على نفسك»

٢١- وقال عليه السلام: «من أشفق على نفسه لم يظلم غيره»

٢٢- وقال عليه السلام: «من آثر على نفسه بالغ في المروّة»

٢٣- وقال عليه السلام: «من كثر إنصافه تشاهدت النفوس»

٢٤- وقال عليه السلام: «إن أنصح الناس أنصحهم لنفسه وأطوعهم لربه، وان أغشّ الناس أغشّهم لنفسه وأعصاهم لربه»

٢٥- وقال عليه السلام: «من نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره»

٢٦- وقال عليه السلام: «ماغشّ نفسه من ينصح غيره»

٢٧- وقال عليه السلام: «كيف ينصح غيره من يغشّ نفسه»

٢٨- وقال عليه السلام: «من غشّ نفسه لم ينصح غيره»

٢٩- وقال عليه السلام: «المنافق لنفسه مداهن وعلى الناس طاعن»

٣٠- وقال عليه السلام: «من أساء إلى نفسه لم يتوقع منه جميل»

٣١- وقال عليه السلام: «نظام الدين خصلتان: إنصافك من نفسك، مواساة إخوانك»

٣٢- وقال عليه السلام: «لاخير في أخ لايوجب لك مثل الذي يوجب لنفسه»

٣٣- وقال عليه السلام: «عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره»

٣٤- وقال عليه السلام: «شرّ إخوانك من داهنك في نفسك وساترك عيبك»

٣٥- وقال عليه السلام: «كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه»

٣٦ ـ وقال عليه السلام: «غاية الانصاف أن ينصف المرء من نفسه»

٣٧ـ وقال عليه السلام: «كن وصيّ نفسك، وافعل في مالك ما تحبّ أن يفعله فيه غيرك»

٣٨ـ وقال عليه السلام: «من صدّقك في نفسك فقد أرشدك»

٣٩ـ وقال عليه السلام: «تحلّوا بالأخذ بالفضل، والكفّ عن البغي، والعمل بالحق، و الانصاف من النفس، وإجتناب الفساد، وإصلاح المعاد»

٤٠ـ وقال عليه السلام: «في حق من ذمّه: «يرشد غيره، ويغوى نفسه، و ينهى الناس بما لاينتهي ويأمرهم بما لايأتي يتكلّف من الناس مالم يؤمر، ويضيّع من نفسه ما هو أكثر بأمر الناس، ولايأتمر ويحذّرهم ولايحذر ـ يعرف لنفسه على غيره ولا يعرف عليها لغيره يخاف على غيره بأكثر من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله»

٤١ـ وقال عليه السلام: «الرجل السوء لايظن بأحد خيراً لأنه لايراه إلاّ بوصف نفسه»

٤٢ـ وقال عليه السلام: «إستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك»

٤٣ـ وقال عليه السلام: «أنصف الناس من نفسك وأهلك وخاصتك، ومن لك فيه هوى و أعدل في العدوّ والصديق»

٤٣ـ وقال عليه السلام: «أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك، فان ذلك أجلّ لقدرك و أجدر برضاربك»

٤٥ـ و قال عليه السلام: «إجعل نفسك ميزاناً بينك و بين غيرك، و أحبب له ما تحب لنفسك وأكره له ماتكره لها. وأحسن كماتحب أن يحسن إليك، ولاتظلم كماتحبّ أن لاتظلم»

٤٦ـ وقال عليه السلام: «إحمل نفسك عندشدة أخيك على اللين وعندقطيعته على الوصل ،وعند جموده على البذل، و كن للذى يبدومنه حمولاً وله وصولاً»

٤٧ـ وقال عليه السلام: «إحمل نفسك مع أخيك عند صرمه على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند تباعده على الدنو، وعند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد، و كأنه ذو نعمة عليك وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو تفعله مع غير أهله»

٤٨- وقال عليه السلام: «ابذل لصديقك كل المودة، ولا تبذل له كل الطمأنينة وأعطه من نفسك كل المواساة ولاتقص إليه بكل أسرارك»

٤٩- وقال عليه السلام: «أنصف الناس من أنصف من نفسه بغير حاكم عليه»

٥٠- وقال عليه السلام: «إن أفضل الايمان إنصاف المرء من نفسه»

٥١- وقال عليه السلام: «ان من فضل الرجل أن ينصف من نفسه ويحسن إلى من أساء إليه»

٥٢- وقال عليه السلام: «إياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك»

٥٣- وقال عليه السلام: «من غشّ نفسه كان أغشّ لغيره»

٥٤- وقال عليه السلام: «أعجز الناس من قدر على أن يزيل النقص عن نفسه فلم يفعل»

٥٥- وقال عليه السلام: «إن أحببت سلامة نفسك وستر معايبك، فاقلل كلامك وأكثر صمتك يتوفّر فكرك ويستنر قلبك ويسلم الناس من يدك»

٥٦- وقال عليه السلام: «تقاض نفسك بما يجب عليها تأمن تقاضى غيرك لك، واستقص عليها تغنى عن إستقصاء غيرك عليك»



درر كلم حول شغل النفس

بنفسها عن غيرها والعكس بالعكس

كلمات قصار في المقام عن الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى نبذة منها:

١- قال الامام على عليه السلام: «طوبى لمن كان له من نفسه شغل شاغل عن الناس»

٢- وقال عليه السلام: «طوبى لمن كان له من نفسه شغل شاغل، و الناس منه في راحة و عمل بطاعة الله سبحانه»

٣- وقال عليه السلام: «كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس»

٤- وقال عليه السلام: «من شغل نفسه بما لا يجب ضيّع من أمره ما يجب»

٥- وقال عليه السلام: «من شغل نفسه بغير نفسه فقد تحيّر في الظلمات وارتبك في الهلكات»

٦- وقال عليه السلام: «طوبى لمن لزم بيته وأكل كسرته، وبكى على خطيئته وكان من نفسه في تعب والناس منه في راحة»

٧- وقال عليه السلام: «من أبصر عيب نفسه لم يعب أحداً»

٨- وقال عليه السلام: «من بحث عن عيوب الناس فليبدء بنفسه»

٩- وقال عليه السلام: «عوّد نفسك الجميل، فانه يجمّل عنك الاحدوثة ويجزل لك المثوبة»

١٠- وقال عليه السلام: «عوّد نفسك الاستهتار بالفكر والاستغفار فانه يمحو عنك الحوبة ويعظّم المثوبة»

١١- وقال عليه السلام: «عوّد نفسك فعل المكارم وتحمّل إعباء المغارم تشرف نفسك و تعمر آخرتك ويكثر حامدوك»

١٢- وقال عليه السلام: « لسانك يستدعيك ما عوّدته، ونفسك تقتضيك ما ألفته»

١٣- وقال عليه السلام: « من استقصى على نفسه أمن إستقصاء غيره عليه»

١٤- وقال عليه السلام: « من ظلم نفسه كان لغيره أظلم»

١٥- وقال عليه السلام: « من بخل على نفسه كان على غيره أبخل »

١٦- وقال عليه السلام: « من أضمر الشر لغيره فقد بدأ به نفسه»

١٧- وقال عليه السلام: « من كان له من نفسه يقظة كان عليه من الله حفظة»

١٨- وقال عليه السلام: « من آثر على نفسه إستحق إسم الفضيلة»

١٩- وقال عليه السلام: « من نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى قلبه»

٢٠- وقال عليه السلام: « من لم يصحبك معيناً على نفسك فصحبته وبال عليك إن علمت »

٢١- وقال عليه السلام في ذكر من ذمّه: «هو بالقول مدلّ ومن العمل مقلّ وعلى الناس طاعن ولنفسه مداهن»

٢٢- وقال عليه السلام: «الخائن من شغل نفسه بغير نفسه وكان يومه شراً من أمسه »

٢٣- وقال عليه السلام: « إياك أن تكون على الناس طاعناً، ولنفسك مداهناً ،فتعظم عليك الحوبة وتحرم المثوبة»

٢٤- وقال عليه السلام: « إن الحازم من شغل نفسه بجهاد نفسه ، فأصلحها و حبسها عن أهويتها ولذاتها فملكها ، وإن للعاقل بنفسه عن الدنيا ومافيها وأهلها شغلاً »

٢٥- وقال عليه السلام: « من فعل الخير فبنفسه بدأ»

٢٦- وقال عليه السلام: « من فعل الشر فعلى نفسه إعتدى»

٢٧- وقال عليه السلام: « كن لنفسك مانعاً رادعاً ولثروتك عند الحفيظة راقماً قامعاً»

٢٨- وقال عليه السلام: « لا يلم لائم إلاّ نفسه»

٢٩- وقال عليه السلام: « لا تستحسن من نفسك ما من غيرك تستنكره»

٣٠- وقال عليه السلام: « لا ترخّص لنفسك في شيء من سيّئ الاقوال والافعال»

٣١- وقال عليه السلام: « لا تخل نفسك من فكر يزيدك حكمة وعبرة يفيدك عصمة »

٣٢- وقال عليه السلام: « لاتعب غيرك بما تأتيه، ولا تعاقب غيرك على ذنب ترخّص فيه»

٣٣- وقال عليه السلام: « ينبغي أن يكون الرجل مهيمناً على نفسه مراقباً قلبه حافظاً لسانه»

٣٤- وقال عليه السلام: «ياعبدالله لاتعجل في عيب عبد مذنب فلعله مغفور له، فلاتأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذّب عليها »

٣٥- وقال عليه السلام: « يقبح على الرجل أن ينكر على الناس منكرات ، و ينهاهم عن الرذائل وسيئات وإذا خلا بنفسه إرتكبها ولا يستنكف من فعلها »

٣٦- وقال عليه السلام: « من لم يعتبر بغيره لم يستظهر لنفسه»



كلمات قصار

حول جهاد النفس ومحاسبتها

غرر حكم ودرر كلم في المقام عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى نبذة منها :

١ ـ قال الامام علي عليه السلام : «أفضل الجهاد مجاهدة المرء نفسه» .

٢ ـ وقال عليه السلام : «إن أفضل الجهاد مجاهدة الرجل نفسه» .

٣ ـ وقال عليه السلام : «أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وفطامها عن لذات الدنيا» .

٤ ـ وقال عليه السلام : «أول ماتنكرون من الجهاد جهاد أنفسكم» .

٥ ـ وقال عليه السلام : «ثمرة المجاهدة قهر النفس» .

٦ ـ وقال عليه السلام : «من جاهد نفسه أكمل التقى» .

٧ ـ وقال عليه السلام : «مامن جهاد أفضل من جهاد النفس» .

٨ ـ وقال عليه السلام : «مجاهدة النفس شيمة النبلاء» .

٩ ـ وقال عليه السلام : «مجاهدة النفس عنوان النبل» .

١٠ ـ وقال عليه السلام : «واعلموا أن الجهاد الاكبر جهاد النفس ، فاشتلغوا بجهاد أنفسكم تسعدوا» .

١١ ـ وقال عليه السلام : «مجاهدة النفس أفضل الجهاد» .

١٢ ـ وقال عليه السلام : «جهاد النفس مهر الجنة» .

١٣ ـ وقال عليه السلام : «ألا وإن الجهاد ثمن الجنة، فمن جاهد نفسه ملكها وهي أكرم ثواب الله لمن عرفها» .

١٤ـ وقال عليه السلام : « جهاد النفس ثمن الجنة، فمن جاهدها ملكها وهي أكرم ثواب الله لمن عرفها »

١٥ـ وقال عليه السلام : « بالمجاهدة صلاح النفس »

١٦ـ وقال عليه السلام : « إن مجاهدة النفس لتزمّها عن المعاصي وتعصمها عن الردى»

١٧ـ وقال عليه السلام : « جودوا في الله وجاهدوا أنفسكم على طاعة الله يعظم لكم الجزاء ويحسن لكم الحباء»

١٨ـ وقال عليه السلام : « لن يجوز الجنة إلاّ من جاهد نفسه»

١٩ـ وقال عليه السلام : « إن المجاهد نفسه على طاعة الله و عن معاصيه عند الله سبحانه بمنزلة برّ شهيد »

٢٠ـ وقال عليه السلام : « جاهد نفسك وقدّم توبتك تفز بطاعة ربك»

٢١ـ وقال عليه السلام : « إن المجاهد نفسه والمغالب غضبه والمحافظ على طاعة ربه يرفع الله سبحانه له ثواب الصائم القائم وينيله درجة المرابط الصابر»

٢٢ـ وقال عليه السلام : « جاهد شهوتك وغالب غضبك و خالف سوء عادتك تزكّ نفسك ،وتكمل عقلك وتستكمل ثواب ربك »

٢٣ـ وقال عليه السلام : « جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدوّ عدوّه، وغالبها مغالبة الضدّ ضدّه، فان أقوى الناس من قوى على نفسه »

٢٤ـ وقال عليه السلام : « خير الجهاد جهاد النفس»

٢٥ـ وقال عليه السلام : « غاية المجاهدة أن يجاهد المرء نفسه»

٢٦ـ وقال عليه السلام : « ردع النفس عن الهوى هو الجهاد الاكبر »

٢٧ـ و قال عليه السلام : « ردع النفس وجهادها عن أهويتها يرفع الدرجات و يضاعف

الحسنات»

٢٨- وقال عليه السلام: «زكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس بالعمل به»

٢٩- وقال عليه السلام: «صافوا الشيطان بالمجاهدة اغلبوه بالمخالفة تزكوا أنفسكم وتعلو عندالله درجاتكم»

٣٠- وقال عليه السلام: «غالبوا أنفسكم على ترك العادات، وجاهدوا أهواءكم تملكوها»

٣١- وقال عليه السلام: «كفاك في مجاهدة نفسك أن لاتزال أبداً لها مغالباً وعلى أهويتها محارباً»

٣٢- وقال عليه السلام: «من لم يجاهد نفسه لم ينل الفوز»

٣٣- وقال عليه السلام: «من لم يجهد نفسه في صغره لم ينل في كبره»

٣٤- وقال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الراهب وتدركوا عنده الراغب»

٣٥- وقال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ووازنوها قبل أن توازنوا»

٣٦- وقال عليه السلام: «ان الحازم من قيّد نفسه بالمحاسبة و ملكها بالمبالغة و قتلها بالمجاهدة»

٣٧- وقال عليه السلام: «جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فان أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه»

٣٨- وقال عليه السلام: «قيّدوا أنفسكم بالمحاسبة وأملكوها بالمخالفة»

٣٩- وقال عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، و ساعة يخلّي بين نفسه ولذتها فيها (فيماظ) يحلّ ويجمل»

٤٠- وقال عليه السلام: «من تعاهد نفسه بالمحاسبة أمن فيها المداهنة»

٤١- وقال عليه السلام: «من حاسب نفسه وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه فاستقال الذنوب وأصلح العيوب»

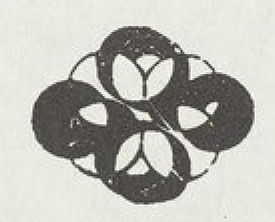
٤٢- وقال عليه السلام: «ما أحقّ الانسان أن يكون له ساعة لايشغله عنها شاغل يحاسب فيها نفسه، فينظر فيما اكتسب لها وعليها في ليلها ونهارها»

٤٣- و قال عليه السلام : «ما المغبوط إلاّ من كانت همّته نفسه لايغنيه عن محاسبتها و مطالبتها ومجاهدتها»

٤٤- وقال عليه السلام : « كن مؤاخذاً نفسك مغالباً سوء طبعك ، وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك»

٤٥- وقال عليه السلام : « من حاسب نفسه سعد»

٤٦- وقال عليه السلام : « من مقت نفسه أحبه الله »أى نفسه الامارة بالسوء .



كلمات قصار

حول تهذيب النفس و أدبها

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى تهذيب النفس و تزكيتها ، وفى أدبها و تحليتها نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام على عليه السلام :« الاشتغال بتهذيب النفس أصلح »

٢ـ وقال عليه السلام :« من لم يهذّب نفسه لم ينتفع بالعقل»

٣ـ وقال عليه السلام :« من لم ينتفع بنفسه لم ينتفع بالناس»

٤ـ وقال عليه السلام : « من لم يهذّب نفسه فضحه سوء العادة »

٥ـ وقال عليه السلام :« طهّروا أنفسكم من دنس الشهوات تدركوا رفيع الدرجات»

٦ـ وقال عليه السلام :« طهّروا أنفسكم من دنس الشهوات تضاعف لكم الحسنات»

٧ـ وقال عليه السلام :« من قنعت نفسه أعانته على النزاهة»

٨ـ وقال عليه السلام :«امح الشر عن قلبك تتزكّ نفسك و يتقبّل عملك»

٩ـ وقال عليه السلام :« نزّه نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب»

١٠ـ وقال عليه السلام : « نزّه عن كل دنية نفسك وابذل فى المكارم جهدك تخلص من المآثم وتحرز المكارم»

١١ـ وقال عليه السلام :« نزّهوا أنفسكم عن دنس اللذات وتبعات الشهوات »

١٢- وقال عليه السلام: « نزّهوا أنفسكم عن دنس اللذات وتبعات الشهوات »

١٣- وقال عليه السلام: « نزّهو أديانكم عن الشبهات وصونوا أنفسكم عن مواقف الريب الموبقات»

١٤- و قال عليه السلام: « ضبط النفس عند الرغب والرهب من أفضل الأدب»

١٥- وقال عليه السلام: « أفضل الأدب ما بدأت به نفسك»

١٦- وقال عليه السلام: « تولّوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها»

١٧- وقال عليه السلام: « على المتعلّم أن يؤدّب نفسه فى طلب العلم ولا يملّ من تعلمه و لا يستكثر ما علم»

١٨- وقال عليه السلام: «على العاقل أن يحصى على نفسه مساويها فى الدين والرأى والاخلاق و الأدب ، فيجمع ذلك فى صدره أو فى كتاب و يعمل فى إزالتها »

١٩- وقال عليه السلام: « كفى مؤدّباً لنفسك تجنّب ما كرهته لغيرك»

٢٠- وقال عليه السلام: « من استهتر بالادب فقد زان نفسه» أى من اشتدّ حبه بالادب صار وزيناً وقوراً .

٢١- وقال عليه السلام: « من لم يصلح على أدب الله سبحانه لم يصلح على أدب نفسه»

٢٢- وقال عليه السلام: « ليس من أساء إلى نفسه بذى مامول»

٢٣- وقال عليه السلام: « جالس العلماء يزدد علمك ، ويحسن أدبك و تزك نفسك»

كلمات قصار

فى ضلالة النفس وهلاكها

غرر حكم ودرر كلم حول ضلالة النفس و هلاكها و عذابها عن الامام على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام على عليه السلام : « ضلال النفوس بين دواعى الشهوة والغضب »

٢ـ وقال عليه السلام : « عجبت لمن ينشد ضالته ، وقد أضلّ نفسه فلا يطلبها»

٣ـ وقال عليه السلام : « كيف يهدى غيره من يضلّ نفسه»

٤ـ وقال عليه السلام : « من رخّص لنفسه ذهبت به فى مذاهب الظلمة»

٥ـ وقال عليه السلام : « من داهن نفسه هجمت به على المعاصى المحرمة »

٦ـ وقال عليه السلام : « ما أنسك أيها الانسان بهلكة نفسك، أما من دائك بلول؟! أم ليس لك من نومتك يقظة ! أما ترحم من نفسك ماترحمه من غيرك!»

٧ـ وقال عليه السلام : « من اتبع هواه أردى نفسه»

٨ـ وقال عليه السلام : « من نسى الله أنساه نفسه»

٩ـ وقال عليه السلام : « من أهمل نفسه أهلكها»

١٠ـ وقال عليه السلام : « من أهمل نفسه فقد خسر »

١١ـ وقال عليه السلام : « لا عاجز أعجز ممن أهمل نفسه فأهلكها»

١٢ـ وقال عليه السلام : « عقوبة الغضوب والحقود والحسود تبدأ بأنفسهم »

١٣ـ وقال عليه السلام : « من أعظم اللوم إحراز المرء نفسه وإسلامه عرسه»

١٤ـ وقال عليه السلام: «من أطال الحديث فيما لا ينبغي فقد عرّض نفسه للملامة»

١٥ـ وقال عليه السلام: «كفى بالمرء منقصة أن يعظّم نفسه»

١٦ـ وقال عليه السلام: «من ساء خلقه عذّب نفسه»

١٧ـ وقال عليه السلام: «من كشف ضرّه للناس عذّب نفسه»

١٨ـ وقال عليه السلام: «من أسس أساس الشر أسسه على نفسه»

١٩ـ وقال عليه السلام: «من غضب على من لا يقدر على مضرته طال حزنه وعذّب نفسه»

٢٠ـ وقال عليه السلام: «من اغترّ بنفسه سلّمته إلى المعاتب»

٢١ـ وقال عليه السلام: «من جزع فنفسه عذّب، وأمر الله سبحانه ضاع وثوابه باع»

٢٢ـ وقال عليه السلام: «من قصّر في العمل ابتلاه الله سبحانه بالهمّ، ولا حاجة لله سبحانه فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب»

٢٣ـ وقال عليه السلام: «من بخل بماله على نفسه جاد به على بعل عرسه»

٢٤ـ وقال عليه السلام: «احذروا أهوى هواي بالانفس هوياً وأبعدها عن قرارة الفوز قصياً»

٢٥ـ وقال عليه السلام: «ان النفس أبعد شيء منزعاً، وانها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى»

٢٦ـ وقال عليه السلام: «إياك أن تغلبك نفسك على ما تظنّ، ولا تغلبها على ما تستيقن فان ذلك من أعظم الشر»

٢٧ـ وقال عليه السلام: «ضبط النفس عند حادث الغضب يؤمن مواقع العطب»

٢٨ـ وقال عليه السلام: «نفسك عدوّ محارب وضدّ مواثب إن غفلت عنها قتلتك»

٢٩ـ وقال عليه السلام: «صونوا أنفسكم عن مواقع الريب الموبقات»

٣٠ـ وقال عليه السلام: «وق نفسك ناراً وقودها الناس والحجارة بمبادرتك إلى طاعة الله سبحانه، وتجنبك معاصيه وتوخّيك رضاه»

٣١ـ وقال عليه السلام: «ان هذه النفس لأمارة بالسوء فمن أهملها جمحت به إلى المآثم»

٣٢ـ وقال عليه السلام: «ان حلم الله تعالى على المعاصي جرّأك وبهلكة نفسك أغراك»

٣٣ـ وقال عليه السلام: «خدمة الجسد إعطائه ما يستدعيه من الملاذ والشهوات والمقتنيات

وفى ذلك هلاك النفس »

٣٤- وقال ﷺ :« ان النفس لأمارة بالسوء والفحشاء فمن ائتمنها خانته ومن استنام إليها أهلكته ، ومن رضى عنها أوردته شر الموارد»

٣٥- وقال ﷺ :« إياك وملابسة الشر ، فانك تنيله نفسك قبل عدوك ، و تهلك به دينك قبل ايصاله إلى غيرك»



﴿ الغرور و حقيقته ﴾

قال الله عزوجل : «يا أيها الانسان ماغرّك بربك الكريم» الانفطار: ٦)
وقد اختلفت كلمات الحكماء والمفسرين، والفلاسفة والمحدثين، والادباء والمتكلمين في حقيقة الغرور ، ولانرى بدأ بعد ذكرأهم تلك الكلمات إلا أن نرجع في بيان الحقيقة وفهمها إلى القرآن الكريم ، ومن عنده علم الكتاب ، و هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين :

فمنهم : من قال: إن الغرور هو الاطماع، والطمع فيما لاينبغي أن يطمع فيه.

و منهم : من قال : إن الغرور هو إظهار النصح مع إبطان الغشّ .

و منهم : من قال: إن الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان ، فمن اعتقد انه على خير عاجلاً أو آجلاً عن شبهة فاسدة فهو مغرور .

و منهم : من قال ان الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل، فان الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ماهو به، فالغرور هو الجهل، ولكن ليس كل جهل غروراً .

و منهم : من قال : إن الغرور هو الخطاء بما يوهم انه صواب ، و الباطل بما يوهم انه حق ، و الفاني بما يوهم انه باق . . . و غيرها من التعاريف التي لانرى لذكرها فائدة .

وأما ما حققنا من الآيات الكريمة والروايات الواردة عن أئمتنا المعصومين

أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين حول الغرور فهو عبارة عن الركون إلى مالاينبغي الركون إليه سواء كان عن جهل أوغفلة أوتسويل النفس الامارة السوء...

قال الله تعالى: « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ـ لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد » آل عمران: ۱۸۵ـ۱۹۶)

وقال: « يعدهم و يمنيهم ومايعدهم الشيطان إلا غروراً » النساء: ۱۲۰)

وقال: « و كذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » الانعام: ۱۱۲)

وقال: « إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً » فاطر: ۴۰)

وقال: « وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » الحديد: ۱۴)

وقال: « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور » لقمان: ۳۳) و غيرها من الايات القرآنية . . .

وفى تحف العقول : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال: « من وثق بثلاثة كان مغروراً : من صدق بمالايكون ، وركن إلى من لايثق به، و طمع فيما لايملك »

و فى رواية : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « غرور الغنى يوجب الأشر »

و فى رواية : ان علياً عليه السلام صاح بغلام لمرات ، فلم يلبه ثم أقبل ، فقال: مالك لم تجبنى ؟ فقال : لثقتى بحلمك وأمنى عقوبك ، فاستحسن جوابه وأعتقه »

ولهذا قالوا : من كرم الرجل سوء أدب غلمانه ، والحق ان لايغتر الانسان بكرم الله تعالى وجوده فى خلقه إياه واسباغه النعم الظاهرة والباطنة عليه، فعصاه و يكفر نعمته إغتراراً بتفضيله الاول ، فان ذلك أمر منكر خارج عن حد الحكمة، ولهذا قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله لماقرأ : « ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم »: غره جهله .

و كلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل ذم الغرور لان الغرور نوع من الجهل والذين غرتهم الحياة الدنيا من الكفار والمجرمين ، من الفجار والمستكبر-ين، ومن الفسّاق والطاغين ... الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة قائلين :

ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة، والنقد خير من النسيئة ولذات الدنيا يقين و الاخرة شك، واليقين خير من الشك .

وهذا عين الجهل لان الدنيا لو كانت ذهباً فانياً، و كانت الاخرة خزفاً باقياً، لكان الخزف الباقى خيراً من الذهب الفانى ، فكيف والدنيا خزف فان ، والاخرة ذهب باق.

قال الله عزوجل : « ولاتشتروا بعهدالله ثمناً قليلاً إنما عندالله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ماعندكم ينفدوما عندالله باق» النحل: ٩٥- ٩٦)

مع أن كون النقد خيراً من النسيئة مطلقاً ممنوع بالبداهة ، فان النسيئة العظيمة الكثيرة خير من النقد القليل الحقير ، و فعل هذا المغرور حجة عليه فانه يعطى خمسة دراهم نقداً ليأخذ عشرة نسيئة، و يترك لذائذ الأطعمة بتحذير الطبيب نقداً خوفاً من ألم المرض نسيئة ، ويتحمل المشاق والأسفار وقطع البحار نقداً لتوهم النفع نسيئة ، و كذا التاجر فى سعيه وتصديعه على يقين ، وفى ربحه على شك ، و كذا المتفقه فى إجتهاده شك وفى تعبه يقين .

والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك، فكون اليقين خيراً من الشك مطلقاً ممنوع بالضرورة ، بل إذا كان مثله، فالذى له شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم أن يقول : الصبر أياما قلائل فى هذا العمر القصير قليل بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة، فان كان مايقال فى الآخرة كذباً، فمافاتنى إلا نعم حقيرة فانية ، وإن كان صدقاً خلدت فى النار أبدالآبدين و هذا لايطاق .

هذا كله مع قطع النظر عن كون الآخرة يقين يحكم بها العقل السليم و الفهم المستقيم ، وأخبر بها الآنبياء والمرسلون والاولياء والصالحون .

وأما الغرور بالله فمثل قول بعضهم : فان كان لله معاد فنحن أحق به من غيرنا، وأوفر حظاً وأسعد حالاً كما أخبر الله تعالى من قول الرجلين المتحاورين إذ قال : « و ما أظن الساعة قائمة و لئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً » الكهف : ٣٦)

وذلك لانهم تارة ينظرون إلى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا ، فيقيسون عليها نعم الآخرة ، وينظرون إلى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة .
كما قال الله عز وجل: « ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول » المجادلة:٨)
وينظرون تارة إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر، فيقولون :« أهؤلاء من الله عليهم من بيننا »الانعام : ٥٣)
وهم يقولون :« لو كان خيراً ماسبقونا إليه»الاحقاف : ١١)
ويقولون: قد أحسن الله تعالى إلينا بنعيم الدنيا و كل محسن محب، والمحب يحسن في المستقبل أيضاً، ولم يعلموا ان نعيم الدنيا ولذاتها والاستدراج فيها يدل على الهوان.

وان هذه اللذات سموم قاتلات، وان الله يحمي المؤمن من الدنيا كما يحمي الطبيب المريض عن الطعام ، ولو كانت الدنيا لها قدر عند الله تعالى لماسقى الكافر منها شربة ماء وقال:« أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون» المؤمنون : ٥٦)
وقال: « سنستدرجهم من حيث لايعلمون »القلم :٤٤)
وقال:« فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون »الانعام : ٤٤)
ومنشأ هذا الغرور هو الجهل بالله تعالى وصفاته، فان من عرفه لايأمن مكره، ولايغتر به بامثال هذه الخيالات الواهية، وهو جل وعلا يوبخه على ذلك ويقول :« ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم »الانفطار :٦)

فعليك يا كل إنسان ذي لب أن تنظر إلى الطغاة والمستكبرين، وإلى أصحاب القدرة والقوى والعدد والعدد والجاه والاشتهار والمقام المغترين كفرعون وقارون ونمرود وشداد ... ومن إليهم من ملوك الارض الجبابرة والحكام الجائرة كيف أحسن الله تعالى عليهم ثم دمّرهم تدميراً.

قال الله تعالى: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» آل عمران: ٥٤)

وقال: «ولا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون» الاعراف: ٩٩)

ولقد رأينا في زماننا هذا بالعيان كيف دمّر الله جل وعلا المغترين بالحياة الدنيا وزخارفها، المغترين بالقوى والقدرة، المغترين بالاموال والثراة، والمغترين بالجاه والاشتهار ... وجاء بآخرين وعلى الآخرين الاعتبار من سابقيهم، فلا يغترّوا بما اغترّوا، وإلا فعليهم ما عليهم من الذلة والفرار، من الهوان والدمار، ومن العذاب والنار، فانهم ليسوا بخير منهم إذا سلكوا مسلكهم، فضلاً إذا كانوا أشد طغياناً وجوراً على الله جل وعلا وعلى الناس... ولو باسم الاسلام فاذاً هو منهم ومن أعمالهم بريء.

و في تحف العقول: من مواعظ الامام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: «رب مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعله قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنم»

و فيه: من مواعظ الامام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام:

«وحضره ذات يوم جماعة من الشيعة، فوعظهم وحذرهم وهم ساهون لاهون فأغاظه ذلك، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه إليهم، فقال: ان كلامي لو وقع طرف منه في قلب أحدكم لصار ميتاً ألا يا أشباحاً بلا أرواح، وذباباً بلا مصباح، كأنكم خشب مسندة، وأصنام مريدة؟ ألا تأخذون الذهب من الحجر؟ ألا تقتبسون الضياء من النور الأزهر؟ ألا تأخذون اللؤلؤ من البحر؟ خذوا الكلمة الطيبة ممن قالها، وإن لم يعمل بها فان الله يقول: «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين

هداهم الله»

ويحك يامغرور ألاتحمد من تعطيه فانياً ، ويعطيك باقياً درهم يفنى بعشرة تبقى إلى سبعمأة ضعف مضاعفة من جواد كريم آتاك الله عند مكافأة ، هو مطعمك و ساقيك وكاسيك ومعافيك و كافيك و ساترك ممن يراعيك من حفظك فى ليلك و نهارك وأجابك عند إضطرارك وعزم لك على الرشد فى إختيارك ، كأنك قد نسيت ليالى أوجاعك وخوفك ، دعوته فاستجاب لك ، فاستوجب بجميل صنيعه الشكر .

فنسيته فيمن ذكرو خالفته فيما أمر ، ويلك إنما أنت لص من لصوص الذنوب كلما عرضت لك شهوة أو إرتكاب ذنب ،سارعت إليه و أقدمت بجهلك إليه فارتكبته كأنك لست بعين الله ، أو كأن الله ليس لك بالمرصاد ياطالب الجنة ما أطول نومك ، و أكل مطيتك و أوهى همتك فلله أنت من طالب و مطلوب ؟ و ياهارباً من النار ماأحث مطيتك إليها؟ وماأكسبك لما يوقعك فيها ؟

انظروا إلى هذه القبور سطوراً بأفناء الدور تدانوا فى خططهم ، وقربوا فى مزارهم وبعدوا فى لقائهم عمروا ، فخربوا وأنسوا فأوحشوا و سكنوا فأزعجوا و قنطوا فرحلوا ، فمن سمع بدان بعيد ، و شاحط قريب ، وعامر مخرب ، وآنس موحش وساكن مزعج ، وقاطن مرحل غير أهل القبور ؟

يابن الأيام الثلاث : يومك الذى ولدت فيه ، ويومك الذى تنزل فيه قبرك و يومك الذى تخرج فيه إلى ربك ، فياله من يوم عظيم ، ياذوى الهيئة المعجبة و الهيم المعطنة ! مالى أرى أجسامكم عامرة ، وقلوبهم دامرة ! أما والله لو عاينتم ما أنتم ملاقوه ! وماأنتم إليه صائرون لقلتم : « ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا و نكون من المؤمنين »قال جل من قائل: « بل بدالهم ماكانوا يخفون . . . ولوردوا لعادوا لمانهوا عنه و انهم لكاذبون » .

ونعم ماقال إبن السماك :

يا كاتم الذنب أما تستحيى　　　　والله فى الخلوة رائيكا
غرك من ربك إمهاله　　　　وستره طول مساويكا .

وقال آخر :

يقول مولاى أما تستحيى　　　　مما أرى من سوء أفعالك



«الغرور و أسبابه»

ومن أسباب الغرور: الجهل والغفلة والاستبداد بالرأى ومسوّلات النفس، والباطل، والآمال والأمن، والحياة الدنيا و متاعها، ومصاحبة الأشرار و تأخير العذاب . . .

ومن خطاب الله عزوجل للانسان :

« يابن آدم الايغرّنك ذنب الناس عن ذنبك ، ولانعمة الناس عن نعمة الله عليك ، ولاتقنط من رحمةالله ، وأنت ترجوهالنفسك »

و إن كثيراً من عصاة المسلمين يغترّون بغير ما يغترّ به الكفار ، وهم يقولون : انالله تعالى كريم رحيم ، فنرجوا رحمته و كرمه ، فان رحمتهوسعت كل شيء ، و أين معاصى العباد من رحمته والرجاء مقام محمود . . . غفلة عن قوله عزوجل : « ان رحمةالله قريب من المحسنين » الاعراف : ٥٦) وقوله :«ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله » البقرة : ٢١٨) يعنى ان الرجاء إنما يليق بمثلهم وقوله : « ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » الاعراف : ١٥٦)

ومن الحمق والجهل ان من رجى شيئاً ، فلم يطلبه ، ومن خاف شيئاً فلم يهرب منه ، ومثله كمثل الذى يرجو ولداً منغيرتزويج ، وعلماً من غير تعلّم، وقبول عبادة من غيرتعبّد ، وحصاداًمن غيرزرع . . . فكذا من رجى رحمتهجل وعلا ، ولم يعمل الصالحات ولم يترك السيئات . . .

ومنهم من يغترّ بالنسبوصلاح الآباء وعلوّ رتبتهم ، وهم غافلون عن كونهم

مخالفين سيرة آبائهم في الايمان وصالح الاعمال . . . وانهم ليسوا بأكرم على الله جل وعلا من آبائهم ، وآباؤهم مع غاية تقواهم وورعهم كانوا خائفين باكين ليلاً و نهاراً ، وهم مع ضعف ايمانهم أو إنهماكهم في المعاصي والذنوب قد أصبحوا راجين آمنين ، فغفلوا عن قوله تعالى : « إن أكرمكم عندالله أتقاكم » الحجرات:١٣)

وقوله : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون و من خفّت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم » المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣)

وقوله : « يوم يفرّ المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته و بنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٤ ـ ٣٧)

فربما سوّل لهم الشيطان ان إنساناً إذا أحبّ أحدا أحبّ أولاده تبعاً ، وان الله سبحانه إذا أحبّ الآباء فهو يحبّ الابناء تبعاً ، فلا حاجة إلى بذل الجهد في الطاعات وترك المعاصي .

فغفلوا عن انه ليس بين الله عزوجل ، وبين أحد قرابة ونسبة ، وإن الله عزو جل يحبّ المطيع ويبغض العاصي سواء كان إبن نوح أو زوجة فرعون ، عرباً أم عجماً ، أسود كان أم أبيض ، ومذكراً كان أم انثى . . .

وقد قال الله عزوجل في جواب نبيه نوح عليه السلام إذ قال : « رب ان ابني من أهلي » : « انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح » هود : ٤٦)

وقال في أب خليله إبراهيم عليه السلام : « وماكان إستغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعده وعدها اياه فلما تبيّن له انه عدوّ لله تبرّ أمنه » التوبة : ١١٤)

وقال في إمرأتي نوح ولوط عليهما السلام و إمرأة فرعون مصر : « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين » التحريم : ١٠ و ١١)

فليس اللون المخصوص أو اللسان المخصوص أو الزوجية لكريم أو الولادة من عالم عامل . . . معياراً للكرامة عندالله عزوجل ، و إنما المعيار هو الايمان والتقوى وصالح العمل .

قال الله عزوجل : « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى و جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم ان الله عليم خبير» الحجرات:١٣)

وقال : « و من يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى و هو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً » النساء : ١٢٤)

فمن ظنّ انه ينجو بايمان أبيه وتقواه فهو كمن ظن انه يشبع بأكل أبيه ، و يروى بشرب أبيه ، ويصير عالماً بعلم أبيه وعابداً بعبادة أبيه ، وزاهداً بزهد أبيه..



«الدنيا و المغترون»

واعلم أنا إذا تدبرنا فيما ورد من أخبار الامم الماضية في القرآن الكريم و الروايات الشريفة وتاريخ الاقوام وما نشاهد في حياة المغترين بالحياة الدنيا و متاعها على اختلاف طبقاتهم وأوضاعهم وأحوالهم في طوال الاعصار ... نجدهم على فرق مختلفة :

فمنهم: من اغترّوا بسطوتهم وسلطانهم وقواهم و حكومتهم على الناس و مقامهم ورئاستهم واشتهارهم . . . فنسوا الله جل وعلا ، وغفلوا عما كانوا من قبل، فأخذوا بسفك الدماء و استعبادهم الناس و هتك الاعراض المحترمة ، و هضم حقوقهم ، والبدع في دين الله تعالى ، وفعلوا مافعلوا فتبعهم الهوان والذلة .. .

قال الله تعالى: « وترى كل امة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ـ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار و مالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا » الجاثية: ٢٨ـ ٣٥)

و قال :« أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة و آثاراً في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق »غافر :٢١)

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إن داود خرج ذات يوم يقرأ الزبور ، وكان إذا

قرأ الزبور لايبقى جبل و لاحجر ولاطاير و لاسبع إلاّ جاوبه ، فمازال يمرّ حتى إنتهى إلى جبل، فاذاً على ذلك الجبل نبى عابد يقال له : حزقيل ، فلما سمع دوى الجبال وأصوات السباع والطير علم انه داود عليه السلام فقال داود :

يا حزقيل ! أتأذن لى فاصعد إليك ؟ قال : لافبكى داود عليه السلام فأوحى الله جل جلاله إليه ياحزقيل لاتعير داود عليه السلام وسلنى العافية ، فقام حزقيل فأخذ بيد داود ، فرفعه إليه ، فقال داود : ياحزقيل ! هل هممت بخطيئة قطّ ؟ قال: لا ، فقال: فهل دخلك العجب مما أنت فيه من عبادة الله عز وجل ؟ قال: لا، قال : فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذتها ؟

قال: بلى، ربما عرض بقلبى قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك ؟ قال: أدخل هذا الشعب ، فاعتبر بما فيه ، قال : فدخل داود النبى عليه السلام الشعب فاذاً سرير من حديد عليه جمجمة بالية و عظام فانية ، وإذا لوح من حديد فيه كتابة ، فقرأها داود عليه السلام فاذاً هى أنا اروى إبن سلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر ، فاذا كان آخر عمرى ان صار التراب فراشى ، و الحجارة و سادتى و الديدان والحيات جيرانى ، فمن رآنى فلايغترّ بالدنيا »

ونعم ما قال الشاعر فيما يناسب قوله تعالى : « و ما غرّك بربك الكريم » حكاية عن شدّاد بن عاد :

إعتبرنى أيّها المغرور بالعمر المديد	أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأساء و الملك المشيد	ان أهل الارض لى من خوف وعدى ووعيد
و ملكت الشرق والغرب بسلطان شديد	و بفضل الملك و العدّة فيه و العديد
فأتى هود و كنا فى ضلال قبل هود	فدعا نالو قبلناه إلى الأمر الرشيد
فعصيناه فناديت ألاهل من محيد	فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد

فتوا فينا كزرع وسط بيداء حصيد

وقد حكى: كان بهلول فى بعض مواقف الحج ، فيذهب هارون الرشيد

على تلك الحال ، فأتى بهلول على مكان رفيع ، وقال : « حدّثنى أبى عن فلان ابن فلان انه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى هذا المكان على حمار له، ولم يكن له ضرب ولا طرد» فسمع هارون فقال: من هذا ؟ فأمر بالتوقف وإحضار القائل ، فقالوا: هذا بهلول ، فأحضروه وكرّر بهلول الحديث ، فصدق هارون وقال :

«عظنى مختصراً مفيداً» فقال: ان الذى فى يدك كان بيد غيرك، ثم انتقل إليك، وعنقريب سينتقل إلى غيرك .

فبكى هارون فأعطاه دراهم ، فلم يقبلها ، وقال : قسّمها بين الفقراء هم صاحبيها ثم ذهب وبذلك قال الشاعر :

دخل الدنيا اناس قبلنا ... رحلوا عنّا و خلّوه لنا
ودخلنا ها كما قد دخلوا ... و نخلّيها لقوم بعدنا

اقول : لو كان بهلول فى زماننا هذا و رآى ضرب الرؤساء المستبدين ، وطرد الاتباع المستكبرين لقال فيهم أكثر مما قال فى هارون الرشيد .. .

وقد ورد : خرج نعمان بن منذر مع عدى بن زيد لرؤية المناظر و الصحراء حتى قربا إلى مقبرة فقال عدى: أيها الملك أتعلم مايقول أصحاب القبور ؟ قال : لا قال عدى : يقولون :

أيها الركب المخبّون ... على الارض المجدّون
كما أنتم كنّا ... و كما نحن تكونون

فرجع النعمان فلم يذهب إلى ما كان يقصده .

أفلا يتفكّر الانسان فيما بيديه متى يستقر؟ وفيما نال به من المقام والعلم والاشتهار والرئاسة والسلطنة والحكومة ... متى تدوم ؟ و فى أنفسهم من القدرة والقوى والحياة ... متى تبقى ؟؟؟

فكأنه يراها باقية لافناء لها، أبدية لازوال لها. . . و من العجب انه يرى الانتقال يوماً فيوماً ، وليلاً ونهاراً ... ولكنه مع ذلك يغترّ بالسلطنة والسطوة ، بالحكومة و القدرة ، بالعدّة والثروة ، و بالشهرة والرئاسة ... غافلاً عن الله القادر القهار المتعال ، وغافلاً عما كان عليه قبل ذلك من الجهل والضعف ، من الهوان و

الذلة ، ومن الفقر والعجز ...

فيظلم على الله سبحانه بالكفر والطغيان والبدعة في دينه والعصيان، و يظلم على الناس بأكل أموالهم بالباطل ، و سفك دمائهم بغير حق ، و هتك أعراضهم المحترمة، واستعبادهم واستثمارهم وهضم حقوقهم... وعلى أنفسهم بالذلة والدمار، والهوان والفرار والعذاب والنار .

قال الله تعالى :« ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور » الحديد : ١٤)

ولعمري لو كانت الدنيا ومتاعها باقية لأحد لمابقى منها لنا اليوم قدر جناح بعوضة وذباب .

و من المغترين : من يغترّ بصالح أعماله من إنفاق الأموال على الفقراء و المساكين ، وعلى تعمير المساجد وبناء المدارس والقناطير ... ولكن على سبيل الرياء و السمعة أو يطرء عليه الغرور بعد العمل مخلصاً :

قال الله عزو جل : « ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله و اليوم الآخر ومثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لايقدرون على شيء مما كسبوا » البقرة:٢٦٤)

وقال:« ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس» الانفال:٤٧)

و أما أرباب العبادة و العمل فمنهم من يغتر بها فرائضها و نوافلها ، و يترك السعي بالتمام في الحياة الدنيا ، ومنهم من يغتر بالمواظبة على الصوم و عنى نفسه بالجوع والعطش من غير حفظ لسانه من الغيبة و الكذب والافتراء ، و عينه عن المحرمات واذنه من المحارم ،وقلبه من سوء النيات ونفسه من رذائل الاخلاق ...

و منهم : من يغترّ بالقيل و القال زعماً بان تركيب الكلمات و تحليل المصطلحات ... من غير استنادها إلى الكتاب والسنة هو علم وحكمة، ومنهم من يغتر بالتزهد في المآكل والملابس والمساكن وماإليها ... تصنّعاً والله جل و علا يعلم

مافي قلبهمن حب الدنيا والرئاسة والجاه... فتركها لنفسها ، فيكيد بذلك أكثر الناس ، وهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم ، فيحمل أوزارهم كاملة يوم القيامة .

وأما أصحاب العلم وأرباب الفضل واحاطة أقوال الآخرين فمنهم من يغتر برقي العلم والصنائع والاكتشافات والاختراعات والطب وماإليها من العلوم الحديثة ، فيرون سعادتهم وسعادة المجتمع البشري في ذلك فحسب .

و منهم : من يغترّ بماأحكم من العلوم العقلية والنقلية ، وتعمق فيها، ولكن غفل عن تفقد الجوارح و حفظها عن المعاصي ، وغفل عن أن العلم إذالم يعمل به كان فساداً في الحرث والنسل ، وفي العقائد والاعمال وفي زمانه وفي جميع الازمان ومن ثم قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « إذا فسد العالم فسد العوالم » وغفل عن أن العلم إذالم يعمل به كان وزراً ووبالاً ، ولم يزدد من الله جل وعلا إلاّ بعداً ،وان العلم يهتف صاحبه بالعمل...

والله عزوجل يقول ـ على طريق التوبيخ والتنديد والوعيد ـ : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة : ۴۴)

ويقول :« لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون » الصف : ٢و٣)

و منهم : من يغترّ بماأحكم من العمل ، ولكنه لم يزكّ نفسه عن الحسد و الرياء والحقد والكبر والعجب وحب الجاه والتقدم ، وما إليها من رذائل الصفات وسوء الاخلاق . ..

و منهم : من يغتر بالالفاظ البارقة ، و الاصطلاحات العلمية ، و إحاطة الاقوال ، والاشتغال بعلم الكلام والجدال ، وقدقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ماضلّ قوم قطّ بعدهدى إلاّ اوتوا الجدال وحرموا العمل»

فغفلوا عن التدبر في الآيات القرآنية ودقائق معانيها ولطائف مضامينها ، و عن المعارف الاسلامية وحكمها ...

و منهم : من يغترّ بتصحيح مخارج الحروف فى القرآن الكريم و ضيع عمره فيه، واقتصر عليه من غير نظر وتدبر فى غرضه ...

أعاذنا الله القادر المتعال من الغرور على أنحائه القبيحة بحق محمد و آله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين .



﴿ كلمات قصار حول الغرور ﴾

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في الغرور وأسبابه وتبعاته نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام علي عليه السلام : « ماالمغرور الذي ظفر من الدنيا بأدنى سهمه كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأعلاهمته»

٢ـ وقال عليه السلام : « من عرف خداع الدنيا لم يغترّ منها بمحالات الأحلام»

٣ـ وقال عليه السلام : « لاغرّة كالثقة بالأيام»

٤ـ وقال عليه السلام : « من ضعفت فكرته قويت غرّته»

٥ـ وقال عليه السلام : « لايلفى العاقل مغروراً »

٦ـ وقال عليه السلام : « لاتغترّ بالرذائل فتسقط قيمتك»

٧ـ وقال عليه السلام : « لاتملّك نفسك لغرور الطمع ولاتجب دواعي الشره فانهما يكسبانك الشقاء والذّل »

٨ـ وقال عليه السلام : « غرّى يادنيا من جهل حيلك و خفي عليه حبائل كيدك »

٩ـ وقال عليه السلام : « الدنيا معدن الشر ومحل الغرور»

١٠ـ وقال عليه السلام : « الدنيا غرور حائل وسراب زائل وسناد مائل»

١١ـ وقال عليه السلام : « إحذر أن يخدعك الغرور بالحائل اليسير أويستزلّك السرور بالزائل الحقير»

١٢ـ وقال عليه السلام : « إياك و كثرة الوله بالنساء و الاغترار بلذات الدنيا فان الوله

بالنساء ممتحن والغرّى باللذات ممتهن »

١٣- وقال عليه السلام: « ان الدنيا غرور حائل و ظلّ زائل و سناد مائل ، تصل العطية بالرزيّة والامنية بالمنية »

١٤- وقال عليه السلام: « اتقوا غرور الدنيا فانها تسترجع أبداً ما خدعت به المحاسن و تزعج المطمئن إليها والقاطن»

١٥- وقال عليه السلام: « ان الدنيا غرّارة خدوع ، معطية منوع ، ملبسة نزوع ، لا يدوم رخائها، و لاينقضى عنائها ، و لا يركد بلائها»

١٦- وقال عليه السلام: « إن من نكد الدنيا أنها لاتبقى على حالة ، ولاتخلو من إستحالة، تصلح جانباً بفساد جانب ، وتسرّ صاحباً بمسائة صاحب ، فالكون فيها خطر ، و الثقة بها غرر ، والاخلاد إليها محال ، والاعتماد عليها ضلال»

١٧- وقال عليه السلام: « إن الدنيا حلوة نضرة، حفّت بالشهوات، وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال ، وتزيّنت بالغرور ، لاتدوم حبرتها ، ولاتؤمن فجعتها ، غرّارة ضرّارة، حائلة زائلة ، نافذة بائدة ، أكّالة غوّالة»

١٨- وقال عليه السلام: « ان الدنيا يونق منظرها ، ويوبق مخبرها ، قد تزيّنت بالغرور، وغرّت بزينتها ، دارهانت على ربها ، فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرّها ، و حلوها بمرّها ، لم يصفها الله لاوليائه ، ولم يضنن بها على أعدائه»

١٩- وقال عليه السلام: « ماالدنيا غرتك ولكن بها إغتررت»

٢٠- وقال عليه السلام: « ان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ولا محلّ قرار، وإنّما جعلت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الاعمال الصالحة لدار القرار ، فكونوا منها على أوفاز ولاتخدعنكم العاجلة ولاتغرّنكم فيها الفتنة»

٢١- وقال عليه السلام: « سرور الدنيا غرور ومتاعها ثبور»

٢٢- وقال عليه السلام: « سكون النفس إلى الدنيا من أعظم الغرور»

٢٣- وقال عليه السلام في وصف الدنيا: « غرارة غرور مافيها ، فانية فان مافيها»

٢٤- وقال عليه السلام في وصفها أيضاً: « غرارة ضرّارة حائلة زائدة بائدة نافذة »

٢٥- وقال عليه السلام: « قد تزيّنت الدنيا بغرورها وغرّت بزينتها»

٢٦- وقال عليه السلام: « من اغترّ بالدنيا اغتصّ بالمنى»

٢٧- وقال عليه السلام: « من وثق بغرور الدنيا أمن مخوفه »

٢٨- وقال عليه السلام: « إذا استولى الفساد على الزمان وأهله ثم أحسن الظن رجل برجل فقد غرّ »

٢٩- وقال عليه السلام: « بنا فتح الله، وبنا يختم، وبنا يمحو ما يشاء، ويثبت، وبنا يدفع الله الزمان الكلب، وبنا ينزل الغيث فلا يغرّنكم بالله الغرور»

٣٠- وقال عليه السلام: « لا يذل من اغترّ بالحق »

٣١- وقال عليه السلام: « لا يقيم أمر الله إلاّ من لا يصانع ولا يخادع ولا تغرّه المطامع»

٣٢- وقال عليه السلام: « زد من طول أملك في قصر أجلك، ولا تغرنك صحة جسمك و سلامة أمسك فان مدة العمر قليلة وسلامة الجسم مستحيلة»

٣٣- وقال عليه السلام: « كيف يغتر بسلامة جسم معرض للآفات »

٣٤- وقال عليه السلام: « يستدلّ على العاقل بأربع: بالحزم والاستظهار وقلة اغترار و تحصين الأسرار »

٣٥- وقال عليه السلام: « جماع الغرور في الاستنامة إلى العدوّ »

٣٦- وقال عليه السلام: « من اغترّ بالمهل إغتصّ بالأجل»

٣٧- وقال عليه السلام: « من اغترّ بماله قصر عن إحتياله»

٣٨- وقال عليه السلام: « من اغترّ بمسالمة الزمن اغتصّ بمصادمة المحن »

٣٩- وقال عليه السلام: « يا أهل الغرور ما ألهجكم بدار خيرها زهيد وشرّها عتيد ونعيمها مسلوب، وعزيزها منكوب ومسالمها محروب، ومالكها مملوك وتراثها متروك »

٤٠- وقال عليه السلام: « لا تغترّن بمجاملة العدوّ فانه كالماء وإن اطيل سخانه بالنار لم يمتنع من إطفائه »

٤١- وقال عليه السلام: «خطر الدنيا يسير وحاصلها حقير، وبهجتها زور ومواهبها غرور»

٤٢- وقال عليه السلام: «غرور الأمل ينفد المهل ويدنى الأجل»

٤٣- وقال عليه السلام: «فى غرور الآمال إنقضاء الآجال»

٤٤- وقال عليه السلام: «قد تغرّ الامنية»

٤٥- وقال عليه السلام: «قد ذهب عن قلوبكم أصدق الأجل وغلبكم غرور الأمل»

٤٦- وقال عليه السلام: «كفى بالأمل إغتراراً»

٤٧- وقال عليه السلام: «لكل أمل غرور»

٤٨- وقال عليه السلام: «من اغترّ بالأمل خدعه»

٤٩- وقال عليه السلام: «من غرّته الأمانى كذبته الآمال»

٥٠- وقال عليه السلام: «ذلّ الرجال فى المطامع وفناء الآجال فى غرور الآمال»

٥١- وقال عليه السلام: «لا يفتننّكم الدنيا ولا يغلبنّكم الهوى ولا يطولنّ عليكم الأمد ولا يغرّنكم الأمل، فان الأمل ليس من الدين فى شىء»

٥٢- وقال عليه السلام: «كم من مغرور بالستر عليه»

٥٣- وقال عليه السلام: «لا تفعلن ما يغرّك معابه»

٥٤- وقال عليه السلام: «ليس كل مغرور بناج ولا كل طالب محتاج»

٥٥- وقال عليه السلام فى حق من ذمّه: «إن سقم فهو نادم على ترك العمل، وإن صحّ أمن مغترّاً فأخّر العمل إن دعى إلى حرث الدنيا عمل، وإن دعى إلى حرث الآخرة كسل إن استغنى بطر وفتن إن افتقر قنط، ووهن إن أحسن إليه جحد، وإن أحسن تطاول وامتنّ إن عرضت له معصية واقعها بالاتكال على التوبة»

٥٦- وقال عليه السلام: «الجهل يجلب الغرر»

٥٧- وقال عليه السلام: «الجاهل من انخدع لهواه وغروره»

٥٨- وقال عليه السلام: «الجهل يوجب الغرور»

٥٩- وقال عليه السلام: «غرّ جهولاً كاذب ففاته حسن عمله»

٦٠- وقال عليه السلام: « كفى بالاغترار جهلاً»

٦١- وقال عليه السلام: « الكافر خبّ لئيم خؤون مغرور بجهله مغبون »

٦٢- وقال عليه السلام: «كسب العقل الاعتبار والاستظهار و كسب الجهل الغفلة والاغترار»

٦٣- وقال عليه السلام: « من جهل إغترّ بنفسه وكان يومه شراً من أمسه »

٦٤- وقال عليه السلام: « من اغترّ بنفسه سلّمته إلى المعاطب »

٦٥- وقال عليه السلام: « من استبدّ برأيه فقد خاطر وغرّر »

٦٦- وقال عليه السلام: « من غرّه السراب تقطّعت له الأسباب »

٦٧- وقال عليه السلام: « مثل الدنيا كمثل الحية ليّن مسّها والسّم القاتل في جوفها يهوى إليها الغرّ الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل»

٦٨- وقال عليه السلام: « لاتغرّنك ما أصبح فيه أهل الغرور بالدنيا، فانما هو ظلّ ممدود إلى أجل محدود »

٦٩- وقال عليه السلام: « لاتغرّنك الأماني والخدع ، فكفى بذلك خرقاً »

٧٠- وقال عليه السلام: « المؤمن غرّ كريم مأمون على نفسه حذر محزون »

٧١- وقال عليه السلام: « الحازم من لم يشغله غرور دنياه عن العمل لاخراه »

٧٢- وقال عليه السلام: « ان الحازم من يغترّ بالخدع »

٧٣- وقال عليه السلام: « قد يسلم المغرور»

٧٤- وقال عليه السلام: « لاتغرنك العاجلة بزور الملاهي فان اللهو ينقطع و يلزمك ما اكتسبت من الاثم»

٧٥- وقال عليه السلام: «الغفلة تكسب الاغترار وتدني من البوار»

٧٦- وقال عليه السلام: « إياك والغفلة والاغترار بالمهلة، فان الغفلة تفسد الاعمال والآجال تقطع الآمال»

٧٧- وقال عليه السلام: « بينكم وبين الموعظة حجاب من الغفلة والغرّة »

٧٨- وقال عليه السلام: « سكر الغفلة والغرور أبعد إفاقة من سكر الخمور »

٧٩- وقال عليه‌السلام: « فى السكون إلى الغفلة إغترار »

٨٠- وقال عليه‌السلام: « الغفلة غرور »

٨١- وقال عليه‌السلام: « الباطل غرور خادع »

٨٢- وقال عليه‌السلام: « المغترّ بالآمال مخدوع »

٨٣- وقال عليه‌السلام: « الآمال غرور الحمقى »

٨٤- وقال عليه‌السلام: « الشقىّ من اغترّ بحاله وانخدع لغرور آماله »

٨٥- وقال عليه‌السلام: « أكذب الأمل ولاتثق به فانه غرور وصاحبه مغرور »

٨٦- وقال عليه‌السلام: « إحذروا سوء الأعمال وغرور الآمال ونفاد الأمل وهجوم الأجل »

٨٧- وقال عليه‌السلام: « الأمن إغترار »

٨٨- وقال عليه‌السلام: « إياك وطول الأمل، فكم من مغرور إفتتن بطول أمله و أفسد عمله و قطع أجله فلا أمله أدرك ولامافاته إستدرك »

٧٩- وقال عليه‌السلام: « إياك و خبث الطوية و إفساد النيّة ور كوب الدنية و غرور الامنية »

٩٠- وقال عليه‌السلام: « أين يغرّكم سراب الآمال »

٩١- وقال عليه‌السلام: « لاتغترنّ بالأمن فانك مأخوذ من مأمنك »

٩٢- وقال عليه‌السلام: « الاغترار بالعاجلة خرق »

٩٣- وقال عليه‌السلام: « العاجلة غرور الحمقى »

٩٤- وقال عليه‌السلام: « أحمق الحمق الاغترار »

٩٥- وقال عليه‌السلام: « إن من غرّته الدنيا بمحال الآمال وخدعته بزور الأمانى أورثته كمهاً وألبسته عمى وقطعته عن الاخرى وأوردته موارد الردى »

٩٦- وقال عليه‌السلام: « أكبر الحمق الاغترار »

٩٧- وقال عليه‌السلام: « إنكم إن اغترتم بالآمال تخرّمتكم بوادر الآجال وقدفاتتكم الاعمال »

٩٨- وقال عليه السلام: « عند غرور الآمال و الأطماع تنخدع عقول الجهال و تختبر ألباب الرجال »

٩٩- وقال عليه السلام: « الحذر الحذر أيها المغرور والله لقد ستر حتى كأنه قد غفر »

١٠٠- وقال عليه السلام: « إياك أن تغترّ بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها و تكالبهم عليها فقد نبّاك الله عنها، و تكشّفت لك عن عيوبها و مساويها »

١٠١- وقال عليه السلام: « إياك أن تغترّ بغلطة شرّير بالخير »

١٠٢- و قال عليه السلام: « لا حزم مع غرّة »

١٠٣- وقال عليه السلام: « الغرّة جهالة »

١٠٤- وقال عليه السلام: « غرور الدنيا يصرع »

١٠٥- وقال عليه السلام: « غرور الهوى تخدع »

١٠٦- وقال عليه السلام: « غرور الشيطان يسوّل ويطمع »

١٠٧- وقال عليه السلام: « غرور الأمل يفسد العمل »

١٠٨- وقال عليه السلام: « غرور الجاهل بمحالات الباطل »

١٠٩- وقال عليه السلام: « غرور الغنا يوجب الأشر »

١١٠- وقال عليه السلام: « غرّ عقله من أتبعه الخدع » وفي نسخة « اتبع الخدع » بغير ضمير الوصل.

١١١- وقال عليه السلام: « لو رأيتم الأجل و مسيره لابغضتم الأمل و غروره »

١١٢- وقال عليه السلام: « المخاطر متهجّم على الغرر »

١١٣- وقال عليه السلام: « كفى بالمرء غروراً أن يثق بكلّما تسوّل له نفسه »

١١٤- وقال عليه السلام: « الدنيا حلم و الاغترار بها ندم »

١١٥- وقال عليه السلام: « إلصق بأهل الخير و الورع و رضّهم على أن لا يطروك، فان كثرة الاطراء تدني من الغرّة و الرضا بذلك يوجب من الله المقت » قوله عليه السلام « الاطراء »: الثناء الكثير.

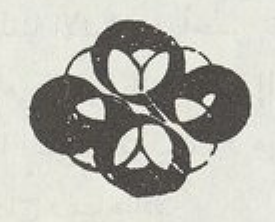
١١٦ـ وقال عليه السلام : « أجهل الناس المغترّ بقول مادح متملّق يحسّن له القبيح و يبغّض (يبغض خ) إليه النصيح»

١١٧ـ وقال عليه السلام :« من لم يقدم فى إختيار الاخوان الاختبار دفعه الاغترار إلى صحبة الاشرار »

١١٨ـ وقال عليه السلام :« طوبى لمن لاتقتله قاتلات الغرور»

١١٩ـ و قال عليه السلام فى حق من أثنى عليه : « لم يقتله قاتلات الغرور ولم تعمّ عليه مشتبهات الامور»

١٢٠ـ وقال عليه السلام :« من كثرت تجربته قلّت غرّته »



﴿صورة الانسان وتصويره﴾

قال الله تعالى: « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ما شاء ركبك » الانفطار: ٦-٨)

وقال: « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم » آل عمران: ٦)

وقال: « وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » غافر: ٦٤)

واعلم أن صورة الانسان إطلاقاً أحسن صورة متمايزة من سائر الصور الخارجة من دائرة الانسان من الموجودات كلها، إذ لا تشبه صورته بصورة من تلك الصور مع كونها متمايزة من صور أفراده، إذ لكل صورة غير ما لغيره من نوعه

قال الله عزوجل: « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » التين: ٤)

وان الصورة فى الأصل هى: الميل لأنها مائلة إلى بنية بالشبه لها. وهى فى الاصطلاح: هيئة يكون عليها الشىء بالتأليف، وهى تعمّ لكل ما يصوّر مشبهاً بخلق الله تعالى من ذوات الارواح وغيرها ...

وفى الحديث: قال رسول الله ﷺ: « ان البيت الذى فيه تصاوير لا تدخله الملائكة - أى ملائكة الرحمة - ولكن تدخله ملائكة العذاب »

وفى حديث آخر: ان رسول الله ﷺ رآى ستراً فيه تمثال، فهتكه ولم يدخل البيت الذى كان معلقاً عليه.

وبذلك نهى عن تصوير الصور والتماثيل والمجسمة ...

وفى حديث : قال النبى الكريم (ص) : « من صوّر صورة كلّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ثم قال : ان أصحاب هذه الصور يعذّبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم».

و فى الفقيه : باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام- فى حديث المناهي- قال: نهى رسول الله (ص) عن التصاوير وقال : من صوّر كلّفه الله تعالى يوم القيامة أن ينفخ فيها وليس بنافخ ، ونهى أن يحرق شيء من الحيوان بالنار ونهى عن التختم بخاتم صفر أوحديد ، ونهى أن ينقش شيء من الحيوان على الخاتم .

وفى الخصال: باسناده عن محمد بن مروان عن أبى عبدالله (ع) قال: سمعته يقول : ثلاثة يعذّبون يوم القيامة ، من صوّر صورة من الحيوان يعذّب حتى ينفخ فيها، وليس بنافخ فيها، والمكذب فى منامه يعذّب حتى يعقد بين شعيرتين ، وليس بعاقد بينهما ، والمستمع إلى حديث قوم وهم له كارهون يصب فى اذنه الانك و هو الاسرب .

وفيه : باسناده عن إبن عباس قال: قال رسول الله (ص) :من صوّر صورة عذّب و كلف أن ينفخ فيها، وليس بفاعل ، ومن كذب فى حلمه عذّب و كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل ، ومن استمع إلى حديث قوم و هم له كارهون يصبّ فى اذنيه الانك يوم القيامة . قال سفيان : الانك الرصاص

ولعل السبب فى ذلك ان فى التصوير مضاهاة لخلق الله جل و علا ، و فى بعض التصاوير ما كان يعبده الانسان .

وان الصورة إسم مشترك قد يطلق على ترتيب الاشكال، ووضع بعضها على بعض ، وإختلاف تركيبها وهى الصورة المحسوسة، وقد يطلق على ترتيب المعانى التى ليست محسوسة ، بل للمعانى ترتيب أيضاً وتركيب وتناسب ، ويسمى ذلك صورة ،فيقال : صورة المسئلة كذا و كذا وصورة الواقعة وصورة المسئلة الحسابية و

العقلية كذاو كذا ...

وأما التصوير فهو: جعل الشيء على صورة لم يكن عليها ، وان التصوير هو: إلقاء الصورة على الشيء ، فالصورة تعمّ ماله ظلّ كالتمثال وما لاظلّ له.

في الدر المنثور : عن مالك بن الحرث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا أراد الله أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها، فاذا كان اليوم السابع أحضر الله كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ: «في أيّ صورة ما شاء ركبك»

قيل : و من هنا يعلم علة لزوم غسل ـ بفتح الغين ـ تمام البدن ، وايصال الماء إلى جميع أعضائه في الغسل ـ بضم الغين ـ كما يحصل الرخاء في تمام الاعضاء بعد خروج المني .

وفيه : عن عبدالله بن بريدة أن رجلاً من الانصار ولدت له إمرأته غلاماً أسود فأخذ بيد إمرأته، فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: والذي بعثك بالحق لقد تزوجني بكراً ، و ما أقعدت مقعده أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صدقت إن لك تسعة و تسعين عرقاً وله مثل ذلك، فاذا كان حين الولد إضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلاّ يسئل الله يجعل الشبه له .

و في العلل : باسناده عن الحسن بن فضّال عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال :قلت له : لم خلق الله عز و جل الخلق على أنواع شتّى ، ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟ فقال: لئلا يقع في الاوهام انه عاجز ولايقع صورة في وهم ملحد إلاّ وقد خلق الله عز وجل عليها خلقاً لئلا يقول قائل .

هل يقدر الله عز و جل على أن يخلق صورة كذاو كذا ؟ لانه لايقول من ذلك شيئاً إلاّ وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه انه على كل شيء قدير .

وفيه : عن يزيد بن سلام انه سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان آدم خلق من الطين كله أو

من طين واحد؟ قال: بل من الطين كله، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة، قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض وفيه أخضر، وفيه أشقر وفيه أغبر وفيه أحمر، وفيه أزرق، وفيه عذب. وفيه ملح وفيه خشن وفيه لين، وفيه أصهب فلذلك صار الناس فيهم لينٌ وفيهم خشن وفيهم أبيض، وفيهم أصفر وأحمر، وأصهب وأسود على ألوان التراب.

أقول: وقد نقل الباحثون: ان النطفة إذا استقرت في الرحم فلها صور مختلفة:

الاول: ان لها صورة كالجراثيم المقاعيّة.

الثاني: انها تصير علقة ملتفة شبه ثلاثة أرباع الدائرة.

الثالث: انها تصير مثل الضفدع.

الرابع: يظهر لها العمود الفقرى، ولها منقار طائر وجسم الحشرة.

الخامس: تصير كذوات الاربع.

السادس: تنمو الرأس ويرسم الذراعين، وتتهيأ مواضع الاعضاء للنمو، ويرسم العينان والمنخران والفم، ويظهر التأنيث فيها، وهذا في شهر الرابع، و يظهر فيه تصوير الجنين.

السابع: يفرق بين الذكر والانثى في شهر الخامس.

الثامن: يصل طوله من (١١) عقدة - إلى - (١٤) عقدة في شهر السادس.

التاسع: يصل طوله من ١٣ عقدة - إلى - ١٦ عقدة في شهر السابع.

العاشر: تفتح العينان ويكسى جلد الرأس بالشعر، ويكون طوله من ١٦ عقدة - إلى - ١٨ عقدة هذا في شهر الثامن.

والحادي عشر: يصل طوله من ١٨ - إلى - ٢٠ عقدة هذا في شهر تاسع، فاذا تم التاسع ومضت بضعة أيام تولد.

قال الله تعالى: « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا

العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون: ١٢ـ١٤)

وان هذه النطفة من زمان خليتها إلى و لادتها تسير مصير الانسانية كبذر الحنطة تبذر في الارض بذر حنطة من حين نموّها وحصادها كما ان الانسان إنسان من حين ولادته إلى زمان موته ، ثم يبعث إنساناً ، وإن تتغيّر بعد بصور أعماله ...

وان صورة الانسان أكبر حجة لله جل و علا على خلقه لأنها أقربها إليهم و دلائلها أوضح وبراهينها أصح، وهذه الصورة هي الكتاب الذي كتبه الله جل وعلا بيده ، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي الميزان الذي وضعه بين خلقه ، و هي المكيال الذي يكيل لهم به يوم القيامة ما يستحقونه من الثواب والجزاء و هي المجموع فيها صور العالمين جميعاً ، و هي المختصر من العلوم التي في اللوح المحفوظ ، وهي الشاهد على كل جاحد وهي الطريق إلى كل خير، و هي الصراط الممدود بين الجنة والنار .

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام :

دواؤك فيك و ما تبصر و داؤك منك و ما تشعر
وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الا كبر

وان الانسان من حيث ما اجتمع فيه قوى الموجودات صار وعاء لمعاني العالم وطينة صوره ومعدن آثاره ومجمع حقائقه ، و كأنه مركب من جمادات ونباتات وبهائم وسباع وشياطين وملائكة ، ولذلك قد يظهر في شعار كل واحد من ذلك . فيجري تارة مجرى الجمادات في الكسل ، وقلة التحرك والانبعاث .

وقد يظهر في شعار النباتات الحميدة أو الذميمة ، فيصير إما كالا ترج الذي يطيب حمله و نوره وعوده وورقه، أو كالنخل والكرم فيما يؤتي من النفع أو كالكشوث ـ نبت يتعلق بالاغصان لا عرق له ولا ورق ولا نسيم ولا ظل و لا زهر ويفسد الثمار و بعض الاشجار ـ في عدم الخير، أو كالحنظل في خبث المذاق ، ويظهر تارة في شعار الحيوانات المحمودة والمذمومة ، فيصير إما كالنحل في كثرة منافعه وقلة مضارّه

وفي حسن سياسته .

أو كالطير المسمى بأبي الوفا ، أو كالخنزير في الشره ، أو كالذئب في العيث أو كالكلب في الحرص ، أو كالنمل في الجمع أو كالفأر في السرقة ، أو كالهرة في التملق أو كالثعلب في المراوغة ، أو كالقرد في المحاكاة أو كالحمار في البلادة أو كالثور في الفظاظة ... وإلى هذا النحو من المشابهات أشار جل وعلا بقوله :« وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ امم أمثالكم » الانعام : ٣٨)

ويظهر تارة في شعار الشياطين، فيغوى ويضلّ ويسوّل بالباطل في صورة الحق.

قال الله تعالى :« شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » الانعام : ١١٢)

وان الانسان إنما يكون إنساناً بحقيقته إذا وضع كل واحد من هذه الاشياء في موضعه حسب ما يقتضيه العقل المرتضى المستبصر بنور الشرع ، ويكون إنساناً بصورته ما لم يفعل ذلك .

قال الله تعالى :« لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩)



﴿صورة الانسان و حقيقته﴾

ومن البديهي ان ماهية كل شيء تحصل بصورته التي يتميّزبها عن أغياره كصورة السكين والقلم والسيف والمنجل ونحوها...

ولماكان الانسان مركباً من جزئين: بدن محسوس، وروح معقول كمانبّه الله تعالى عليه بقوله: «اني خالق بشراً من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين» ص: ٧١ ٧٢)

كان له بحسب كل واحد من الجزئين صورة بماتناسبه، فصورته المحسوسة البدنية: إنتصاب القامة وعرض الظفر وتعرى البشرة عن الشعر والضحك، و صورته المعقولة الروحانية: العقل والفكر والتدبر والرؤية والنطق... قالوا: ان الانسان هو الحيوان الناطق، ولم يعنوا بالناطق اللفظ المعبّر به فقط، بل عنوا به المعاني المختصّة بالانسان، فعبّروا عن كل ذلك بالنطق.

فقد يعبّر عن جملة الشيء بأخص مافيه أو بأشرفه أو بأوّله كقولك: سورة الرحمن، وسورة يوسف وسورة ايلاف وسورة يس ونحو ذلك...

فالانسان يقال: على ضربين: عام وخاص، فالعام أن يقال: لكل منتصب القامة مختص بقوّة الفكر وإستفادة العلم و قدرة البيان. وأما الخاص فأن يقال: لمن عرف الحق فاعتقده، و تعلّم العلم فعمل به، عرف الباطل فأنكره والخير فعمله بحسب وسعه، وهذا معنى يتفاضل فيه الناس، ويتفاوتون فيه تفاوتاً بعيداً، وبحسب تحصيله يستحق الانسانية، وهي تعاطي الفعل المختص بالانسان، فيقال:

فلان أكثر إنسانية .

وكما يقال : ان الانسان على وجهين يقال : له الحيوان الناطق على وجهين أيضاً : عام ، ويراد به من في قوة نوعه إستفادة الحق والخير كقولك : الانسان هو الكاتب دون الفرس والحمار أى هو الذى في قوته إستفادة الكتابة . وخاص ويراد به من حصل الحق فاعتقده والخير فعمله والعلم فعمل به، كما يقال : زيد هو الكاتب دون عمرو أى هو المختص بعلم الكتابة .

وكذا يقال له : عبدالله على وجهين : عام ويراد به الحيوان المتعرض لارتسام أوامر الله إرتسم أم لم يرتسم وهو المشار إليه بقوله جل وعلا : « ان كل من في السموات والارض إلا آتى الرحمن عبداً » مريم : ٩٣) وخاص وهو المرتسم لأوامر الله تعالى كما قال : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » الحجر : ٤٢)

وكذلك يقال له : حيّ سميع بصير متكلم و عاقل كل ذلك على وجهين : يقال : عاماً وهو لمن له الحياة الحيوانية التي بها الحس والحركة والتخيل والنزوع والشهوة . . . ومن سمع الاصوات و لمن يدرك الالوان ، ولمن يفهم الكافة بما يريده ، ولمن له القوة التي يتبعها التكليف .

و يقال : خاصاً وهو لمن له الحياة التي هي العلم المقصود بقوله تعالى : « لينذر من كان حياً » يس : ٧٠) ، وله السمع الذى يسمع به حقائق المعقولات، و له البصيرة التي يدرك بها الاعتبارات ، وله اللسان الذى يورد به التحقيقات . وهي التي نفاها الله عزوجل عن الكفار الجهلة ، عن الفجار السفلة ، و عن الفسّاق البطلة في قوله : « صم بكم عمى فهم لا يعقلون » البقرة : ١٧١)

قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام في حق من ذمّه : « فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان »

وان الانسان من بين الموجودات مخلوق خلقة تصلح للدارين ، و ذلك ان الله عزوجل قد أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء :

نوعاً لدار الدنيا وهى الحيوانات على أنواعها . . .

ونوعاً للدار الآخرة وهو الملأ الاعلى .

ونوعاً للدارين ، وهو الانسان فالانسان واسطة بين جوهرين : وضيع وهو الحيوان ورفيع وهو الملائكة ، فجمع فيه قوى العالمين ، و جعله كالحيوان فى الشهوة البدنية والغذاء والتناسل والمهارشة والمنازعة و غير ذلك من أوصاف الحيوان . . . وجعله كالملائكة فى العقل والتدبير والعلم والعبادة والطاعة والصدق والوفاء وما إليها من الصفات الفاضلة . . .

ولعل وجه الحكمة فى ذلك ان الله عزوجل لما رشّح الانسان لعبادته و خلافته وعمارة أرضه وهيّأه مع ذلك لمجاورته فى جنته إقتضت الحكمة أن يجمع له القوتين ، فانه لو خلق كالبهيمة معرّى عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى و خلافته كما لا يصلح لذلك البهائم ولا لمجاورته ودخول جنته . . . ولو خلق كالملائكة معرّى عن الحاجة البدنية فلا يصلح لعمارة أرضه كما لا يصلح لذلك الملائكة حيث قال الله تعالى فى جوابهم : « انى أعلم مالا تعلمون » البقرة : ٣٠)

فاقتضت الحكمة الالهية أن تجمع لهذا الانسان القوتان ، وفى إعتبار هذه الجملة تنبيه على أن الانسان دنيوى واخروى ، وانه لم يخلق عبثاً ولا يترك سدى كما نبه الله تعالى عليه بقوله : « أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون » المؤمنون : ١١٥)

وقوله : « أيحسب الانسان أن يترك سدى » القيامة : ٣٦)

أيستطيع من عرف ما فى تصوير هذا الانسان عجيب الخلقة فى الارحام وبعد الولادة من الحكم والنظام والتقويم والتدبير ، ومن الحسن والجمال والجلال أن يقول : انه خلق عبثاً وترك سدى فلا حساب ولا جزاء ولا بعث ، فضلاً عن مقولة المصادفة والاتفاق ، ولم يذعن بأن ذلك كان من فعل عالم خبير بالدقائق حكيم

يستحيل عليه العبث عزيز لايغلب على ما قضى به علمه ، و تعلقت به إرادته واحد لاشريك له فى إبداعه .

قال الامام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « حسن الصورة أول السعادة » .

وقال عليه السلام : « حسن الصورة الجمال الظاهر »

وأما الكمال الانسانى فبسيرته لابصورته ، ونعم ماقيل : ان الروح بمنزلة المادة ، والدين بمنزلة الصورة ، تتوقف فعلية المادة بالصورة ، فكل روح إنسانى لم يمتزج بالعقيدة الحقة لاتظهر حقيقة الروح ، ولم تبرز آثارها ولاعظمته ولا فضائل الا نسانية و الاخلاق الكريمة ، بل تصير الروح منشأ لجميع الرذائل و الاخلاق الذميمة ...



﴿في معنى خلق آدم على صورة الله سبحانه﴾

فـي عيون الاخبار : « وقد سئل ـ الامام على بن موسى الرضا عليه السلام ـ: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! ان الناس يرون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « ان الله خلق آدم على صورته » ؟ فقال عليه السلام : والله لقد حذفوا أول الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ برجلين يتسابّان ، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك ،فقال : ياعبدالله لاتقل هذا لأخيك ، فان الله خلق آدم على صورته .

وقداختلفت كلمات العلماءفي معنى الحديث إختلافاً كثيراً لانرى لذكر جميعها فائدة فنشير إلى أهمها :

أحدها ـ أن يكون الضمير في« صورته » راجعاً إلى إسم الله تعالى: فالمعنى خلق الله آدم على الصورة التى أنشأها الله و قدّرها ، فيكون المصدر حينئذ مضافاً إلى الفاعل لانه تعالى هو المصور لاأن له سبحانه صورة ولاتمثالاً ، كمايقال: لعمر الله إنما هو و الحياة التى كانت بالله والتى آتانيها الله لاأن له تعالى حياة تحلّه ولا هو جلّ وعلا محلّ للاعراض .

ثانيها ـ أن يكون الضمير راجعاً إلى آدم عليه السلام فالمعنى : خلق الله تعالى آدم على صورة أمثاله ممن هو مخلوق مدبّر ، فيكون حينئذ كقوله تعالى : « في أيّ صورة ماشاء ركبك » وخصّ بآدم عليه السلام لان الناس خلقوا على أطوار سبعة : نطفة ثم علقة إلى تمام ما فصّل في الكتاب الكريم ، ثم انهم كانوا يتدرجون من صغر إلى كبر سوى آدم عليه السلام فانه خلق أولاً على ماكان عليه آخراً .

ثالثها - أن يكون الضمير راجعاً إلى الرجل المنهى عن ضربه، و هذا من نوع الاكرام لآدم عليه السلام أن ينهى عن ضرب إنسان لانه على الصورة التى بها آدم عليه السلام.

رابعها: وقد ذهبت الأشاعرة من العامة إلى أن المراد بالحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته هو.

اقول: ان الحديث لو أخذنا بظاهره فانه يتعارض مع آيات صريحة فى نفى تشبيهه جل وعلا بأى شيء منها قوله تعالى: «ليس كمثله شيء» الشورى: ١١) كما أنه يتعارض مع عدد كبير من الاخبار الصحيحة فى منع التشبيه والتجسيم على الله سبحانه. فلا يكون القصد من هذا الحديث و نظائره معنى الجوارح أو الاستواء المادى أو الظواهر الحسية، بل لا بد من الفرض لهذه الالفاظ من صورتها المعنوية.

ومن غير مراء ان الصورة إسم مشترك - كما سبق منا آنفا - قد يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها على بعض - إلى آخر ماتقدم - وقد يطلق على الذات والصفات والافعال ... فاذا عرفت ذلك تعرف معنى الحديث بلا اخفاء.

فالمراد بآدم عليه السلام روحه المجرد لا جسده العنصرى، فان آدميت آدم بروحه لا بجسده، وان الله جل وعلا مجرّد.

وذلك لان حقيقة ذات الروح انه قائم بنفسه ليس بعرض ولا بجسم ولا جوهر متحيز، ولا يحلّ المكان والجهة، ولا هو متصل بالبدن والعالم ولا هو منفصل ولا هو داخل فى أجسام العالم والبدن ولا هو خارج، وهذا كله فى حقيقة ذات الله عز وجل.

و أما فى الصفات فان الله تعالى خلق الروح حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً ومتكلماً ... والله جل وعلا كذلك والفرق هو الحدوث والقدم، والنهاية وعدمها.

وأما الافعال فمبدأ فعل الآدمى إرادة يظهر أثرها فى القلب أولاً، فيسرى منه أمر بواسطة الروح الحيوانى الذى هو بخار لطيف فى تجويف القلب، فيتصاعد منه إلى الدماغ ثم يسرى منه أثر إلى الاعصاب الخارجة من الدماغ، ومن الاعصاب إلى الاوتار والرباطات المتعلقة بالعضل، فتنجذب الاوتار فيتحرك بها الاصابع و

يتحرك بالاصابع القلم، وبالقلم المداد مثلاً، فيحدث منه صورة مايريد كتبه على وجه القرطاس على وجه المتصور فى خزانة التخيل، فانه مالم يتصور فى خياله صورة المكتوب أولاً لايمكن احداثه على البياض ثانياً.

ومن تدبّر فى أفعال الله تعالى و كيفية احداثه النبات و الحيوان على وجه الارض بواسطة التصرف الآدمى فى عالمه أعنى بدنه يشبه تصرف الخالق فى العالم الاكبر وهو مثله «وليس كمثله شيء» و«إذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون».

و انكشف له ان نسبة شكل القلب إلى تصرفه نسبة العرش و الدماغ نسبة الكرسي والحواس كالملائكة الذين يطيعون الله طبعاً، ولايعصون ماأمرهم به.

فالاعضاء والاعصاب بمنزلة السموات و القدرة فى الاصابع بمنزلة الطبيعة المسخرة المركوزة فى الاجسام والقرطاس والقلم و المداد بمنزلة العناصر التى هى امهات المركبات فى قبول الجمع والتركيب والتفرقة و مرآة التخيل كاللوح المحفوظ.

فمن اطلع بالحقيقة على هذه الحقيقة عرف معنى الحديث، ومعرفة ترتيب أفعال الله تعالى معرفة غامضة جداً يحتاج فيها علوم كثيرة و دقة كاملة.

وفى الحديث عن الامام محمد بن على الباقر عليه السلام: وقد سئل عما يروون الناس ان الله خلق آدم على صورته يعنى صورة الله تعالى؟

فقال عليه السلام: «صور محدثة إصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه فقال: بيتى و نفخت فيه من روحى».

﴿ الملائكة و حفظة الانسان ﴾

قال الله جل وعلا : « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون » الانفطار : ١٠ـ ١٢)

وقال: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » الرعد : ١١)

وقال : « إن كل نفس لما عليها حافظ » الطارق : ٤)

وقال: « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » الانعام : ٦١)

وقال : « اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد » ق : ١٧ـ ١٨)

وقال: « أم يحسبون أنا لانسمع سرّهم ونجواهم بل ورسلنا لديهم يكتبون » الزخرف : ٨٠)

و قد اختلفت كلمات العلماء في الحافظين : أهم الذين يحفظون كل امرىء ويكتبون عمله؟ أم لكل امرىء ملائكة عديدة، فالاثنان منهم يتلقيان عمله، فيحفظانه بالكتابة ، والاخرون منهم يحفظونه من غير أن يكون لهم نظر في عمله ؟

وما يستفاد من الآيات الكريمة والروايات الواردة في المقام : ان الله عز و جل على الناس موكلين مراقبين يتعاقبون على مراقبتهم ، وهم ملائكة اليمين و الشمال، وهم حفظة يحرسونهم من أمامهم ومن خلفهم يراقبون حركاتهم وسكناتهم بأمر الله عزوجل، ويكتبون مايفعلونه ويرصدون كل نفس يتنفس كل امرىء ، و كل خاطر يخطر له أو طرفة عين يطرفها أو خفقة قلب يخفقها ، انه حيث كان و على

أيّ حال كان هو تحت هذه المراقبة التي لاتغفل، وبين هذه الحراسة التي لاتنام، فأنى له أن يخلص إلى نفسه أو يخلو إلى وجوده دون أن ترقبه هذه العيون الراصدة المستعقبة له؟

فهذا الانسان موكّل به من قبل الله تعالى جند يرون الانسان من حيث لا يراهم، وأنهم أشبه بمن يتبع الانسان من وراء عقبه دون أن يراه أو يحسّ به، وهم مع هذا بين يدي الانسان ومن خلفه، وهم يحفظونه بما امروا به من تقدير الله عزوجل وحكمه وقضائه في عباده ... وإن مايكتبونه هو صحف أعمال الناس التي تنشر يوم القيامة وتوزع على أصحابها، وتعطى للناجين بأيمانهم و للخاسرين بشمالهم...

ولما كان الله عزوجل غنياً عن ذلك إذ لايعزب عنه شيء، فالذي يتبادر منه - مع ما ينطوي فيه من حقيقة ايمانية ومع دخول ذلك في نطاق قدرة الله تعالى - انه بسبيل الانذار والترهيب والوعيد باسلوب من الأساليب التي اعتادها الناس في الحياة الدنيا من تسجيل الاحداث وابرار التسجيلات في مقام الاثبات والافحام.

وفيه في نفس الوقت إنذار بعلم الله تعالى بكل مايدور في النفوس الانسانية، وبأن له عليهم رقباء يحصون كل ما يقولونه، ويشهدون على كل مايفعلونه، و يعلمون بكل ما يخطرون ببالهم ... فالانسان تحت مراقبة الله جل وعلا و إحاطته مباشرة وغير مباشرة، فهو يعلم كل مايجول في ذهنه وتوسوس به نفسه ... ويعلم بذلك ملائكته الذين هم موكلون لهذا الانسان.

وقد وردت روايات كثيرة: ان لكل إنسان ملكين يحفظانه ليلاً ونهاراً، فاذا جاء الامر من عند الله عزوجل خلّيا بينه وبين أمر الله تعالى:

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه وان الأجل جنّة حصينة»

اقول: أي إن الله عزوجل ملائكة موكّلة تحفظ الانسان من التردّي في بئر

،ومن إصابة سهم معترض فى طريق ومن رفس دابة ومن نهش حية أولسع عقرب ونحو ذلك .

وقوله عليه السلام :« وان الأجل جنة» أى درع . وذلك ان الله تعالى إذا علم أن بقاء زيد إلى وقت كذا لطفاً له، أو لغيره من اسرته أو المجتمع البشرى صد من يهم بقتله عن قتله بألطافه يفعلها تصده عنه أو تصرفه عنه بصارف أو يمنعه عنه بمانع كى لا يقطع ذلك الانسان بقتل زيد، الألطاف التى يعلم الله تعالى انها مقربة من الطاعة ومبعدة عن المعصية لزيد أو لغيره ، فقد بان ان الأجل على هذا التقدير جنة حصينة لزيد من حيث كان الله تعالى باعتبار ذلك الأجل مانعاً من قتله وإبطال حياته ولا جنة أحصن من ذلك .

و فى تفيسر العياشى : عن مسعدة بن صدقة عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله تعالى : « يحفظونه من أمر الله » قال : بأمر الله ثم قال : مامن عبد إلا و معه ملكان يحفظانه ، فاذا جاء الامر من عندالله خليا بينه و بين أمر الله .

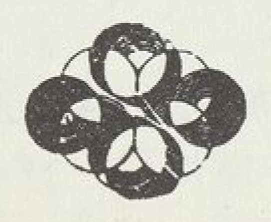
و فى تفسير القمى : عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »يقول بأمر الله من أن يقع فى ركى الركية البئر والجمع ركى ،أيقع عليه حائط أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه و بينه و يدفعونه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان بالنهار يتعاقبانه .

و فى الدر المنثور : باسناده عن على عليه السلام :« له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » قال: ليس من عبد إلا و معه ملائكة يحفظونه من أن يقع عليه حائط أو يتردى فى بئر أو يأ كله سبع أو غرق أو حرق فاذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر .

فشأن هؤلاء الحفظة أن يحفظوا الانسان من كل بلية تتوجه إليه و مصيبة تتوخاه و آفة تقصده ، فان النشأة التى نحن فيها نشأة التفاعل والتزاحم ، مافيه من

شيء إلا و هومبتلى بمزاحمة غيره من شيء من جميع الجهات لان كلاً من أجزاء هذا العالم الطبيعي بصدد الاستكمال و إستزادة سهمه من الوجود، ولا يزيد في شيء إلا و ينقص بنسبته من غيره، فالاشياء دائماً في حال التنازع والتغلب، ومن أجزائه الانسان الذي تركيب وجوده ألطف التراكيب الموجودة فيه و أدقها فيما نعلم فرقباؤه في الوجود أكثر وأعدائه في الحياة أخطر، فأرسل الله عز و جل إليه من الملائكة حفظة تحفظه من طوارق الحدثان وعوادي البلايا، والمصائب، ولا يزالون يحفظونه من الهلاك حتى إذا جاء أجله خلوا بينه و بين البلية، فأهلكته على ما في الروايات ...

و في العلل: باسناده عن عمار بن ياسر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ان حافظي علي بن أبيطالب عليه السلام ليفتخران على جميع الحفظة لكينونتهما مع ذلك انهما لم يصعدا إلى الله عز وجل بشيء يسخط الله تبارك وتعالى.



﴿ الجناية و الحراسة ﴾

ونحن لم نجد في القرآن الكريم وتاريخ الامم والروايات الواردة في حياة الانبياء والاوصياء والاولياء والعلماء العاملين في طوال الاعصار أن يكون لواحد منهم حارساً آدمياً ليحفظه من أعدائه أو البلايا مع كثرة الاعداء الجنية والانسية لهم مع كونهم في عرضة الخطر من جهة هؤلاء الاعداء في كل وقت ومكان . . .

قال الله عزوجل : « و كذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً و لو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون » الانعام : ١١٢) .

وقال : « و كذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين و كفى بربك هادياً و نصيراً » الفرقان : ٣١) .

وقال : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليا كلون الطعام ويمشون في الاسواق » الفرقان : ٢٠) وقال : « أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه » الزمر : ٣٦) .

وقال: «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً » الاحزاب : ٣٩) .

وغيرها من الايات الكريمة لست بصدد ذكرها في المقام، و كذلك التاريخ والسير والروايات الواردة ، فنكتفي ههنا بذكر نبذة ماورد عن طريق العامة في حياة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ولنا فيه

اسوة حسنة :

١ ـ روى إبن قتيبة الدينوري في (الامامة والسياسة ج١ ص١٦٢ ط مصر) :

جاء رجل من مراد إلى علي فقال له : يا أمير المؤمنين إحترس فان هنا قوماً يريدون قتلك، فقال : إن لكل إنسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلياه .

رواه جماعة من أعلامهم :

منهم : السيوطي في (الحبائك في اخبار الملائك ص ٨٦ دار التقريب بالقاهرة) بأدنى تفاوت .

ومنهم : إبن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج٨ ص١٣ ط حيدر آباد) وزاد « وانه لا يجد عبد حلاوة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه » .

ومنهم : الشعراني في (الطبقات الكبرى ج١ ص١٨ ط القاهرة) وغيرهم تركناهم للاختصار .

٢ ـ روى القندوزي الحنفي البلخي في (ينابيع المودة ص٦٤ ط إسلامبول):

عن جعفر الصادق عليه السلام قال : كان قنبر يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال : يا قنبر مالك ؟ قال : جئت لامشي خلفك قال : من أهل السماء تحرسني أم من أهل الارض ؟ ؟ و ان أهل الارض لا يستطيعون لي شيئاً إلاّ باذن الله من السماء فارجع فرجع .

٣ ـ روى السيوطي في (الحبائك في أخبار الملائك ص ٨٦ ط القاهرة):

عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال : لكل عبد حفظة يحفظونه لا يخرّ عليه حائط أو يتردّى في بئر أو تصيبه دابة حتى إذا جاء القدر له خلّت عنه الحفظة، فأصابه ماشاء الله أن يصيبه .

٤ ـ روى إبن كثير دمشقي في (البداية والنهاية ج٨ ص١٢ ط حيدر آباد) مالفظه : وروى أبو داود في كتاب (القدر) انه لما كان أيام الخوارج كان أصحاب

عليّ يحرسونه كل ليلة عشرة ـ يبيتون في المسجد بالسلاح ـ فرآهم عليّ فقال: مايجلسكم ؟ فقالوا : نحرسك فقال : من أهل السماء ؟ .

ثم قال : انه لايكون في الارض شيء حتى يقضى في السماء وان عليّ من الله جنة حصينة (وان الرجل جنة محصونة خ) وانه ليس الناس أحد إلاّ وقد وكّل به ملك ، فلا تريده دابة ولا شيء إلاّ قال : إتّقه اتقه فاذا جاء القدر خلّى عنه .

٥ ـ روى أبو نعيم الاصبهانى فى (دلائل النبوة ص٥٠٩) باسناده عن الباقر عليه السلام قال : عرض لعليّ رجلان فى حكومة ، فجلس في أصل جدار ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين الجدار يقع ، فقال عليّ رضى الله عنه : امض كفى بالله حارساً ، فقضى بينهما وقام ثم سقط الجدار .

رواه جماعة من أعلامهم :

منهم : محب الدين الطبرى في كتابيه (ذخائر العقبى ص٩٧ ط مكتبة القدسى بمصر) و (الرياض النضرة ص٢٢٥) .

و منهم : السيوطى فى (تاريخ الخلفاء ص١٧٨ ط السعادة بمصر) وغيرهم.

فما كان لنبي ولا لوصيه حرّاساً آدمية لتحفظهم من أعدائهم أوغيرهم من البلايا ... لانهم ماكانوا يخافون إلاّ الله جل وعلا، ومن خاف الله تعالى لايخاف غيره.

قال الله تعالى : « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوه و خافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران : ١٧٥) .

وقال : « فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون » البقرة : ٣٨) .

وقال: « وإن تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً ان الله بمايعملون محيط» آل عمران :١٢٠) وقال : « ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » يونس: ٦٢ ـ ٦٣) .

و قال : « و من يعمل من الصالحات و هو مؤمن فلايخاف ظلماً ولاهضماً» طه ١١٢) .

وقال : « فمن يؤمن بربه فلايخاف بخساً ولارهقاً » الجن : ١٣) .

وقال :« انالذين قالوا ربناالله ثماستقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» الاحقاف :١٣)

وقال :« الذين استجابوالله والرسول من بعد ماأصابهم القرح للذين أحسنوا منهم و اتقوا أجرعظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا اللهونعم الوكيل » آل عمران : ١٧٢ -١٧٣)

وقال:« إن كل نفس لماعليها حافظ »الطارق: ٤) وغيرهامن الايات الكريمة

نعم ! ان الكفر و الجناية ، و الظلم و هتك الاعراض المحترمة ، و سفك الدماء بغير حقو الاستبداد... توجد الخوف في الكافر والجاني والظالم والهتاك و السفاك و المستبد . . . و توجد فيهم حس الحاجة إلى الحراس الآدمية ليحرسوهم من أعدائهم لتخلية الحفظة الملائكية عنهم بسوء أعمالهم ، وإن كانواهم غير خائفين قبلذلك .

قال الله عزوجل : « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب » آل عمران : ١٥١) .

وقال:« وضرب اللهمثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون » النحل : ١١٢)

وقال :« لهمعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمرالله انالله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم وإذا أرادالله بقوم سوءاً فلامرد لهومالهم من دونه من وال » الرعد : ١١)

فلابد لكل حاكم و سلطان من العطوفة والرأفة على المواطنين أكثرمن المؤاخذة والشدة ...

قالالله جلو علا : « ولو يؤاخذ اللهالناس بما كسبوا ماترك على ظهرهامن

دابة» فاطر : ۴۵)

ومن غير مراء انه لايمكن لاحد الحكومة على المواطنين بالغلظة والشدة و الخشونة الموجبة لحراسة الحرّاس له و بعده عنهم، ولا بالشعار و الغوغاء و التصفيق جداً كما نرى في زماننا هذا كيف تحكم على الايرانيين المواطنين شرذمة قليلة في اختفاء تحرسها آلاف الحرّاس في بروج مشيّدة لابتعادهم عنها و ابتعادها عنهم بسبب غلظتها عليهم والحكم بغير ما أنزل الله تعالى والبدع في الدين الاسلامي وهتك الاعراض المحترمة وسفك الدماء بغير حق :.. باسم الاسلام ، والاسلام من ذلك كله بريء .

قال الله : « فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» آل عمران: ۱۵۹)

فاعتبروا أيها الحكام و السلاطين و الامراء والرؤساء و أصحاب الجاه و الاشتهار ... فلاتعتدوا حدود الله جل وعلا لئلاتحتاجوا إلى ما احتاجت إليه ...



﴿ كلام فى ضبط الأعمال و كتابتها ﴾

وليس لنا طريق إلى إدراك كنه هؤلاء الحفظة ، ولا أن نعرف من أىّ شيء خلقوا وما عملهم ، و كيف يحفظون الاعمال ؟ هل عندهم أوراق وأقلام ؟ أو هناك ألواح رسم فيها الاعمال ؟ أوهم أرواح تتجلى فيها تلك الاعمال ، فتبقى فيها بقاء المداد فى القرطاس ؟ - كل ذلك لم نكلف العلم به ، وإنما نكلف الايمان بصدق الخبر ، وتفويض الامر فى حقيقته إلى الله جل وعلا .

وان ذلك فى نطاق الله تعالى، ولا يستطيع أحد أن ينكره ، كيف وقد كشف جديداً علم لا يقع ظل على حائط إلاّ يمكن إظهاره بالوسائل الصناعية، و كل غرفة تظن انها محجوبة عن العيون فيها آثار كل ما حصل فيها، ولو مضت مئات السنين...

بل كل حجر و شجر ومدر توجد عليه رسوم ما حصل عنده من خير أو شرّ ، فكل حركة ، و كل فكرة ، و كل هيجانات و خطورات واقدام ، و كل أقوال و أفعال تصدر من الانسان ترسم على ما حولهم ... فكأن هناك صوراً لطيفة لا عدد لها ثابتة على جميع الاشياء لا تزول بمرور القرون ، ومضى الدهور حتى يمكن إستماع مقالاتنا ومكالمتنا فى حياتنا بعد مرور الاعوام العديدة من موتنا ، فتبقى عظة لأولادنا . . .

فكل فكرة من أفكارنا وحركة من حركاتنا ، وعمل من أعمالنا يترك حتماً أثراً لا تمحوه الأيام ، بحيث يمكن أن يصف العالم بهذا العلم عيشة إنسان مات خمسة آلاف سنة ، وتعرف سطوح أفكار الناس الذين كانوا يعيشون فى خمسة آلاف

سنة أو أكثر أو أقل لما رسمت أفكارهم و أقوالهم و أعمالهم و حركاتهم بصور غير محسوسة على الحيطان والابواب والاحجار . . . فيقرؤها قوم بعد آلاف السنين ، فيعرفون سطوح أفكارهم كما كان هذا بالنسبة إلينا كما قال الله عز وجل: « قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء » .

وقال أبو سعيد الخدرى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس و حتى تكلم الرجل عذبة سوطه و شراك نعله و تخبره فخذه بما أحدث أهله بعده »

وفى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان المؤمن ليهمّ بالحسنة ولايعمل بها، فتكتب له حسنة فان هو عملها كتبت له عشر حسنات، وان المومن ليهمّ بالسيئة أن يعملها فلايعملها فلاتكتب عليه .

و فى رواية : مر أمير المؤمنين على عليه السلام برجل وهو يتكلم بفضول الكلام، فقال : ياهذا ! انك تملى على كاتبيك كتاباً إلى ربك ، فتكلّم بمايعنيك ودع مالا يعنيك، وقال عليه السلام: لايزال الرجل المسلم يكتب محسناً مادام ساكتاً ، فاذا تكلّم كتب إما محسنا أومسيئاً و موضع الملكين من إبن آدم الشدقان ، صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكا النهار يكتبان عمل العبد بالنهار ، وملكا الليل يكتبان عمل العبد فى الليل .

وفى تفسير العياشى : عن إبراهيم الكرخى قال : كنت عند أبى عبدالله عليه السلام فدخل عليه مولى له، فقال: يافلان متى جئت؟ فسكت فقال أبو عبدالله عليه السلام: جئت من هيهنا ومن هيهنا انظر بماتقطع به يومك ، فان معك ملكاً موكلاً يحفظ عليك ماتعمل، فلاتحتقر سيئة وإن كانت صغيرة، فانها ستسوئك يوماً ، ولاتحتقر حسنة فانه ليس شيء أشد طلباً ولاأسرع دركاً من الحسنة انها لتدرك الذنب العظيم القديم ، فتذهب به .

و فى رواية : عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الملك ينزل الصحيفة من أول النهار وأول الليل يكتب فيها عمل إبن آدم، فأملوا فى أولها خيراً وفى آخرها خيراً ... الحديث .

وفى الصحيفة السجادية : وكان من دعاء سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام بخواتيم الخير : « فان قدّرت لنا فراغاً من شغل فاجعله فراغ سلامة لاتدركنا فيه تبعة : ولا تلحقنا فيه سأمة حتى ينصرف عنّا كتّاب السيئات بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا ، ويتولى كتّاب الحسنات عنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا ، وإذا انقضت أيام حياتنا ، وتصرّمت مدد أعمارنا و استحضرتنا دعوتك التى لابد منها و من إجابتها ، فصلّ على محمد وآله واجعل ختام ما تحصى علينا كتبة أعمالنا توبة مقبولة لاتوقفنا بعدها على ذنب إجترحناه ولا معصية إقترفناها » .

و فيها : وكان من دعائه عليه السلام أيضاً عند الصباح والمساء : « **اللهم يسّر على الكرام الكاتبين مؤنتنا واملألنا من حسناتنا صحائفنا ولاتخزنا عندهم بسوء أعمالنا** »

و فى عدة الداعى: قال الحلى رضوان الله تعالى عليه : اعتقادنا - معاشر الشيعة الامامية الاثنى عشرية - انه مامن عبد إلاّ وملكان موكّلان به يكتبان جميع أعماله ، ومن همّ بحسنة ولم يعملها كتب له حسنة ، فان عملها كتب له عشر فان همّ بسيئة لم تكتب حتى يعملها فان عملها كتب عليه سيئة واحدة، والملكان يكتبان على العبد كل شىء حتى النفخ فى الرماد قال الله عزوجل : « وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون »

وفى تفسير روح البيان: ان إبن عمر مرّ بغلام يرعى غنماً فقال له: بعنى شاة، فقال: انها ليست لى فقال له إبن عمر: قل: أكلها الذئب، فقال الغلام . فأين الله فاشتراه إبن عمر واشترى الغنم واعتقه ووهب له الغنم ، وبقى إبن عمر مدة طويلة يقول : قال ذلك العبد : فأين الله ، فصاحب المراقبة يدع من المعاصى حياءاً منه تعالى و

هيبةله أكثر ممايدعه من يتر كها بخوف عقوبته .

نعمما قال الشاعر فى ذلك :

انمن ير كب الفواحش سراً حين يخلو بذنبه غير خالى
كيف يخلو و عنده كاتباه حافظاه وربه ذوالمحال



﴿ الملائكة و كتبة الاعمال ﴾

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: « إنما الناس في نفس معدود وأمل ممدود وأجل محدود فلا بد للأجل أن يتناهى وللنفس أن يحصى وللأمل أن ينقضي ثم قرأ: « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين »

وفي الاحتجاج. عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في حديث - وفيه يقول السائل: فما علة الملكين الموكلين بعباده يكتبون ما عليهم ولهم، والله عالم السرّ وما هو أخفى؟ قال: استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة و عن معصيته أشد إنقباضاً، و كم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانهما فارعوى و كفّ، فيقول: ربي يراني و حفظتي عليّ بذلك تشهد وان الله برأفته ولطفه و كلّهم بعباده يذبون عنهم مردة الشياطين وهوام الارض وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله إلى أن يجيء أمر الله عزوجل.

وفي كتاب سعد السعود: للسيد بن طاوس رحمه الله - في حديث - دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: ملك على يمينك على حسناتك وواحد على الشمال، فاذا عملت حسنة كتب عشراً و إذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: اكتب، قال: لعله يستغفر الله ويتوب، فاذا قال ثلاثاً، قال: نعم اكتب اراحنا الله منه، فلبئس القرين ما أقل مراقبته لله عزوجل، وأقل إستحيائه منا يقول الله تعالى: « مايلفظ من قول إلاّ لديه

رقيب عتيد »

وملكان بين يديك ومن خلفك يقول الله سبحانه :« له معقبات من بين يديه ومن خلفه» وملك قابض على ناصيتك، فاذا تواضعت لله عز وجل رفعك، وإذا تجبرت لله فضحك ، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلاّ الصلوات على محمد، وملك قائم على فيك لايدع أن تدبّ الحية فى فيك ، وملكان على عينيك فهذا عشرة أملاك فى كل آدمى يعدان ملائكة الليل على ملائكة النهار لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار ، فهولاء عشرون ملائكة على كل آدمى ، وإبليس بالنهار وولده بالليل قال الله سبحانه :« وان عليكم لحافظين» الاية وقال عزوجل:« إذ يتلقى المتلقيان» الاية .

وفيه: وفى رواية: انهما ـ يعنى الملكين الموكلين ـ يأتيان المؤمن عند حضور صلاة الفجر، فاذا هبطا صعد الملكان الموكلان بالليل ، فاذا غربت الشمس نزل إليه الموكلان بكتابة الليل ، ويصعد الملكان الكاتبان بالنهار بديوانه إلى الله عز و جل ، فلايزال ذلك دأبهم إلى وقت حضور أجله، فاذا حضر أجله قالا للرجل الصالح: جزاك الله من صاحب عنا خيراً ، فكم من عمل صالح أريتناه ، و كم من قول حسن اسمعتناه و كم من مجلس خيرا حضرتناه ، فنحن اليوم على ما تحبّه وشفعاء إلى ربك ، وإن كان عاصياً قالا له :

جزاك الله من صاحب عنا شرّاً فلقد كنت تؤذينا، فكم من عمل سيّىء أريتناه و كم من قول سيّىء اسمعتناه، ومن مجلس سوء أحضرتناه ، ونحن اليوم لك على ما تكره وشهيدان عند ربك .

و فى البحار: باسناد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: يوحى الله عز و جل إلى الحفظة الكرام : لاتكتبوا على عبدى المؤمن عند ضجره شيئاً .

وفى الاحتجاج: فيما احتجّ الامام جعفر بن محمد عليهما السلام على إبن أبى العوجاء قال:« فما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السرّ وما

هواخفى ؟ قال عليه السلام : إستعبدهم بذلك و جعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة وعن معصيته أشد إنقباضاً ، و كم من عبد يهم بمعصيته، فذكر مكانها فارعوى و كف ، فيقول: ربي يراني وحفظني على بذلك تشهد وان الله برأفته ولطفه أيضاً و كلهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشيطان وهوام الارض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون باذن الله إلى أن يجيىء أمر الله ، فلكل نفس رقيب خاص يحفظ عملها ، و يحصى ماتكسب من خير وشر .

و فى رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : و كّل بالمؤمن مأة وستون ملكاً يذبّون عنه كما يذب عن نفسه العسل الذباب ، ولو و كل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين .

و فى ثواب الاعمال : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الملك ينزل بصحيفة أول النهار وأوّل الليل ، فيكتب فيها عمل إبن آدم، فاملوا فى أولها خيراً وفى آخرها خيراً ، فان الله يغفر لكم إن شاء الله فان الله عزوجل يقول : « فاذكرونى اذكركم » ويقول : « ولذكر الله أكبر »

و فى الكافى: باسناده عن عبدالله بن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : سئلته عن المكلين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله أوالحسنة ؟ فقال : ريح الكنيف والطيب سواء؟ قلت: لا قال: ان العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح ، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم فانه قدهمّ بالحسنة . فاذا فعلها كان لسانه قلمه، ريقه مداده ، وأثبتهاله ، وإذاهمّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح: فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين : قف فانه قدهمّ بالسيئة، فاذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه .

وفيه : باسناده عن فضيل إبن عثمان المرادى قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربع من كنّ فيه لم يهلك على الله بعدهنّ إلا هالك يهمّ العبد بالحسنة ، فيعملها فان هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيّته ، وإن هو

عملها كتب الله له عشراً و يهمّ بالسيئة أن يعملها ، فان لم يعملها لم يكتب عليه شيء ، وإن هو عملها اجّل سبع ساعات ، و قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات و هو صاحب الشمال : لاتعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها ، فان الله عزوجل يقول : «ان الحسنات يذهبن السيئات » أو الاستغفار فان هو قال: أستغفر الله الذى لا إله إلاّ هو ، عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذو الجلال و الاكرام وأتوب إليه ، لم يكتب عليه شيء ، وإن مضت سبع ساعات ، ولم يتبعها بحسنة وإستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات : اكتب على الشقىّ المحروم .

و فى رواية : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « الأقاويل محفظوطة والسرائر مبلوّة و كل نفس بما كسبت رهينة »

قوله عليه السلام : « السرائر » : ما اسرّ فى القلوب من النيات والخطورات والعقائد وغيرها ومايخفى من أعمال الجوارح أيضاً ، وبلاؤها : تعرّفها وتصفّحها ، والتميز بين ما طاب منها وماخبث .

و فى رواية اخرى : قال الامام على عليه السلام : « إن عمرك عدد أنفاسك وعليها رقيب يحصيها »

اقول : وقد قال بعض المحققين: ان الانسان يتنفس طبيعياً فى كل دقيقة (١٥) نفساً ، وفى كل ساعة (٩٠٠) نفساً، فى كل يوم (٢١٦٠٠) نفساً ، وفى كل عام شمسى (٧٨٨٤٠٠٠) نفساً .

و فى رواية : قال الامام على عليه السلام : « من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة »

و فى العلل : باسناده عن المفضل قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن العلة التى من أجلها وجب التسليم فى الصلاة؟ قال: لانه تحليل الصلاة قلت: فلأىّ علة يسلم على اليمين ولايسلم على اليسار؟ قال: لان الملك الموكل يكتب الحسنات على اليمين، والذى يكتب السيئات على اليسار ، والصلاة حسنات ليس فيها سيئات ، فلهذا يسلم على اليمين دون اليسار ، قلت: فلم لايقال : السلام عليك والملك على اليمين واحد ولكن يقال :

السلام عليكم ؟قال: ليكون قدسلم عليه وعلى من على اليسار، وفضل صاحب اليمين عليه بالايماء إليه، قلت: فلم لايكون الايماء في التسليم بالوجه كله، ولكن كان بالانف لمن يصلي وحده وبالعين لمن يصلي بقوم؟ قال: لان مقعد الملكين من إبن آدم الشدقين، فصاحب اليمين على الشدق الأيمن، و تسليم المصلي عليه ليثبت له صلاته في صحيفته، قلت: فلم يسلم المأموم ثلاثاً ؟ قال:

يكون واحدة رداً على الامام، ويكون عليه و على ملائكته، ويكون الثانية على يمينه والملكين الموكلين به، و يكون الثالثة على من على يساره و الملكين الموكلين به، و من لم يكن على يساره أحد لم يسلم على يساره إلاّ أن يكون يمينه إلى الحائط ويساره إلى مصلي معه خلف الامام، فيسلم على يساره قلت: فتسليم الامام على من يقع؟ قال: على ملائكته (على ملكيه خ) والمأمومين، يقول لملائكته: اكتبا سلامة صلاتي لما يفسدها، ويقول لمن خلفه: سلمتم وأمنتم من عذاب الله عزوجل . . . الحديث.

وقوله عليه السلام: «الشدقين» الشدق: زاوية الفم من باطن الخدين.

وفيه: باسناده عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام رفع الحديث إلى امير المؤمنين عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: مامن عبد إلاّ و عليه أربعون جنة حتى يعمل أربعين كبيرة، فاذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن، فتقول الملائكة من الحفظة الذين معه: يا ربنا هذا عبدك قد انكشفت عنه الجنن، فيوحي الله تعالى إليهم ان استروا عبدي بأجنحتكم، فتستره الملائكة بأجنحتها، فمايدع شيئاً من القبيح إلاّ قارفه حتى يتمدح إلى الناس بفعله القبيح، فتقول الملائكة: يارب هذا عبدك مايدع شيئاً إلاّ ركبه، وإنا لنستحي مما يصنع فيوحي الله إليهم أن ارفعوا أجنحتكم عنه، فاذا أخذ في بعضنا أهل البيت فعند ذلك يهتك الله ستره في السماء ويستره في الارض، فتقول الملائكة: يارب هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر، فيوحي الله إليهم لو كان لي فيه حاجة ما أمرتكم أن ترفعوا أجنحتكم

عنه .

وفي جوامع الجامع : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على شماله، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبّح أو يستغفر .

و في رواية : « ست ساعات» بدل «سبع ساعات »



﴿ حفظة الاعمال و كتابتها ﴾

لاتعيين فى الايات القرآنية لعدة الرقباء الموكلين على كتابة أعمال الانسان ليلاً و نهاراً نعم مايستفاد من قول الله عزوجل : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد » ق : ١٧)

ان على كل إنسان منهم اثنين عن يمينه وشماله ، و قد وردت روايات كثيرة : ان الذى على اليمين كاتب الحسنات ، و الذى على الشمال كاتب السيئات . . .

و قد ورد أيضاً فى تفسير قوله تعالى : « ان قرآن الفجر كان مشهوداً » الاسراء : ٧٨)

أخبار مستفيضة عن طريق الفريقين دالة على أن كتبة الاعمال بالنهار يصعدون بعد غروب الشمس ، وينزل آخرون ، فيكتبون أعمال الليل حتى إذا طلع الفجر ، فصعدوا ونزل ملائكة النهار وهكذا . . .

و فى رواية : ان الملكين إذا أراد النزول صباحاً ومساءاً نسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ ، فيعطيهما ذلك ، فاذا صعدا صباحاً ومساءاً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخة التى نسخ لهما حتى يظهر انه كان كما نسخ لهما .

و فى شرح الحديد : قال الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام :

« تأمّل ماتتحدّث به ، فانما تملى على كاتبيك صحيفة يوصلانها إلى ربك ، فانظر

علی من تملی و إلی من تکتب » .

وفيه :قال الامام علی عليه السلام: « ماأقبح بك أن ينادی غداً: ياأهل خطيئة كذا فتقوم معهم ثم ينادی ثانياً : ياأهل خطيئة كذا فتقوم معهم ماأراك يامسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة » .

و عن ابن مسعود : انه قال: الملكان يكتبان أعمال العلانية فی ديوان و أعمال السرّ فی ديوان آخر .

و فی تفسير القمی : باسناده عن عبدالصمد بن بشير عن أبی عبدالله عليه السلام قال : ان العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجله الله سبع ساعات ، فان استغفر لم يكتب عليه شیء ، و إن مضت الساعات ، و لم يستغفر كتبت عليه سيئة ، وان المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتی يستغفر ربه ، فيغفر له ، و إن الكافر لينساه من ساعته .

وفی الكافی :باسناده عن درست قال : سمعت أباإبراهيم عليه السلام يقول : إذا مرض المؤمن أوحی الله عز وجل إلی صاحب الشمال : لاتكتب علی عبدی مادام فی حبسی ووثاقی ذنباً ويوحی إلی صاحب اليمين : ان اكتب لعبدی ما كنت تكتب له فی صحته من الحسنات .

وفيه : باسناده عن إسحق بن عمار عن أبی عبدالله عليه السلام قال : ان المؤمنين إذا قعدا يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا فلعل لهما سراً و قد ستر الله عليهما فقلت : أليس الله عز و جل يقول : « مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ؟ فقال : ياإسحق إن كانت الحفظة لاتسمع ، فان عالم السر يسمع ويری .

و فی نهج البلاغة : قال مولی الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علی بن أبيطالب عليه السلام : « إعلموا عبادالله ان عليكم رصداً من أنفسكم و عيوناً من

جوارحكم وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم لاتستر كم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج .

قوله عليه السلام: «رصداً» الرصد- بالتحريك - قوم يرصدون ، و قوله عليه السلام . «رتاج »بكسر الراء- : الغلق .

و في البحار :بالاسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن موضع الملكين من الانسان قال: ههنا واحد وههنا واحد يعني عند شدقيه .

وفيه :عن زرارة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: مامن أحد إلاّ ومعه ملكان يكتبان مايلفظ ثم يرفعان ذلك إلى ملكين فوقهما ، فيثبتان ما كان من خير و شرّ ويلقيان ماسوى ذلك .

وفيه : عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : لايكتب الملكان إلاّ ما نطق به العبد .

وفيه : عن إسحق بن عمار قال : لمّا كثر مالي أجلست على بابي بوّاباً يردّ عني فقراء الشيعة ، فخرجت إلى مكة في تلك السنة ، فسلّمت على أبي عبدالله عليه السلام فردّ عليّ بوجه قاطب مزوّر فقلت له : جعلت فداك ما الذي غيّر حالي عندك ؟ قال : تغيّرك على المؤمنين ، فقلت : جعلت فداك والله اني لاعلم انهم على دين الله و لكن خشيت الشهرة على نفسي ، فقال : يا إسحق أما علمت ان المؤمنين إذا التقيا ، فتصافحا أنزل الله بين إبهاميهما مأة رحمة تسعة و تسعين لأشدّهما حباً .

فاذا إعتنقا غمرتهما الرحمة فاذا البثا لايريدان بذلك إلاّ وجه الله تعالى قيل لهما : غفر لكما فاذا جلسا يتسائلان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا عنهما فان لهما سرّاً، و قد ستره الله عليهما قال : قلت : جعلت فداك فلاتسمع الحفظة قولهما ولاتكتبه ، وقد قال تعالى :« مايلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد »

قال : فنكس رأسه طويلاً ثم رفعه ، وقد فاضت دموعه على لحيته و قال :

ان كانت الحفظة لاتسمعه و لاتكتبه ، فقد سمعه عالم السرّ و أخفى ياإسحق خف الله كأنك تراه ، فان كنت لاتراه فانه يراك فان شككت انه يراك فقد كفرت و إن أيقنت انه يراك ثم بارزته بالمعصية ، فقد جعلته أهون الناظرين إليك .

و فى شرح نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « فاتقوا الله الذى أنتم بعينه و نواصيكم بيده و تقلّبكم فى قبضته إن أسررتم علمه و إن أعلنتم كتبه ، وقد وكل حفظة كراماً لايسقطون حقاً ولايثبتون باطلاً .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام ان أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالبصرة فقال بعد ماحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلّى على النبى و آله: المدة وإن طالت قصيرة، والماضى للمقيم عبرة، والميت للحىّ عظة وليس لأمس إن مضى عودة ، ولاالمرء من غد على ثقة ، الأول للأوسط رائد ، والاوسط للآخر قائد ، و كل لكل مفارق. و كل بكل لاحق . والموت لكل غالب ، و اليوم الهائل لكل آزف ، وهو اليوم الذى لاينفع فيه مال ولابنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

ثم قال عليه السلام معاشر شيعتى اصبروا على عمل لاغنى بكم عن ثوابه، واصبروا عن عمل لاصبر لكم على عقابه ، انا وجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله عز وجل ، اعلموا أنكم فى أجل محدود وأمل ممدود ونفس معدود، ولابد للأجل أن يتناهى وللأمل أن يطوى ، وللنفس أن يحصى ثم دمعت عيناه وقرأ «وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون» .

وفى الكافى : باسناده عن أبى بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ان العبد لفى فسحة من أمره مابينه وبين أربعين سنة ، فاذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عز وجل إلى ملكيه قد عمرت عبدى هذا عمراً فغلظا وشدّدا وتحفّظا، واكتبا له قليل عمله

و كثيره وصغيره و كبيره .

وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : ان الملك الحافظ على العبد يكتب في صحيفة أعماله، فاملوا في أولها خيراً وفي آخرها خيراً يغفر لكم مابين ذلك .



« كتابة أعمال المرضى »

وقد وردت روايات كثيرة في كتابة أعمال المرضى المؤمنين حال كونهم مرضى مما كانوا يعملون في صحتهم، نشير إلى ما يسعه المقام:

١- في فروع الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع رأسه إلى السماء فتبسّم فقيل له: يا رسول الله! رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسمت؟ قال: نعم عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الارض يلتمسان عبداً صالحاً مؤمناً في مصلّى كان يصلّي فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته، فلم يجداه في مصلاّه فعرجا إلى السماء فقالا: ربنا! عبدك فلان المؤمن إلتمسناه في مصلاّه لنكتب له عمله ليومه وليلته، فلم نصبه، فوجدناه في حبالك، فقال الله عزوجل: اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمل في صحته من الخير في يومه وليلته مادام في حبالي، فان على أن أكتب له أجر ما كان يعمل، إذ حبسته عنه.

٢- وفيه باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزوجل للملك الموكل بالمؤمن إذا مرض: اكتب له ما كنت تكتب له في صحته، فاني أنا الذي صيّرته في حبالي.

٣- وفيه باسناده عن أبي الصباح قال: قال أبو جعفر عليه السلام: سهر ليلة من مرض أفضل من عبادة سنة.

٤- وفيه باسناده عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: سهر ليلة من مرض أو وجع أفضل وأعظم أجراً من عبادة سنة.

٥- وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحمى رائد الموت، وسجن الله في الارض ، وفورها من جهنم وهي حظ كل مؤمن من النار .

٦- وفيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ان المسلم إذا غلبه ضعف الكبر أمر الله عزوجل الملك أن يكتب له في حاله تلك مثل ما كان يعمل وهو شاب نشيط صحيح -- إذا مرض المؤمن وكل الله به ملكاً يكتب له في سقمه ماكان يعمل له من الخير في صحته حتى يرفعه الله ويقبضه - وكذلك الكافر إذا اشتغل بسقم في جسده كتب الله له ماكان يعمل من الشر في صحته .

٧- في ثواب الاعمال باسناده عن درست بن عبدالحميد عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: للمريض أربع خصال: يرفع عنه القلم ، ويأمر الله الملك ، فيكتب له كل فضل كان يعمل في صحته، ويتبع مرضه كل عضو في جسده ، فيستخرج ذنوبه منه ، فان مات مات مغفوراً ، وإن عاش عاش مغفوراً .

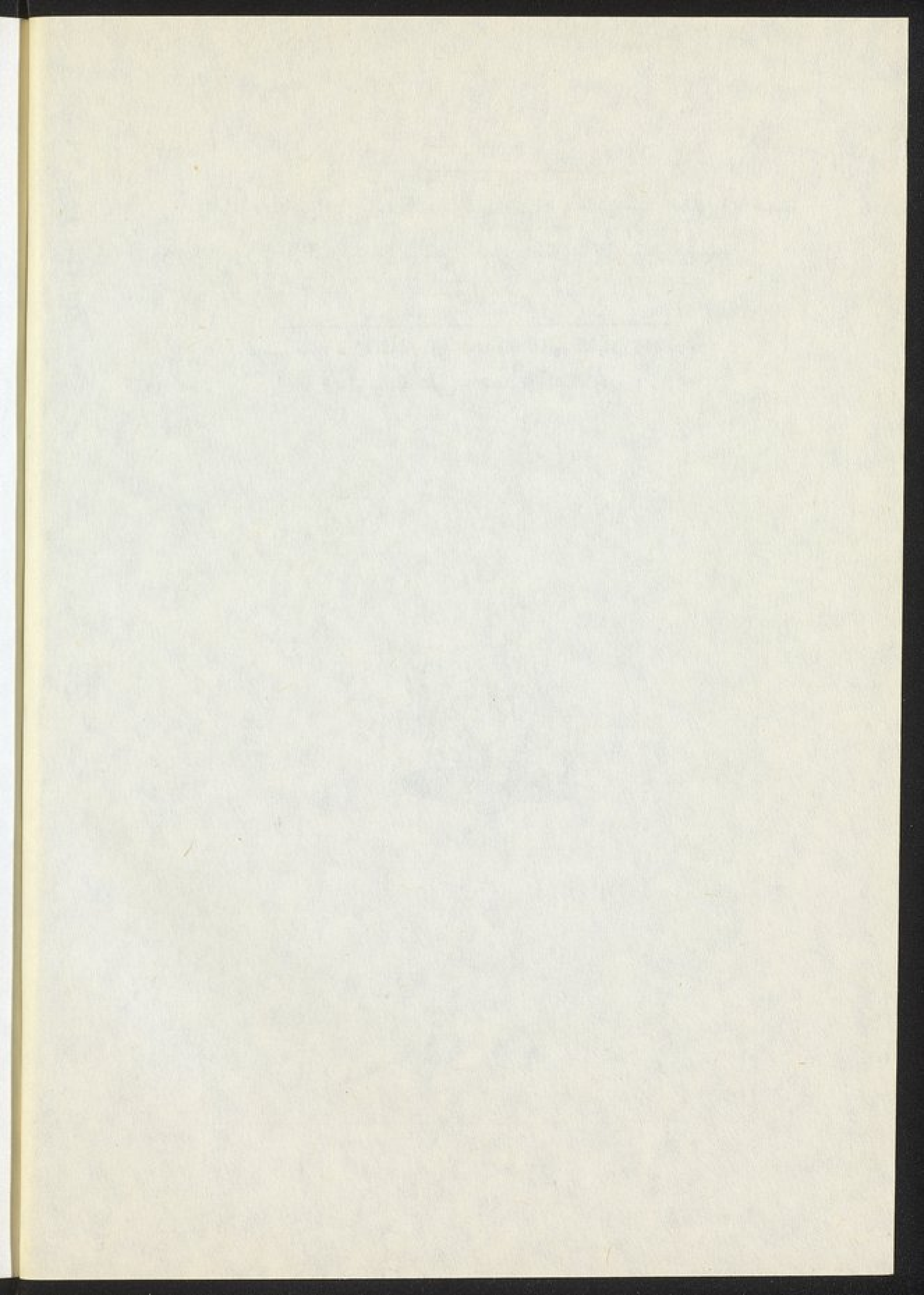
٨- وفيه باسناده عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا مرض المسلم كتب له بأحسن ماكان يعمل في صحته ، وتساقطت ذنوبه كما تساقط ورق الشجر.

٩- في وسائل الشيعة باسناده عن محمد بن سنان عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن علي عليهم السلام انه عاد سلمان الفارسي فقال له: ياسلمان مامن أحد من شيعتنا يصيبه وجع إلا بذنب قد سبق منه، وذلك الوجع تطهير له. قال سلمان: فليس لنا في شيء من ذلك أجر خلا التطهير ؟ قال علي عليه السلام: ياسلمان ! لكم الأجر بالصبر عليه والتضرع إلى الله والدعاء له، بهما تكتب لكم الحسنات وترفع لكم الدرجات ، فأما الوجع خاصة فهو تطهير وكفارة .

١٠ـ وفيه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مامن مسلم يبتلى فى جسده إلا قال الله عزوجل لملائكته : اكتبوا لعبدى أفضل ماكان يعمل فى صحته .

تمت سورة الانفطار والحمدلله عالم الغيب والاسرار
وصلى الله على محمد وآله الاخيار





سورة المطففين مكية وآياتها ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين ﴿١﴾ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴿٢﴾ وإذا كالوهم أو وزنوهم
يخسرون ﴿٣﴾ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴿٤﴾ ليوم عظيم ﴿٥﴾ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿٦﴾
كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴿٧﴾ وما أدراك ما سجين ﴿٨﴾ كتاب مرقوم ﴿٩﴾ ويل يومئذ
للمكذبين ﴿١٠﴾ الذين يكذبون بيوم الدين ﴿١١﴾ وما يكذب به إلا كل معتد أثيم
﴿١٢﴾ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴿١٣﴾ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
﴿١٤﴾ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿١٥﴾ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴿١٦﴾ ثم يقال هذا الذي كنتم
به تكذبون ﴿١٧﴾ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ﴿١٨﴾ وما أدراك ما عليون ﴿١٩﴾ كتاب مرقوم ﴿٢٠﴾
يشهده المقربون ﴿٢١﴾ إن الأبرار لفي نعيم ﴿٢٢﴾ على الأرائك ينظرون ﴿٢٣﴾ تعرف في وجوههم نضرة
النعيم ﴿٢٤﴾ يسقون من رحيق مختوم ﴿٢٥﴾ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿٢٦﴾
ومزاجه من تسنيم ﴿٢٧﴾ عينا يشرب بها المقربون ﴿٢٨﴾ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا
يضحكون ﴿٢٩﴾ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴿٣٠﴾ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴿٣١﴾ وإذا
رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴿٣٢﴾ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴿٣٣﴾ فاليوم الذين آمنوا من
الكفار يضحكون ﴿٣٤﴾ على الأرائك ينظرون ﴿٣٥﴾ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴿٣٦﴾

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصدوق: رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ في الفريضة: «ويل للمطففين» أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار، ولم تره (لا تراه خ) ولايراها، ولم يمرّ على جسر جهنم، ولايحاسب يوم القيامة.

اقول: رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار إلّا أن في المجمع «من كانت قرائته» بدل «من قرأ» و«لا يمرّ» بدل «لم يمرّ» وفي البرهان ونور الثقلين «لم تره ولم يرها» بدل «لاتراه ولايراها» وفي البحار «لايمرّ» بدل «لم يمرّ».

وذلك من قرأ هذه السورة متدبراً فيما جاء فيها من ذكر الابرار، ومآل أمرهم يوم القيامة إلى الجنة ونعيمها، ومن ذكر الفجار ومصيرهم يومئذ إلى النار وعذابها، وآمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الآخر، وعمل صالحاً وسلك مسلك الابرار وجعل في زمرتهم، فهو يومئذ من الآمنين، ولاتراه نار جهنم ولايراها، ولايمرّ علي جسر جهنم، ولايحاسب حساباً شديداً.

قال الله تعالى: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ٨٩)

وقال: «فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً» الانشقاق: ٧-٨)

وفي المجمع: أبي بن كعب قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ومن قرأها سقاه الله من

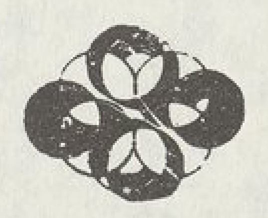
الرحيق المختوم يوم القيامة .

اقول : ان الرواية مردودة سنداً لمكان ابى ، ولكنها مؤيدة بنفس السورة فتد برجيداً .

وفى البرهان: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أدمن على قرائتها سقاه الله من الرحيق المختوم ، وإن قرأت على مخزن حفظه الله من كل آفة .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : لم تقرأ قط على شيء إلا وحفظ وتقى من حشرات الارض باذن الله تعالى .

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواصها مافى الروايتين الآخيرتين مضافاً إلى ماتقدم والله عز و جل هو أعلم .



﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير صورة من صور أخلاق بعض التجار في عهد النبي الكريم ﷺ وهي في الوقت نفسه عامة تظهر في كل وقت ومكان ، حيث ان الوفاء بالكيل والميزان والوزن بالموازين المستقيمة من الاخلاق الهامة التي عني القرآن الكريم بايجابها لماله من صلة بجميع الناس تتكرر في كل وقت ... ففي إطلاق التقريع والانذار تلقين مستمر المدى في تقبيح بخس الناس وغشهم وسلب أموالهم بطريق الحيلة والخداع على أنحائهما ...

وفي السورة تنديد بالغشاشين في الكيل والوزن، وإنذار بحساب الله جل و علا على طريق التساؤل عما إذا كانوا حينما يفعلون ذلك وهم غافلون عن أنهم مبعو- ثون بعد الموت ليوم عظيم يقف فيه الناس للحساب و الجزاء ، وهذه الغفلة هي التي توجب جرأة كثير من الناس على الآثام التي تأتي من عدم مراقبتهم الله جل و علا و حسبانهم حساب الآخرة وجزائها ...

وفيها حملة شديدة على الفجار المكذبين بيوم الدين لما اقترفوا في الآثام ، وجبلت نفوسهم على الشر والخبث بحيث قد غطى على بصائرهم وحجّر قلوبهم ...

وفيها وصف لمصير الابرار ومنازلهم من شأنه أن يبثّ الطمأنينة والشوق في أنفسهم ، وفي ختامها حكاية لسخرية الكفار وموقفهم من المؤمنين في الحياة الدنيا ، وموقف المؤمنين من الكفار بانقلاب الحال في الاخرة .

﴿النزول﴾

سورة «المطففين» مكية نزلت بعدسورة «العنكبوت» وقبل سورة «البقرة» وهى آخرسورة مكية نزلت بين مكة والمدينة عندالهجرة النبوية.

وقيل: أول سورة نزلت بالمدينة. وعن إبن عباس: انهامدنية إلا ثمان آيات من قوله: «ان الذين أجرموا» إلى آخرها مكى وهى السورة السادسة والثمانون نزولاً، والسورة الثالثة والثمانون مصحفاً. وهى مشتملة على ست و ثلاثين آية، سبقت عليها/ ٤٥٧٧ آية نزولاً، و/ ٥٨٤٨ آية مصحفاً على التحقيق.

وتشتمل على/ ١٠٩ كلمة وقيل: / ١٩٩ كلمة، وقيل: / ١٧٧ كلمة، و وقيل: / ١٦٩ كلمة، وعلى/ ٤٣٠ حرفاً، وقيل: / ٧٣٠ حرفاً، و قيل: / ٩٣٠ حرفاً على ما فى بعض التفاسير.

قيل: سميت هذه السورة بالمطففين دلالة على أن من أخل بأدنى حقوق الخلق إستحق أعظم و يل من الحق، فكيف من أخل بأعظم حقوق الحق من الايمان بالله جل و علا و آياته ورسله وباليوم الاخر. و تسمى سورة «التطفيف» أيضاً.

فى تفسير القمى: عن أبى جعفر عليه السلام قال: نزلت - سورة المطففين - على نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة: وهم يومئذ أسوء الناس كيلاً فاحسنوا الكيل.

وفى أسباب النزول: للواحدى النيشابورى باسناده عن إبن عباس قال: لماقدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى - ويل

للمطففين - فأحسنوا الكيل بعد ذلك .

قال القرطبي : كان بالمدينة تجار يطففون ، و كانت بياعاتهم كشبه القمار المنابذة والملامسة والمخاطرة، فأنزل الله تعالى هذه الاية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السوق وقرأها .

وقال السدى : قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، وبها رجل يقال له أبو جهينة و معه صاعان يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن سالم عن أبى جعفر عليه السلام قال - فى حديث طويل - : وأنزل فى الكيل «ويل للمطففين» ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً قال الله عزوجل :«فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم»

وفى الجامع لاحكام القرآن : عن إبن عباس : سورة المطففين نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين مكة والمدينة فى مهاجرته إلى المدينة، فاستتمت بالمدينة، فلما قرأ عليهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذه السورة تابوا ورجعوا إلى وفاء الكيل والوزن .

رواه السيوطى فى (لباب النقول فى أسباب النزول)

وفى الكشاف: كان أهل المدينة تجاراً يطففون ، وكانت بياعاتهم المنابذة و الملامسة والمخاطرة، فنزلت -سورة المطففين - فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأها عليهم، وقال: خمس خمس (بخمس خ) قيل : يارسول الله، وماخمس بخمس؟ قال: مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوّهم، وماحكموا بغير ماأنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة إلا فشى فيهم الموت ولاطفّفوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولامنعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر .

وفى لباب التأويل : لماقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، وبها رجل يقال له: أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الاية ،و جعل الويل للمطففين ثم بيّن من هم ؟ فقال : « الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون »

أقول: ولاينا في مكية السورة نزول بعضها بين مكة والمدينة حين المهاجرة وتلاوتها عند قدومه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة على سبيل الانذار والتقريع.

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن جابر: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غزوة الطائف دعا علياً (عليه السلام) فانتجاه ثم قال: أيها الناس انكم تقولون: أني إنتجيت علياً ماأنا إنتجيته ان الله إنتجاه «وفي ذلك فليتنا فس المتنافسون».

وفيه: باسناده عن جابر بن عبدالله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى: «ومزاجه من تسنيم» قال: هو أشرف شراب الجنة يشربه آل محمد وهم المقربون السابقون: رسول الله وعلي بن أبيطالب وخديجة وذريتهم الذين اتبعوهم بايمان.

وفيه: باسناده عن الكلبي قال: إستعمل رسول الله علياً على بني هاشم، فكان إذا مر ّ ضحكوا به، فنزلت هذه الاية: «ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مر ّوا بهم يتغامزون»

وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن سالم عن أبي عبدالله في قوله تعالى: «ان الذين أجرموا» إلى آخر السورة ... قال: نزلت في علي ّ والذين إستهزؤا به من بني امية ان علياً مر ّ على نفر من بني امية وغيرهم من المنافقين، فسخروا منه، ولم يكونوا يصنعون شيئاً إلا ّ نزل به كتاب، فلما رأوا ذلك مطّوا بحواجبهم، فأنزل الله تعالى: «وإذا مر ّوا بهم يتغامزون»

وفيه: عن إبن عباس في قوله: «ان الذين أجرموا ...» إلى آخر السورة قال: فالذين آمنوا علي بن أبيطالب وأصحابه والذين أجرموا منافقوا قريش.

وفيه: عن مقاتل في قوله تعالى: «ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون» قال: وذلك ان علي بن أبيطالب إنطلق في نفر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسخر منهم المنافقون، وضحكوا وقالوا: «ان هؤلاء لضالون» يعني يأتون محمداً يرون انهم على شيء، فنزلت هذه الاية قبل أن يصل علي ّ ومن معه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «ان الذين أجرموا» يعني المنافقين «كانوا من الذين آمنوا» يعني علياً وأصحابه.

«يضحكون» إلى آخرها

وفي تفسيري روح المعاني :«ان علياً عليه السلام وجمعاً من المؤمنين معه مرّوا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم ، واستخفوا بهم ، فنزلت :« ان الذين أجرموا ...» قبل أن يصل علي كرّم الله وجهه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي مناقب مرتضوي: لمحمد صالح الكشفي الترمذي الحنفي : ان قوله تعالى:« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون» الاية نزلت في علي عليه السلام وأصحابه...

وفي الكشاف: جاء علي بن أبيطالب عليه السلام في نفر من المسلمين ، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى أصحابهم ، فقالوا: رأينا اليوم الاصلع ،فضحكوا منه فنزلت : « ان الذين اجرموا » إلى قوله تعالى « وما ارسلوا عليهم حافظين » قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي كنز الفوائد : للكراجكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى :«ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون »قال : ذلك هو الحارث بن قيس واناس معه كانوا إذا مرّ بهم علي عليه السلام قالوا : انظروا إلى هذا الذي إصطفاه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إختاره من بين أهل بيته ، فكانوا يسخرون و يضحكون ، فاذا كان يوم القيامة فتح بين الجنة و النار باب فعلي عليه السلام يومئذ على الأرائك متكئ ويقول لهم :

هلمّ لكم فاذا جاؤا يسدّ بينهم الباب ، فهو كذلك يسخر منهم و يضحك وهو قوله تعالى:« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون »

اقول رواه المجلسي قدس سره في البحار والبحراني رحمة الله تعالى عليه في البرهان ولكن في البرهان «الحرث بن قيس » بدل «الحارث بن قيس » .

و في كنز الفوائد : باسناده عن عبدالرحمن إبن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل :« ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » إلى آخر

السورة نزلت في علي عليه السلام وفي الذين إستهزؤا بعمن بني امية ، وذلك ان علياً عليه السلام مرّ على قوم من بني امية والمنافقين فسخروا منه .

وفي تفسير فرات بن ابراهيم الكوفي: عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: نزلت خمس آيات: «كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ماعليون- إلى قوله- المقربون» وهي خمس آيات في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام .

وفي البحار : تفسير أبي صالح قال إبن عباس في قوله تعالى : «ان الابرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون - إلى قوله - المقربون» نزلت في عليّ و فاطمة و الحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام وفضلهم فيها باهر .

وفيه : الزجاج ومقاتل والكلبي والضحاك والسدي والقشيري والثعلبي: ان علياً عليه السلام جاء في نفر من المسلمين نحو سلمان وأبي ذر والمقداد و بلال وخبّاب و صهيب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسخر بهم أبوجهل و المنافقون ، فضحكوا وتغامزوا . ثم قالوا لأصحابهم: رأينا اليوم الاصلع، فضحكنا منه، فأنزل الله تعالى: « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » السورة :

«فاليوم الذين آمنوا» يعني علياً وأصحابه «من الذين يضحكون» يعني أبا جهل و أصحابه« إذ أوهم في النار وهم على الأرائك ينظرون »

اقول : ولاغرو مايظهر من الخلاف في الروايات مع تعدد الأسباب . . . فتأجل جيداً .

﴿القراءة﴾

قرأحفص «بل» فى «بل ران» بسكتة لطيفة ، ووقف يسير على اللام فى «بل» ومع ذلك يصل ، ومن لازمه إظهار اللام، والباقون يدغمون اللام فى الراء ، وقرأ حمزة «ران» بالامالة .

وقرأأبوجعفر «تعرف» مبنياً للمفعول ، و«نضرة» بالرفع نيابة عن الفاعل ، والباقون مبنياً للفاعل على الخطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و «نضرة» بالنصب على المفعول به .

قيل: قرأالامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «خاتمه» بفتح التاء بمعنى آخره ، وقرأ القراء «ختامه» بكسر الخاء، والمراد به لذاذة المقطع وذكاء الرائحة ،وقرأ أبوعمرو «أهلهم» بكسر الهاء والميم ، وقرأ حمزة بضمهما، والباقون بكسر الهاء و ضمّ الميم .

وقرأحفص وأبوجعفر «فكهين» بغير ألف ، والباقون «فاكهين» بالألف، و قرأحمزة وأبوعمرو «هثوب الكفار» بادغام اللام فى الثاء ، و الباقون «هل ثوب» بالاظهار .

﴿الوقف والوصل﴾

«للمطففين لا» للوصف التالي بالموصول، و«لا يستوفون ز» للفصل بين تناقض الحالين ولكن يلزم تفريق الوصفين مع إتفاق الجملتين ، و «يخسرون ط» لتمام الكلام والاستفهام التالي، و«مبعوثون لا» للمتعلق الآتي ، و«عظيم لا» لان التقدير: لأمر يوم عظيم في يوم كذا وهو بدل بني على الفتح للاضافة إلى الجملة التالية.

و«العالمين ط» لان «كلا» لتحقيق «ان» بمعنى «ألا» التي للتنبيه أو بمعنى حقاً.

وقيل: ردع عن التطفيف ، و«سجين ط» لتمام الكلام ، و«سجين ط» كالتقدم، و«مرقوم ط» لتمام الجملة على تقدير : هو كتاب مرقوم .

و«للمكذبين لا» للوصف التالي بالموصول، و«الدين ط» لتمام الكلام للابتداء بالنفي، و «أثيم لا» لان الشرط بعده صفة اخرى له، و«الاولين ط» لماسبق في «العالمين» و«يكسبون ط» لماتقدم .

و«لمحجوبون ط» لأن «ثم» لترتيب الاخبار ، و«الجحيم ط» لاختلاف الجملتين ، و «تكذبون ط» لماتقدم في «العالمين» و «عليين ط» لتمام الكلام وابتداء التالي ، و «مرقوم لا» لان ما بعده صفة ، و«المقربون ط» لابتداء التالي . و «نعيم لا» لان التالي إما في موضع حال ، أو صفة و «ينظرون لا» لماتقدم .

و«النعيم ج» ، لان ما بعده يصلح حالاً أو مستأنفاً، و«مختوم لا» لان ما بعده وصف ، و «مسك ط» لتمام الكلام ، و«المتنافسون ط» لتمام الجملة المعترضة ، و«تسنيم لا» بناء على ان «عيناً» حال، وأما على المدح فيجوز الوقف ، و«المقربون ط» لتمام

الكلام وإستئناف التالي ،و «يضحكون ز» للآية ولكن إتمام الكلام أولى .

و «يتغامزون ى ز «ى» علامة العشر و توضع عند إنتهاء عشر آيات ، و «ز» علامة الوقف المجوز ، وهوما يجوز فيه الوقف والوصل ، ولكن الوصل أولى ، و «فكهين ز» لما تقدم ، و «لضالون لا» لان الجملة المنفية التالية حال ، و «حافظين ط» لتبدل الكلام معنى ، و «يضحكون لا » لان التالي إما في موضع حال ، أو صفة ، و «ينظرون ط» للاستفهام التالي .



﴿ اللغة ﴾

١٥ - الطف و التطفيف - ٩٣٢

طفّ يطفّ طفاً - من باب ضرب - : دنا وعلا . يقال : طفّه بيده : رفعه

تطفيف الكيل : هو الأخذ بأعلى المكيل وعدم إكماله .

الطفاف: هومافوق رأس المكيال فهو يأخذ بعضاً من طف المكيال أى جانبه.

من المادى الطفّ : شط النهر وجانب البر و ساحل البحر وفناء الدار وسفح الجبل .

و الطف : ما أشرف من أرض العرب على العراق جمعه طفوف سمى بذلك لدنوه من أرضهم .

و«قتل الحسين عليه السلام بطفّ الفرات» سمى به لانه طرف البر مما يلى الفرات ولمعنى الدنو و القرب فى تلك الماديات قيل فى المعنوى : طفّ وأطفّ واستطفّ : دنا و تهيّأ وأمكن وأشرف وبدا ليؤخذ ومنه قالوا: خذ ما طفّ لك واطفّ واستطفّ أى ما أمكن لك أودنا وقرب .

وقيل : من ذلك طفاف الاناء أوالكيل - بكسر الطاء و فتحها - وطفّه و طففه : أعلاه .

ومن هذا قيل فى الاناء والكيل : طفف أى تعدّى الاعلى و الاناء والكيل طفّان وطفّ الحائط : علاه كما قيل: طفف الاناء والكيل أى أخذ أعلاه ولم يكمله، ومنه قيل للذى يسىء الكيل :

مطفف أى الذى يقلّل نصيب المكيل له فى الايفاء والاستيفاء فهو لا يكاد يأخذ من المكيال إلاّ الطفافة .

الطفيف : القليل وغير التام .

فى المفردات: الطفيف : الشىء النزر ومنه الطفافة لما لا يعتدّ به وطفّف الكيل: قلّل نصيب المكيل له فى ايفائه وإستيفائه .

و فى النهاية : فى الحديث : « كلكم بنو آدم طفّ الصاع ليس لاحد على أحد فضل إلاّ بالتقوى » أى قريب بعضكم من بعض يقال: هذا طفّ المكيال و طفافه وطفافه : أى ماقرب من ملئه وقيل : هو ما علا فوق رأسه .

ويقال له أيضاً: طفاف بالضم والمعنى كلكم فى الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحد فى النقص والتقاصر عن غاية التمام .

وشبّهم فى نقصانهم بالمكيل الذى لم يبلغ أن يملأ المكيال ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى .

٦٣- الكيل - ١٣٣٦

كال البر يكيله كيلاً ومكالاً ومكيلاً - من باب باع- : قدّره لمكيال أى وعاء مصطلح على التقدير به.

الكيل: الوعاء الذى يكال به. والمكيال : الوعاء الذى يكال به .

ويقال: كلت المشترى البرّ : أعطيته إيا ممقدّراً بالكيل .

قال الله تعالى: « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » المطففين : ٣)

أى إذا باعوا الناس البر ونحوه مقدّراً بالكيل .

قال الله تعالى: « ولا تنقصوا المكيال والميزان » هود: ٨٤)

أى لا تنقصوا ما تكيلون به شيئاً مما يسعه .

الكيّال : من حرفته كيل الطعام .

المكيال والمكيل والمكيلة : مايكال بهجمع مكايل ومكاييل.

٤٩- البعث - ١٣٣

بعثه يبعثه بعثاً ـ من باب منع ـ: أرسله وحده وبعثه بهأى أرسلهمع غيره .

بعثه: أثاره وهيّجه . وبعثه على الشيء : حمله على فعله .

وفي حديث حذيفة :« ان للفتنة بعثات » أى إثارات و تهيّجات . و بعثه من نومه : أيقظه .

وبعث الله الموتى : أحياهم وفي أسماء الله تعالى :«هو الباعث »أى الذي يبدع الخلق عن ليس ، ويعيدهم بعد الموت .

قال الله تعالى :«كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين »البقرة ٢١٣)

أى أرسلهم . وقال :« ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى »الكهف :١٢) أى أيقظناهم وقال:« ثم بعثنا كم من بعد موتكم »البقرة : ٥٦) أى أحيينا كم .

وإسم المفعول : مبعوث جمعه مبعوثون .

قال الله تعالى :« ألا يظن اولئك انهم مبعوثون »المطففين : ٤)

يوم البعث : هو يوم القيامة .

قال الله تعالى :« فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون »الروم: ٥٦)

البعيث: المبعوث ومن كلام علي عليه السلام في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم :« و بعيثك نعمة » أى مبعوثك الذي بعثته إلى الخلق نعمة .

إنبعث فلان لشأنه إنبعاثاً : مضى ذاهباً لقضاء حاجة وإندفع .

قال الله تعالى : «إذ انبعث أشقاها » الشمس : ١٢) أى مضى ذاهباً .

وقال:« ولكن كره الله إنبعاثهم »التوبة : ٤٦) أى توجههم و مضيّهم تباعثوا على الشيء : حمل بعضهم بعضاً على صنيعه .

في المفردات: أصل البعث إثارة الشيء و توجيهه يقال: بعثته فانبعث ، ويختلف

البعث بحسب إختلاف ماعلّق بهفبعثت البعير أثرته و سيّرته ـ فالبعث ضربان :
بشرى كبعث البعير وبعث الانسان فيحاجة والهى وذلك ضربان :

أحدهما ـ ايجاد الاعيان و الاجناس والانواع عن ليس ، و ذلك يختص به البارىء تعالى ولم يقدر عليه أحداً والثانى ـ أحياء الموتى وقد خص بذلك بعض أولياء كعيسى عليه السلام وأمثاله.

١٧ ـ السجين ـ ٦٧٦

سجنه يسجنه سجناً ـ من باب نصر ـ : حبسه فى السجن .

السجن ـ بفتح السين ـ مصدر و بكسرها : المحبس و هو المكان الذى يحبس فيه المجرمون والمتهمون وجمعه سجون .

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ـ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين » يوسف: ٣٣ ـ ٣٥)

وإسم المفعول : مسجون وجمعه مسجونون :

قال الله تعالى حكاية عن فرعون : « قال لئن اتخذت إلهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين » الشعراء : ٢٩)

وسجنه : منعه عن الكلام . قيل: « والله ما أسجن عنه لسانى إلاّ إذا كسانى »
ويقال : أسجن الهمّ : أضمره .

وفى الحديث : « ماشىء أحق بطول سجن من لسانى »

وفى الخبر المشهور : « الدنيا سجن المؤمن » لانه يمنع نفسه عن الشهوات المحرمة ولسانه وسمعه و عينه ويديه ورجليه عن المحرمات ويكلفها بالطاعات فاذامات إنقلب إلى النعيم الدائم والكافر بعكسه .

السجّان : صاحب السجن. ورجل سجين ـ بالتخفيف ـ: مسجون والسجين: العلانية يقال: فعل ذلك سجينا أى علانية .

والسجّين - بالتشديد - : موضع فيه ديوان الشر و الفجور .

قال الله تعالى :« كلا ان كتاب الفجار لفي سجّين » المطففين : ٧)

وفي حديث أبي سعيد : « ويؤتى بكتابه مختوماً فيوضع في السجين »

في المفردات: السجن: الحبس في السجن .

١٢ - الاثم - ١٢

أثم يأثم إثماً وأثماً وأثاماً - من باب علم - : فعل ما نهى عنه فهو آثم و أثيم .

قال الله تعالى :« ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه» البقرة:٢٨٣)

وقال :« وما يكذّب به إلاّ كل معتد أثيم» المطففين : ١٢)

وقد يطلق الاثم على الجزاء المترتب على فعل ما نهى عنه .

قال تعالى :« ومن يفعل ذلك يلق أثاماً » الفرقان : ٦٨) أي عقاباً ، و سمى العذاب أثاماً لانه مترتب عليه .

الاثم: الذنب والذنب والقمار والخمر ومنه قوله :« شربت الاثم حتى ضلّ عقلي »

المأثم : المكان الذي يأثم فيه الانسان وما يأثم به ، أو هو الاثم نفسه و في الحديث :« أعوذ بك من المأثم والمغرم »

أثّمه تأثيماً - من باب التفعيل - : نسب إليه الاثم .

آثمه ايثاماً - من باب الافعال - : أوقعه في الاثم .

تأثّم تأثماً - من باب التفعل - : تحرّج عن الاثم و كفّ نفسه عنه .

في المفردات: الاثم و الأثام : إسم للافعال المبطئة عن الثواب وجمعه آثام .

والآثم: المتحمل الاثم قال تعالى:« آثم قلبه» وقوبل الاثم بالبر ،فقال صلى الله عليه وآله وسلم : «البر ما اطمأنّت اليه النفس والاثم ما حاك في صدرك »

وفي اللسان : الاثم: الذنب. وقيل : هو أن يعمل ما لا يحلّ له.

٨٩ - الرين - ٦١٧

رانت نفسه ترين ريناً وريوناً ـ من باب باع ـ : خبثت .

ورانه يرينه رينا : غلبه وران عليه : غلب عليه .

والرين : الصدأ لانه يعلو المرآة أوالسيف .

قال الله تعالى:« كلابل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون »المطففين : ١٤)

أى غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيهاحتى صار صدأ ودنساً على قلوبهم فعمّى عليهم معرفة الحق من الباطل والخير من الشر .

أران القوم إرانة: هلكت ماشيتهم .

الرينة : الخمرة لغلبتها على العقل جمعها: رينات .

فى المفردات: الرين صدأيعلو الشىء الجليل قال:« بل ران على قلوبهم » أى صار ذلك كصدإ على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر .

وفى المجمع:الرين: الحجاب الكثيف .

و فى النهاية :أصل الرين : الطبع والتغطية ومنه قوله تعالى:« كلاّ بل ران على قلوبهم » أى طبع وختم .

ومنه حديث على عليه السلام :« لتعلم أيّنا المرين على قلبه والمغطّى على بصره» المرين : المفعول به الرين .

يقال: رين بالرجل رينا : إذاوقع فيما لايستطيع الخروج منه .

و فى اللسان :الرين : الذنب على الذنب حتى يسوادّ القلب .

٢٢ - الرحيق - ٥٥٠

الرحيق : أجود الخمر والخالص منها ولاغش فيها .

قال الله تعالى :« يسقون من رحيق مختوم »المطففين : ٢٥)

و في الحديث : «أيما مؤمن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم».

المختوم : المصون الذى لم يبتذل لاجل ختامه .

والرحيق أيضاً ضرب من الطيب .

٨٥ - السنام والتسنيم - ٧٤٤

سنم يسنم سنماً وسناماً - من باب علم - : علا ورفع .

وسنّم الشيء تسنيماً - من التفعيل - : رفعه و أعلاه .

سنام البعير: أعلاظهره. وسنام كل شيء: أعلاه . ويقال: فلان سنم المكيال: ملأه ثم عمل فوقه مثل السنام من الطعام .

وسنم القبر : رفعه من الارض فهو غير مسطح منها، وسنم الدخان: إرتفع . يقال: رجل سقيم أى عالى القدر رفيع المنزلة .

وتسنيم: عين فى الجنة ، و كأنها سميت بذلك لعلو مكانها ورفيع قدرها قال الله تعالى :« ومزاجه من تسنيم » المطففين : ٢٦)

وفى الحديث :« خير الماء السنم » أى المرتفع الجارى على وجه الارض .

وفى الحديث :« دزوة الاسلام وسنامه الجهاد »

٢٨-الجرم و المجرم-٢٤٤

جرم يجرم جرماً- من باب ضرب-: قطع .ومنه جرم النخل جرماً وجراماً. إذا صرمه . الجرمة - بكسر الجيم- قوم يصرمون النخل .

وجرم الشاة: جزّ صوفها. شجرة جريمة أى مقطوعة .

المجرم : المنقطع عن الحق إلى الباطل،عن الايمان إلى الكفر، عن الطاعة إلى المعصية وعن الخير إلى الشر هذا فى إصطلاح القرآن الكريم .

قال الله تعالى:« ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون »المطففين : ٢٩)

وقال:« قل إن إفتريته فعلى إجرامى وأنا برىء مما تجرمون » هود : ٣٥)

وقال :«انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها و لا يحيى »طه:٧٤)

الجريمة : الجناية والذنب يقال: أخذ زيد بجريمته .

الجرم: الذنب جمعه جرم وجروم .

جرم بمعنى كسب . جرم: إكتسب الاثم ، أجرم إجراماً ـ فهو مجرم ـ : أذنب .

وقال تعالى :«ولا يجرمنكم شنآن قوم »المائدة: ٢)أى لا يحملنكم بغض قوم.

الجرمـ بكسر الجيم ـ : الجسد جمعه أجرام .

الاجرام الفلكيّة : هى الاجسام التى فى الفلك مع ما فيها .

والجرم ـ بالكسر ـ : اللون أيضاً .

و فى حديث على عليه‌السلام : « اتقوا الصبحة فانها مجفرة منتنة للجرم » أى البدن وقيل : اللون .

لاجرم: عن الفراء هى كلمة كانت فى الاصل بمنزلة: لا محالة ولا بدّ ،فجرت على ذلك ثم كثر إستعمالها حتى تحوّلت إلى معنى القسم و صارت بمنزلة «حقاً» هذا إذا جائت باللام كقولك: لاجرم لآتينك، ولاجرم لافعلن كذا وجاءت بمعنى لا شك ولا ريب .

قال الله تعالى :«لاجرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون »هود : ٢٢)

فى المفردات: أصل الجرم : قطع الثمرة عن الشجر واستعير ذلك لكل إكتساب مكروه

٤ـ الضحك ـ ٨٩٦

ضحك يضحك ضحكاً ـ من باب علم ـ:إستبان و طلع .

الضحك : ضدالبكاء .

أصل المادة: البروز والانكشاف ومنه يجيىء ضحك الانسان لانبساط وجهه وظهور أسنانه .

ثم يستعمل في بواعثه المختلفة فيراد منه السخرية ضحك منه أى سخر به و قد ورد منه في معنى السخرية مع التعدية بمن .

قال الله تعالى: «ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » المطففين : ٢٩)

وقال: « و كنتم منهم تضحكون » المؤمنون : ١١٠)

الضحك : إنبساط النفس سروراً عند أمر عجيب .

قال تعالى : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » التوبة : ٨٢)

وقال : « وانه هو أضحك وأبكى » النجم: ٣٣) أى أودع فى الانسان قوتى الضحك والبكاء والسرور والحزن .

وقال: « فتبسم ضاحكاً » النمل : ١٩) التبسم أول مراتب الضحك .

وقد يكون الضحك للتعجب، وبه فسّر قوله تعالى : « وامرأته قائمة فضحكت» هود : ٧١)

الضحّاك : فعال و الضحوك : فعول للمبالغة أى كثير الضحك .

فى المفردات: الضحك: إنبساط الوجه وتكشّر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان: الضواحك، واستعير الضحك للسخرية ويستعمل فى السرور المجرد قال تعالى: « مسفرة ضاحكة ـ فليضحكوا قليلاً ـ فتبسم ضاحكاً »

واستعمل للتعجب المجرد تارة ومن هذا المعنى قصد من قال: الضحك يختص بالانسان وليس يوجد فى غيره من الحيوان .

٣٥- الغمز - ١١٠٤

غمزه بالعين والحاجب واليد يغمزه غمزاً - من باب ضرب - : أشار بها إليه عيباً وطعناً عليه .

وأغمز في الرجل إغمازاً: استضعفه وعابه وصغّر شأنه .

من المادي غمز الدابة : نخسها لتسرع ومنه غمز الكبش : إذا لمسه ليعرف هل به طرق أي شحم وسمن أم هزل .

والتغامز : تفاعل أي تبادل الغمز الطالب للنقص . تغامز القوم : أشار بعضهم إلى بعض بأعينهم .

قال الله تعالى : « وإذا مرّوا بهم يتغامزون » المطففين : ٣٠)

الغمّاز: فعّال للمبالغة من كانت عادته الغمز .

الغميز : العيب يشار به إلى صاحبه .

المغامز : المعايب .

في المفردات : أصل الغمز : الاشارة بالجفن أو اليد طلبا إلى مافيه معاب ومنه قيل : ما في فلان غميزة : أي نقيصة يشار بها إليه وجمعها غمائز .



﴿ النحو ﴾

١- (ويل للمطففين)

«ويل»مبتداء، والابتداء بالنكرة لمكان الدعاء،و«للمطففين»متعلق بمحذوف أي ثابت،وهو خبر المبتداء،و«للمطففين»إسم فاعل لجمع المذكر من باب التفعيل.

٢- (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون)

«الذين» موصولة ، في موضع جرّ صفة ا «للمطففين» و «إذا» شرطية ، و «اكتالوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافتعال ، وهو فعل الشرط ، و «على الناس» متعلق بفعل الاكتيال ، ويحتمل أن يكون متعلقاً بـ«يستوفون» قدم للتخصيص أي يستوفون على الناس خاصة ، وأما أنفسهم فيستوفون لها. وعن الفراء: ان «على» بمعنى «من» وقيل : بمعنى «عند» .

و«يستوفون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الاستفعال، وأصله: يستوفيون، فثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى ما قبلها بعد حذف كسر الفاء، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، و«يستوفون» جزاء الشرط على حذف المفعول أي يستوفون الكيل ، والجملة بتمامها صلة الموصول .

٣- (واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون)

الواو للعطف ، و«إذا» شرطية ، و«كالوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، وفي «هم» وجوه : أحدها ـ في موضع نصب ، مفعول به لفعل الكيل والوزن أي إذا كالوا الناس .

ثانيها ـ فى موضع نصب، مفعول به،على تقدير: كالوالهم الطعام أووزنوالهم الطعام. على حذف اللام، فاتصل الفعل بهمع حذف المفعول به. وعلى هذين الوجهين يكتب «كالوا أووزنوا» بالألف . ثالثها ـ فى موضع جرّ على حذف المضاف أى إذا كالوا مكيلهم أووزنوا موزونهم .

رابعها ـ فى موضع رفع، بناء على انه ضمير فصل يؤكّد ضمير الفاعل. و على هذا الوجه لا يكتب «كالوا أووزنوا »بالألف .

وقيل: ان هذا الفعل يتعدى بنفسه تارة، وبالحرف تارة اخرى .

و«كالوهم » فعل الشرط، و«أو» حرف ترديد للعطف، و«وزنوهم» ك «كالوهم» و«يخسرون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الافعال، والجملة جزاء للشرط ، وجملتى الجزاء والشرط عطف على ما تقدم .

٤- (الايظن اولئك انهم مبعوثون)

وقدجاء «ألا» فى القرآن الكريم يراد: «لا»فيه معنى النفى فى موضعين فى إبتداء الكلام : أحدهما ـ قوله تعالى :«ألايعلم من خلق »الملك: ١٤) ثانيهما ـ قوله تعالى : «ألايظن» المطففين : ٤)

فـ«لا» نافية دخلت عليها همزة الاستفهام ، وليست «ألا» للتنبيه لان مابعد «ألا» التنبيهية مثبت ، وههنا هومنفى ، و«يظن» فعل مضارع ، فاعله «اولئك» يشار به إلى المطففين، و«ان» حرف تأكيد، وفتح الألف لوقوعها بعد فعل الظن، و«هم» فى موضع نصب، إسم لحرف التأكيد ، و«مبعوثون» إسم مفعول لجمع المذكر خبر لها، والجملة فى موضع نصب ، سدّ مسدّ المفعولين لفعل الظن .

٥- (ليوم عظيم)

«ليوم» متعلق بقوله :« مبعوثون » و«عظيم» نعت من «يوم» .

٦- (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

فى«يوم» وجوه : أحدها ـ بدل من محل «ليوم» فناصبه «مبعوثون» ثانيها ـ

منصوب بفعل مقدر دلّ عليه «مبعوثون» أي يبعثون يوم. ثالثها ـ منصوب على الظرف أي في يوم. رابعها ـ على تقدير: أعني يوم. خامسها ـ انه مبنيّ على الفتح للاضافة و الظرفية كَقبل وبعد. و «يقوم» فعل مضارع، و «الناس» فاعله، و «لرب» متعلق بـ «يقوم» اضيف إلى «العالمين».

٧- (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين)

في «كلا» وجهان: أحدهما ـ انه إسم، وضع للردع يجري مجرى الاصوات نحو: صه و مه. ثانيهما ـ انه مركب من كاف التشبيه، و «لا» النافية وشدّدت مبالغة في الزجر مع الايذان بتركيب اللفظ. و «ان» حرف تأكيد، و «كتاب» إسم لحرف التأكيد، اضيف إلى «الفجار» وهو فعّال للمبالغة نحو: طوّال، واللام في «لفي» للتأكيد، و «سجين» فعّيل للمبالغة نحو: شرّير من السجن وهو الحبس والتضييق جعل علماً لديوان الشر الجامع لأعمال الكفرة والفسقة والشياطين، وهو منصرف لانه ليس فيه إلاّ العلمية.

وقيل: ان النون في «سجين» بدل من اللام، أصله: سجيل: فابدلت اللام نوناً. وعلى أيّ التقديرين فـ «سجين» مجرور بحرف الجرّ، متعلق بمحذوف، وهو الخبر لحرف التأكيد.

٨- (وما أدراك ماسجين)

الواو للاستيناف، و «ما» للاستفهام في موضع رفع، على الابتداء و «أدراك» الفعل ماض، وكاف الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في موضع نصب، مفعول به، و الجملة خبر المبتداء و «ما» مبتداء و «سجين» خبره

٩- (كتاب مرقوم)

«كتاب» خبر لمحذوف أو هو محل كتاب لان السجين مكان. وقيل: التقدير هو كتاب من غير حذف. والتقدير: وما ادراك ما كتاب سجين. و «مرقوم» نعت لـ «كتاب».

١٠- (ويل يومئذ للمكذبين)

«ويل» مبتداء والابتداء بالنكرة لمعنى الدعاء و«للمكذبين» متعلق بمحذوف وهو الخبر وعامل «يومئذ» محذوف . و«المكذبين» إسم فاعل لجمع المذكر من باب التفعيل .

١١- (الذين يكذبون بيوم الدين)

«الذين» موصولة ، فى موضع جرّ ، صفة لـ«للمكذبين» و«يكذبون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب التفعيل ، صلة الموصول ، و «بيوم» متعلق بفعل التكذيب اضيف إلى «الدين» .

١٢- (ومايكذب به الا كل معتد أثيم)

الواو للاستيناف ، و«ما» نافية ، و«يكذب» فعل مضارع من باب التفعيل ، و «به» متعلق بـ«يكذب» والضمير راجع إلى «يوم الدين» و «إلا» حرف إستثناء و «كل» فاعل لـ«يكذب» اضيف إلى «معتد» و«معتد» إسم فاعل من الاعتداء من باب الافتعال ، و«أثيم» صيغة مبالغة بمعنى كثير الآثام بحيث تراكم بعضها على بعض لانهماكه فى الهوى ، ونعت من «معتد» .

١٣- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

«إذا» حرف شرط ، و«تتلى» فعل مضارع ، مبنىّ للمفعول من التلاوة ، و«عليه» متعلق بـ«تتلى» والضمير راجع إلى « كل معتد» و «آياتنا» جمع آية ، فاعل نيابى لـ«تتلى» اضيف إلى ضمير التكلم مع الغير «نا» والجملة فعل الشرط ، و«قال» فعل ماض ، معتل العين ، و فاعله ، ضمير مستتر فيه راجع إلى « كل معتد» و«أساطير» جمع اسطورة - بالضم - أو إسطارة ، أضيفت إلى «الاولين» خبر لمحذوف أى هذه الايات أو ما يتلى علىّ أساطير الاولين ، والجملة القولية جزاء الشرط ، وجملتا الشرط والجزاء صفة لـ« كل معتد» .

١٤- (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

«كلا» حرف ردع وزجر، وفيه قولان: أحدهما ـ انه بسيطة. وثانيهما ـ انه مركبة من كاف التشبيه والنافية، و«بل» حرف إضراب، و«ران» فعل ماض، و«على قلوبهم» متعلق بـ«ران» والضمير راجع إلى«المكذبين»، و«ما» موصولة، و«كانوا» فعل ماض من أفعال الناقصة، و«يكسبون» في موضع نصب، خبر لفعل الناقص، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي يكسبونه.

١٥ـ(كلاانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

إن الضمير في«انهم» في موضع نصب، إسم لحرف التأكيد، و«عن ربهم» متعلق بـ«لمحجوبون» واللام للتأكيد، ومدخولها خبر ا«ان».

١٦ـ (ثم انهم لصالوا الجحيم)

«ثم» حرف تراخ بحسب رتبة الكلام، واللام في «لصالوا» للتأكيد، ومدخولها إسم فاعل لجمع المذكر، على حذف النون لاضافته إلى «الجحيم» خبر لحرف التأكيد: «ان».

١٧ـ (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون)

«يقال» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول على حذف المتعلق أي يقال لهم... و القائم مقام الفاعل مضمر تفسره الجملة بعده. وقيل: هو الجملة نفسها. و«هذا» في موضع رفع، على الابتداء و «الذى» موصولة، و«كنتم» فعل ماض من أفعال الناقصة لجمع المذكر المخاطب، و«به» متعلق بـ«تكذبون» والضمير راجع إلى «الذى» وهو عائد الصلة، و«تكذبون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب التفعيل في موضع نصب، خبر لفعل الناقص، والجملة صلة الموصول، والجملة خبر المبتداء.

١٨ـ (كلاان الابرار لفى عليين)

«الابرار» جمع البار، إسم لحرف التأكيد، واللام في «لفى» حرف تأكيد. و«عليين» مجرور بـ«في» والجار والمجرور متعلق بمحذوف وهو خبر لحرف التأكيد.

قيل : واحد « عليين » : عليٌ وهو الملك فعيل من العلو . و قيل إعرابه كاعراب الجمع لانه على صورته وإن صار مفرداً كقنسرين من حيث انه جعل علماً لديوان الخير الذى فيه أعمال الملائكة وصلحاء الثقلين إما لانه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة و إما لانه مرفوع فى السماء السابعة يحضره الملائكة المقربون . وقيل: هو إسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك: عشرون وثلاثون . والعرب إذا جمعت جمعاً ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية قالوا فى المذكر و المؤنث بالنون . وقيل: إن تغيّر اللفظ بدخول الاعراب عليه دليل على أنه جمع .

١٩- (وما أدراك ماعليون)

إعراب الاية ظاهر من قوله تعالى : « وما أدراك ماسجين » وقيل: على تقدير عليون محل كتاب. وقيل: على تقدير : ما كتاب عليين .

٢٠- (كتاب مرقوم)

إعرابها ظاهر مما تقدم .

٢١- (يشهده المقربون)

«يشهد» فعل مضارع، والضمير فى موضع نصب، مفعول به، راجع إلى « كتاب» و«المقربون» إسم مفعول لجمع المذكر من باب التفعيل ، فاعل الفعل، والجملة نعت من « كتاب » .

٢٢- (ان الابرار لفى نعيم)

«ان» حرف تأكيد، و«الابرار» جمع البار إسمها، واللام فى «لفى» للتوكيد و«نعيم» مجرور بحرف الجار، متعلق بمحذوف وهو الخبر لحرف التأكيد .والتقدير :ان الابرار ليستقرون فى نعيم الجنة ، فالتنوين فى «نعيم» عوض عن المضاف إليه .

٢٣- (على الأرائك ينظرون)

فى «على الارائك» وجوه: أحدها- انه متعلق بمحذوف،وهو حال من «الابرار»

أى قاعدين أو جالسين على الأرائك. ثانيها ـ انه متعلق بـ«ينظرون» ثالثها ـ انه متعلق بمحذوف، وهو حال من الضمير فى «نعيم» أى يتنعمون. رابعها ـ انه متعلق بمحذوف، وهو حال من الضمير فى «ينظرون» و«الأرائك» جمع أريكة.

وفى «ينظرون» وجوه: أحدها ـ فى موضع نصب، نعت من «الابرار» ثانيها ـ فى موضع نصب، حال من «الابرار» ثالثها ـ فى موضع رفع على الاستئناف على حذف المتعلق أى ينظرون إلى مناظر الجنة و مافيها من النعيم. وقيل: إلى ما يعذّب به الكفار. وقيل: ينظرون ما اعطوا من النعيم.

٢٤- (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم)

«تعرف» فعل مضارع، خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و«فى وجوههم» متعلق بمحذوف، وهو صفة ا «نضرة النعيم» وقيل: متعلق بـ«تعرف» و «نضرة» مفعول به، اضيف إلى «النعيم»

٢٥- (يسقون من رحيق مختوم)

«يسقون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب، مبنىّ للمفعول، فى موضع نصب، صفة ا «الابرار» و«من رحيق» متعلق بـ«يسقون» و«مختوم» صفة من «رحيق».

٢٦- (ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

«ختامه» مبتداء و«مسك» خبره و الواو للاستيناف، و «فى ذلك» متعلق بـ«فليتنافس» والفاء للتفريع، واللام للأمر، والفعل، فعل مضارع من باب التفاعل، و«المتنافسون» إسم فاعل لجمع المذكر، من هذا الباب، فاعل الفعل.

وقيل: «فى» بمعنى «إلى» أى وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون فى العمل كقوله تعالى: «لمثل هذا فليعمل العاملون».

٢٧- (ومزاجه من تسنيم)

الواو للعطف، و«مزاجه» مبتداء، والضمير راجع إلى «رحيق» و«من تسنيم» متعلق بمحذوف وهو الخبر.

٢٨- (عيناً يشرب بها المقربون)

فى «عيناً» وجوه: أحدها ـ منصوب بفعل مقدر على المدح أى أعنى عيناً أو أمدح عيناً . ثانيها ـ على تقدير : يسقون ماء عين ، فحذف المضاف ، و قام المضاف إليه مقامه. ثالثها ـ انها منصوب على التميز. رابعها ـ حال من «تسنيم» و «تسنيم» إسم للماء الجارى من علو الجنة فهو معرفة لانه علم لعين بعينها فى الجنة . والمعنى : ومزاجه من الماء جارياً من علو. فالعين بمعنى جارية .

خامسها ـ منصوب بـ «تسنيم» لانه مصدر وهو الناصب . والتقدير: ومزاجه من ماء متسنم عيناً . كقوله تعالى :« أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيماً » فـ «عيناً» منصوب على المفعولية . سادسها ـ منصوب على الاختصاص . أى أخصّ . سابعها ـ منصوب بنزع الخافض أى يسقون من عين .

و «يشرب» فعل مضارع ، و «بها» متعلق بـ «يشرب» و «المقربون» فاعل الفعل ، والجملة فى موضع نصب ، وصف لـ «عيناً» وفى «بها» وجوه: أحدها ـ أن تكون الباء زائدة والمعنى: يشربها. ثانيها ـ أن تكون بمعنى «من» فالمعنى: يشرب منها. ثالثها ـ أن تكون بمعنى «فى» رابعها ـ أن تكون الباء بمعناها لان يشرب بمعنى يلتذّ

٢٩- (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

«ان» حرف توكيد، و «الذين» موصولة فى موضع نصب، إسم لحرف التأكيد ، و «أجرموا» فعل ماض من باب الافعال، صلة الموصول، و «كانوا» فعل ماض من أفعال الناقصة ، و «من الذين» متعلق بـ «يضحكون» و «آمنوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال، صلة الموصول، و «يضحكون» فى موضع نصب، خبر لـ «كانوا» والفعل الناقص مع معموليه فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

٣٠- (واذا مروا بهم يتغامزون)

الواو للعطف ، و « إذا» حرف شرط ، و «مرّوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، فعل الشرط ، وفاعله واو الجمع، راجع إلى المؤمنين ، و «بهم» متعلق بفعل

المرور، والضمير راجع إلى المجرمين، وقيل: العكس، و«يتغامزون» فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب التفاعل، جزاء الشرط، وفاعله واو الجمع، راجع إلى المجرمين على حذف المفعول به أى يتغامزونهم.

٣١- (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين)

الواو للعطف، و«إذا» حرف شرط، و«انقلبوا» فعل ماض من باب الانفعال، عطف على «مرّوا» و «أهلهم» متعلق بـ«انقلبوا» و«انقلبوا» الثانى جزاء الشرط، و «فكهين» حال من ضمير الفاعل.

٣٢- (واذا رأوهم قالواان هؤلاء لضالون)

عطف على المتقدم، و«رأوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، وضمير الفاعل راجع إلى المجرمين، و«هم» فى موضع نصب، مفعول به، راجع إلى المؤمنين و «قالوا» جواب الشرط، والقائلون هم المجرمون، و«هؤلاء» إسم لحرف التأكيد يشار به إلى المؤمنين، و اللام فى «لضالون» للتأكيد، و مدخولها خبر «ان»، و الجملة المؤكدة مقولة القول.

٣٣- (وما ارسلوا عليهم حافظين)

الواو للحال، و«ما» نافية، و«ارسلوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال، مبنى للمفعول، وفاعله النيابى واو الجمع، راجع إلى المجرمين، و الجملة حال من الضمير فى «قالوا» و«عليهم» متعلق بـ«حافظين» وضمير الجمع راجع إلى المؤمنين، و«حافظين» حال من ضمير الفاعل النيابى فى «ارسلوا».

٣٤ (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

الفاء للتفريع، و«اليوم» مبنىّ على الفتح، و «الذين» موصولة فى موضع رفع على الابتداء، و«آمنوا» صلة الموصول، و«من الكفار» متعلق بـ«يضحكون» و فاعل الضحك هنا هم المؤمنون، والجملة خبر المبتداء.

٣٥ (على الأرائك ينظرون)

«على الارائك» متعلق بمحذوف، حال من فاعل «يضحكون» أى ان المؤمنين

يضحكون يوم القيامة من الكفار جالسين على الأرائك ، وقيل: «على الأرائك» متعلق بمحذوف وهو خبر بعد خبر ا «الذين آمنوا» و«ينظرون» حال اخرى من أحوال المؤمنين، وهم يضحكون من الكفار حال جلوسهم على الارائك ينظرون إلى الكفار ،وهم يعذّبون بعذاب النار ، وقيل : «ينظرون» خبر آخر .

٣٦ (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)

في «هل ثوب» وجوه : أحدها ـ انه متعلق بـ «ينظرون» فيكون معنى «هل» التقرير وموضعها نصباً بـ «ينظرون» فالجملة قامت مقام المفعول، والمعنى: هل قدرنا على الاثابة نحو : هل وجدتم ماو عدربكم حقاً . أو المعنى : ينظرون هل جوزي الكفار . ثانيها ـ مستأنف اريد به تبكيت الكفار، فلا موضع له من الاعراب . ثالثها ـ على إضمار القول . والمعنى : يقول بعض المؤمنين لبعض أو يقال لهم : هل ثوب الكفار أي اثيب وجوزي .

و «ثوّب» فعل ماض من باب التفعيل ، مبنيّ للمفعول ، و «الكفار» فاعله النيابي ، «ما» موصولة ، في موضع نصب، مفعول ثان ، قام مقام المفعول الاول ، و «كانوا» فعل ماض من أفعال الناقصة، و «يفعلون» في موضع نصب، خبر لفعل الناقص، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي يفعلونه .

﴿البيان﴾

١ ـ (ويل للمطففين)

دعاءعلى الغشاشين فى الكيل والوزن ، و تنديدبهم و وعيد عليهم بالويل والعذاب الشديد .

و فى تنكير «ويل» تهويل لأمره ، والمطفف صفة ذم تطلق على من طفف شيئاً يسيراً إلى أن يصير إلى حال تتفاحش .و سمى هؤلاء الغشاشون بالمطففين لانهم لا يكادون يسرقون فى المكيال والميزان إلا الشئ اليسير الطفيف. وفى إطلاق التقريع تلقين مستمرى المدى فى تقبيح بخس الناس وغشهم وسلب أموالهم بطريق الحيلة والخداع . و فى الجملة من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى على القارىء الخبير .

قيل: فى التهديد ايماء إلى أن المطففين كانوا من طبقة الاغنياء ذوى النفوذ الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون لانهم كانوا يكتالون على الناس لامن الناس ، فكأن لهم سلطاناً على الناس بسبب من الاسباب يجعلهم يستوفون المكيال والميزان منهم إستيفاء قسراً ، فليس المراد انهم يستوفون حقاً ، بل كانوا يستوفون ما يريدون إجباراً أكثر من حقهم ـ كما رأيت ذلك من بعض التجار الخونة الجابرة المنتحلة بالاسلام ـ و إذا كانوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس دون أن يستطيع هؤلاء المظلومون منهم نصفة و لا إستيفاء حق .

و كان هذا السلطان إما بسلطان الرئاسة أو الملك ، و إما بالجمهورة أو الجاه القبلي أو بسلطان المال وحاجة الناس لما في أيديهم منه وإحتكارهم للتجارة حتى يضطر الناس إلى قبول هذا الجور منهم ، كل ذلك يخالف المنهج الالهى القويم ، ومن ثم كره الله تعالى هذه الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الأخلاقى فى التعامل ، فأرسل الله جل و علا هذه الصيحة المدوية بالويل على الغشاشين لانها تخالف زمام الحياة الاجتماعية الانسانية .

و لا يخفى ان اللام فى «للمطففين» للاستحقاق ، و عرّفوها ـ تارة ـ بما يفيد أحقيّة مدخولها ممن عداه ـ و اخرى ـ بالواقعة بين المعنى والذات كقولنا : الحمد لله والعزة لله تعالى، و كقوله عزوجل : « ويل للمطففين » وقوله سبحانه : « لهم اللعنة و لهم سوء الدار » الرعد : ٢٥) .

٢ ـ (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون)

صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به هذا الويل والوعيد والدعاء والتهديد .

و فى الاكتفاء بالاكتيال حين الاستيفاء دون الاتزان مع ذكر الكيل والوزن فى الاخسار دلالة على الغالب لان التطفيف فى الكيل يكون بشىء قليل لايعبأ به فى الأغلب دون التطفيف فى الوزن ، فان أدنى حيلة فيه يفضى إلى شىء كثير ولان ما يوزن أكثر قيمة فى كثير من الاحوال مما يكال ، فاذا أخبرت الاية بأنهم لايبقون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم ، علم أنهم لايبقون عليهم والكثير الذى لا يتسامح فيه إلاّ نادراً بالطريق الاولى .

و قيل : ذكر الاكتيال دون الاتزان فى هذه الاية لأن أحدهما يدل على الاخر . و قيل : لان المطففين كانت عادتهم انهم لا يأخذون ما يكال و ما يوزن إلاّ بالمكيال لان إستيفاء الزيادة بالمكيال كان أمكن لهم و أهون عليهم منه بالميزان ، و إذا اعطوا كالوهم أو وزنوهم لتمكنهم من البخس فيهما، فالاكتيال

يؤمى إلى الاحتيال في الشراء . و قيل : لم يذكر الاتزان مع الاكتيال كما ذكر الوزن مع الكيل لان المطففين كانوا باعة ، وهم كانوا يشترون كثيراً من الحبوب و البقول و نحوهما غالباً ثم يكسبون بها ، فيبيعونها يسيراً يسيراً تدريجاً وكان دأبهم في كثير من أمتعتهم أن يؤخذ و يعطى بالكيل لا بالوزن، فذكر الاكتيال وحده في الاية مبنيّ على الغالب .

وفي وضع «على» موضع «من» لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء ، وللتنبيه على أن إكتيالهم من الناس إكتيال فيه ضرر على الناس ، و إشارة إلى أن هذا الذي يكيلونه هو شيء لهم على غيرهم .

وقيل: فيه إشارة إلى أنه إكتيال فيه ضرر عليهم لكن لا باعتبار الضرر في حيّز الشرط الذي يتضمنه كلمة «إذا» لاخلاله بالمعنى، بل في نفس الامر بموجب الجواب لان المراد من الاستيفاء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص، بل إنما المراد مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأيّ وجه تيسّر من وجوه الحيل بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه أو من وجوه السلطان مما تقدم .

وقيل : « على الناس » متعلق بقوله : « يستوفون » قدّم لافادة الخصوصية ، فالمعنى : يستوفون على الناس خاصة ، وأما أنفسهم فيستوفون لها .

وقيل : في « يستوفون » دلالة على أنفسهم يستوفون حقهم كاملاً إذا اخذوا على أن «على» بمعنى «من» كقوله تعالى : « من الذين استحق عليهم الاوليان » المائدة : ١٠٧) أي منهم .

٣- (و اذا كالوهم اووزنوهم يخسرون) .

ذكر الكيل و الوزن في صورة الاخسار و الاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن ، وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى .

و في تعدية فعلى الكيل و الوزن بدون حرف الجر «إلى» إشارة إلى أنهم في تلك الحال هم الذين يكيلون ويزنون ، فكأنه قيل : وإذا اعطوهم مكيلاً أو موزوناً يخسرونهم بالنقص في الكيل والوزن ، فهم لايراعون الحق لغيرهم مثل مايراعونه لانفسهم ليضمنوا لانفسهم الربح في الحالين على حساب ضرر الآخرين.

٤- (الايظن اولئك انهم مبعوثون) .

إستفهام إنكار ، وزيادة توبيخ ، وتهويل في شأن هذا العمل الكاسد، وتعجيب عظيم من حال المطففين في الاجتراء على التطفيف كأنهم لايخطرون التطفيف ببالهم ولايخمنون تخميناً، وغفلتهم عن يوم البعث والحساب والجزاء، وتساؤل في معرض الانذار عما إذا كانوا حينما يفعلون ذلك لايعرضون أنهم مبعوثون بعد الموت ، و التساؤل ينطوي على تقرير مافتيء القرآن الكريم يقرره ، وهو أن جرأة كثير من الناس على الآثام تأتي من عدم مراقبتهم الله جل وعلا وحسبانهم حساب الآخرة، وهذا من دون ريب متصل بحكمة الله تعالى فيما يقرره القرآن من حقيقة البعث والجزاء الاخرويين .

فالجملة مستأنفة سيقت لايراد تهويل ماارتكبوه من التطفيف والتعجيب من إجترائهم عليه ، وماهو الموجب لذلك .

قوله تعالى : «اولئك» إشارة إلى المطففين ، وفي وضعها موضع ضمير «هم» إشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم ، فان الاشارة إلى الشيء متعرضة له من حيث إتصافه بوصفه ، و ليست الضمائر متعرضة لوصف مراجعها ، ففي الاشارة ايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل إمتياز نازلون منزلة الامور المشار إليها إشارة حسيّة، ومعنى البعد فيها إشعار على بعدهم عن رحمة الله جل وعلا، ببعد درجتهم في الشرارة والفساد ...

ونفي الظن عن المطففين بالبعث كناية عن عدم ايمانهم به ، وتكذيبهم إياه و هو الناشيء لارتكاب الاعتداء والاثم لانهم لوظنوا بالبعث لمانقصوا الكيل والوزن

كماأن السارق لوظن بقطع اليدلما سرق ...

قيل: ان في التعبير بفعل الظن بدلاً من فعل الاعتقاد في البعث إشارة إلى أن مجرد الظن بأن هناك بعثاً وحساباً وعقاباً ـ يكفي في العدول عن هذا المنكر وتجنبه وتوقياً للشر المستطير الذي ينجم عنه .. فكيف بمن يعتقد البعث ويؤمن به؟ انه أشد توقياً للبعث ومحاذرة منه وإعداداً له ...

فالاكتفاء بظن البعث وحسبانه ـ مع أن من الواجب الاعتقاد العلمي بالمعاد ـ لان مجرد ظن الخطر والضرر في عمل يوجب التجنب عنه، والتحرز عن إقترافه وإن لم يكن هناك علم، فكيف بمن تيقن بالبعث و الجزاء فالمعنى ان اولئك الموصوفين بذلك الوصف الشنيع الهائل لم يظنوا انهم مبعوثون .

٥- (ليوم عظيم)

في تنكير اليوم للتهويل ـ مع وصفه بالعظمة ـ مالايخفى. والمعنى :لايقادر قدرعظمه وعظم مافيه ، ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة ،فان من يظن ذلك. و لو ضعيفاً لايكاد يتجاسر على أمثال تلك القبائح ، فكيف يفعل ذلك من تيقنه !

وفي وصف اليوم بالعظم بيان بليغ لعظم الذنب كماأن في الانكار المتقدم وقيام الناس الآتي لرب العالمين ووصف ذاته برب العالمين كذلك .

٦- (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

إخبار عن ذلك اليوم على طريق الوصف ، وقيام الناس من قبورهم ـ كناية عن تلبسهم بالحياة بعد الممات ـ لحكم الله جل وعلا وقضائه بينهم ، و في عنوان الربوبية دلالة على أنه لايفوته ظالم قوي ، ولايترك حق مظلوم ضعيف ، و على أن إحياء الناس بعدمماتهم للحساب والجزاء من شئون التربية .

وفي تعظيم أمر التطفيف ايماء إلى العدل وميزانه، وان من لايهمل مثل هذا فكيف يهمل تعطيل قانون عدله في عباده !

ففى الايات الست من الانكار والتعجيب ، وايراد الظن، ووصف اليوم بالعظم ،وقيام الناس فيه كافة لله عز وجل خاضعين، ثم وصفه جل وعلا بربوبية العالمين بيان بليغ لعظم الذنب ، وتفاقم الاثم فى التطفيف .

٧- (كلاان كتاب الفجار لفى سجين)

ردع عما كانوا عليه من التطفيف، و زجر عما كانوا عليه من الغفلة عن البعث و الحساب والجزاء ، وتنبيه إلى خطأهم على ما كانوا عليه، فالمعنى ، ليس الامر على ماهم عليه من تطفيف الكيل والميزان أو تكذيب بالاخرة ، فلير تدعوا عن ذلك و ليز دجروا عماهم عليه ، فان الامر أعظم مماهم يظنون ، وفى ذلك دليل على خبث عقائد هم وفساد أعمالهم وتحقير الله تعالى إياها .

وقوله تعالى : «ان كتاب الفجار لفى سجين » تعليل للردع والزجر أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق . و فى التعبير عن المطففين بالفجار ، وتعليق الحكم على الوصف مالايخفى .

و«سجين» مكان مطبق ، مغلق على هذا الكتاب وهو مبالغة من السجن، وهو الحبس ، وفى هذا إشارة إلى أن هذا الكتاب ـ لما يضم من شنائع و منكرات ـ قد القى به فى مكان بعيد عن الأعين ، كما تلقى الجيف أو يردم على الرمم .

٨- (وما أدراك ماسجين)

تعويل لامر السجين ، وتشنيع على هذا المكان الذى ضم هذا الكتاب العفن الذى تفوح منه رائحة هذه المنكرات الخبيثة، وتلك العقائد الباطلة ... و«سجين» صفة مبالغة من السجن على سبيل التخليد لمن يدخلونه .

وقيل: إن الجملة معترضة سيقت تعظيماً لامر السجين ، ولان ذلك لم يكن مما كانت العرب تعرفه ، أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت و لاقومك ، فالسجين ماهو بحيث لاتبلغه دراية أحد .

٩- (كتاب مرقوم)

بيان إجمالي لـ «كتاب الفجار» بعد الابهام، وايماء إلى أن القضاء حتم لا يتخلف.
وقيل: وصف معنوي لـ «كتاب الفجار» وقيل: بدل من «سجين» حيث يدل ذلك على أن هذا الكتاب المنكر، والمكان الذي القي فيه، قد صار شيئاً واحداً هو هذا الكتاب المرقوم أي المرسوم بتلك العلامات والشواهد الدالة على ماضم عليه من آثام ومنكرات ...

١٠- (ويل يومئذ للمكذبين)

وعيد و تهديد على هؤلاء الفجار الغشاشين الذين يكذبون بالبعث، ولا يظنون انهم مبعوثون ليوم عظيم ... ان لهم الويل والهلاك والعذاب الأليم في هذا اليوم العظيم. و حملة شديدة، قوية مفزعة من شأنها إثارة الرعب في قلوب السامعين. وفي الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفى على القارىء الخبير.

وقيل: نعي و دعاء على الفجار. وفيه تفسير الفجار المطففين بالمكذبين.

١١- (الذين يكذبون بيوم الدين)

وصف للذم لا للبيان لان كل مكذب، فالوعيد يتناوله سواء كان مكذباً بالبعث أو بسائر آيات الله جل وعلا فهو كقولك: فعل فلان الفاسق الخبيث وإنما خص التكذيب بالبعث لتقدم ذكره وذكر ما يتعلق به، و ايماء بأن التطفيف و الفجور ناشىء عن تكذيبهم بالبعث والحساب والجزاء.

١٢- (وما يكذب به الا كل معتد أثيم)

مبالغة في الذم، على طريق وصف المكذبين بالوصفين إطلاقاً: أحدهما- الاعتداء وهو التجاوز عن حد الاعتدال في إستعمال القوة النظرية إما في طرف الا فراط وهو الجربزة حتى الممكن محالاً، و أقدم على التكذيب، وإما في طرف التفريط وهو البله حتى قنع بالاستبعاد المحض، وأعرض عن النظر في دلائل البعث من الخلق الاول وغيره.

ثانيهما ـ الاثم و هو الذى أعمل قواه البدنية فى غير مواقعها حتى أثمر له الباطل بدل الحق وحكم على آيات الله جل و علا بأنها أساطير الاولين .

قيل: ان الآية الكريمة بصدد بيان لما عليه المكذب من الاعتداء والاثم، فان الاعتداء والاثم يوجبان إنكار المعتدى والآثم البعث والجزاء لان المعتدى والآثم مع إقراره بالبعث والحساب والجزاء لا يعتدى ولا يتجاوز حقوق الناس ولا يرتكب المآثم ولا ينهمك فى الشهوات ... فالاعتداء والاثم تحمل الانسان على إنكار البعث والجزاء فليس الانكار سبباً للاعتداء و الاثم بل إنما الاعتداء و الاثم سبب للانكار كما ينبىء عن ذلك قوله تعالى: « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

١٣- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

بيان لبعض أوصاف المكذبين بيوم الدين ، وآثار الاعتداء والاثم بأنه إذا تليت على المعتدى الآثم آيات الله جل وعلا النازلة على رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال منكراً لها ـ ليست هذه إلاّ أقاصيص الاولين وأخبارهم أخذها محمد و ينقلها للآخرين وليست وحياً يوحى كما يدّعى ، وفيه إنكار للنبوة أيضاً .

١٤- (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

ردع وزجر للمكذبين عن إنكار البعث والحساب وتكذيبهما، وردّ على قول كل معتد أثيم أغمض عينيه عن هذا النور السماوى المشعّ الذى يبدّد ظلام ليله الغارق فى ملذاته بتلك القولة الضالة التى يقولها عن كتاب الله جل وعلا . وتقرير لماادّى إعتدائهم وإثمهم من رين القلوب، فيسهل لهم حينئذ إنكار التوحيد والنبوة و المعاد و غيرها من الاصول الاسلامية وفروعها ، و من ترك الأوامر و إرتكاب النواهي بعدما صارت القلوب ... كالمرآة الكدرة التى لا ينعكس فيها نور من الانوار ...

فالحقيقة من أمرهم أنما اقترفوه من آثام ، وجبلت عليه نفوسهم من شر و خبث قد غطى على بصائرهم وحجّر قلوبهم ...

كل ذلك من نتائج التطفيف ، وهو ناشيء عن حب الدنيا ومتاعها، وقد صدق رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم اذ قال : « حب الدنيا رأس كل خطيئة »

وفي الاية الكريمة ايماء إلى السبب الذي حملهم على تكذيب البعث والجزاء ، وجرأهم على تكذيب الوحي السماوي والنبوة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم و حملهم على الاعتداء والاثم ، وإلى سبب حصول الرين على قلوبهم ...

١٥- (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

ردع ثالث في هذه السورة ، ردع عن مقالتهم في كتاب الله جل و علا، وزجر عن كسب الرائن ما حيل بين قلبه وإدراك الحق ، وتوكيد لهذا الرين الذي غطى قلوبهم، وانه قد صحبهم إلى الآخرة، فحجبهم الله تعالى يوم القيامة عن موقع رحمته وإحسانه وعن كرامة القرب والمنزلة ، كما حجبوا هم أنفسهم بآثامهم عن معرفة الرب وربوبيته، وعن علمه وحكمته، وعن قدرته ورحمته ، و عن رؤية الحق و الايمان به في الحياة الدنيا .

وفي الاية الكريمة بيان لثمرة الرين ، و تقرير لمصير الفجار المكذبين المعتدين الآثمين يوم القيامة ، و عذابهم الروحي ببعدهم عن موقع رحمة الله و كرامته قبل عذابهم الجسمي والروحي معاً في نار جهنم .

في تلخيص البيان : للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه قال في هذه الاية الكريمة: « وهذه إستعارة ومجاز لان الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور والبطون و الاستتار و البروز ، و ذلك من صفة الاجسام المحدثة ، و الأشخاص المؤلفة و المراد بذكر الحجاب ههنا انهم ممنوعون من ثواب الله سبحانه ، مذودون عن دخول جنته ودار مقامته .

وأصل الحجب : المنع ، ومنه قولنا في الفرائض : الاخوة يحجبون الام عن الثلث إلى السدس أي يمنعونها من الثلث ، ويردونها إلى السدس ، ومن ذلك أيضاً قولهم : حجب فلان عن باب الأمير أي ردّ عنه و دفع دونه ، و يجوز أن يكون

لذلك معنى آخر ، وهو أن يكون المراد أنهم غير مقربين عندالله تعالى بصالح الأعمال ، وإستحقاق الثواب ، فعبّر تعالى عن هذا المعنى بالحجاب لان المبعد المقصى يحجب عن الابواب ، ويبعد من الجناب » إنتهى كلامه ورفع مقامه .

١٦- (ثم انهم لصالوا الجحيم)

بيان لعذابهم الجسمى بعد بيان عذابهم الروحى ، مع الايماء إلى ما بين حرمانهم عن رحمة الله جل وعلا حين البعث ودخولهم فى النار من التراخى الزمانى .

١٧- (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون)

تقريع لعذاب روحى وراء عذاب جسمى على طريق الاخبار بما يقرع بشدة الغم على وجه التوبيخ والذم ، مع التنبيه إلى ما استحقوا به هذا العذاب ، و فى حذف القائل ، وايثار الفعل مبنياً للمفعول من التهويل مالايخفى . وفى ايثار فعل التكذيب بصيغة المضارع دلالة على تكرره منهم فى الحياة الدنيا .

١٨- (كلا ان كتاب الأبرار لفى عليين)

ردع رابع عما كان عليه هؤلاء المطففون الفجار المكذبون ، وردّ على الذين أجرموا الذين ظنوا أن مصير الناس جمعاً كمصيرهم هذا الذى يلاقون فيه أشد الهوان وأقسى العذاب .

وقوله تعالى : «إن كتاب الابرار . . . » مستأنف سيق لبيان محل كتاب الابرار ، مبالغة فى علوّه بعد بيان سوء حال الفجار متصلاً ببيان سوء حال كتابهم ، وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع . وفى الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى .

١٩- (وما أدراك ماعليون)

تعظيم لشأن عليين وتفخيم لأمره أى هو بحيث لايبلغه دراية أحد ، وتنويه بهذا الكتاب ورفع قدره وقدر المكان الذى أودع فيه ... و تنبيه على أن تفصيل تفضيله لايمكن العلم به إلاّ بالمشاهدة يوم القيامة و كمارقم كتاب الفجار ووسم

بميسم التجريم والاعتداء والاثم والتكذيب ... فقدرقم كتاب الابرار وختم بخاتم الرحمة والمغفرة بمحضر من المقربين من ملائكة الرحمن... انهم يطالعون صفحاته ليروا فيها كيف طاعة المطيعين وإحسان المحسنين ، وبرّ الابرار من عباد الله جل وعلا .

٢٠ـ (**كتاب مرقوم**)

بيان إجمالي لكتاب الابرار بعد الابهام، وايماء إلى أن القضاء حتم لا يتخلف، و في هذا الكتاب العلوى غاية العلو مكتوب فيه جميع طاعات الابرار و صالح الاعمال وفضائل الاخلاق وصدق الاقوال ... وماتقرّ به أعينهم ، وما يوجب سرورهم خلاف مافى كتاب الفجار السفلى نهاية السفل من المعاصى وفساد الاعمال و رذائل الاخلاق و كذب الاقوال . . . ومايسؤهم و ينوّهم ويسخن أعينهم فكتاب الابرار ضد كتاب الفجار بجميع معانيه ...

٢١ـ (**يشهده المقربون**)

وصف ثان لكتاب الابرار ، وفى الجملة من التشويق والحث على وجوه البر مالايخفى و لم يقل ذلك فى كتاب الفجار ، لعدم الاعتناء بهم حتى يشهد كتابهم الملائكة المقربون .

وان الوصف قوىّ شائق حقاً من شأنه أن يبثّ الطمأنينة والشوق فى نفوس الابرار من جهة كما ان الاوصاف التالية تنطوى على التنويه بالابرار الذين استحقوا تلك الدرجات العالية من النعيم والتكريم من جهة ، وعلى الحث على الايمان و صالح الاعمال لنيلها من جهة اخرى .

٢٢ـ (**ان الابرار لفى نعيم**)

شروع ببيان محاسن أحوال الابرار ، وجلالة قدرهم و عظم منزلتهم عند الله جل وعلا وغزارة عيشهم فى الجنة ونعيمها، إثر بيان حال كتابهم على طريقة مامرّ فى شأن الفجار ، ففى الاية الكريمة وتاليها تقرير لوصف مصير الابرار الاخروى

بالمقابلة ،فكما قاد كتاب الفجار أصحابه إلى جهنم و عذابها ، كذلك قاد كتاب الابرار أصحابه إلى الجنة ونعيمها .

وفى تنكير «نعيم» دلالة على فخامة قدره . و المعنى : ان الابرار لفى نعمة كثيرة يتنعمون بها لايحيط بها الوصف . وفي الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى .

وقيل: ان الاية الكريمة بيان و تفسير ا «عليين» وانه جنات نعيم .

٢٣- (على الأرائك ينظرون)

وصف لمنازل الابرار و فخامة مجالسهم في الجنة بأنهم على السرر فى الحجال ، منازل تعلوفيها وجوههم بهجة السرور ، فيسرحون بأبصارهم فى هذا النعيم المحيط بهم ويتحملون محاسنه ومباهجه،فيعظم نعيمهم وتتضاعف مسراتهم ... فتتمتع أبصارهم بأبهى مناظر الجنة ونعيمها .

وحذف المفعول لفعل النظر ليشمل أنواع نعيمهم فى الجنة من الاطعمة و الاشربة والحور العين ، ومن الملابس والمساكن والمراكب، ومن كل ماأعده الله عز وجل لهم . ففى إطلاق النظر من غير تقييد دلالة على أن نظرهم إلى مناظر الجنة البهجة ومافيها من النعيم المقيم ، ويؤيده ظاهر السياق .

٢٤- (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم)

ان الخطاب وإن كان للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار أن له أن ينظر فيعرف ،و لكن الحكم عام لكل واحد ممن له حظ من الخطاب ، وفيه ايذان بأن مالهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لايختص برؤية راء دون راء ، ومن المحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار خواص الأبرار .

و فى التعبير بالمعرفة «تعرف» بدلاً من الرؤية «ترى» إشارة إلى أثر هذا النعيم و بهجته ، و حسنه و نوره ، و إلى أثر نضارة التنعم ورونقه الواضحة على الوجوه . . . وأن مجرد النظر إلى هذه الوجوه يفيد علماً ومعرفة بمايلقى أصحاب

هذه الوجوه من تنعمها بألوان النعيم ، فتدل سمتهم على السرور والسعة والراحة والدعة ، فان الظاهر هو عنوان الباطن ، فكل نظرة إليهم تكشف عن نضرة النعيم دون أن يظهر منهم شيء بلفظة قول أو إشارة ، فهم في نعيم بكيانهم ككل لا بؤس فيهم ولا عبس

٢٥- (يسقون من رحيق مختوم)

وصف رابع لهؤلاء الابرار بأنهم إذا استقروا في الجنة ، واتكئوا على السرر المعدّة لهم، وسرحوا بأبصارهم في ألوان نعيمها الممدود بين أيديهم، يطاف عليهم بالرحيق وهو الشراب الخالص من كل كدر و دنس،ومن كل غش وخلط ،الشراب الصافي النفيس المبرأ من كل سوء ومن إدخال مايفسده فيه .

وفي ايثار الفعل مبنياً للمفعول، وتنكير «رحيق» وصفاً، «مختوم»مالايخفى على القارىء الخبير المتأمل فتدبر جيداً واغتنم جداً .

٢٦- (ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

وصف ثان للموصوف على طريق تفسير الصفة الاولى ، بأن الرحيق المختوم قد ختم بخاتم لايفكّ ختمه غير أصحابه ، تكريماً وصوناً لها عن الابتذال على ما جرت به العادة من ختم الانسان على مايكرّم ويصان ، مختوم بطينة من المسك فيكون طعمه ورائحته مسكاً ، مختوم بخاتم من المسك ، فاذا فضّ ختامه عبقت منه رائحة المسك ، فعطرت الجوّ من حوله ، فتنتعش النفوس لشرابه ، وتهش لاستقباله . ففي الجملة تقرير لنفاسة الرحيق من جهة ، و بيان لحقيقة الختم من جهة اخرى .

قوله تعالى : « وفي ذلك » إشارة إلى الرحيق على طريق تخصيص الحكم بعد التعميم كقولك : « لاتكن عيّاباً و للعلماء العاملين خاصة » و معنى البعد فيها إما للاشعار بعلو مرتبته و بعد منزلته، وإما لكونه في الجنة .

وفي تقديم الجار إشارة إلى أن السعي والاتعاب يجب أن يكون في مثل ذلك

النعيم الدائم الاخروى الذى لايعتريه زوال و لا كدر ، لاالنعيم الزائل الدنيوى الذى فيعرضة الزوال والكدر في كل وقت .

والمعنى: لمثل هذافليعمل العاملون، ويجد المجدون، ويتنافس المتنافسون ... فهذا هوالذى ينبغى أن يطلب ، ويشتد الطلب عليه ، ويكثر التنافس فيه، وأما ماسواه فهوهباء وقبض الريح .

وفى الاية الكريمة ترغيب في العمل لذلك النعيم العظيم الدائم، وإرعواء عن النعيم الذى يشوبه الكدر وهوسريع الفناء والزوال .

وقيل: ترغيب إلى الرحيق المختوم بالمسك . وهذا غيروجيه جداًإذ لابد من البر للنيل إلى هذا النعيم .

٢٧- (ومزاجه من تسنيم)

وصف ثالث للرحيق على طريق العطف والمعنى : ان هذا الرحيق الذى يسقى منه الابرار في الجنة ، والذى تعبق منه رائحة المسك هو ممزوج بتسنيم و له مزاج من تسنيم ، وسمى بالتسنيم لانه يتدفق و ينصب عليهم من علو إلى أسفل .

٢٨- (عيناً يشرب بها المقربون)

بيان للتسنيم بانه ليس عصير فاكهة أوماء اضيف إليه شيء آخر ، وإنماهو من عين طبيعية جنتية لاتبلغها دراية أحد، ولايعرف كنهها . وفى تنكير «عيناً» تنبيه على عظم شأنها وفخامة أمرها، بحيث لايعلم كنهها إلاّ الله جل وعلا .

وقيل: فى تعدية الفعل «يشرب» بالباء بدلاً من حرف الجر «من» إشارة إلى أن هذه العين هى شراب وأداة للشراب أيضاً ، فهم يشربون بهذه العين من هذه العين ! !

وفى الاية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف ، فينتفى الحكم بانتفاء الوصف مالايخفى .

٢٩- (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

تقرير لموقف الكفار المكذبين، و الفجار المطففين من المؤمنين في الحياة الدنيا على طريق الحكاية عن بعض قبائح الكفار، جيء بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الابرار ...

قوله تعالى: «من الذين آمنوا» قدم الجار و المجرور إما للقصر إشعاراً بغاية شناعة مافعلوا، وإما لمراعاة الفواصل. والمراد من المؤمنين ههناهم هؤلاء الابرار المتقدم ذكرهم، وإنما عبّر عنهم بالذين آمنوا لان سبب ضحك الكفار منهم وإستهزائهم بهم إنما هو ايمانهم كما أن التعبير عن الكفار بالذين أجرموا للدلالة على أنهم بذلك من المجرمين.

٣٠- (واذا مروابهم يتغامزون)

بيان لبعض قبائح حركات المجرمين بالنسبة إلى المؤمنين، فهم إذا مرّ بهم المؤمنون أومرّواهم بالمؤمنين غمز بعضهم بعضاً باشارات بالجفن أو الحاجب أو من أعينهم أوغمزات بأكتافهم إستهزاء وسخرية، وكأنهم أمام مشهد عجيب غريب يثير العجب والضحك، فيتغامزون عليهم كلما مرّوابهم و يرمونهم بالضلال مع أنهم ليسوا عليهم وكلاء ولاحفاظاً.

قيل: وفي الآية الكريمة إشعار بأن الكفار كانوايفعلون مرة بعدمرةاخرى خفاءاً لابمرأى من المادين بهم، بل إنما كانوا تكتفون حنيئذ بالتغامز.

٣١- (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين)

إشارة إلى شأن هؤلاء المجرمين والكفار المكذبين، و الفجار المطففين بعدأن ينفض مجلسهم الآثم الذى جرحوا فيه المؤمنين بتغامزهم وتلامزهم... انهم يعودون من هذا المجلس إلى أهلهم، و على أفواههم طعم هذا المنكر الذى طعموه فيها يتشدقون به، ويقصون على أهلهم مادار على ألسنتهم من فجور ومارموا

به المؤمنين من هجر القول وفجره ، يجعلون ذلك مادة للتندر والتفكه، إذ كانوا يعودون إلى أهلهم ويشفون أنفسهم ، ويفترّون بأباطيلهم ...

وفي الآية الكريمة دلالة على أنهم كانوا يتحدثون لقومهم ما كانوا يفعلون من التغامز ، وكانوا راضين عن فعلهم السيئ وعن انفسهم الوضيعة مبتهجين بما فعلوا بلاندامة من فعلهم الشنيع ، ولاشعور من صنعهم القبيح .

٣٢- (وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) .

بيان لمقالتهم السخيفة إثر بيان حركاتهم القبيحة في المؤمنين ، بأنه ليست هذه كل ما عند هؤلاء المجرمين والفجار المطففين من كيد للمؤمنين ، بل أنهم كلما رأوا أحداً من المؤمنين أشاروا إليه كمعلم من معالم الضلال ، وكأنهم يشفقون عليه من هذا الطريق الذي يسير فيه ... فيقول بعضهم لبعض : انظروا إلى هذا المسكين المغرور الذي يمنّيه محمد بالجنة ونعيمها !! انه مسكين لقد وقع فريسة لخداع محمد وتمويهه !! .

فكانوا يقضون على المؤمنين بالضلالة، فكأنهم يستدلون على جواز تغامزهم بضلالة هؤلاء المؤمنين .

٣٣- (وما ارسلوا عليهم حافظين) .

ردّ على هؤلاء المجرمين ومقالتهم وقضاءهم على المؤمنين بالضلالة، وتهكم بهم ، وإشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول والقضاء من وظائف من أرسل من ناحية عزوجل ، ولم يرسل الله جل وعلا هؤلاء المجرمين رقباء على المؤمنين. ولامو كلين بالمسلمين حتى يحفظوا عليهم أحوالهم ، ولا حارسين لما يتهددهم من سوء ، ولم يؤتهم سلطة محاسبتهم على أفعالهم ...

فليس لهم أن يعيبوا عليهم ، ويحكموا بعقولهم الفاسدة عليهم بالضلالة ، وقد كان الأولى بهؤلاء المجرمين الضالين أن ينظروا إلى أنفسهم ، وأن يحفظوها من هذا البلاء الذي إشتمل عليهم ... ولكن هكذا أهل السوء أبداً يشغلون عن

أنفسهم وعن حراستها من المهالك والمعاثر بالبحث عن عيوب الناس وتتبع سقطاتهم وزلاتهم والتشنيع بها عليهم.

و من المحتمل أن تكون الآية الكريمة إخباراً من الله عز و جل، و من المحتمل أيضاً أن تكون مقالة من المجرمين، فكأنهم قالوا: ان هؤلاء المؤمنين لضالون وهم لم يرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم إلى الاسلام. وإنما قيل: «عليهم» موضع «علينا» نقلاً له بالمعنى.

٣٤- (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

تقرير لموقف المؤمنين من الكفار المجرمين فى الآخرة، ومعاملتهم لهم يوم القيامة على طريق الحكاية عكس ماتقدم من موقف الكفار من المؤمنين فى الحياة، وعودة بالمجرمين من موقفهم هذا فى الحياة الدنيا إلى موقف الحساب و الجزاء مرة اخرى، و إنزالهم منازلهم فى جهنم حيث تتعالى صرخاتهم على حين ينظر إليهم المؤمنون ضاحكين منهم، ساخرين بهم كما كانوا هم يسخرون من المؤمنين، ويضحكون منهم فى الدنيا.

فالآية الكريمة بصدد بيان إنقلاب الامر إلى عكسه يوم القيامة حيث يفوز المؤمنون بالعاقبة السعيدة، ويتمتعون بمنازل النعيم، ويقفون من الكفار موقف الساخر الشامت لماصاروا إليه من مصير رهيب، تسلية لهم على ماينالهم منهم من أذى، وتقوية لقلوبهم، وتثبيتهم على الاسلام، وشداً لعزائمهم على التذرع بالصبر والتصبر على متاعب التكاليف، وأذية الاعداء فى أيام معدودة لنيل ثواب لانهاية له ولاغاية...

وفى التعبير عن الذين أجرموا بالكفار تنبيه إلى رجوعهم يوم القيامة إلى حقيقة صفتهم. وقدم «من الكفار» لقصر القلب تحقيقاً للمبالغة و المعنى: إنما المؤمنون يضحكون من الكفار فى الاخرة كما كان الكفار يضحكون من المؤمنين فى الحياة الدنيا.

ولكن الفرق بينهما: ان الكفار كانوا يضحكون من المؤمنين فى الدنيا بسبب ايمانهم وهدايتهم ، بسبب صدقهم وصلاحهم ، بسبب كمالهم و سعادتهم ، و بسبب صفائهم وفلاحهم .. . وأما المؤمنون فيضحكون من الكفار فى الاخرة بسبب كفر هم وضلالتهم ، بسبب كذبهم و فسادهم ، بسبب إنحطاطهم وشقائهم ، و بسبب خذ لانهم وخسرانهم ، وعلى عاقبة كفرهم فى الآخرة .

٣٥- (على الأرائك ينظرون)

بيان حال من أحوال المؤمنين يوم القيامة ، وهم يضحكون من الكفار حال جلوسهم على الأرائك، مستريحين عليها، مالئين عيونهم من نعيم الجنة الذى يحف بهم، على حين يتقلب المجرمون على جمر جهنم .

وفى إطلاق النظر مع ظهور السياق من غير تقييد دلالة على أن نظرهم إلى ماعليه الكفار من سوء الحال وغاية الذلة والهوان ...

٣٦- (هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون)

يحتمل أن يكون المراد بالكلام التهكم كقوله تعالى :« فبشرهم بعذاب» وفى هذا القول مزيد غليظ ، وتوبيخ للكافرين ، ونوع سرور وتنفيس للمؤمنين. والمعنى : ينظر المؤمنون و هم على أرائكهم ليروا هل جوزى الكفار بما كانوا يفعلون ؟ وذلك ليتحقق لهم وعيد الله جل وعلا فى أهل الضلال كما تحقق لهم وعده فى أهل الايمان ... فالآية الكريمة معمولة لا «ينظرون »

ويحتمل أن يكون الاستفهام للتقرير أى هل قدرنا على الاثابة نحو : هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً .

ومن المحتمل أن يكون مستأنفاً لاتعلق له بماقبله ، يرادبه تبكيت الكفار وهل جوزوا الجزاء الذى يستحقونه أم أن هناك مزيداً من العذاب يريدونه إن كان فوق ماهم فيه مزيد ؟ ...

ان الآية الكريمة بمثابة التعقيب متسائلة عما إذا لم يكن الكفار بما صاروا

إليه قدجوزوا الجزاء الحق على ما كانوايفعلونه ، وقدتضمنت جواباً ايجابياً على السؤال .

و فيها تنبيه إلى أن ضحك المؤمنين من الكفار في الآخرة جزاء وفاقاً لضحكهم منهم في الدنيا ، فلابدمن المجانسة والمشاكلة حتماً .

وإنماسمى الجزاء على العمل ثواباً لانه يرجع إلى صاحبه نظير ماعمله من خير أوشر، من طاعة أومعصية ، من إحسان أوإساءة ، ومن إصلاح أوإفساد ...



﴿الاعجاز﴾

وقد اتفق جمهور المفسرين على أن سورة « المطففين » أول ماقرأه محمد رسول‌الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة حين القدوم بها، وانها آخر سورة مكية نزولاً، وأول سورة مدنية قراءة .

ونحن إذاتدبرنا فى السور المكية نجد أكثرها مبيّنة لقاعدة يقوم عليها بناء العقيدة ، وترجع إليها التكاليف و الشريعة ، وتستمد منها الحقوق و العبادة لان هذه القاعدة مقدمة على الأوامر والنواهى والتكاليف والفرائض ... على بيان ماهو دخيل فى النظام الحيوية للانسان والاوضاع .. فيجب إبتداء معرفة الناس ربه وحده فى حياتهم كما يجب عليهم بالوهيته وحده فى عقيدتهم .

فلايشركون معه سبحانه فى الوهيته وخالقيته شيئاً ، و لايشركون به فى ربوبيته وتدبيره أحداً ، فيعترفون انه وحده جل وعلا هو المتصرف فى شئون هذا الكون : فى عالم الأسباب والأقدار ، وهو المدبر فى شئون العباد فى عالم الجعل والتشريع للاحكام ، وهو الحاكم على حسابهم وجزائهم يوم القيامة .

وهذه القاعدة قدمت لتزكية الضمير من أوهام الشرك والكفر ، و تزكية الاذهان من شوائب الخرافات والأباطيل ، وتحرير العقل من عقال الجهل ، وتحرير المجتمع البشرى من تقاليد الجاهلية ، وتنقية الحياة الانسانية من عبودية العباد للعباد ... قدّمت ليعرّف الناس كلهم :«أن لاإله لهم إلاّ الله سبحانه، ولارب لهم إلاّ الله جل وعلا ، ولاحاكم لهم إلاّ الله تعالى ، ولامشرع لهم إلاّ الله عزوجل »

ثم تبتنى الاحكام و التكاليف على هذه القاعدة الأساسية ، فاذالم تكن هذه

القاعدة فليس للاحكام والشرايع أثر ولاقيمة لمن كان مشركاً لاأثر لبذر في الارض السبخة إلا فساد البذر ، وقد كانت أوضاع قريش ومشركي مكة مقتضية لذلك ، فجرى القرآن الكريم على ما اقتضته الاوضاع ...

ولما هاجر رسول الله الاعظم ﷺ بأمر الله عزوجل إلى المدينة ، وقد كانت أوضاعها غير تلك الاوضاع نزل عليه ﷺ قبل قدومه بها ما تقتضيه أوضاعها من إصلاحها من التطفيف وفساد التعامل ، كان فيه إفساد الاجتماع الانسانى ، المبنى على تعادل الحقوق المتقابلة ، وفى إفساده كل الفساد ...

ومن هنا تجد جذور القرآن الكريم فى أعماق الفطرة البشرية ، و إمتداد سلطانه ، وان اصوله وفروعه عامة وأبدية تكفل للبشرية مطامحها المشروعة على ما يقتضيه العقل السليم .

وعلى حين أن هذه الحقائق الأساسية على طريق الاقتضاء قد برزت إلى الوجود فى ضوء القرآن اللامع منذ أربعة عشر قرناً ، نجد أن مجتهدى المفكرين ، ومحققى المصلحين للمجتمع البشرى ممن يبحثون عن هذه الحقائق خارج ضوء القرا ن يصدرون دائماً عن تردد و إرتياب ، و لا يصلون إلى أبعاض ما جاء به هذا الوحى السماوى منذ أربعة عشر قرناً .

ولقد صدق الله العلى العظيم : «هل لئن اجتمت الانس والجن على يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء : ٨٨)

وقد كان أهل المدينة قبل الهجرة النبوية أخبث الناس كيلاً ووزناً ، و من أدب الاسلام وحكمته أن يعالج هذا الامر المنكر ، ويعلن رأيه فى هذا الامر وحكمه على فاعليه لئلا يكون خادعهم ولا شريكاً فى شنيع فعالهم ، فنزلت سورة «المطففين» قبل قدوم النبى الكريم ﷺ بالمدينة ، فلما جاءها قرأها بلّغها أسماع أهلها ليكشف لهم عن شناعة هذا العمل وما يجر على مقترفيه من نقمة الله تعالى وعذابه و لينخلعوا من هذا المنكر ، ويطهروا مدينتهم من هذا الخبث ...

فاستقبلوا رسول الله ﷺ ، وطهّروها منه ، وأصبحوا أعدل الناس كيلاً ووزناً ، فأوجد النبي الكريم ﷺ بينهم ثقة وأمانة ، وأصلح نظامهم الفاسدة...

وذلك ان حياة المجتمع البشرى قائمة على التبادل والأخذ والاعطاء فاذا لم يقم ذلك بينهم على ثقة متبادلة كما يتبادلون كل شيء إنحلّ عقد نظامهم ، وتقطعت عرا أوثق ترابط بينهم ، و في القرآن الكريم إشارة صريحة إلى خطورة التبادل القائم بين الناس أخذاً وإعطاءاً وهذا ما نراه في دعوة نبي الله شعيب عليه السلام ورسالته في قومه ، فانها رسالة لابد وأن تعالج التبادل ، وتصلحه إذا فسد قبل أيّ داء آخر بعد داء الكفر ، فانه لايقوم بناء ولايستنبت خير إلاّ إذا اقتلع هذا الداء وطهرت منه الارض التي يراد إستصلاحها وغرس البذور الطيبة فيها ...

قال الله عزوجل حكاية عن شعيب عليه السلام إلى قومه :« ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير» هود: ٨٤)

وقال:« إذقال لهم شعيب ألاتتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله و أطيعون- أوفوا الكيل و لاتكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم و لاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الارض مفسدين » الشعراء : ١٧٧- ١٨٣)

انها قضية حق وعدل ... فاذا افتقد الحق مكانه في قوم ، وإذا اختلّت موازين العدل في أيديهم ، فليأذنوا بتصدع بنيانهم ، وانهيار عمرانهم وبوار سعيهم وسوء مصيرهم .

﴿التكرار﴾

وأعلم أن في المقام اموراً ثلاثة :

أحدها - إفتتحت سورتان بكلمة «ويل» أحدهما - سورة المطففين. ثانيهما -سورة الهمزة. ثانيها - نشير في المقام إلى صيغ إحدى عشر لغة - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جائت في هذه السورة، وفي غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت مادة (التطفيف) في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة المطففين :١)

٢- « « (الكيل) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ١٦مرة :

٣- « « (البعث) « « « :٦٧ مرة :

٤- « « (السجن) « « « : ١٢ مرة :

٥- « « (الاثم) « « « : ٤٨ مرة :

٦- « « (الرين) « « « : مرة واحدة

وهي في سورة المطففين : ١٤)

٧- « « (الرحيق) « « « : مرة واحدة

وهي في سورة المطففين : ٢٥)

٨- « « (التسنيم) « « « : مرة واحدة و

هي في سورة المطففين : ٢٧)

٩- « « (الجرم) « « « : ٦٦ مرة :

١٠- « « (الضحك) « « « : عشر مرات :

١- سورة هود: ٧١) ٢- سورة المؤمنون : ١١٠) ٣و٤- سورة النجم: ٤٣ و٦٠) ٥- سورة التوبة : ٨٢) ٦- سورة الزخرف: ٤٧) ٧و٨- سورة المطففين : ٢٩ و ٣٤) ٩- سورة النمل: ١٩) ١٠- سورة عبس : ٣٩) .

١١- « « (الغمز) « « « : مرة واحدة

وهى فىسورة المطففين: ٣٠)

ثالثها- قال الله عزوجل فى الكفار المجرمين والفجار المكذبين : « كلا ان كتاب الفجار لفىسجين وماأدراك ماسجين كتاب مرقوم » المطففين : ٧- ٩)

وقال فى الابرار المؤمنين : « كلاان كتاب الابرارلفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم »المطففين : ١٨- ٢٠)

ان التقدير فى الاولى : ان كتاب الفجار لكتاب مرقوم فى سجين . و فى الثانية: وان كتاب الابرار لكتاب مرقوم فىعليين .

ثم ختم الاولى بقوله جل وعلا : «ويل يومئذ للمكذبين » : ١٠) لانهفى حق الفجار وختم الثانى بقوله تعالى : «يشهده المقربون »: ٢١) فختم كل واحد بما لايصلح سواه مكانه .

﴿التناسب﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها :

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «العنكبوت» وقد كان فيها تنبيه على أن المؤمنين معرضون للامتحان الذى يظهر به صدق ايمانهم ، وتقرير لصورة بعض ضعفاء الايمان وتنديدبهم ، وحكاية لبعض أساليب الاغراء و الدعاية التى كان يعمد إليها زعماء الكفار لصدّ المسلمين، وردّهم وسلسلة قصصية إحتوت أخبار نوح و إبراهيم ولوط وشعيب واممهم ، وإشارات إلى مواقف عاد و ثمود و فرعون ، وصور العذاب الذى حاق بالمكذبين .

وعناية الله جل و علا بالانبياء عليهم السلام والمؤمنين فى معرض التنديد و التذكير والتطمين معاً ، وحكاية لمواقف جدل و مناظرة بين النبى الكريم ﷺ والكفار وأهل الكتاب فى صدد القرآن مجيد ، و حثّ للمسلمين على الصبر و الثبات على الحق والهجرة فى سبيل الله تعالى والاعتماد عليه .

وفى هذه السورة تقرير لصورة من صور اخلاق بعض التجار حين الهجرة و قدومه ﷺ بالمدينة ، وتنديد بالغشاشين فى الكيل والوزن ، و إنذار بحساب الله عز و جل، وفيها حكاية لسخرية الكفار بالمؤمنين ، وإستطراد إلى ذكر مصير

المكذبين ومآل أمر المؤمنين يوم القيامة .

واما الثانية : فمناسبة هذه السورة بماقبلها مصحفاً فبامور :

أحدها - لماقال الله تعالى فى سورة الانفطار : « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين » : ١٠-١١)

ذكر فى هذه السورة مايكتبه الحافظون : « كتاب مرقوم » : ٩-٢٠) يجعل فى عليين أو فى سجين .

ثانيها - لماذكر فى سورة الانفطار بعض أشراط الساعة ، وأخبر عن طرف من أحوالها وأهوالها ، صدّر هذه السورة بالنعى على قوم آثروا الحياة الزائلة على الحياة الباقية وتهالكوا فى الحرص على إستيفاء أسبابها حتى اتسموا بأخسّ السمات وهى التطفيف .

ثالثها - لماشير فى سورة الانفطار إلى مصير الفجار ومآل أمر الأبرار إجمالاً جائت سورة المطففين مفصلة شيئاً من هذا المصير كماجائت كاشفة مبيّنة عن وجوه من فجر الفجار كالتطفيف فى الكيل والوزن، والتكذيب بيوم الدين والاتهام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولآيات الله عزوجل .

رابعها - لماختم الله عزوجل سورة الانفطار بذكر القيامة وصفاتها من أن لاتملك نفس لنفس شيئاً، والامر كله يومئذ لله تعالى، وماأعدّ فيها للابرار والفجار ،وذلك يقتضى تهديداً شديداً للعصاة ، واشير أيضاً إلى مصير الفجار ومصير الابرار يوم القيامة إجمالاً، واشير إلى كتابة الكاتبين أعمال العباد، وبذكر أحوال الناس فى القيامة جائت هذه السورة مبيّنة لبعض مايوجب التهديد بقوله جل وعلا : « ويل للمطففين » على سبيل تعليق الحكم على الوصف لازاحة العذر ، فان نفس التطفيف توجب الويل كماان الكفار كذلك ، ومفصّلة لشىء من هذا المصير كماتكشف عن وجوه التجار ومن إليهم ماكالوا عليه من التطفيف فى الكيل والوزن والتكذيب

، ومبينة لموقف كتابى الفجار والابرار .

وأماالثالثة : فان آيات السورة تنقسم إلى فصول ثلاثة :

أحدها- من قوله تعالى: « ويل للمطففين- إلى قوله- ثم يقال هذاالذى كنتم به تكذبون » : ١٧) وفى هذا الفصل إشارة إلى أحوال المطففين المكذبين الفجار مما كانوا عليه من فساد العمل وسوء الاعتقاد فى الدنيا وإلى أحوالهم فى آخرة من سوء الحساب وشديد العذاب، وفى هذاالفصل إثنى عشر تهديداً للمطففين المكذبين الفجار :

الاول: قوله جل و علا : « ويل» وهذه الكلمة تذكر عند نزول البلاء أو وقوع الهلاك .

الثانى: قوله سبحانه : «ألا يظن» إستفهام إنكارى يشتمل التهديد الشديد .

الثالث : قوله عزوجل : «ليوم عظيم »

الرابع : قوله تعالى : «يوم يقوم الناس »

الخامس: قوله جل و علا : « لرب العالمين » حيث يجازى كل عامل كما ربّاه فى الحياة الدنيا .

السادس : قوله سبحانه : « كلاان كتاب الفجار لفى سجين »

السابع : قوله عزوجل : « وما أدراك ماسجين »

الثامن: قوله تعالى: «ويل يومئذ للمكذبين »

التاسع : قوله جل وعلا : « كلابل ران ... الخ »

العاشر : قوله سبحانه : « كلاانهم عن ربهم »

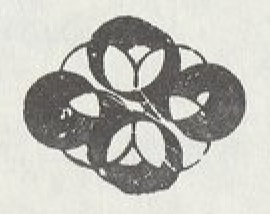
الحاديعشر : قوله عزوجل : «ثم انهم لصالحوا الجحيم »

الثانى عشر: قوله تعالى : «ثم يقال هذا الذى » و قدّم ديوان الفجار وما يستتبعهم من العذاب لوجهة الكلام إليهم .

الفصل الثانى: من قوله عزوجل : «ان كتاب الابرار لفى عليين - إلى قوله

- عيناً يشرب بها المقربون »: ١٨- ٢٨) وفي هذا الفصل إشارة إلى أحوال الابرار الذين هم امناء الله عز وجل بين الناس في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم كما تنبيء إليه كلمة البر، و توصيفهم به، وفي هذا الفصل من فخامة أمرهم وعظم شأنهم ، والبشارات لهم مالا يخفى .

الفصل الثالث من قوله تعالى : « ان الذين أجرموا - إلى آخر السورة » و في هذا الفصل حكاية عن سخرية الكفار من المؤمنين في الحياة الدنيا ، و تنقلب الحال في الآخرة .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً ، فآياتها محكمة والله عز و جل هو أعلم .



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (ويل للمطففين)

فى كلمة « ويل » أقوال: ١- قيل: دعاء على المطففين معناه الخزى والذلة والهلكة . ٢- قيل: دعاء عليهم بالخسران والبوار والدمار . ٣- قيل: أى عذاب شديد عليهم فى الاخرة . ٤- قيل: هى كلمة عذاب . ٥- عن إبن عباس : ويل إسم وادفى جهنم يسيل فيه من صديد أهل النار وقيحهم من أسفلهم و قعره سبعون سنة .

٦- قيل: ويل كلمة تقال فى مواقف التأوّه و التقبيح ، كلمة ذم و سخط لمن يسبّبون الويلات النفسية و الاعتقادية و الاقتصادية و العملية ، وهؤلاء هم الذين يهدّدهم القرآن الكريم بالويل فى صفاتهم وأقوالهم وأفعالهم وأفكارهم و عقائدهم وتصرفاتهم... فذواتهم ويل... مهما حلت لانفسهم، وأينما وجدت لمجتمعهم .فليست كلمة الويل دعاء وإلتماساً من الله سبحانه ، بل انه خبر لا دعاء يخبر عن واقعهم انه ويل ماعاشوا تلكم التخلفات ، ويل فى الاولى والاخرة .

أقول : ولكل وجه ولكن التعميم هو الأنسب .

وفى «للمطففين» أقوال: ١- قيل: هم الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم. وان التطفيف هو: الخروج عن سواء السبيل فى الكيل والوزن زيادة أو نقصاناً . و قال أصحاب اللغة : المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل . والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أووزن .

وقال الزجاج : إنما قيل للفاعل من هذا: مطفف لانه لايكاد يسرق المكيال و الميزان إلاّ الشيء اليسير الطفيف الخفيف ، و إنما أخذ من طف الشيء و هو جانبه .

٢- عن إبن عمر قال: المطفف هو رجل يستأجر المكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فوزره عليه . ٣- عن سلمان الفارسى وسالم بن أبى الجعد وإبن مسعود : التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث ، ويقال لكل شيء وفاء و تطفيف . وعن سلمان رضوان الله تعالى عليه قال : الصلاة مكيال ، فمن أوفى أوفى له ، ومن طفف فقد سمعتم ماقال الله عزوجل في ذلك :« ويل للمطففين » .

٤- قيل: المطففين هم الذين ينقصون شئون الناس و حقوقهم ويقتسمون بينهم و بين الناس قسمة ضيزى كأنهم يملكونهم بأنفسهم و أموالهم يحسبونهم قطب الرحى تدور عليهم ولصالحهم الكائنات كلها ...

فالتطفيف لايختص بالمال ولابالشيء القليل الطفيف ، فهل إن واقعة الطف -تلك الحادثة الدامية الكبرى ! - هل انها كانت خفيفاً طفيفاً ؟ بل هو الانتقاص بحق الآخرين وبخسهم في أشيائهم ... سواء كان في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم و نفائسهم :نفسية أوعقلية أو إعتقادية وايمانية أوعملية وعرضية وماإليها مما يتعلق بالناس أياً كان .

اقول : وعلى الثالث أكثر المحققين وقريب منه الرابع. فعلى هذا يشمل لكل ماينبغي الوفاء به ، فينقص فيه سواء كان بالمكيال والميزان أو الاعداد والا جارات أوالاعمال والاقوال أوالقضاء بين الناس والاخلاق ...

فالمعنى : انهم باخسون لحقوق الناس و حق الله تعالى و حقوق أنفسهم ، فالموزونات هي النيات والاعمال والاخلاق والامتعة والاقوال والافكار ...فيشمل لجميع الطغاة المستكبرين ، و البغاة الظالمين في أيّ صورة من صور التطفيف

في المال وفي سائر الحقوق والواجبات ...

وماورد في هذه السورة من موارد النزول من نقصان الكيل والوزن ، و من ضحك الفجار من المؤمنين ... يؤيد هذا التعميم .

٢- (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون)

في تعدية الاكتيال، «على» دون «من» أقوال : ١- عن الفراء انه قال : «على» بمعنى «من» يقال : اكتلت عليك أي إستوفيت منك والمعنى : إذا اكتالوا من الناس إستوفوا عليهم الكيل . وفيه دلالة على أن في الاكتيال إضرار وبخس حق في البيع على سبيل الحيل والخداع والزور والغرور .

٢- قيل: ان كلمة «على» بمعنى الاستعلاء . وفي دلالة على أن للمشتريين إستعلاء على البايعين ، فكأن لهم سلطاناً عليهم يجعلهم يستوفون كمايهوون فوق حقهم بسلطان الرئاسة والجاه والاشتهار وحاجة الناس المدفعة إلى مافي أيديهم، وإحتكارهم للتجارة لحدٍّ يضطر الناس إلى تقبل هكذا إكتيال عليهم ...

٣- عن الزجاج قال : انهم الذين إذا استوفوا اخذوا الزيادة و إذا أوفوا لغيرهم نقصوا ، فلا يرضون للناس ما يرضون لانفسهم ، و لايراعون لغيرهم من الحق مايراعونه لانفسهم . ٤- قيل : أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية كاملة أي إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلّا وافياً كاملاً .

وانهم إذا لم يبقوا على الناس ماهو قليل مهين من حقوقهم ، فهم لايبقون عليهم ما هو كثير لايتسامح فيه بطريق الاولى . و ذلك بناء على أن «على» بمعنى «عند» .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ، وإن كان غيره لايخلو من وجه .

وفي الاكتفاء بالاكتيال حين الاستيفاء، فلم يذكر اتزنوا أقوال : ١- قيل: لان الكيل والوزن بهما البيع والشراء، فأحدهما يدل على الآخر .٢- قيل: لان

التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لايعبأ بهغالباً دون التطفيف في الوزن ،فان أدنى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير ، و لان مايوزن أكثر قيمة في كثير من الاحوال ممايكال .

۳ـ قيل: لان المطففين كانوا باعة وهم كانوا في الأغلب يشترون الكثير من الحبوب والبقول و نحوهما من الأمتعة ثم يكسبون بها ، فيبيعونها يسيراً يسيراً تدريجاً ، وكان دأبهم في الكثير من هذه الأمتعة أن يؤخذ ويعطى بالكيل لابالوزن ، فذكر الاكتيال وحده في الآية الكريمة على الغالب .

۴ـ قيل: ان الآيتين الكريمتين تحاكيان ماكان عليه دأب الذين نزلت فيهم السورة فقد كانوا يشترون بالاكتيال فقط ، ويبيعون بالكيل والوزن جميعاً .

اقول : وعلى الثالث أكثر المحققين .

۳ـ (واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون)

في الاية الكريمة أقوال : ۱ـ قيل: انها في معنى: وإذا كال هؤلاء المطففون للناس طعامهم أووزنوه لهم ينقصونه . على حذف المفعول به وحرف الجر ، وقيام المفعول له مقام المفعول به. ۲ـ قيل: على تقدير : وإذا كالوا طعامهم أووزنوه يضرّونهم في الكيل والوزن بالنقص فيهما . ۳ـ قيل : أي إذا كانوا مكيلهم أووزنوا موزونهم . على حذف المضاف .

۴ـ قيل: أي إذا كالوا أووزنوا كل مايتعلق بالناس من الاموال والانفس و الاعراض ...يغشونهم .

و ذلك لان كيل المشترين ووزنهم يدل على أن البايعين المستضعفين يبيعون أنفسهم ويملك المشترون المطففون رقابهم ، فلا يملك البايعون لأنفسهم شيئاً إلاّ قدر رحمة المشترين، يعيّشونهم كأرذل العيشة وأنذل من عيشة الحيوان ،ولكي يعيشوا مترفين على مساعي هؤلاء المستضعفين المنكوبين المرضوضين ، عمال لايحق لهم الحصول على مايحصّلون ، فكما ان إستيفاء المشترين المطففين

ليس من أموال الناس فحسب، بل ومن أرواحهم ومشاعرهم عن طريق العقائد الباطلة ،فهم عندما يشترون منهم ماعندهم يبخس الثمن وإستيفاء المثمن يشترون كيانهم أيضاً ، ويملكونهم بأموالهم ، فهم محتكروا النفوس والنفائس، يملكون أصواتهم وذاتياتهم ببخس الثمن كمايملكون أموالهم به .

فكأن المطففين يملكون المشترين عندما يبيعونهم ، فلا يكيلون لهم ولا يزنون ، وإنما يكيلونهم ويزنونهم : أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فيخسرونهم في البيع والشراء كمايخسرونهم في الانفس والاعراض ... بل لايبقون لهم رمقاً ولا نفَساً ولا نفَساً ، فيستثمرونهم ويستحمرونهم ويستعمرونهم ويمتصون دمائهم ويهتكون أعراضهم ويهضمون حقوقهم ...

٥ـ قيل: ان الاية الكريمة في معنى: إذا اعطوا الناس بالكيل أو الوزن ينقصون فيهما فيوقعونهم في الخسران . ٦ـ قيل : ان ضمير «هم» تأكيد لواو الجمع في فعلي الكيل والوزن . ٧ـ قيل : أى انهم إذا كالوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا . تقول : كلتك وكلت لك كماتقول : نصحتك ونصحت لك .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين وإن كان التعميم غير بعيد .

٤ـ (ألا يظن اولئك انهم مبعوثون)

في الظن أقوال: ١ـ عن إبن عباس: الظن هنا بمعنى العلم واليقين .والمعنى ألايوقن اولئك المطففون انهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم. ٢ـ قيل: الظن هنا بمعناه المعروف وهو التردد الراجح في أحد الطرفين. والمعنى: إن كانوا لايستيقنون بالبعث فهلاً ظنوه حتى يتدبروا ويبحثوا عنه و يأخذوا بالاحوط . ٣ـ قيل: الظن هناهو مطلق الاعتقاد الراجح عقلياً أوقلبياً .

٤ـ قيل: إن كان المطففون من أهل الاسلام فالظن بمعنى العلم واليقين ـ قيل: وإن كان قبل ايمانهم فانهم بمنزلة المسلمين كماروى ان أهل المدينة كانوا يفعلون ذلك ـ وإن كانوا من أهل الكفر ومنكرى البعث والجزاء فالظن بمعناه

المعروفه.

اقول : والاول هوالمروى عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين .

٦- (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

فى الناس أقوال : ١- عن سعيد بن جبير : ان المراد بالناس جبرئيل عليه السلام .

٢- قيل: اريد بالناس الأنبياء و الرسل عليهم السلام ، فانهم يقومون بين يدى الله سبحانه للقضاء والشهادة . ٣- قيل: ان المراد من الناس الانبياء واممهم. ٤- قيل: اريد بالناس المطففون والفجار والمكذبون والابرار .

٥- قيل : اريد بالناس الفجار والمكذبون . ٦- قيل: اريد بالناس الانبياء واممهم والملائكة كلهم. وعن أبى مسلم: اريد بالقيام الخضوع التام كقوله تعالى: «وقوموا لله قانتين » .

اقول : والرابع هوالانسب بظاهر إطلاق السياق ، وإن كان الخامس غير بعيد عن ظاهر العتاب .

٧- (كلاان كتاب الفجار لفى سجين)

فى« كلا» أقوال: ١- عن إبن عباس : « كلا»أى ألا تصدّقون.فعلى هذاالوقف «لرب العالمين» ٢- عن الحسن وأبى حاتم : « كلا» بمعنى «حقاً » فالكلام إبتدأ بـ« كلا» والمعنى: حقاً ان كتاب الفجار لفى سجين . ٣- قيل:« كلا» كلمة ردع و زجر وتنبيه .

والمعنى: ليس الامر على ماهم عليه من تطفيف الكيل و الميزان ، و من الغفلة عن ذكر البعث والحساب والجزاء ، أومن تكذيب بالآخرة ، فليرتدعوا عن ذلك وليزدجروا وليتنبهوا . فتمّ الكلام على « كلا» ثم استأنف فقال: «ان كتاب الفجار لفى سجين »

اقول : و على الأخير جمهور المفسرين و هو الأنسب بمقام التقريع و

التوبيخ .

و قوله تعالى : «كتاب» أقوال : ١- عن إبن عباس وسعيد بن جبير وقتادة و مقاتل و كعب : أى ان أرواح الفجار و أعمالهم لفى سجين . ٢- عن إبن عباس و قتادة أيضاً والحسن ومجاهد والضحاك: أى ان كتاب الفجار الذى كتب فيه أعمالهم من الفجور والمعاصى لفى سجين .

٣- قيل: اريد بالكتاب كتاب الاعمال ومسجلاتها الضوئية: صوتية وصورية ،أن تسجل فى أنفس الفجار المكذبين، وفى أعضاء الكفار المستكبرين، وفى الارض والفضاء كما تدلنا آيات سجلات الاعمال والاقوال ... فان الكتاب هو المكتوب أى المثبت والاشياء الثابتة عن المكلفين التى تليق أن تكون حجة عليهم أولهم يوم القيامة انها ليست إلا صور الاعمال وأصوات الاقوال ...

٤- قيل : اريد بالكتاب المكتوب من الكتاب بمعنى القضاء المحتوم ، و المراد بكتاب الفجار ماقدّره الله تعالى لهم من الجزاء و أثبته بقضائه المحتوم .

اقول: والثانى هو الظاهر من قوله جل وعلا : «كتاب مرقوم» من غير تناف بينه وبين القولين الأخيرين فتدبر جيداً .

وفى «الفجار» اقوال: ١- قيل : الفجار هم المطففون المكذبون بالبعث و الجزاء الذين اشير إليهم فى هذه السورة. ٢- قيل : الفجار هم الكفار المكذبون ٣- قيل : الفجار : كل من تلبّس بالفجور من أكل المال بالباطل و هضم حقوق الناس وهتك الاعراض المحترمة وقتل النفس بغير حق، ومن الكفر والتكذيب والافساد فى الحرث والنسل ، ومن المعاصى والذنوب وإشاعة الفحشاء ...

٤- قيل : الفجار هم الذين يفجرون ستر العبودية و الحياء ، المتجاوزون الحدود المقررة لهم ، الهاتكون لها، وان الفجور يقابل التقوى ، وهى الحفاظ على شئون العبودية لقوله عز و جل : « ونفس و ماسواها فألهمها فجورها و تقواها » الشمس : ٧و٨)

اقول: والثاني هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين غيره من الاقوال ...

وفي «سجين» أقوال : ١- عن مجاهد والحسن وقتادة و كعب : « سجين » هي الارض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار و أعمالهم السيئة لا يصعد منها شيء منها . و عن سعيدبن جبير و كعب : إن أرواح الكفار تحت خد إبليس في سجين .

٢- عن سعيد بن جبير و كعب أيضاً ، و مغيث بن سمى وعطاء الخراساني : سجين : إسم موقف إبليس وذريته في جهنم . فسجين إسم علم لمكان معين ، و إن إبليس هناك موثق بالحديد والسلاسل وهو في الارض السفلى .

وقيل : سجين هو مكان أسفل الارض السابعة وهو محل إبليس وجنوده.

٣- قيل : هو كتاب جامع لأعمال الشياطين وأتباعهم من الكفار الجهلة ، والفجار السفلة ، والفساق الخونة .

٤- قيل : سجين : جب في جهنم مفتوح كما أن الفلق جب مغلق . وقيل: سجين بئر في قعر جهنم . وقيل: سجين : مكان مطبق مغلق على هذا الكتاب الذى قد القى به في مكان بعيد عن الأعين كما تلقى الجيف أو يردم على الرمم . ٥- قيل : ان المراد بسجين ما يقابل عليين .

و معناه علو على علو مضاعف ، ففيه شيء من معنى السفل والانحباس فيه كما يشير إليه قوله تعالى: « ثم رددناه أسفل سافلين » التين . ٥) فالاقرب أن يكون من السجن بمعنى الحبس كسكّير ، فمعناه الذى يحبس من دخله على التخليد أو التطويل .

٦- عن إبن عباس و قتادة وسعيدبن جبير و كعب أيضاً و مقاتل : سجين : صخرة تحت الارض السابعة تقلب ، فيجعل كتاب الفجار تحتها . و قال كعب أيضاً: سجين صخرة سوداء تحت الارض السابعة مكتوب فيها إسم كل شيطان تلقى

أنفس الكفار عندها.

و عن يحيى بن سلام: سجين حجر أسود تحت الارض يكتب فيها أرواح الكفار. ٧- قيل: سجين علم لكتاب جامع، وهو ديوان الشر دُوِّن فيه أعمال شياطين الانس والجن، و منهم المطففون والفجار. و قيل: سجين: إسم للكتاب الذى دُوِّنت فيها أعمال الفجرة من الثقلين و أحصيت فيه جميع أعمالهم ليحاسبوا بها.

وعن أبى مسلم: سجين: إسم لكتابهم وهو ظاهر التلاوة أى ما كتبه الله تعالى على الكفار بمعنى أوجبه عليهم من الجزاء فى هذا الكتاب المسمى بالسجين، و يكون لفظه من السجن وهو الشدة.

٨- قيل: سجين: هو إسم مشتق من السجن وهو الحبس والتضييق ولكنه متصف بالتسفل و الظلمة والضيق و حضور الشياطين، كما أن الجنة موصوفة بالعلو و الصفاء والفسحة وحضور الملائكة المقربين. وقيل: سجين هو المكان السحيق و العميق المظلم

٩- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة أيضاً والضحاك إبن زيد والبراء بن عازب و أنس بن مالك: أى ان أعمالهم فى كتاب يجعل هذا الكتاب فى الارض السابعة السفلى وهى دركة فيها.

١٠- عن عكرمة. سجين: خسار و ضلال. ١١- قيل: سجين: هو ضرب مثل و إشارة إلى الله تعالى يرد أعمالهم التى ظنوا انها تنفعهم. ١٢- عن أبى عبيدة والاخفش والزجاج: أى لفى حبس وضيق شديد. و المعنى: كتابهم فى حبس جعل ذلك دليلاً على خساسة منزلتهم.

اقول: وعلى أىّ تقدير ففيه إشارة إلى أن هؤلاء المطففين من الفجار ومن إليهم ممن خرجوا عن حدود الله جل و علا، وإن كتابهم الذى سجلت فيه أعمالهم المنكرة كتاب منكر فى مكان منكر.

٩- (كتاب مرقوم)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة وابن زيد: الكتاب بمعنى المكتوب من الكتابة بمعنى القضاء والاثبات أي كتابهم في كتابهم مرقوم. أي رقم بهم بشر كأنه اعلم بعلامة يعرف بها الكافر. والعلامة تسمى رقماً. وهذا بناء على أن «كتاب» بيان ا «سجين» فالمعنى: ان السجين مقضيٌ عليهم مثبت لهم متبين لا ينمحي ومتميز لا إبهام فيه.

ولا ضير في لزوم كون الكتاب ظرفاً للكتاب على سبيل ظرفية الكل للجزء، فيكون سجين كتاباً جامعاً فيه ماقضي على الفجار ومن إليهم من مستحقي العذاب. وقيل. أي مكتوب كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى. وقيل: الكتاب بمعنى المكتوب اريد به صحيفة أعمالهم ...

٢- قيل: أي مسطور بيّن الكتابة. ٣- قيل: أي مصير الفجار قد كتب عليهم وتقرر. ٤- قيل: مرقوم أي مطروح. ٥- قيل: أي كتاب معلوم كتب فيه مايسؤهم ويسخن أعينهم. ٦- عن الضحاك: أي كتاب مختوم بلغة حمير وأصل الرقم الكتابة.

٧- قيل: أن الجملة صفة ثانية لكتاب الفجار. والمعنى: كلا ان كتاب الفجار لفي سجين، وان كتاب الفجار هو كتاب مرقوم، فيكون هذا وصفاً لكتاب الفجار، فوصف الكتاب بوصفين: أحدهما- انه في سجين. ثانيهما- انه مرقوم، فوقع قوله جل وعلا: «وماأدراك ماسجين» بعين الوصفين معترضاً.

٨- قيل: ان المرادمن الكتاب الكتابة أي كتابة أعمال الفجار في سجين، ثم وصف السجين بأنه كتاب مرقوم فيه أعمالهم. فالكتاب مصدر بمعنى الكتابة. وجعل كتابهم مرقوم برقم دالٌ على شقاء هم كما أن التاجر يرجم متاعه دال على ثمنه. فالمعنى: كتاب قد جعلت له علامة يعرف بها من رآه فلكل فاجر صحيفة لها علامة يعرف بها صاحبها أو غيره.

اقول: وعلى السابع أكثر المفسرين .

١٢- (ومايكذب به الا كل معتد أثيم)

في «معتد أثيم» قولان: أحدهما- قيل: معتد هو وليد بن مغيرة وأثيم هو أبو جهل لقوله تعالى: « وإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » ثم يشملان لكل من سلك مسلكهما. ثانيهما - قيل: أي كل فاجر متجاوز عن الحق ، و كل مبالغ في الاثم من ترك أوامر الله جل وعلا وإرتكاب نواهيه ...

اقول: أما الاول فهو على فرض مكية الاية وتاليها قبل الهجرة، ولكن الظاهر هو الاخير وان كان الوليد وأبو جهل غير خارجين عن الحكم .

١٣- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

في «أساطير الاولين» اقوال: ١- قيل: أي هي الحكايات التي سطرت قديماً أخذها محمد عن بعض السابقين ، وليست بوحي يوحى إليه كما يدّعي . ٢-قيل: أي هي أحاديث الأوائل التي كتبت لاأصل لها. ٣- قيل: أي خرافاتهم وأقاصيصهم وأوهامهم المختلفة المسطورة التي تنتقل للتفكه .

٤- قيل: أي أباطيل الأولين وترهاتهم وخرافيفهم . ٥- قيل: أي هي الآيات التي نزلت على أنبياء الله من قبل إذ أفلا جديد في القرآن الكريم من حقائقه و خرافاته ...

٦- قيل : أي قصصهم التي لاتسند إلى أصل . ٧- قيل : هي القصص التي يشوبها الغلو أو الخرافة . ٨- قيل : القصص التي كانت في كتب الاولين و صحفهم .

اقول: والاخير هو المؤيد بالآيات الكريمة من غير تناف بينه وبين غيرها من الاقوال ...

١٤- (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

في «كلا» أقوال : ١- عن الحسن : «كلا» بمعنى «حقاً» فاستأنف الكلام ب «كلا» . والمعنى : حقاً غلب على قلوب المعتدين الآثمين ماكانوا يكسبون ٢.- قيل: أى ليس الامر على ماتقوّله المعتدون الآثمون فى القرآن الكريم بانه من أساطير الاولين .

٣- عن إبن عباس : «كلا» بمعنى «ألا» و المعنى ألا ان المعتدين الآثمين لايصدّقون ولايؤمنون إذحجب على قلوبهم ، وغطتها الذنوب ... ٤- قيل: «كلا» حرف ردع وزجر عماقاله المكذبون :«أساطير الاولين » ٥- قيل: ردع و زجر عما تقدم من التطفيف و الفجور و التكذيب بيوم البعث و الجزاء و بآيات الله تعالى .

اقول: والأخير هوالأنسب بعموم السياق .

وفى معنى «ران» أقوال : ١- عن إبن عباس و إبن مسعود و مجاهد وقتادة و الحسن وعطاء والفراء : الرين هو : الذنب على الذنب حتى يسودّ القلب ويطبع و يموت ، وهو الرجل الذى يذنب الذنب ، فيحيط الذنب بقلبه ثم يذنب ثانياً ، فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب قلبه،فلايفزع ولايتحاشى فانها إذا كثرت وأحاطت بالقلب يسودّ القلب ويطبع فيموت .

٢- قيل: الران: الخاطر الذى يخطر الرجل بقلبه . وقيل: ران أى غلب . وقيل: أى حجب. ٣- عن إبن زيد : رين بالرجل ريناً إذاوقع فى المعاصى وانهمك فى الشهوات بحيث لايستطيع الخروج منها .

٤- عن أبى مسلم : إن إعتياد الكفار بالكفر ، وإلفة الفجار بالفجور، وغفلة أهل الدنيا عن الآخرة ، و تكذيب المنكرين بالبعث و الجزاء صارت أغطية على قلوبهم ، فلايعقلون ماينفعهم لان ترك النظر فى العواقب ، و كثرة المعاصى والانهماك فى الشهوات والاستغراق فى الفسق يقوّى الدواعى فى الاعراض عن الحق و الهداية عن الايمان والتوبة ، وعن سبيل الرشاد والطاعة ، وفى الايلاع بالذنوب،

فصار ذلك كالغالب على القلوب الرائن عليها .

اقول: والاول هو المروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

١٥ـ (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

فى « كلا» أقوال : ١ـ قيل : أى ليس الأمر كما يزعمه المجرمون ان لهم الحسنى فى الآخرة أيضاً كما لهم فى الحياة الدنيا على حدّ قوله جل و علا حكاية عنهم :« وما أظن الساعة قائمة و لئن رجعت إلى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ »فصلت : ٥٠)

٢ـ عن إبن عباس : أى انهم لايصدقون ما تقدم . ٣ـ قيل : أى ليس كما يقولون : ان القرآن الكريم أساطير الاولين فى « كلا» تأكيداً « كلا» السابق .

٤ـ قيل: أى حقاً انهم لمحجوبون يوم القيامة عن رحمة ربهم .

٥ـ قيل: ردع عن كسب الذنوب الحائلة بين القلب وإدراك الحق . وقيل: توكيد للرين الذى غطى قلوبهم ، وانه قد صحبهم إلى الآخرة فحجبهم الله تعالى عن معرفة ربوبيته .

اقول: وعلى الخامس جمهور المحققين .

وفى «لمحجوبون» أقوال:١ـ عن مجاهد وقتادة والحسن:أى انهم محرومون عن الكرامة والمنزلة عند الله عز و جل ، فيطردون من رحمته ، ولاينالون رضاه جل وعلا ، وان الله تعالى لاينظر إليهم ، ولايزكيهم ولايهديهم و لهم عذاب أليم .

قال الله سبحانه :« ولايكلمهم الله ولاينظر إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم» آل عمران : ٧٧)

٢ـ قيل: أى انهم محجبون عن لقاء ثواب الله جل و علا فى الآخرة . ٣ـ قيل: أى انهم محجبون عن إحسانه تعالى فى الدنيا . وقيل: فى الآخرة . ٤ـ فى الكشاف قال: هذا تمثيل لاستخفافهم وإهانتهم .

٥ـ قيل: أى انهم محجوبون عن معرفة ربهم فى الحياة الدنيا ، فانهم حجبوا

قلوبهم فی‌الدنیا عن‌فهم الحق بما کسبوامن الکفر والطغیان، والفجور والعصیان.
و عن الحسین بن‌الفضل: أی‌بما حجبهم فی الدنیا عن نور توحیده حجبهم فی الآخرة عن‌رؤیته.

٦ـ عن‌أبی‌مسلم: أی‌ممنوعون عن‌رحمة‌الله تعالی، مدفوعون عن ثوابه غیر مقبولین، ولامرضیین.

اقول: و الثانی هو المروی عن طریق أهل بیت الوحی صلوات الله علیهم أجمعین من‌غیر تناف بینه‌و بین بعض الاقوال الأخر.

١٧ـ (ثم‌یقال هذاالذی کنتم به‌تکذبون)

فی القائل أقوال: ١ـ قیل: هو خزنة النار. ٢ـ قیل: هو الرسل والانبیاء علیهم السلام. ٣ـ قیل: هوأهل الجنة. ٤ـ قیل: القائل هوالله تعالی. ٥ـ قیل: نداء من‌الله تعالی.

اقول: وعلی الاخیر أکثر المحققین.

١٨ـ (کلاان کتاب الابرار لفی‌علیین)

فی«کلا» أقوال: ١ـ عن‌الحسن: «کلا» بمعنی «حقاً» فالوقف علی «تکذبون» فیتصل بمابعده. ٢ـ عن‌مقاتل: أی کلا لایؤمنون بالعذاب الذی یصلونه. فیتصل بماقبله. ثم‌استأنف بقوله: «ان کتاب الابرار ..» مرفوع فی علیین علی قدر مرتبتهم.

٣ـ قیل: ردع و زجر علی الفجار و المکذبین أی‌لیس الامر کما زعمه الفجار و المکذبون من إنکار البعث و ان القرآن الکریم أساطیر الاولین، ولا کمازعموا ان‌لهم عقبی الدار إن‌کانت لهم‌عقبی کماکانت لهم‌دنیا الدار، بل کتابهم لفی سجین طوال الحیاتین عکس کتاب الابرار لفی‌علیین.

اقول: والاخیر هوالانسب بظاهر السیاق.

و قوله تعالی: «الابرار» أقوال: ١ـ قیل: الابرار هم الذین برّوا بأداء

فرائض الله جل و علا و إجتناب محارمه و لا يؤذون شيئاً حتى الذر وهم أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين . ٢- قيل : هم المؤمنون الخلاّص ، وأما الذين يدخلون الجنة بالشفاعة فهم ليسوا داخلين فى زمرة الابرار . ٣- قيل : الابرارهم أهل الايمان والاحسان .

٤- قيل : هم المؤمنون الصادقون فى ايمانهم . و المعنى : ان كتاب أعمال المؤمنين الصادقين فى ايمانهم . ٥- عن الحسن : هم المتقون الذين لايسيؤن إلى مخلوق ولايعصون الله جل و علا فى شيء ، وهم غير المقربين لان المقربين هم المصطفون من الابرار و هم المعصومون ، فالمقربون أعلى منزلة من الابرار .

٦- قيل: الابرارهم الذين يدخلون الجنة سواء كانوا مؤمنين و من إليهم ممن يدخلونها بالشفاعة . ٧- قيل: الابرار هم المطيعون لله جل و علا و هم الذين برّوا الله تعالى بأداء فرائضه وإجتناب محارمه ...

٨- قيل : الابرارهم عليون : علوّ الذات ، علو الاعمال و الافكار ، وعلو الصفات والاخلاق ... فيصبحون يوم القيامة فى جنات عاليات عكس الفجار السفلة ذاتاً وأعمالاً وصفاتاً ومآلاً وأفكاراً . . . وقيل : طينة للابرار عالية نتيجة برّهم كماان طينة الفجار دنيئة نتيجة شرهم .

اقول: والاول هو المروى عن أئمتنا أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين ، ويلحقهم المؤمنون المخلصون بالاتباع قال الله عزو جل : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم » الاسراء : ٧١)

و فى قوله تعالى : «عليين» أقوال: ١- عن إبن عباس ومجاهد و قتادة والضحاك وإبن زيد والفراء :« عليين» أى السماء السابعة وفيها كتاب أعمال الابرار والمؤمنين أى إرتفاع بعد إرتفاع ، وعلوّ فوق علوّ ، و سماء بعد سماء ، فكتابهم مرفوع فى عليين على قدر مرتبتهم فى الايمان والأعمال ...

۲- قيل: «عليين» هى كتابهم جامع لأعمال الخير من الملائكة و مؤمنى الثقلين. ۳- عن إبن عباس وقتادة أيضاًو كعب الاحبار: «عليين» هى فوق السماء السابعة عندقائمة العرش اليمنى.

وهى فى السماء عندالله سبحانه لقوله تعالى حكاية عن إمرأة فرعون: «رب ابن لى بيتاً عندك» التحريم: ۱۱) ٤- عن إبن عباس أيضاً: «عليّين» هى أعلى الأ مكنة فى الجنة، فهى إسم لموضع مرتفع. والمعنى: ان كتاب أعمال الابرار مودع فى أعلى الامكنة.

۵- عن الفراء: «عليين» إرتفاع بعد إرتفاع. ٦- قيل: «عليين» صفة للملائكة فانهم الملأ الأعلى كما يقال: فلان فى بنى فلان أى هو فى جملتهم وعندهم.

۷- عن إبن عباس: «عليين» هى ألواح من زبر جدة خضراء معلقة تحت العرش يكتب فيها أعمال الانس والجن. عن مجاهد و قتادة و الضحاك و كعب الأحبار: «عليين» مكان فى السماء السابعة تحت العرش فيه أرواح المؤمنين...

۸- قيل: أى علوٌ على علوٌ مضاعف كأنه لاغاية له و لذلك جمع بالواو و النون ينطبق على الدرجات الرفيعة، و المراتب العالية المحفوفة بالجلالة، و منازل القرب من الله تعالى كما ان السجين بخلافه. ۹- عن الضحاك أيضاً: «عليين» هى سدرة المنتهى التى تنتهى إليها الأعمال، و كل شيء من أمر الله تعالى لايعدوها.

۱۰- قيل: «عليين» علم لديوان الخير الذى دُوِّن فيه كل ماعملته الملائكة وصلحاء الثقلين من الانس و الجن. سمى بذلك إمالانه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة، وإمالانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن فيها الكربيون.

وعن إبن عباس: «عليين» هى الجنة. وقيل: إسم لأشرف الجنان كما ان «سجين» إسم لأشر النيران. وعن إبن عباس أيضاً: أى أعمال الابرار وأرواحهم فى كتاب الله

في السماء الرابعة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين والمؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

٢١- (يشهده المقربون)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس والضحاك وإبن زيد : «يشهده» من الشهادة بمعنى الحضور و«المقربون» هم الملائكة . والمعنى: حضور الملائكة على صحيفة أعمال الأبرار إذا صعدوا بها إلى الله جل وعلا، فيشهد عليها مقربو كل سماء من ملائكة السموات السبع .

٢- قيل : «يشهده» من الشهود بمعنى المعاينة ، و«المقربون» هم خواص الابرار وهم أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين . فالمراد معاينتهم لكتاب عامة الابرار بارادة الله تعالى إياهم . ٣- قيل: هم ملائكة الرحمة . ٤- قيل : أي انهم ينقلون ما في تلك الصحائف إلى ذلك الكتاب الذي وكّلوا بحفظه ويصير علمهم شهاده لهؤلاء الابرار .

٥- قيل: «المقربون» هم عامة الابرار من أهل الجنة ، والملائكة الذين هم في عليين . ٦- عن إبن زيد أيضاً : هم الملائكة الذين كتبوا أعمال الابرار في الحياة الدنيا ، فكما وكّل الله تعالى أمر اللوح المحفوظ إليهم وكّل إليهم حفظ كتاب الابرار . ٧- قيل: هم أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام .

٨- قيل: عن وهب وإبن إسحق :« المقربون» هنا إسرافيل عليه السلام فاذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ، ولها نور يتلألأ في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهى بها إلى إسرافيل،فيختم عليها ويكتب فهو قوله تعالى: «يشهده المقربون » أي يشهد كتابتهم .

أقول: والثاني هو المروي عن طريق أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، والمؤيد بظاهر سياق قوله تعالى: عيناً يشرب بها المقربون» .

٢٤- (على الارائك ينظرون)

فيما ينظر إليه الابرار أقوال : ١- عن مقاتل : أى ان الابرار على الاسرة فى الحجال ينظرون إلى عدوّهم و أهل النار حين يعذبون بها محتقرين إياهم . ٢- عن إبن عباس ومجاهد و عكرمة : أى ينظرون إلى ما أعدّ الله تعالى لهم فى الجنة من الكرامات ، وإلى مناظر الجنة البهجة وما اعطوا من نعيمها ، فتتمتع أبصارهم بأبهى المناظر وأجملها فيها، وإلى رحمات الله جل وعلا وما وعدهم ربهم وإلى خدامهم و الحواجب فيها ...

٣- قيل: أى ينظرون إلى عظمة الله جل وعلاو جلاله: « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ٤- قيل: أى انهم إذا اشتهوا شيئاً فى الجنة نظروا إليه، فيحضرهم ذلك الشيء فى الحال . ٥- قيل: أى ينظرون إلى الارائك وهم متكئون عليها لما تزيّنت به من الزينة .

اقول: والثانى هو الانسب بظاهر السياق ، وما ورد فلعله يشير إلى النظر الثانى فى قوله تعالى : « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون » .

٢٥- (يسقون من رحيق مختوم)

فى «مختوم» أقوال: ١- عن إبن عباس وإبن مسعود وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى : المختوم: الذى له عاقبة طعم المسك. والمعنى : ان الابرار يجدون عاقبة الخمر طعم المسك . تقول المرأة للعطار : إجعل خاتمه مسكا تريد آخره .

٢- قيل: مختوم أى ممنوع من أن تمسّه يد حتى يفكّ ختمه للأبرار بأن الخمر ختمت ومنعت عن أن يمسّها ماس إلى أن يفكّ ختامها الابرار .

٣- عن مجاهد وإبن زيد · ان الرحيق مختوم فى الآنية بطينة من المسك ، فيكون طعمه ورائحته مسكاً . وهذه الخمر غير الخمر التى تجرى فى الانهار .٤- عن المسروق : مختوم أى ممزوج بالمسك .

اقول : والثالث هو المؤيد بظاهر السياق التالى من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر .

٢٦- (ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

فى« ختامه مسك» أقوال: ١- عن إبن عباس والحسن وقتادة : أى آخر طعمه رائحة المسك . وذلك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك.

٢- عن إبن مسعود وعلقمة : أى خلطه وطعمه وريحه و ليس بخاتم يختم . ٣- عن قتادة أيضاً والحسن : أى عاقبته مسك . ٤- قيل: أى ممزوج ختامه مسك .

٥- عن قتادة وعلقمة أيضاً وسعيد بن جبير والضحاك ومقاتل : أى مقطعه رائحة المسك إذا شرب . ٦- عن إبن مسعود أيضاً وأبى الدرداء أى ختامه مسك أى شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر أشربتهم لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلاّ وجد ريح طيبها .

٧- عن مجاهد وإبن زيد : أى ختم إناء الرحيق بالمسك بدلاً من الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا تكريماً وصوناً عن الابتذال على ما جرت به العادة من ختم الانسان على ما يكرّم ويصان . وقال مجاهد : طينه مسك .

اقول : وعلى الأخير جمهور المحققين .

وفى قوله تعالى:« فليتنافس المتنافسون » أقوال : ١- قيل : أى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وصالح الاعمال كقوله جل وعلا : « لمثل هذا فليعمل العاملون » . ٢- عن مقاتل: أى فليتنازع المتنازعون . ٣- عن زيد بن أسلم: أى فليتشاح المتشاحون فى عليين ، و نعيم مقيم و نضرته ، و فى رحيق محتوم بالمسك .

٤- قيل: التنافس: التغالب على الشىء ، والمراد هنا التسابق كقوله تعالى: «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة » الحديد : ٢١)

و قيل : أصل التنافس : التشاجر على الشىء و التنازع فيه بأن يحبّ كل

واحدأن ينفرد بهدون صاحبه . والمراد فليستبق المتسابقون وليجاهدوا النفوس ليلحقوا بالعاملين .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، وفي معناهالأخير .

٢٧- (ومزاجه من تسنيم)

في «تسنيم» أقوال: ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي و الضحاك و أبي صالح ومسروق وعبدالله بن مرة : هي عين في الجنة ، وهي أشرف شراب الجنة ، يشرب بها المقربون صرفاً ، و يمزج منها كأس أصحاب اليمين فتطيب ، و سمي بذلك لانه يتدفق من علو ، وينصب عليهم من علو .

وقيل: سميت العين تسنيماً إمالأنها أرفع شراب في الجنة ، وإمالأنهاتأتيهم من فوقهم ، فينحدر عليهم فتنصب في أوانيهم أو لكثرة مائهاأوسرعته تعلو على كل شيء ، وتمر به أوترتفع عندجريانه .

وأصل التسنيم في الاصل : الارتفاع فهي عين ماء تجري من علو إلى أسفل ومنه سنام البعير اعلوه من بدنه ، و كذلك تسنيم القبور .

٢- عن قتادة ومقاتل: التسنيم هي عين تجري في الهواء بقدرةالله تعالى ،فتنصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها ، فاذاامتلأت أمسك الماء فلاتقع منه قطرة على الارض ، ولايحتاجون إلى الاستقاء .

٣- عن إبن زيد والحسن : هي عين تجري من تحت العرش .٤- عن إبن عباس أيضاً : أي تمزج بخمر الجنة . ٥- عن إبن عباس والحسن أيضاً : مالنابه علم، وهذا مماقال الله جل وعلا :« فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة عين »

اقول: والاول هو المروي عن طريق أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

٢٨- (عيناً يشرب بهاالمقربون)

في «المقربون» أقوال : ١- قيل: هم صلحاء المؤمنين من الانس . ٢- قيل : هم الملائكة المقربون . ٣- قيل: هم الأخيار من مؤمنى الانس والجن والملائكة. ٤- قيل : هم خواص من الابرار ، وهم السابقون الاولون وهم أفاضل أهل الجنة صرفاً، وهذه العين لغيرهم مزاجاً .

اقول: والاخير هو المروى ، والمؤيد بظاهر السياق .

٢٩- (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

في «الذين أجرموا» أقوال : ١- عن إبن عباس : هم رؤساء قريش من أهل الشرك، وهم الوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل ، و الاسود بن عبد يغوث ، والعاص ابن هشام ، و أبو جهل ، والنضر بن الحرث . ٢- قيل : هم: امية . ٣- قيل: هم رؤساء قريش ومن إليهم من المنافقين .

اقول: وماورد في النزول يؤيد الأخير ، فراجع ، و تؤيده كلمة الاجرام إذ تشمل للفريقين .

وفي «الذين آمنوا » أقوال : ١- قيل : هم الامام امير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام و أصحابه من سلمان الفارسي و أبي ذر الغفاري و المقداد و بلال و خبّاب و صهيب و من إليهم من الشيعة الامامية الاثنى عشرية الذين يلحقون بهم .

٢- قيل: هم عمار وخبّاب وصهيب وبلال. ٣- قيل: اريد بهم على بن أبيطالب عليه السلام فقط .

اقول: و ماورد في النزول يؤيد الاول ، و يؤيده ظاهر صيغة الجمع في الموصول وصلته

قوله تعالى : «يضحكون» في وجه الضحك أقوال: ١- قيل: ان المجرمين كانوا يضحكون من المؤمنين على وجه السخرية بهم و إستهزاء هم لغلوّهم في الكفر و الجهل ، فكانوا يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم و إستهزاءهم وفكاهتهم

، فيؤذونهم ، ويضحكون منهم ضحك اللئيم الوضيع ، وكان المؤمنون صابرين على ذلك .

٢- قيل: كانوا هم يضحكون على جدّ المؤمنين في الايمان و الطاعة من الصلاة والصوم وصالح الاعمال ... ٣- قيل: هم يضحكون من المؤمنين لايمانهم بالبعث والحساب والجزاء وإنكارهم ذلك كله .

٤- قيل: هم يضحكون منهم لايهام عامة الناس على أنهم حق و ان المؤمنين على باطل . ٥- قيل : هم كانوا يضحكون منهم لفقرهم ورثاثة حالهم وضعفهم عن ردّ الأذى .

اقول: ولكل وجه، ولكن التعميم غير بعيد .

٣٠- (وإذا مروا بهم يتغامزون)

في المارين والممرور بهم أقوال : ١- قيل: أي وإذا مرّ المجرمون بهؤلاء الابرار يغمض بعض المجرمين بعضاً ، و يشيرون إليهم بأعينهم إستهزاء بهم .

٢- قيل: أي وإذا مرّ هؤلاء الابرار بالمجرمين عند إتيانهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهؤلاء المجرمون في أنديتهم ، يغمز بعضهم بعضاً و يشيرون إلى الابرار بأعينهم سخرية منهم ، ويعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به.

٣- عن مقاتل و الكلبي :أي وإذا مرّ المؤمنون الذين جاؤا إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بالمنافقين فسخروا منهم بالجفن والحاجب والشفه ، إستهزاء وإستخفافاً وتهكما ،ويذكرونهم بالسوء ويرمونهم بالضلال .

٤- قيل: أي وإذا مرّ المؤمنون بالمشركين غمز بعضهم بعضاً باشارات من أعينهم أوغمزات بأكتافهم ، و كأنهم أمام مشهد عجيب يثير العجب و الضحك .

٥- قيل : أي وإذا مرّ المشركون بالمؤمنين يشيرون إليهم إستهزاء بهم .

اقول : و ماورد في النزول يؤيد الثاني ، وعليه جمهور المفسرين .

٣١- (وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس و إبن زيد : أى و كانواهم إذا انقلبوا وصاروا إلى أهلهم عن ضحكهم، تغامزهم انقلبوا ملتذين بذكر المؤمنين وسخرية منهم ، فرحين بمافعلوا . و«فكهين» من الفكه - بالفتح و الكسر - : المرح البطر .

والمعنى : مرحين بطرين ممافعلوا بالمؤمنين آخذين ذلك فكاهة لأهلهم لعلهم يفرحون ويمرحون كأنهم إنقلبوا عن أفلام ممرحة و مسرحيات مفرحة راضين عن أنفسهم الحقيرة الرديئة مبتهجين بما فعلوا دون أن يتلوموا أو يندموا ويشعروا بحقارة ماصنعوا . و قيل : الفكه : الأشر البطر و الفاكد الناعم المتنعم .

٢- قيل: أى وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا معجبين بمافعلوا من العيب على أهل الايمان ورميهم بالسخف وقلة العقل ويقولون: عجباً لهم إذ يقولون : لاتدعوا إلاّ إلها واحداً ، و لاتتوجهوا بالطلب إلاّ إليه ، فأين الاولياء و الشفعاء فكم ضرّوا و كم نفعوا - إلى نحو ذلك مما يتندرون به، و يعدونه فكاهة ويتلذذون بحكايته .

٣- قيل: أى إنقلبوا وهم يحدّثون بما فعلوا تفكهاً- من الفكاهة-بمعنى حديث ذوى الانس . ٤- قيل : أى إنصرفوا إلى أهلهم و أصحابهم و ذويهم معجبين منهم بما هم عليه من الكفر و المعصية ، و الشرك و الضلالة ، يتفكهون بذكرهم .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٣٣- (وما ارسلوا عليهم حافظين)

في الاية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى و لم يرسل هؤلاء المجرمون الساخرين على الابرار المؤمنين حافظين لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم... موكلين بأحوالهم رقباء عليهم يتفقدونهم و يهيمنون على أعمالهم ، ولم يؤتهم

سلطة محاسبتهم على أفعالهم، و تعريف باطلها من صحيحها، فلا يسوغ لهم أن يعيبوا عليهم مايعتقدونه ضلالاً بعقولهم الفاسدة، و إنما كلفهم أن ينظروا شؤون أنفسهم، فيعدّلوا منها ما اعوجّ، فاذا فعلوا ذلك قاموا بما يجب عليهم في هذه الحياة.

فكيف يسخر شقيّ من تقي؟ يضحك كافر من مؤمن؟ يستهزء طاغ بمطيع؟ فمن هذا الذي وكّلهم للحفاظ على المؤمنين؟ فهذا فضول على فضول أن تسمى الهدى ضلالاً، الايمان كفراً، الطاعة معصية، الحق باطلاً و الامانة خيانة ... و أن يتدخل في شؤون المؤمنين بلا رسالة ممن له أمرهم اللهم الاّ رسالة الشيطان؟

٢- عن أبي مسلم: أي وما ارسلوا عليهم شاهدين لان شهادة الكفار لاتقبل على المؤمنين أي ليسوا هم شهداء عليهم، بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة.

٣- قيل: ان الآية الكريمة حكاية عن المجرمين والمعنى: ان المجرمين يقولون -إذا رأوا الابرار ان هؤلاء لضالون -: انهم لم يرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدّهم إياهم عن الشرك والضلالة، والكفر والمعصية، ودعائهم إلى الاسلام وجدّهم في ذلك.

٤- قيل: ان الآية الكريمة إخبار من الله جل و علا ان الابرار لم يرسلوا على الكفار حافظين حتى يردعوهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب والسخرية وما إليها من الفجور.

٥- قيل: أي وما ارسل هؤلاء المجرمون حافظين على المؤمنين، يقضون في حقهم بما شاؤا أو يشهدون عليهم بماهووا. وهذا تهكم بالمستهزئين.

اقول: و على الاول أكثر المفسرين، و هو الانسب بظاهر السياق

فتأمل جيداً .

٣٤- (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

في الاية الكريمة أقوال: ١- عن أبي صالح :أي ان الذين آمنوا يضحكون من الكفار في الآخرة كما ضحك الكفار من المؤمنين في الحياة الدنيا .

و ذلك انه يفتح للكفار باب إلى الجنة ، ويقال لهم . أخرجوا إليها ، فاذا وصلوا إليها أغلق دونهم ، ويفعل ذلك بهم مراراً ، فيضحك حينئذ منهم المؤمنون .

٢- قيل: يقال لأهل النار و هم في النار : أخرجوا منها ، فتفتح لهم أبواب جهنم فاذا رأوها قدفتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج ، و المؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فاذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم ، ويفعل ذلك بهم مراراً ، و ذلك قوله تعالى : « الله يستهزىء بهم » و يضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم فذلك قوله تعالى : «فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون »

٣- قيل: ان المؤمنين يضحكون من الكفار إذا رأوهم في عذاب النار ، و أنفسهم في نعيم الجنة .

٤- قيل : ان الوجه في ضحك أهل الجنة من أصحاب النار : انهم لما كانوا أعداء الله و أعداء لهم جعل الله تعالى لهم سروراً في تعذيبهم ، ولو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز أن يجعل السرور في ذلك لانه مضمن بالعداوة ، و قدزالت بالعفو .

وقيل : ان بين الجنة والنار كوى، فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى .

اقول : والاخير هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

٣٦- (هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون)

في السؤال أقوال : ١- قيل: يكون من قبل الله تعالى على طريق التقريع و

التبكيت و المعنى : هل ثوّب الكفار كما ثوّب المؤمنون ! كلاثم كلا . ۲- قيل : يكون من الملائكة يقولون للمؤمنين تنبيهاً على أن الكفار جوزوا على كفرهم وإستهزاءهم بالمؤمنين مااستحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلى سرورهم .

و قيل : يراد بالاثابة التهكم نحو: « فبشرهم بعذاب أليم » و فى هذا القول مزيد غيظ و توبيخ للكافرين ، و نوع سرور وتنفيس للمؤمنين .

۳- قيل : يكون من المؤمنين . على إضمار القول و المعنى : يقول بعض المؤمنين لبعضهم مسرورين بماينزل على الكفار من النار و العذاب : هل اثيب و جوزى الكفار .

من ثاب يثوب أى رجع. فالثواب مايرجع على العبد فى مقابلة عمله، ويستعمل فى الخير والشر . وقيل: قدتستعمل الاثابة فى الشر كالمجازاة . ولايخفى ان هذه الاقوال تبتنى على إستيناف الاية إذلاتعلق لها بما قبلها .

اقول: و على الاول جمهور المفسرين و هو الظاهر و لكن لاعلى طريق الاستيناف فتأمل جيداً .

و فى معنى الاية الكريمة أقوال: ۱- عن مجاهد وسفيان : أى هل جوزى الكفار بسخريتهم فى الحياة الدنيا بالمؤمنين إذافعل بهم ذلك . ۲- قيل: أى هل جوزى الكفار إذا فعلوا بالابرار من السخرية و الاستهزاء ، و ماتلبسوا بالكفر و الفجور على الاستيناف تبكيتاً. و المعنى: هل جوزوا الجزاء الذى يستحقونه أم ان هناك مزيداً من العذاب يريدونه إن كان فوق ماهم فيه مزيد ؟

۳- قيل: ان الجملة قامت مقام المفعول لفعل النظر و « هل » للتقرير، فموضع الجملة نصب بـ« ينظرون » .

والمعنى : ينظر المؤمنون و هم على سرر الحجال ليروا هل جوزوا بما

كانوا بماكانوا يفعلون . وذلك ليتحقق لهم وعيد الله جل وعلا من أهل الضلال كما تحقق لهم وعده في أهل الايمان. وقيل: أي هل قدرنا على الاثابة نحو: «هل وجدتم ماوعد ربكم حقاً».

اقول: ولكل وجه ولكن الاوجه هو الثالث فتدبر جيداً .



﴿التفسير و التأويل﴾

١- (ويل للمطففين)

«ويل» كلمة تقال لمن يستحق الخزى والدمار ، والهلاك والعذاب الشديد فى الآخرة لسوء فعله فى الحياة الدنيا .

قال الله عزوجل :« وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة » إبراهيم : ٢-٣)

وقال :« فويل للذين ظلموا من عذاب أليم» الزخرف: ٦٥)

وقال :« ويل لكل أفاك أثيم- فبشره بعذاب أليم »الجاثية: ٧-٨)

و«للمطففين» هم فئة من الأقوياء والتجار يتاجرون بقوتهم ونفوذهم ،فيبيعون ويشترون ولكنهم يشترون بأبخس الأثمان ،و يبيعون بأعلاها و كذلك فى جانب الكيل والوزن ، وفى الحالين ينالون أقصى حد من الارباح ، و يرغمون الناس بطريق الاحتكار ، وبغيره على الاستسلام لجودهم ويبررونه باسم العمل الحر ، و التجارة فى الاسواق وغيرها ، وهم يبخسون الناس أشياءهم .

قال الله تعالى :«فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين » الاعراف: ٨٥)

فهم يتراكمون الثراة بوسائل الحيل ، ويسعون فى الارض فساداً من قتل أوجرح أوأى ظلم مالى أوجاهى أو عرضى أوغير ذلك و من إشاعة الفحشاء فى الارض، وبعبارة اخرى ان الاجتماع المدنى الدائر بين أفراد النوع الانسانى مبنى

على مبادلة مال بمال حقيقة ، فمامن مواصلة ومرابطة بين فردين من أفراد النوع إلا و فيه إعطاء وأخذ .

فلايزال المجتمع البشرى يتعاون فى شئون حياتهم يفيدفيه الواحد غيره ليستفيد منهما بماثله أويزيد عليه و يدفع إليه نفعاً ايجذب منه إلى نفسه نفعاً و هو المعاملة و المبادلة ، و من أظهر مصاديق هذه المبادلة المعاملات المالية ، و خاصة فى الأمتعة التى لها حجم أووزن ممايكتال أويوزن ، فان ذلك من أقدم ماتنبّه به الانسان لوجوب إجراء سنة المبادلة فيه .

فالمعاملات المالية و خاصة البيع و الشراء من أركان حياة الانسان الاجتماعية يقدّر الواحد منهم مايحتاج إليه فى حياته الضرورية بالكيل أوالوزن، وما يجب عليه أن يبذله فى حذائه من الثمن ثم يسير فى حياته بانياً لها على هذا التقدير والتدبير .

فاذا خانه معامله ، و نقص المكيال و الميزان من حيث لايشعر هو أو بحيل اخرى فقد أفسد تدبيره و أبطل تقديره و اختلّ بذلك نظام معيشته من جهتين معاً :

من جهة مايقتنيه من لوازم الحياة بالاشتراء ، ومن جهة مايبذله من الثمن الزائد الذى يتعب نفسه فى تحصيله بالاكتساب، فيسلب إصابة النظر وحسن التدبير فى حياته، ويتخبّط فى مسيرها خبط العشواء وهو الفساد وإذا شاع ذلك فى مجتمع فقد شاع الفساد فيما بينهم، ولم يلبثوا دون أن يسلبوا الوثوق والاطمينان وإعتماد بعضهم على بعض .

ويرتحل بذلك الأمن العام والاعتماد وثقة بعضهم من بعض . . . وهذه هى النكبة الشاملة التى تحيط بالصالح والطالح ، بالمؤمن والكافر ، بالأمين والخائن، بالصدوق والكذوب ، وبالسوقى والبدوى ...و يومئذ كان المطفف و الذى يوفى المكيال والميزان سواء بسواء لسلب الاعتماد من الكل، وعاد بذلك إجتماعهم إجتماعاً

على المكر و الحيل، وعلى الخوف والخداع، وبالجملة على إفساد الحياة لا إجتماعاً على الأمن والاعتماد والصدق والتعاون لسعادتها .

قال الله تعالى: « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الارض مفسدين » هود : ٨٤-٨٥)

وقال : « وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً » الاسراء : ٣٥)

وماورد عن سلمان الفارسى رضوان الله جل و علا عليه فمن باب التوسيع و التأويل، كما ان ماورد من أن المطففين هم الذين لايؤتون خمس آل محمد عليهم السلام فمن قبيل الجرى والانطباق فتأمل جيداً .

٢- (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون)

المطففون هم الذين إذا اشتروا لأنفسهم من الناس شيئاً من المكيلات يستو- فونه بكيل راجح فيه ضرر و بخس حق على البايعين ، فكأن لهم فى هذه المعاملة إستعلاء عليهم لقوتهم المالية أوجاههم و رئاستهم ، و حاجة الناس إلى ما بأيديهم ...

٣- (واذا كالوهم أووزنوهم يخسرون)

وإذا باع هؤلاء المطففون أمتعتهم، فكالوها أووزنوها لمن إشتراها ينقصو- نها ، فيوقعون المشترين فى الضرر والخسران ليضمنوا لأنفسهم الربح فى البيع و الشراء على حساب ضرر الآخرين ، ويسلبوا أموالهم بطريق الحيل والخداع، فهم يضعون أيديهم على ميزان الحق ، فيعبثون به ويستخفون بحرمته ، و قدنهوا عن ذلك كله .

قال الله جل و علا: « أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس

المستقيم و لاتبخسوا الناس أشياء هم و لاتعثوا فى الارض مفسدين » الشعراء : ١٨١ـ ١٨٣)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم و لاتقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً و من يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً و كان ذلك على الله يسيراً » النساء :٢٩ـ ٣٠)

وقال :« ألاّ تطغوافى الميزان وأقيموا الوزن بالقسطو لاتخسرواالميزان» الرحمن :٨ـ ٩)

٤ـ (الايظن اولئك انهم مبعوثون)

ألايتيقن هؤلاء المطففون انهممبعوثون من قبورهم بعدمماتهم ، فمسؤولون عمايفعلون ، ويحاسبون ويجزون على ذلك يوم القيامة ! لايقين لهم بذلك إذلو كانوا متيقنين بالبعث لماخطر التطفيف ببالهم ولايخمنون تخميناً، ولما اختلسوا أموال الناس بهذه الوسيلة، ولما اجترؤاعلى أكل حقوق الناس وهضمها بالباطل ، ولحجزهم عنذلك حاجز الخوف من الله عزوجل .

قال الله تعالى :« وإذاقيل إن وعدالله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ماالساعة إن نظن إلاّ ظناً ومانحن بمستيقنين وبدالهم سيئات ماعملواوحاق بهمما كانوا به يستهزؤن » الجاثية : ٣٢ـ ٣٣)

و قال : « و كنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثر:٤٦ـ٤٧)

وقال:« ألها كم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلالو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم » التكاثر : ١ـ ٦)

و نحن نرى الذين لم يوقنوا بالبعث و الجزاء منهمكين فى الشهوات ، مؤلفة قلوبهم بالفحشاء ، ومأنوسة جوارحهم بالمعاصى ـ فتأبى أنفسهم عن التسليم لما يردعهم عنها ، فينتهى أمرهم إلى تكذيب آيات الله تعالى و رسالة

رسوله ﷺ . . .

قال الله جل وعلا : « وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ـ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن ـ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » الروم : ٨ و ٩ و ٦٠)

٥- (ليوم عظيم)

ليوم عظيم: عظيم شأنه، هائل أمره، فظيع هوله، عظيم ناره و عذابه، عظيم عندالله جل و علا ، عظيم خزيه وهو انه ، يوم عظيم يقف فيه الناس لم ير مدى الدهر مثله ، يوم يؤاخذ الله تعالى فيه الناس بما كسبوا ، من شأن الظن بهذا اليوم العظيم أن يردعهم عن إقتراف هذا المنكر الشنيع الذى يستتبع العذاب الأليم .

قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» الحج : ١-٢)

وقال: « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم و أبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين و أنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » مريم : ٣٧ـ ٣٩)

و قال : « إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » يونس : ١٥)

وقال: « من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزى العظيم» التوبة : ٣)

وقال: « ولهم فى الاخرة عذاب عظيم » البقرة: ١١٤)

٦- (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

يوم يقوم الناس كلهم من الفجار و الابرار ، من الكفار و الأخيار ، من الفساق والاتقياء ، من المنافقين و المخلصين ، من المفسدين والمصلحين ، و من

الامناء و الخائنين و من مردة الشهوة و الاشتهار ، و أتباع الحق و العقل . . . يقومون جميعهم من قبورهم ، فيتلبسون بالحياة بعد مماتهم لقضاء رب العالمين بينهم ، وحكمه جل وعلا عليهم ، وجزاؤه بما كانوا يكسبون : إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً .

قال الله تعالى : «ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود ـ فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ـ وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها» هود : ١٠٣ ـ ١٠٨)

وقال : «ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ـ و وفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ـ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً » الزمر : ٦٨ ـ ٧٣)

و قال : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة : ٦ ـ ٨)

وقال : «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فامه هاوية » القارعة : ٤ ـ ٩)

و قال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا و عملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا و كذّبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين » الحج : ٥٦ ـ ٥٧)

٧- (كلا ان كتاب الفجار لفى سجين)

ليس الأمر كما زعمتم أيها المطففون ان كتاب أعمال الفجار لفى سجين ، فالامر أعظم مما تزعمون ، فارتدعوا عما أنتم عليه من التطفيف والفجور الناشئان عن الغفلة عن البعث والحساب والجزاء يوم القيامة ، وازدجروا عن المعاصى والسيئات ، فكفّوا أنفسكم عن الكفر والطغيان ، عن الضلالة والعصيان ، وأيديكم

عن التطفيف والفجور والفساد . . . فان الفجار سيحاسبون على أعمالهم لا محالة ، وقد أعد الله جل وعلا لهم كتاباً احصى فيه أعمالهم يسمى سجيناً : الاعمال المنكرة فى كتاب منكر فى مكان منكر كما أنهم كذلك .

قال الله تعالى : « بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسئل أيان يوم الدين » القيامة : ٥ ـ ٦)

وقال : « ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة » عبس : ٤٠ ـ ٤٢)

وقال : « وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين » الانفطار : ١٤ ـ ١٦)

٨- (وما أدراك ما سجين)

وأى شيء أعلمك يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما كتاب سجين ، وليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت صلى الله عليه وآله وسلم ولاقومك ؟

تعبير بقصد تهويل أمر سجين ، وتشنيع على هذا المكان الذى ضمّ هذا الكتاب العفن الذى القى فيه تفوح منه رائحة رذائل الأخلاق ومفاسد الاعمال ، و رائحة نمائم الصفات ومنا كر الاقوال . . بحيث قد صار هذا الكتاب والمكان شيئاً واحداً .

نظير الاية الكريمة فى التهويل قوله جل و علا : « و ما أدراك ما سقر » المدثر : ٢٧)

وقال : « وما أدراك ما الحاقة » الحاقة : ٣)

٩- (كتاب مرقوم)

كتاب المطففين الفجار ، والمكذبين الكفار ، والمجرمين الفسّاق هو كتاب كتبت فيه عقائدهم السخيفة ، و أخلاقهم الرذيلة ، و أعمالهم الفاسدة ، و أقوالهم المنكرة . . . وقد تبيّنت فيه بلا إبهام يعرف بها صاحبها ، و يتميز

عن غيره .

قال الله تعالى : « قل الله أسرع مكراً ان رسلنا يكتبون ما تمكرون » يونس : ٢١)

وقال : « أم يحسبون أنا لانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون» الزخرف : ٨)

وقال : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً » الكهف : ٤٩)

وقال : « و كل إنسان ألزمناه طائره فيعنقه و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » الاسراء : ١٣)

و قال : « و أما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه » الحاقة : ٢٥)

١٠- (ويل يومئذ للمكذبين)

« ويل » كلمة تضجّع تنبىء عن التحسر لضرّ نزل ، و عند حلول الشر و العذاب والخزى والذلة والنكال والفضيحة، والهلاك والبلية ، وتقال لمن يستحق العذاب الشديد فى الآخرة لكفره وفجوره ، لجرمه و جنايته ، لعتوه و طغيانه ، ولفساد عقيدته وسوء فعاله فى الحياة الدنيا .

وفى المقام يقال يوم القيامة للفجار المطففين ، للكفار المجرمين:العذاب الشديد للذين فجروا واجرموا و كذبوا بالبعث والحساب والجزاء وماوعدوا به.

قال الله تعالى : «و ويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك فى ضلال بعيد» إبراهيم : ٣)

وقال : «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» مريم: ٣٧)

و قال : «واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين» الانبياء : ٩٧)

و قال : «ونفخ فى الصور فاذاهم من الاجداث إلى ربهم ينسلون قالوايا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون» يس : ٥١-٥٢)

وقال : «فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون» الذاريات : ٦٠)

١١- (الذين يكذبون بيوم الدين)

هؤلاء المكذبون هم الذين يكذبون بيوم الفصل والجزاء ، وهم لايظنون انهم مبعوثون ليوم عظيم ، ويقولون: أإذا متنا و كنا تراباً وعظاماً أإناالمدينون!

قال الله تعالى : «وقالوايا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذّبون أإذا متنا و كنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون» الصافات: ٢٠و٢١ و٥٣)

١٢- (وما يكذب به الا كل معتد أثيم)

ولايكذّب بيوم الفصل والجزاء إلاّ كل معتد على حرمات الله جل وعلا وحدوده ، كل فاجر متجاوز عن منهج الحق إلى الباطل ، عن منهج القسط والعدل إلى الظلم والجور، عن طريق الصلاح والفلاح إلى سبيل الفساد و الضلال، و عن حدود العبودية لله عزوجل إلى العبودية لغيره، معتد على الخلق فى معاملته إياهم وعلى نفسه وعمى عن الانصاف ...

و كل غارق فى الاثم والاجرام ، غارق فى سكرة الجاه والاشتهار ، غارق فى العتو والاستكبار ، وغارق فى الظلم والاستبداد ، بحيث لايود أن يفيق منها أبداً و لايتوقع لليلة سكره صباحاً يقطع عنه أضغاث أحلامه وهذيان خماره ...

أثيم فى ترك أوامر الله تعالى و إرتكاب نواهيه مبالغاً فيه ، معتاداً بارتكاب الجرائم والآثام بحيث تراكم بعضها على بعض بانهماكه فى الاهواء فهو على تلك الحال والاوصاف يصعب عليه الاذعان بالمعاد و الجزاء كما أن كل سارق إعتاد بالسرقة يكذب محكمة أحكام السرقة، و كذلك الزانى والباغى والمستبد الجانى

والظالم والخائن ...

قال الله تعالى :« ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرُ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين » الجاثية : ٧-٩)

وقال :« ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » القلم : ١٠- ١٥)

١٣- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

إذا تتلى على كل معتد أثيم الآيات القرآنية التي تحذّره عن الكفر والضلالة، عن التكذيب والمعصية، وعن الفجور والتطفيف ... وتنذره بالبعث والجزاء والنار ... قال: هي أباطيل الامم الماضين إكتتبها محمد ، فلا واقع لها ولا بشيء جديد ، ولا وحي كما يدّعيه .

قال الله تعالى:« وقال الذين كفروا إن هذا إلاّ إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً و قالوا أساطير الأولين إكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » الفرقان : ٤و٥)

وقال : « لقد وعدنا نحن و آباؤنا هذا من قبل إن هذا إلاّ أساطير الاولين» المؤمنون: ٨٣)

وقال:« وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الاولين » الانفال : ٣١)

و هذا دأب كل من لا يوافق طبعه شيء يكذبه ، و هنا يضعف ذوو النفوس الخبيثة عن قبول هذا الالتزام بالوقوف عند حدود الله جل و علا، فيتهمون هذا الهاتف الذي يهتف في ضمائرهم بالايمان بالله و اليوم الآخر ليظلّوا عاكفين على ما هم فيه من آثام ومنكرات ، من جرائم وسيئات ومن فجور وخطيئات ...

روى: ان الأعشى الشاعر الجاهلي، حين سمع بأمر نبي الاسلام صلى الله عليه وآله جاء يريد الاسلام فتلقته قريش، وقالوا له: إن محمداً يحرّم الزنا، فقال: هذا لا إربة لي فيه، فقالوا: انه يحرم الخمر، فقال: أما هذه فانها شهوة نفسي، و عندي خابية منها، سأروي نفسي منها سنة، ثم أعود فادخل في دين محمد... فرجع ولكنه لم يعد، فقدمات في عامه هذا !! وهكذا يتعلل أصحاب المنكرات بالعلل والمعاذير . . . حتى يموتوا على ماهم عليه من كفر وضلال، من بغي وفساد، من فجور وعصيان، و من ظلم وإستبداد ...

ولقد رأينا ذلك كله قبل الثورة المنتحلة بالاسلام و بعدها بايران ــ من السلاطين الطاغية والأمراء الباغية، والولاة المستبدة، والحكام المنحرفة. وأصحاب المصالح الواهية و ذوي الثراة الجائرة، و الرؤساء المشتهرة و من إليهم كيف يتعللون بالعلل والمعاذير ... والحكم مستمرى المدى إلى وقت إقامة دولة الحق قبل ظهور المهدي المنتظر قائم آل محمد عجّل الله فرجه الشريف جعلنا الله تعالى من أعوانه وأنصاره بحق محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

۱۴ـ (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

ليس الأمر كما كان عليه المطففون الفجار من أمر التطفيف، ولا كما توهمه هؤلاء المكذبون الأشرار من إنكار البعث والجزاء، ولا كما تقوّله اولئك المعتدون الآثمون من أن القرآن الكريم أساطير الاولين، بل غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الذنوب والجرائم، والطغيان والمآثم ... فانها كالصدأ للقلب الانساني فحالت بين قلوبهم وإدراك الحق.

فالذي جرأهم على ذلك هو أفعالهم التي دربوا عليها، واعتادوها فصارت سبباً لحصول الرين على قلوبهم ما كانوا يفعلون، فالتبست عليهم الامور، فلم يدر-كوا الفرق بين الكذب الفاضح والصدق الواضح والدليل اللائح، وذلك إذا تراكمت المعاصي والسيئات أعمت القلوب عن رؤية الحق و الصدق، و حجبتها عن الفهم

والادراك ...

قال الله تعالى : «من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون» النحل: ١٠٦- ١٠٨)

وقال: «بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» البقرة. ٨١)

وقال: «فبما نقضهم ميثاقهم و كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق و قولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم» النساء : ١٥٥)

وقال : «ونقلب أفئدتهم و أبصارهم كمالم يؤمنوا به أول مرة و نذرهم فى طغيانهم يعمهون» الانعام: ١١٠)

وقال: «كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين - لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون» الاعراف: ١٠١- ١٧٩)

وقال: «كذلك نطبع على قلوب المعتدين» يونس: ٧٤)

وقال: «كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» غافر: ٣٥)

١٥- (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

ليس ختم قلوب هؤلاء الفجار المطففين ، و اولئك الاشرار المجرمين ، و هؤلاء الكفار المكذبين و رينها فى الحياة الدنيا ختام أمرهم ، بل انهم لمحجوبون يوم القيامة عن لقاء ثواب ربهم و لاينالون رضاه ، لمطرودون عن موقع رحمة ربهم و إحسانه ، لمحرومون من كرامة القرب و المنزلة عندالله جل و علا .

وذلك انهم لما حجبوا هم أنفسهم بآثامهم وعتوهم ، بكفرهم وفجورهم عن

رؤية الحق وعن البينات، وعن الايمان والطاعات في الحياة الدنيا، فختم الله تعالى لذلك على قلوبهم يحجبهم عن ربوبيته المتمثلة في رحماته يوم القيامة.

قال الله تعالى: «من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة و مأواه النار وما للظالمين من أنصار» المائدة: ٧٢)

وقال: «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين» الانعام: ١٥ و ١٦)

و قال: «و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ـ و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ٥٠ ـ ١٥٦)

١٦ـ (ثم انهم لصالوا الجحيم)

ثم ان هؤلاء الفجار و المكذبين لداخلون في نار جهنم التي تحرق أفئدتهم، وهم ملازمون لها، ولا يغيبون عنها.

فليس حجبهم عن ثواب الله جل و علا، ومنعهم من الرحمة والكرامة والمنزلة في الآخرة هو كل جزائهم فيها، وإن كان جزاءاً أليماً وعقاباً زاجراً، بل إنما وراء هذا الحجب وبعدهم عن مواقع رحمة الله تعالى نار تلظّى هم يلقون فيها، يحترقون فيها، ويكونون حطباً لها، غير خارجين منها.

قال الله تعالى: «وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين» الانفطار: ١٤ ـ ١٦)

وقال: «هذه جهنم التي كنتم توعدون إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون» يس: ٦٣ـ٦٤)

و قال: «و إن للطاغين لشرّ مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد» ص:

٥٥ ـ ٥٦)

وقال: « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بد لناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء: ٥٦)

وقال: « مأواهم جهنم كلماخبت زدناهم سعيراً » الاسراء: ٩٧)

ثم هم لايتر كون هكذا للنار تأكلهم و ترعى فى أجسامهم ، بل ينخسون بهذه القوارع بمايرجمون بهمن كل جانب من ملائكة جهنم وخزنتها بقولهم لهم: «ذوقوا فتنتكم هذاالذى كنتم بهتكذبون » ذوقوه لتعلموا إن كان ما كذبتم به حقاً أوغير حق واقعاً أو غير واقع : « فهل وجدتم و ما وعد ربكم حقاً » الاعراف : ٤٤)

١٧- (ثم يقال هذاالذى كنتم بهتكذبون)

ثم يقال لهؤلاء الفجار المطففين ، و اولئك الكفار المكذبين ـ بعد أن دخلوا فى النار ـ على طريق التوبيخ و التبكيت والتقريع : هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون بهمما أوعدكم به الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

نداءمن الله جل وعلا لهؤلاء المكذبين الذين هضموا حقوق الناس ،وتلبسوا بأنواع الفجور ، وأنكروا البعث و الجزاء ، نداء لاعلى طريق خطاب المواجهة كماتوهمه المجسمية .

قال الله جل و علا : « و من خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا و كنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها و لاتكلمون » المؤمنون : ١٠٢ ـ ١٠٨)

وقال : « ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون» سباء: ٤٢)

وقال: «ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلدهل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون» يونس: ٥٢)

١٨- (كلا ان كتاب الابرار لفى عليين)

ليس الامر كما زعمه الفجار والمكذبون، وهم ليسوا بمساوى الابرار و المتقين قال الله تعالى: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار» ص: ٢٨)

و ذلك لان كتاب أعمال الابرار الذى كتب فيه أعمالهم جعل فى موضع ينتهى إليه الايمان و صالح العمل، و ينطبق على الدرجات العالية المحفوفة بالجلالة ومنازل القرب من الله تعالى عكس «سجين»

قال الله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» فاطر: ١٠)

١٩- (وما أدراك ماعليون)

وأىّ شىء أعلمك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما كتاب عليين؟ وأىّ شىء عليون نفسها؟

والمراد ههنا تعظيم لأمر الكتاب وتنويه بهذا الكتاب، ورفع لقدره، و تفخيم له فى المنزلة الرفيعة، و قدر المكان الذى أو دع هذا الكتاب فيه، و تنبيه على أن تفصيل تفضيله لايمكن العلم به إلاّ بالمشاهدة.

ونظير الاية الكريمة فى التعظيم و التفخيم قوله جل وعلا: «وما أدراك ماليلة القدر» القدر: ٢)

وقوله تعالى: «وماأدراك ماالطارق» الطارق: ٢)

٢٠- (كتاب مرقوم)

كتاب الابرار كتاب قدرقم فيه عقيدتهم الحقة، وأعمالهم الصالحة، وصفاتهم الحسنة وأخلاقهم الفاضلة ... وقد تبيّنت فيه طاعاتهم بلاإبهام، وقد كتب فيه ما تقرّ به أعينهم ويوجب سرورهم ...

قال الله تعالى: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ فى كتاب مبين ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا و فى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» يونس: ٦١ـ٦٤)

وقال: «و كل شيء فعلوه فى الزبر و كل صغير و كبير مستطر» القمر: ٥٢ـ٥٣)

وقال: «لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم» سباء: ٣و٤)

وقال: «فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإناله كاتبون» الانبياء: ٩٤)

وقال: «فاما من اوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية» الحاقة: ١٩ـ٢٢)

و قال: «فأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً» الانشقاق: ٧ـ٩)

٢١ـ (يشهده المقربون)

يعاين كتاب عامة الابرار خواص منهم، وهم أعلى درجة من عامة الابرار و هم السابقون المقربون، فهم يطالعون صفحات هذا الكتاب ليروا فيها كيف عقيدة الابرار وإخلاصهم؟ وإحسان المحسنين وإطاعتهم؟ وصدق ايمان المؤمنين وصالح أعمالهم؟؟؟

قال الله جل وعلا: «والسابقون السابقون المقربون» الواقعة: ١١)

٢٢ـ (ان الابرار لفى نعيم)

ان هؤلاء الا برار مستقرون لفى نعمة كثيرة فى الجنة، فيتنعمون فيها بأنواع نعيمها و لذائذها ولهم فيها عيشة غزيرة، و منزلة عظيمة و درجة رفيعة

عندالله تعالى لايحيط بها الوصف .

قال الله تعالى : «اولئك لهم رزق معلوم فواكه و هم مكرمون في جنات النعيم» الصافات : ٤١_٤٣)

وقال : « ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون» الدخان: ٥١_ ٥٢)

وقال : «ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونهاتجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » النحل : ٣٠_٣٢)

وقال : «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عندالله و اولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم » التوبة : ٢٠_ ٢٢)

وقال : «ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً _ وإذارأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً» الانسان : ٥_ ٢٠)

٢٣- (على الأرائك ينظرون)

هؤلاء الابرار ليأخذون يوم القيامة مجالس نعيمهم في الجنة العالية على الأرائك _ جمع الأريكة وهي السرير في الحجال وهي البيت المزيّن للعروس_ و هي الاسرة ذات الستر من اللؤلؤ و الياقوت حيث يسرحون بأبصارهم في هذا النعيم المحيط بهم ، و يتحملون محاسنه و مباهجه ، فيعظم نعيمهم و تتضاعف مسراتهم ...

هم ينظرون إلى ماأعدّ الله تعالى لهم في الجنةمن أنواع النعيم والملذات من الحور والقصور والولدان، ومن الأطعمة والأشربة والمساكن، ومن الكرامة والمنزلة والحبرةفي الجنان ، ومما تلذبه الأعين وما تشتهيه الانفس... ينظرون

حيث يشاؤن من غير غض ولا غضاضة من مهانة أو مشقة ، ورضوان الله جل وعلا أكبر من ذلك .

قال الله تعالى : «ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلّون فيهامن أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً» الكهف: ٣٠- ٣١)

وقال : «إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم مايدّعون سلام قولاً من رب رحيم» يس: ٥٥-٥٨)

وقال : «وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون إلاّ عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لافيها غول ولاهم عنها ينزعون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون» الصافات: ٣٩-٤٩)

وقال : «ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا و اشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوّجناهم بحور عين» الطور: ١٧-٢٠)

وقال: «وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب و أباريق و كأس من معين لايصدّعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون» الواقعة: ١٤-٢٤)

٢٤- (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم)

إذا رأيت يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة هؤلاء الابرار تعرف أنت انهم من أهل النعمة بما ترى فى وجوههم من نور الايمان وحسن الجمال ، وبياض السرور

والبشاشة و بما تعلو فيها بهجة النعيم وغضارته و رونقه الذى هم فيه ، فظاهرهم يدل ّ على باطنهم، لأن الظاهر هو عنوان الباطن ، فترى في وجوههم من القرائن الدالة على ذلك وهي الضحك والاستبشار والسرور والبياض مالايصفه الواصفون، ولايكتنه كنهها إلاّ من يتنعم بها ، فهم في السرور والسعة والراحة والدعة .

بل كل نظرة إليهم تكشف عن نظرة النعيم دون أن يظهر منهم شيء بلفظة قول أو إشارة ، فهم نعيم بكيانهم ككل لابؤس فيهم ولاعبس .

قال الله تعالى : «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم» الحديد : ١٢)

وقال : « وجوه يومئذ ناضرة» القيامة : ٢٢)

وقال : «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » عبس : ٣٨و٣٩)

وقال : «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية»الغاشية : ٨و٩)

و قال : « و أما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » آل‌عمران : ١٠٧)

٢٥- (يسقون من رحيق مختوم)

ان هؤلاء الابرار لما أخذوا منازلهم فى‌الجنة العالية ، واتكئوا على السرر المعدّة لهم ، وسرحوا بأبصارهم فى ألوان هذا النعيم الممدود بين أيديهم، يطاف عليهم بشراب صاف خالص من كل كدر وغش ، بشرب جيّد رائق مبرّأ من كل سوء و دنس ، ختم أوانيه بشيء نفيس و هو المسك بدلاً من الطين و نحوه الذى يختم به أوانى الدنيا ليسلم من الغش والخلط وإدخال مايفسده فيه ، و ليسلم من أيدى الأجانب ، فلايفك ختمه غير أصحابها .

قال الله تعالى : « يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشار بين لافيها غول ولاهم عنها ينزفون» الصافات: ٤٥-٤٧)

وقال : «يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولاينزفون» الواقعة : ١٧-١٩)

٢٦- (ختامه مسك وفى ذلك فليتنا فس المتنافسون)

ختام الرحيق مسك إذ ختم به إناء الرحيق بدلاً من الطين أو الشمع الذى يختم به الاناء فى الحياة الدنيا ، فاذا فضّ ختام هذا الشراب عبقت منه رائحة المسك فعطرت الجو من حوله ، فتنتعش النفوس لشرابه وتهشّ لاستقباله ، كما أن آخر شربه تفوح منه رائحة المسك، فختامه مسك ليكون مذاقه ورائحته مسكاً

وفى مثل ذلك النعيم المقيم الاخروى لافى النعيم الزائل الدنياوى فليرغب الراغبون بالايمان وصالح العمل ، بالصدق والأمانة ، بالصلاة والفلاح ، بالعدل و الاحسان ، وبالمبادرة إلى طاعة الله جل و علا باتباع أوامره وإجتناب نواهيه ... و لمثل هذا فليعمل العاملون ، و يجدّ المجدّون ، لان هذا هو الذى ينبغى أن يطلب و يشتد الصلب عليه و يكثر التنافس فيه ، و أما ماسواه فهو هباء و قبض ريح . . .

التنافس: تمنّى كل واحد من الاثنين أو الاكثر إلى شيء نفيس، فيرغب فيه كل واحد بجميع الجهد ليكون ذلك المتنافس فيه له خاصة دون غيره، لنفاسته، فتحرص عليه النفوس وتتغالى فيه ، فتتبادر إلى نيله بالجدّ كل الجد ، هذا فى نفائس دنياوية فانية .

فكيف نفائس اخروية باقية ؟ فلابد للمتنافس فى نفائسها من الجد تمام الجد فى الايمان و الاخلاص ، من صالح العمل و صدق الطاعة . . . فى الحياة الدنيا

قال الله عز و جل : « ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون » الصافات : ٦٠و ٦١)

فلابد لأهل القرآن الكريم والعلم من صالح العمل وخلوص النية ، و أن

يكونوا مرجعاً عملياً للامة الاسلامية خاصة وللناس عامة قبل أن تكونوا مرجعاً قولياً فانهم قدوة لابدلهم من العمل قبل البيان قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: « كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم »، ولم يكونوا من أهل التصفيق والهتاف والشعار من غير شعور، ولامن أهل الجلوس في الصدر وتقبيل الأيدي ونهب الأموال ليتركوها للأبناء والاصهار ..

فلابد لكل من أراد الجنة ونعيمها، والكرامة و القرب من الله تعالى من صالح الاعمال و خلوص النية، أينال أحد إلى شيء نفيس بثمن ردئ و صاحب المتاع خبير !!!

قال الله تعالى: « و من يأته مؤمناً قدعمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى» طه: ٧٥: ـ ٧٦)

وقال: « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً الكهف: ١٠٧)

وقال: « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار» ص:٢٨)

٢٧- (و مزاجه من تسنيم)

ومزاج هذا الشراب الذي يسقى منه هؤلاء الابرار في الجنة، والذى تفوح منه رائحة المسك، مزاجه من عين يقال لها: تسنيم يشرب بها المقربون، وشرابها أشرف شراب الجنة تجرى من علو إلى أسفل، فيمزج الرحيق بشراب من تسنيم فيطيب.

٢٨- (يشرب بها المقربون)

أعنى من التسنيم عيناً لايعلم كنهها إلاّ الله جل و علا قدأعدّها الله تعالى ليشرب منها أهل القرب من الله عز و جل و أهل الكرامة الخاصة عنده من عباد

الله سبحانه .

فليس التسنيم عصيراً من فاكهة أو ماء اضيف إليه شيء آخر، بل هو عين طبيعية خالصة للمقربين الذين هم خواص الابرار، وهم السابقون في الايمان وصالح الاعمال ،يشربون من تلك العين التي ليست فوقها عين ، و يمزج منها سائر أهل الجنة ، فلهؤلاء الابرار نصيب من تلك العين الاعلى مزاجاً في شرابها ، و هي نفسها للمقربين صرفاً .

قال الله تعالى : «و السابقون السابقون اولئك المقربون ـ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان و جنت نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين» الواقعة : ١٠ـ ٩١)

وقال: «ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً ـ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تسمى سلسبيلاً» الانسان: ٥ـ ١٨)

٢٩ـ (ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

ان الذين تلبسوا بالجرم وانقطعوا عن الحق إلى الباطل، عن سبيل الهدى إلى الضلالة ، وعن الطاعة و صالح الاعمال إلى المعصية والاعمال الفاسدة ، وانحرفوا عن صراط مستقيم إلى البغي والحيرة... كانوا هم يضحكون من الذين اتصفوا بالايمان ـ وهم خواص الابرار وأصحابه ـ لايمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الآخر ولطاعتهم ...

قال الله تعالى : «انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا و أنت خير الراحمين فاتخذ تموهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري و كنتم منهم تضحكون» المؤمنون : ١٠٩ ـ ١١٠)

الاجرام من الجرم و هو ما ينقطع به عن الواجب ، وذلك ان أصله في اللغة في القطع ومنه قيل للصرام : الجرام و هو قطع الثمر .

قال الله تعالى : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » الانفال : ٧-٨)

وقال : « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين » يونس : ٧٥ -- ٧٦)

وقال : « وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يابني ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين و أن اعبدوني هذا صراط مستقيم » يس : ٥٩ - ٦١)

وقال : « وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم و كنتم قوماً مجرمين » الجاثية : ٣١)

كما أن الذنب مايتبعه الذم أومايتتبع عليه العبد من قبيح فعله، وذلك ان أصل الكلمة : الاتباع .

ومن هنا يظهر الفرق بين الجرم والذنب فتامل واغتنم جداً .

٣٠- (واذا مروابهم يتغامزون)

و إذا مرّ هؤلاء المؤمنون الأبرار و المقربون الاخيار باولئك المجرمين الفجار و المكذبين الاشرار ، و هم في أنديتهم أوغيرها يغمض بعض المجرمين بعضاً، و يشيرون إلى المؤمنين المارين بهم بأعينهم وشفاههم وحواجبهم، أوبأيديهم وأكتافهم إستهزاء أويأتون بحركة متعارفة بينهم سخرية من المؤمنين حركة وضيعة تكشف عن سوء الأدب والتجرد من التهذيب بقصد إنكسار قلوب الاخيار و إصابة الابرار بالخجل - كماهو دأب الأراذل ولئام الناس في كل وقت ومكان- و ينسبونهم إلى الضلال .

قال الله تعالى : « زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا » البقرة : ٢١٢)

وقال: « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لايجدون إلاجهدهم فيسخرون منهم» التوبة: ٧٩)

وقال: « وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون » المطففين : ٣٢)

٣١- (وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين)

و كان هؤلاء المجرمون المتغامزون إذا انصرفوا من أنديتهم إلى أهلهم و أصحابهم رجعوا ناعمين بماهم عليه من الكفر و الضلالة ، و الجرم و المعصية ، متفكهين بذكر الابرار ، فيقصّون على أهلهم مادار على ألسنتهم من فجور ، و مارموا به المؤمنين من هجر القول وغمز العين ، و سوء الأدب ، و يجعلون ذلك مادة للتندر والتفكه .

وهذا شأن المجرمين المتغامزين فى طوال الاعصار بعدأن ينفض مجلسهم الآثم الذى جرحوا فيه المؤمنين بتغامزهم و تلامزهم . . . انهم يعودون من هذا المجلس إلى أهلهم ، و على أفواههم طعم هذا المنكر الذى طعموه فيها يتشدقون به...

٣٢- (وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون)

وإذا رأى هؤلاء المجرمون و الفجار ، هؤلاء المؤمنين و الابرار كانوا يقولون : إن هؤلاء الابرار و المؤمنين لضالون عن محجة الحق و الصواب ، وعن سبيل القصد والرشاد لتركهم ماوجدوا عليه آباءهم ممانقله الخلف عن السلف كابراً عن كابر و جيلاً بعدجيل ، و تركهم النعم الحاضرة الدنيوية رجاء النعيم الاخرى لا حقيقة له ، خدعهم به محمد ﷺ وايمانهم به .

فيا عجبا السارق القوى يأخذ　　صاحب المتاع و البيت

فالمجرمون كلما رأوا أحداً من الابرار والمؤمنين أشاروا إليه كمعلم من معالم الضلال، و كأنهم يشفقون عليه من هذا الطريق الذى يسير فيه ... فيقول بعضهم لبعض : انظروا إلى هذا المسكين المغرور الذى يمنّيه محمد بالجنة ونعيمها ! !

انه مسكين ... لقد وقع فريسة لخداع محمد وتمويهه ! !

وهذا دأب الكفار والمجرمين بالنسبة إلى الانبياء السابقين عليهم السلام وإلى المؤمنين .

قال الله تعالى : « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين » الاعراف: ٥٩ـ ٦٠)

وقال: « قالوا بلى قد جائنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ فى ضلال كبير » الملك:٩)

وقال: « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلاّ فى ضلال مبين » يس: ٤٨)

وان الفجور والاجرام والانحراف والبغى والضلال منهم، وآثارها تجرى من سيماهم، إذ يعرف المجرمون بسيماهم، وهذه حالهم فهم يعكسون القضية، فيقولون على سبيل التأكيد مرة بعد مرة : ان المؤمنين الابرار ، والمخلصين الاخيار هم الضالون عن طريق مستقيم ...

وليس ذلك بعجب منهم ، وهم فى عصر الجاهلية الجهلاء ، بل هذا الانقلاب والاعكاس يوجد أشد من مجرمى عصر الفضاء والتمدن إذ ينسبون القهقرى والارتجاع إلى الابرار وأهل الايمان، وهم يرتجعون إلى قبل الجاهلية والتوحش نحو ألف سنة .

قال الله تعالى : «وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ـ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين» البقرة: ١١ـ ١٦)

٣٣- (وما ارسلوا عليهم حافظين)

كيف ينسب هؤلاء المجرمون الساخرون اولئك الابرار المؤمنين إلى الضلال، ولم يرسل المجرمون راقبين على الابرار المؤمنين، ولاموكلين عليهم ،

ولاحافظين لأنفسهم، ولامهيمنين على أعمالهم ، فيشهدون برشدهم و ضلالهم ، و يقضون في حقهم بما شاؤا، ولاحارسين لمايتهددهم من سوء ! ! !

و قد كان الاولى بهؤلاء المجرمين الضالين أن ينظروا إلى أنفسهم ، و أن يحفظوها من هذا البلاء الذى اشتمل عليهم، ولكن هكذا أهل السوء أبداً يشغلون عن أنفسهم ، وعن حراستها من المهالك والمعاثر بالبحث عن عيوب الناس ، وتتبع سقطاتهم وزلاتهم ، والتشنيع بهاعليهم ...

٣٤- (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

فيوم القيامة حيث تتعالى صرخات الفجار المجرمين ، والكفار المكذبين، وحين إنزالهم منازلهم في جهنم وعذابهم بنارها ، على حين ينظر إليهم المؤمنون، يضحكون من الكفار ويسخرون بالمجرمين بسبب كفرهم وتكذيبهم ، و جرمهم وفجورهم ، يضحكون من اولئك المغرورين الجحدة الذين تجلت لهم عاقبة عقائدهم الباطلة ، وأعمالهم الفاسدة ، وظهر لهم سفه عقولهم وفساد أفكارهم ، فيضحكون منهم جزاء وفاقاً إذكانواهم يضحكون من المؤمنين ، ويسخرون بالابرار في الحياة الدنيا بسبب ايمانهم وبرّهم وإعتقادهم الحق و عملهم الصالح ، على سبيل الجزاء بالمثل.

وهكذا الجاهل السافل يفرح بالقبيح من فعله، و هو لايشعر انه يطعن نفسه بنفسه، ولايشعر ان البغي ترجع تبعته بالمآل على الباغي والظلم على الظالم، والمكر على الماكر ...

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: « قال إن تسخروا منافانا نسخر منكم كما تسخرون» هود: ٣٨)

وقال: « ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم ـ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها » يونس: ٢٣ ـ ٢٧)

٣٥- (على الأرائك ينظرون)

ان المؤمنين هم يضحكون يوم القيامة من هؤلاء الكفار ، و هم جالسون ، مستريحون على سرر الحجال في الجنة العالية ، يملئون أعينهم من نعيمها الذى يحفّ بهم ، ينظرون إلى الكفار والمجرمين على حين يتقلبون على جمر جهنم ، و يعذبون بنارها ، فهم ينظرون إلى الجنة العالية ، ودرجاتهم العليا ، و نعيمهم المقيم ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ضاحكة مستبشرة ، ينظرون إلى دركات المجرمين ، ووجوههم الباسرة التي ترهقها قترة .

كما يراهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهم معذبون في جهنم بنارها .

قال الله تعالى: « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت» إبراهيم: ٤٩-٥١)

وقال: « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين» الانعام : ٢٧)

وقال: « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفيّ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم» الشورى: ٤٤- ٤٥)

٣٧- (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)

يقول الله عزوجل : هل جوزى الكفار المجرمون ، والفجار المكذبون ما كانوا يفعلون من السخرية والاستهزاء ، والتغامز على هؤلاء الابرار والمؤمنين و فكاهتهم بذلك إذا انقلبوا إلى أهلهم ونسبتهم المؤمنين إلى الضلال ، وما كانوا يتلبسون بالكفر وأنواع الفجور ؟

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون » الاعراف: ١٤٧)

نعم ! يعاقب المجرمون بعقائدهم الباطلة ، و أعمالهم الفاسدة ، و أقوالهم

المنكرة ... أجل! مافي ذلك من ريب حيث لايستقيم مع عدله أن يستوى المؤمن والكافر ، الفاجر والمتقي ، المحسن والمسيء ، والمجرم والبرىء ...

قال الله تعالى: «قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور» الرعد: ١٦)

وقال: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون» السجدة: ١٨)

وقال: «أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص: ٢٨)

وقال: «لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون» الحشر: ٢٠)



* جملة المعاني *

٥٨٤٩- (ويل للمطففين)

و يل لكل من يطفف في الكيل و الوزن ، و يبخس الناس حقوقهم و يغشّهم فيها .

٥٨٥٠- (الذين اذااكتالوا على الناس يستوفون)

المطففون هم الذين إذااشتروا شيئاً من المكيلات يستوفونه بكيل راجح فيه ضرر على البايعين .

٥٨٥١- (واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون)

وهؤلاء المطففون إذاباعوا أمتعتهم وكالوها أووزنوها لمشتريها ينقصونها، فيوقعونهم في البخس والخسران .

٥٨٥٢- (ألايظن اولئك انهم مبعوثون)

ألايتيقن هولاء المطففون انهم سيبعثون من قبورهم، فيحاسبون ويجزون على مايفعلون.

٥٨٥٣- (ليوم عظيم)

يبعثون ليوم عظيم شأنه، هائل أمره ، فظيع هوله ، فيه حساب وجزاء .

٥٨٥٤- (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

يوم يقوم الناس كلهم : المؤمن و الكافر ، والبار و الفاجر من قبورهم، فيتلبسون بالحياة بعدموتهم لقضاء رب العالمين ، و حكمه عليهم و جزائه إياهم

بما كانوا يفعلون .

٥٨٥٥- (كلاان كتاب الفجار لفى سجين)

ليس الأمر كما زعمتم أيها المطففون ان كتاب أعمال الفجار لثابت فى سجين سيحاسبون عليها لامحالة .

٥٨٥٦- (وماأدراك ماسجين)

وأىّ شىء أيها النبى الكريم ﷺ ما كتاب سجين ؟

٥٨٥٧- (كتاب مرقوم)

كتاب رقم فيه أعمال المطففين والفجار ...

٥٨٥٨- (ويل يومئذ للكمذبين)

ويل يوم القيامة لكل من كذّب بالبعث والحساب والجزاء

٥٨٥٩- (الذين يكذبون بيوم الدين)

المكذبون هم الذين يكذبون بيوم الفصل والجزاء .

٥٨٦٠- (وما يكذب به الا كل معتد أثيم)

ولا يكذّب بيوم الدين إلاّ كل متجاوز عن حدود الله تعالى و حرماته ، و كل أثيم يترك أوامر الله تعالى ويرتكب نواهيه مبالغاً فيهما .

٥٨٦١- (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين)

إذا تتلى الآيات القرآنية على كل معتد أثيم ، قال : هى أباطيل الامم الماضية إكتتبها محمد ﷺ فلاواقع لها ولابشىء جديد .

٥٨٦٢- (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون)

ليس الامر كما كان عليه المطففون الفجار من أمر التطفيف ، بل غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون بأنه صار سبباً لحصول الرين عليها .

٥٨٦٣- (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

لايكتفى برين القلوب، بل انهم عن رحمة ربهم يوم القيامة لمحجوبون .

٥٨٦٤- (ثم انهم لصالوا الجحيم)

ثم ان هؤلاء الفجار والمكذبين لداخلون في نارجهنم وملازمون لها .

٥٨٦٥- (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون)

ثم يقال لهؤلاء الفجار المكذبين ـ بعد أن دخلوا فى النار ـ على طريق التوبيخ : هذا العذاب هو الذى كنتم بهتكذبون فى الحياة الدنيا .

٥٨٦٦- (كلا ان كتاب الابرار لفى عليين)

ليس الامر كما زعمه الفجار و المكذبون ، وهم ليسوا بمساوى الابرار ، فان كتاب أعمال الابرار الذى كتب فيه أعمالهم جعل فـى مـوضع ينتهى إليه الايمان وصالح الاعمال ...

٥٨٦٧- (وما أدراك ماعليون)

وأىّ شيء أعلمك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما كتاب عليين ؟

٥٨٦٨- (كتاب مرقوم)

كتاب الابرار كتاب كتبت فيه عقيدتهم الحقة ، وأعمالهم الصالحة ...

٥٨٦٩- (يشهده المقربون)

يعاين كتاب عامة الابرار خواص منهم ، وهم أعلى درجة من عامةالابرار، والخواص همالسابقون فى الايمانوصالح الأعمال ، وهم المقربونعندالله عزوجل

٥٨٧٠- (ان الابرار لفى نعيم)

ان هؤلاء الابرار مستقرون لفى نعمة كثيرة يتنعمون بها فى الجنة العالية لايصفها واصف .

٥٨٧١- (على الأرائك ينظرون)

هؤلاء الابرارهم على سرر فى الحجال ، ينظرون إلى ماأعد الله تعالى لهم فى الجنة من أنواع نعيمها وملذاتها ...

٥٨٧٢- (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم)

تعرف أنت أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فى وجوه الابرار بهجة النعيم

ما لا يصفه واصف .

٥٨٧٣- (يسقون من رحيق مختوم)

يسقى هؤلاءِ الابرار فى الجنة العالية من شراب صاف خالص جيّد ختم أوانيه ...

٥٨٧٤- (ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)

ختام الرحيق مسك بدلاً من الطين أو الشمع الذى يختم به أوانى الدنيا ، ليسلم من الغش و الفساد ، و فى مثل ذلك النعيم المقيم ، فليبادر الراغبون فيه بالايمان وصالح العمل .

٥٨٧٥- (ومزاجه من تسنيم)

و مزاج هذا الشراب من عين يقال لها : تسنيم ، و شرابها أشرف شراب الجنة فيمزج الرحيق بشراب التسنيم ، فيطيب .

٥٨٧٦- (عيناً يشرب بها المقربون)

أعنى من التسنيم عيناً يشرب منها خواص الابرار وهم المقربون .

٥٨٧٧- (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

ان الذين انقطعوا عن الحق والطاعة ، وتلبّسوا بالباطل والجرم كانوا من الذين اتصفوا بالايمان يضحكون سخرية وإستهزاء بهم .

٥٨٧٨- (واذا مروابهم يتغامزون)

وإذا مرّ هؤلاءِ المؤمنون الابرار، والمقربون الاخيار باولئك المجرمين الفجار وهم فى أنديتهم أوغيرها يغمض بعض المجرمين بعضاً ، سخرية وإستهزاء بالابرار والاخيار .

٥٨٧٩- (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين)

وإذا رجع هؤلاء المتغامزون من أنديتهم إلى أهلهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الكفر والاجرام، متفكهين بذكر المقربين والابرار

٥٨٨٠- (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون)

وإذا رآى المجرمون هؤلاء المقربين والابرار قالوا : ان هؤلاء المقربين والابرار لضالون عن طريق الحق والصواب لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٥٨٨١- (وما ارسلوا عليهم حافظين)

كيف ينسب هؤلاء المجرمون الساخرون اولئك المقربين و الابرار إلى الضلال وهم لم يرسلوا راقبين عليهم، ولامهيمنين على أعمالهم وعقيدتهم، فيشهدون برشدهم وضلالهم ، ويقضون فى حقهم بما شاؤا .

٥٨٨٢- (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

فيوم القيامة الذين آمنوا يضحكون من الكفار جزاءاً وفاقاً .

٥٨٨٣- (على الأرائك ينظرون)

هؤلاء المؤمنون يوم القيامة على سرر الحجال فى الجنة ينظرون إلى الكفار على ماهم فيه من الذلة والعذاب .

٥٨٨٤- (هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون)

يقول الله عزوجل : هل جوزى الكفار ما كانوا يفعلون من السخرية و الاستهزاء والتغامز على المؤمنين ونسبتهم إلى الضلال ، وما كانوا يتلبسون بالكفر وأنواع الفجور ...

﴿ بحث روائی ﴾

فی الجامع لاحكام القرآن: عن عبدالملك بن مروان : ان أعرابياً قال له : قد سمعت ماقال الله تعالى فی المطففين ، أراد بذلك أن المطففين قدتوجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذی سمعت به، فماظنك بنفسك و أنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولاوزن ؟

فی الاحتجاج: عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علی بن أبيطالب عليه السلام قال- فی حديث طويل-فی قوله تعالى:« ألايظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم» أی أليس يوقنون انهم مبعوثون .

وفيه : قال الامام علی عليه السلام - فی حديث آخر-:«والظن ظنان: ظن شك وظن يقين فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين ، وماكان من أمر الدنيا فهو على الشك» .

و فی عوالی اللئالی : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لماقرأ :« يوم يقوم الناس لرب العالمين » قال: يقومون حتى يغيب أحدهم فی رشحه إلى أنصاف اذنيه .

وفی الجامع لاحكام القرآن: قرأ إبن عمر« ويل للمطففين » حتى بلغ« يوم يقوم الناس لرب العالمين »فبكى حتى سقط وامتنع من قراءة مابعده ثم قال: سمعت النبی صلى الله عليه وآله وسلم يقول :« يوم يقوم الناس لرب العالمين فی يوم كان مقداره خمسين ألف سنه، فمنهم من يبلغ العرق كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه،ومنهم من يبلغ حقويه ،ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ اذنيه حتى إن أحدهم ليغيب فی رشحه كما

يغيب الضفدع » أى فى الماء .

و فى رواية : عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يقومون ألف عام فى الظلة »

و فى رواية : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لبشير الغفارى : « كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلاثمأة سنة لرب العالمين لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر؟ قال بشير : المستعان الله .

و فى رواية : عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « انه ليخفّف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا »

و فى المجمع : وجاء فى الحديث : انهم يقومون فى رشحهم إلى أنصاف آذانهم .

وفى حديث آخر: يقومون حتى يبلغ الرشح إلى أطراف آذانهم .

وفى الحديث : عن سليم بن عامر عن المقداد بن الاسود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل أو ميلين قال سليم : فلا أدرى أمسافة الارض أم الميل الذى تكحل به العين ؟ ثم قال : صهرتهم الشمس فيكونون فى العرق بقدر أعمالهم : فمنهم من يأخذه إلى عقبه ، و منهم من يلجمه إلجاماً قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير بيده إلى فيه قال : يلجمه إلجاماً . أورده مسلم فى الصحيح . و روى : ان إبن عمر قرأ ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين، فبكى حتى خرّ وامتنع من القراءة .

و فى اصول الكافى : باسناده عن مهاجر الأسدى عن أبى عبدالله عليه السلام قال -فى حديث مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قدمات أهلها وطيرها ودوابها فسئلهم -: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال- بعض الموتى- : بتنا ليلة فى عافية ، وأصبحنا فى

الهاوية فقال: وما الهاوية ؟ فقال: سجّين قال: وماسجّين: قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة قال:فماقلتم وما قيل لكم ؟ قال: قلنا: ردّنا إلى الدنيا ، فنز هدفيها قيل: لنا كذبتم .. الحديث .

وفيه :باسناده عن أبى حمزة الثمالى قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : ان الله عز و جل خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مماخلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك ، فقلوبهم تهوى إلينا لأنهاخلقت مماخلقنا ثم تلاهذه الاية :« كلاان كتاب الابرار لفى عليين و ماأدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون » و خلق قلوب عدوّنا من سجّين و خلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه و أبدانهم من دون ذلك ، قلوبهم تهوى إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلاهذه الآية : « كلا إن كتاب الفجار لفى سجين و ماأدراك ماسجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين »

و فى روضة الكافى : باسناده عن حفص عن أبى عبدالله عليه السلام قال: مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السهم فى القرب ليس لهم من الارض إلا موضع قدرته كالسهم فى الكنانة لايقدر أن يزول ههنا ولاههنا .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى:« كلاان كتاب الفجار لفى سجين » قال: ما كتب الله لهم من العذاب لفى سجين .

وفيه :فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال: «السجين الارض السابعة وعليون السماء السابعة »

قيل : ان الرواية لو صحّت مبنيّة على إنتساب الجنة والنار إلى جهتى العلو والسفل بنوع من العناية ، ولذلك نظائر فى الروايات كعدّ القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار وعدّ وادى برهوت مكاناً لجهنم .

و فى الدر المنثور :عن أبى أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« صلاة على أثر صلاة لالغو بينهما كتاب مرقوم فى عليين »

و فى العلل : باسناده عن زيد الشحام عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك و تعالى خلقنا من نور مبتدع من نور سنخ ذلك النور فى طينة من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلق منه ثم قرأ :« ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون » الحديث .

وفى الجامع لاحكام القرآن : و الذى فى الخبر من حديث إبن عمر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة من كذا فاذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه ، فيقولون : ماهذا النور ؟ فيقال: أشرف رجل من أهل عليين الابرار أهل الطاعة والصدق »

وفيه :وفى خبر آخر:« ان أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى الكواكب الدرى فى افق السماء »

وفيه :عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى:« على الأرائك ينظرون»: ينظرون إلى أعدائهم فى النار .

وفى المجمع:عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سجين أسفل سبع أرضين

و فى الدر المنثور :عن جابر بن عبدالله قال: حدثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« ان الملك يرفع العمل للعبد يرى أن فى يديه منه سروراً حتى ينتهى إلى الميقات الذى وصفه الله له فيضع العمل فيه، فيناديه الجبار من فوقه: إرم بما معك فى سجين، وسجين : الارض السابعة ، فيقول الملك: مارفعت إليك إلا حقاً فيقول: صدقت إرم بما معك فى سجين »

وفيه :عن سعيد بن المسيب قال: إلتقى سلمان وعبدالله بن سلام فقال أحدهما لصاحبه : إن مت قبلى فالقنى فاخبرنى بما صنع ربك بك ، وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك ، فقال عبدالله : كيف يكون هذا؟ قال: نعم إن أرواح المؤمنين تكون فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت ونفس الكافر فى سجين والله أعلم.

و فى تفسير القمى : -عن الامام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن على

عليه السلام في حديث طويل- قال: فيحشر الناس عندصخرة بيت المقدس ، فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة ويزلف المعتبر ، وتصير جهنم عن يسار الصخرة في تخوم الارضين السابعة وفيها الفلق والسجين .

وفي البرهان: عن سعيدبن عثمان الخزاز قال : سمعت أباسعيد المدايني يقول:« كلاان كتاب الابرار لفي عليين وماأدراك ماعليون كتاب مرقوم» بالخير مرقوم بحب محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :« كلاان كتاب الفجار لفي سجين وماأدراك ماسجين كتاب مرقوم » وسجين موضع في جهنم ، وإنماسمي به الكتاب مجازاً تسمية الشيء باسم مجاوره ومحله أي كتاب أعمالهم في سجين .

و في نور الثقلين : وروى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: أما المؤمنون فترفع أفعالهم وأرواحهم إلى السماء، فتنفتح لهم أبوابها ، وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذابلغ إلى السماء نادى مناد : إهبطوا به إلى سجين ، و هو واد بحضر موت يقال له: برهوت .

و في اصول الكافي :باسناده عن محمدبن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت:« كلاان كتاب الفجار لفي سجين » قال: هم الذين فجروا في حق الائمة واعتدوا عليهم ... الحديث .

و في تفسير القمي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فاذا صعد بحسناته يقول الله عزوجل : اجعلوها في سجين انه ليس إياي أراد فيها (بهاخ)

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «فاذا صعد» أي تم صعوده ، و وصل إلى موضع يعرض فيه الاعمال على الله تعالى ، و«اجعلوها في سجين» أي اثبتوا تلك الاعمال التي زعمتم انها حسنات في ديوان الفجار الذي هو في سجين ، و « انه ليس إياي أراد بها» أي عمل بتلك الاعمال رياءاً .

وفي المناقب: لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن الامام المجتبى

الحسن بن علي عليه السلام قال: كلما في كتاب الله عزوجل: «ان الابرار» فوالله ما أراد به إلا علي بن أبيطالب وفاطمة وأنا والحسين لانا نحن أبرار بآبائنا وامهاتنا وقلوبنا علت بالطاعات والبر، وتبرأت من الدنيا وحبها وأطعنا الله في جميع فرائضه وآمنا بوحدانيته وصدقنا برسوله.

وفيه: عن الامام باقر العلوم محمد بن علي عليه السلام قال في قوله تعالى: «كلا ان كتاب الابرار» إلى قوله: «المقربون»: هو رسول الله وعلي وفاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام.

اقول: و قد ورد في صلاة الميت أن يقال في التكبيرة الرابعة: «اللهم اكتبه عندك في عليين» أي اكتب و قدر عندك انه من أهل عليين أو اكتب إسمه في عليين، فانه ديوان يكتب فيه أسماء الابرار وأعمال المقربين.

وفي الكافي: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: مامن عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فاذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فان تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد في ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطي البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله عز وجل: «كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون»

وفيه: مرفوعاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: تذاكروا و تلاقوا و تحدثوا فان الحديث جلاء للقلوب، ان القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤه الحديث.

وفي الدر المنثور: عن أبي الخير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أربع خصال تفسد القلب: مجاراة الأحمق، فان جاريته كنت مثله، وإن سكت عنه سلمت عنه، و كثرة الذنوب مفسدة للقلب، وقد قال: «بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» و الخلوة بالنساء والاستماع منهن، والعمل برأيهن، ومجالسة الموتى، قيل: و ما الموتى؟ قال: كل غني قد أبطره غناه.

وفيه: عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - ولن يعذب الله امة حتى تعذر، قالوا: وماعذرها؟ قال: يعترفون بالذنوب ولايتوبون ولتطمئن القلوب بما فيها من برّها و فجورها كما تطمئن الشجرة بما فيها حتى لايستطيع محسن يزداد إحساناً، ولايستطيع مسيء إستعتاباً قال الله: « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن العبد إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء، فان تاب و نزع و استغفر صقل قلبه، و إن عاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الرين الذي ذكر الله في القرآن: « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

وفي المجمع: عن ابي عبدالله عليه السلام قال: يصدأ القلب فاذا ذكرته بآلاء الله إنجلى عنه.

و في روضة الواعظين: قال الباقر عليه السلام: ما من شيء أفسد للقلب من الخطيئة ان القلب لتواقع (ليواقع خ) الخطيئة فماتزال به حتى تغلب عليه، فيصير أسفله أعلاه وأعلاه أسفله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فان تاب و نزع و استغفر صقل قلبه منه، و إن ازداد زادت فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه: « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

وفي المناقب: وقال الحسن عليه السلام لحبيب بن مسلمة الفهري: رب مسير لك في غير طاعة، قال: أمامسيري إلى أبيك فلا، قال: بلى و لكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة، فلئن قام بك في دنياك لقدقعدبك في آخرتك، فلو كنت إذافعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله عزوجل: « خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً » و لكنك كماقال: « كلابل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون »

و فى معانى الاخبار: باسناده عن علي بن فضّال عن أبيه قال: سئلت الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل: « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فقال: ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه، فيحجب عنه فيه عباده ولكنه يعني انهم عن ثواب ربهم محجوبون.

رواه الصدوق في التوحيد و العيون، و الطبرسى فى الاحتجاج والمجلسى فى البحار.

وفى الاحتجاج: عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى إحتجاجه عليه السلام على زنديق فى آى متشابهة قال عليه السلام وأما قوله: « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فانما يعنى به يوم القيامة عن ثواب ربهم لمحجوبون.

و فى الكافى: باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال: قلت: « ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون » قال: يعنى أمير المؤمنين عليه السلام قلت: تنزيل؟ قال: نعم. الحديث.

وفى الجامع لاحكام القرآن عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله تعالى: « على الأرائك ينظرون » قال: ينظرون إلى أعدائهم فى النار.

وفى الخصال: عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فى وصيته له: ياعلى ان الله تبارك و تعالى أعطانى فيك سبع خصال إلى قوله: و أنت أول من يشرب من الرحيق المختوم الذى ختامه مسك.

و فى الكافى: باسناده عن أبى حمزة عن على بن الحسين عليهما السلام قال: من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم.

وفيه: باسناده عن أبى سيار قال: سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول: من

نفس عن مؤمن كربة - إلى قوله - : ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم .

و فى رواية :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظماء سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن أطعم مومناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة . وأيما مؤمن كسى مؤمناً ثوباً على عرى كساه الله من خضر الجنة .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك » قال : ماء إذا شربه المؤمن وجد رائحة المسك فيه . و هو المروى عن على عليه السلام .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم قال: يا بن رسول الله من تركه لغير الله ؟ قال: نعم صيانة لنفسه .

و فى الفقيه :فى وصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام : يا على من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم ، فقال على عليه السلام : لغير الله؟ قال : نعم والله صيانة لنفسه فيشكره الله تعالى على ذلك .

وفى المجمع:وفى الحديث : من صام لله فى يوم صائف سقاه الله على الظمأ من الرحيق المختوم .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى :« وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» قال: فيما ذكرناه من الثواب الذى يطلبه المؤمن . وفى قوله تعالى :«ومزاجه من تسنيم» وهو مصدر سنمه إذا رفعه لانها ارفع شراب أهل الجنة ، أو لأنها تأتيهم من فوق ، أشرف شراب أهل الجنة يأتيهم من عال يتسنم عليهم فى منازلهم ، وهى عين « يشرب بها المقربون » و هم آل محمد صلوات الله عليهم يقول الله : « السابقون السابقون اولئك المقربون » رسول الله وخديجة وعلى بن أبيطالب و ذرياتهم تلحق بهم يقول الله :« الحقنا بهم ذريتهم » والمقربون يشربون من تسنيم بحتاً صرفاً ، و

سائر المؤمنين ممزوجاً .

و فى روضة الكافى : باسناده عن على بن أسباط عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عز و جل به عيسى عليه السلام : يابن مريم و لو رأت عينك ماأعددت لأوليائى الصالحين ذاب قلبك ، و زهقت نفسك شوقاً ، فليس كدار الاخرة دار تجاور فيها الطيبين ، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون مما يأتى يوم القيامة من أهوالها آمنون ، دار لايتغير فيها النعيم ، ولايزول عن أهلها، يابن مريم نافس فيها مع المتنافسين ، فانها امنية المتمنين حسنة المنظر طوبى لك يابن مريم إن كنت لها من العاملين مع آبائك آدم و إبراهيم فى جنات و نعيم لاتبغى بها بدلاً و لا تحويلاً كذلك افعل بالمتقين .

وفى هذا الحديث : قال: فنافس فى الصالحات جهدك .

وفيه : قال: فنافس فى العمل الصالح .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : اطلبوا الجنة جهدكم و اهربوا من النار جهدكم فان الجنة لاينام طالبها ، وإن النار لاينام هاربها ، وان الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره و ان الدنيا محفوفة باللذات و الشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة .

و فى رواية : قال الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « ان كنتم لامحالة متنافسين فتنافسوا فى الخصال الرغيبة وخلال المجد » .

و فى كنز الفوائد : للكراچكى رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام عن أبيه على بن الحسين عليه السلام عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: قوله عزوجل: « ومزاجه من تسنيم » قال: هو أشرف شراب فى الجنة يشربه محمد و آل محمد ، وهم المقربون السابقون : رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على بن أبيطالب والأئمة وفاطمة وخديجة صلوات الله عليهم ، وذريتهم الذين اتبعوهم بايمان يتسنم عليهم من أعالى دورهم .

وفيه : باسناده عن جابر بن عبدالله الانصارى قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وآله جالساً إذأقبل على بن أبيطالب عليه السلام فادناه ومسح وجهه ببرده، وقال: ياأباالحسن ألاأبشرك بمابشرفى به جبرئيل ؟فقال: بلى يارسول الله قال: فان فى الجنة عيناً يقال لها : تسنيم يخرج منها نهران لوأن بهما سفن الدنيا لجرت قضبانهامن اللؤلؤ و المرجان الرطب وحشيشها من الزعفران على حافتيها كراسى من نورعليها اناس جلوس مكتوب على جباههم بالنور هؤلاء محبوا على بن أبيطالب عليه السلام

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «ان الذين أجرموا ـ إلى قوله ـ فكهين» قال: يسخرون .

وفى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى الحنفى باسناده عن إبن عباس فى قوله تعالى :«ان الذين أجرموا » قال : هم بنو عبدشمس مرّ بهم على بن أبيطالب و معه نفر ، فتغامزوا به، وقالوا: هؤلاء هم الضلال، فأخبر الله تعالى ماللفريقين عنده جميعاً يوم القيامة ، وقال:

«فاليوم الذين آمنوا ـ وهم على عليه السلام وأصحابه ـ من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوّب الكفار ماكانوا يفعلون» بتغامزهم وضحكهم وتضليلهم علياًو أصحابه فبشّر النبى علياً وأصحابه الذين كانوا معه انكم ستنظرون إليهم، وهم يعذبون فى النار .

و فى كنز الفوائد : باسناده عن إبن عباس فى قوله تعالى : « ان الذين أجرموا كانوامن الذين آمنوا يضحكون » قال: ذلك الحرث بن قيس و اناس معه كانوا إذامرّ بهم على عليه السلام قالوا: انظروا إلى هذا الرجل الذى إصطفاه محمد صلى الله عليه وآله واختاره من أهل بيته، فكانوا يسخرون ويضحكون ، فاذاكان يوم القيامة فتح بين الجنة والنار باب وعلى عليه السلام يومئذ على الأرائك متك، ويقول لهم : هلم لكم فاذا جائوا سدّ بينهم الباب، فهو كذلك يسخرمنهم ويضحك ، وهوقوله تعالى: « فاليوم الذين آمنوامن الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ماتفعلون»

وفيه: باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن على بن الحسين عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة اخرجت اريكتان فبسطتا على شفير جهنم ثم يجيىء على عليه السلام حتى يقعد عليهما، فاذا قعد ضحك، وإذا ضحك إنقلبت جهنم، فصارت عاليها سافلها، ثم يخرجان فيوقفان بين يديه، فيقولان: ياأمير المؤمنين ياوصى رسول الله ألا ترحمنا ألا تشفع لنا عند ربك؟ قال: فيضحك منهما ثم يقوم، فيدخل الأريكتان ويعادان إلى موضعهما كذلك، فذلك قوله عزوجل:

«فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون»



﴿ بحث فقهي ﴾

قال الله عز و جل: «و يل للمطففين الذين إذاا كتالوا على الناس يستوفون وإذاكالوهم أووزنوهم يخسرون» المطففين: ١ـ٣)

و قد اختلفت كلمات الفقهاء في حقيقة التطفيف و حدوده شرعاً إختلافاً كثيراً.

فذهب بعضهم: إلى أن المطفف لايتناوله الوعيد إلاّ إذا بلغ تطفيفه نصاب السرقة.

وذهب الاكثرون: على أن الانتقاص في الكيل و الوزن قليله و كثيره يوجب الوعيد.

وبالغ بعضهم حتى عدّ العزم عليه من الكبائر...

و قال بعضهم: ان لفظ المطفف يتناول التطفيف في المكيال و الميزان، و في إظهار العيب و إخفائه، و في طلب الانصاف و الانتصاف.

وقال: فمن لم يرض لأخيه المسلم ما لايرضاه لنفسه فليس بمنصف، و من يرى عيب الناس ولايرى عيب نفسه، و من يطلب حق نفسه من الناس و لايعطيهم حقوقهم كمايطلب لنفسه فهو من زمرة المطففين.

وقال بعضهم: إن التطفيف كمايكون في الكيل والوزن يكون في أشياء

اخرى: فمن استأجر عاملاً، ووقف أمامه يراقبه و يطالبه بتجويد عمله، ثم إذا كان هو عاملاً أجيراً لم يراقب ربه في العمل، ولم يقم به على الوجه الذى ينبغى أن يقوم به يكون واقعاً تحت طائلة هذا الوعيد، مستوجباً لأليم العذاب، مهما يكون عمله جل أو حقر.

وإذا كان هذا الانذار والويل للمطففين الراضين بالقليل من السحت، فما ظنك باولئك الذين يأكلون أموال الناس بلا كيل و لا وزن من غير حق، بل يسلبونهم ما بأيديهم و يغلبونهم على ثمار أعمالهم و كدّ أيمانهم، فيحرمونهم التمتع بها إعتماداً على قوة الملك و الحكومة، أو نفوذ السلطان و الولاية المتصنعة أو باستعمال الحيل المختلفة الناشئة من مشتهيات النفس الامارة بالسوء أو بانفاذ الجاه والاشتهار والرئاسة الواهية.

قال الله تعالى: «ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» البقرة: 174)

وقال: «يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل» التوبة: 34)

وقال بعض الزهاد من الفقهاء المحققين: من تعلّم علماً و لم يعمل بما علم أو قال مالا علم له به أو كتم ما يعلم به مما لابد من بيانه فهو من المطففين لان الله جل و علا يقول: «أتأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» البقرة: 44)

و يقول: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» الصف: 2-3)

و يقول : « يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » آل‌عمران : ١٦٧)

و يقول : « ولاتقف ماليس لك به‌علم إن‌السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان‌عنه مسئولاً » الاسراء : ٣٦)

اقول: ان‌آيات المطففين الثلاث تدل على‌وجوب ايفاء الكيل والوزن و تحريم النقص منهما ، وذلك ان كلمة «ويل» تقال لمن‌يستحق الخزى و العذاب الشديد فى‌الآخرة لسوء فعله‌فى الحياة الدنيا .

و إن المطفف صفةذم تطلق على‌من لايراعى لغيره من الحق مثل مايراعيه لنفسه .

و فى المقام تطلق على من ينقص حق الغير فى الكيل و الوزن و يستو فى‌حقه .

وفى معنى الايات الكريمة آيات اخرى نفياًو إثباتاً ، أمراً ونهياً ،ووعيداً و تقريعاً . . .

منها قوله تعالى : « و أوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » الاسراء : ٣٥)

و منها قوله عز و جل : « فأوفوا الكيل و الميزان و لاتبخسوا الناس أشياءهم و لاتفسدوا فى الارض بعد إصلاحها ذلكم خيرلكم إن كنتم مؤمنين » الاعراف: ٨٥)

و منها قوله جل و علا : « و لاتنقصوا المكيال والميزان - أوفواالمكيال و الميزان بالقسط و لاتبخسوا الناس أشياءهم و لاتعثوا فى الارض مفسدين » هود: ٨٤- ٨٥)

وغيرهامن الآيات القرآنيةالتى تدل‌على تحريم‌النقص و البخس فى‌الكيل

والوزن وعلى وجوب ايفائهما ، وان الاختلاس هو أكل المال بالباطل ، نهى الله جل وعلا عباده عنه .

وقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم» النساء : ٢٩)

وأما البخس في غيرهما فيمكن أن يستفاد من تأويل الآيات وهو اللب فتأمل جيداً .



﴿ بحث مذهبى ﴾

قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» المطففين:١٤)

الرين : الصدأ ، فكأنه صدأت قلوب المعتدين الآثمين وزال صقلها وصفاؤها على أثر الخطيئات التى إرتكبوها .

ان الاية الكريمة تدل على صحة مايقوله أهل العدل وهم الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، فى تفسير الطبع والزيغ والختم على قلوب الناس .

وذلك ان الله عزوجل أخبر بأن ماكان الناس يكسبونه من الاعمال السيئة باختيارهم وإرادتهم رانت على قلوبهم ، فأسباب الرين باختيارهم، و إن لم يكن ترتب الأثر وتعقبه على الاسباب باختيارهم كخروج الانسان عارياً من المضجع الحار إلى الفضاء البارد ، فيصبح مريضاً، فالمرض ليس باختياره ، ولكن الخروج عارياً ـ و هو السبب ـ فباختياره و إرادته ، بحيث لو لم يخرج هكذا لما صار مريضاً .

فالرين من الله عزوجل ليس إلاّ كما يناسب عدله و حكمته جل وعلا ـ ويلائم إختيار العباد ـ دون جبر وإكراه وتسيير اطلاقاً كما زعمته المجبرة من العامة، فليس رين إلاّ بعد إختيار العبد أسبابه ، ثم يعاقب الله تعالى من ران قلبه باختياره : أن يرين قلبه جزاءاً وفاقاً .

قال الله عزوجل : «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم» الصف : ٥) أى فلما أخذت نفوسهم فى الانحراف عن جادة الهدى والصلاح ، عن طريق الحق والرشاد، وعن

سبيل الصواب والفلاح ... وكان ذلك على أثر لجاجهم مع الحق ، وصمودهم على رفض الدعوة ، خذلهم الله عزوجل وتركهم فى طغيانهم يعمهون .

فضلال من ضلّ يكون باختياره بعد وضوح الحق لديه، كما ان هداية من اهتدى تكون عن إختياره لاجبر ولاإكراه .

قال الله تعالى : « ذلك بما قدّمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد » الانفال : ٥١) صريح فى الاستطاعة والاختيار .

فكما ان سبب مرض الجسم باختيار الانسان، كذلك كان سبب مرض القلب والروح باختياره ، وهو التفريط فى عدم تمرين الروح بما يلائمها من غذاء سليم فى هدى العقل الرشيد ، و كلما استبد صاحبه فى هذا الانعطاف غير الطبيعى إزداد إعوجا جاً عن الجادة الوسطى المستقيمة ، وإقتراباً إلى ملتويات الطريق، وأخيراً إلى سقوط هائل فى مهاوى الضلال السحيق ، فيطيح بحظه ، ويلقى بيديه إلى التهلكة .

قال الله تعالى : « ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » التوبة : ١٢٧) هذا هو الخذلان عقوبة عاجلة لمن أعرض عن ذكر الله تعالى وعاكس فطرته فى اتجاه المسير .

فكأنهم جبلوا عن معاكسة الفطرة بسبب ماألفوه من الفساد وإرتكاب الشرور إنما أسرع ماتنقلب طبيعة الانسان عن فطرته الاولى إلى طبيعة ثانية ، إذا مااسترسل بنفسه فى أجواء مظلمة ، وانهمك فى الاجرام والفساد فى الارض، فيصبح و هو متخلق باخلاق ربما كانت غريبة عن خلقه الأصيل الذى فطره الله عزوجل عليه .

ويعبّر عن هذا الانحراف الخلقى بمرض القلب، تشبيهاً للانحراف الروحى بالانحرافات الجسمانية كما تقدم .

قال الله تعالى: «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً» البقرة : ١٠)أى مرض

روحي الذي يعبّر عنه بالانحراف الخلقي، المعاكس مع متجه الانسانية الكريمة

فكما ان لله تعالى أن يأذن تكوينياً في عصيان العاصين بعد مااختاروه ، وقد مواله مايستطيعون من معدّات وأسباب إبتلاءاً لهم ، وإمتحاناً،وألاّ يكونوا مجبورين مسيّرين في ترك العصيان ، ولايكون المطيع و العاصي ، المحسن و المسيء ، والمتقي والفاجر على سواء .

كذلك له عزوجل أن يختم ويرين على قلوب وسمع وأبصار الذين عاندوا الحق ، و كذّبوا بيوم الدين وتلبّسوا بالفجور، وأصرّوا على البغي والطغيان ، و على الضلال و العصيان . . . إذاً فليس هذا الرين على قلوبهم إلاّ من جرّاء إختيارهم - إمتناعاً بالاختيار - و كماهم مسيّرون في خلود النار بما اختاروا من العصيان إمتناعاً بالاختيار على سواء .

فيظهر من الاية الكريمة امور :

احدها - ان لكل ماينسب إلى الانسان من الاعتقاد و الاقوال و الاعمال إطلاقاً - حقاً كان أم باطلاً ، منكرة أو صواباً ، وصالحة كانت أم فاسدة-نقوشاً وصوراً في النفوس البشرية ، تنتقش وتتصور بها بحسبها حسنة وسيئة . .

ثانيها - ان هذه النقوش والصور إذا كانت من العقائد الباطلة و الاقوال المنكرة والاعمال السيئة تمنع النفس أن تدرك الحق كما هو، وتحول بينهاوبينه

ثالثها - ان للنفس بحسب طبعها الاوّلى صفاء وجلاء تدرك به الحق كما هو ، وتميّز بينه وبين الباطل ، وتفرّق بين التقوى والفجور ...

قال الله عزوجل : «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» الشمس : (٧- ٨)

فالاية الكريمة دليل لاينكر على صحة ماتقوله الفرقة الناجية : الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، وردّ على المجبرة من العامة .

﴿ التطفيف والمطففون ﴾

قال الله عزوجل : «ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» المطففين: ١-٣)

وقد اختلفت كلمات المفسرين في حقيقة التطفيف والمطففين :

فمنهم : من قال : ان التطفيف يشمل النقص في الكيل والوزن ، و إخفاء العيب في المبيع إذا باعه ، وتعييبه إذا اشتراه بلاعيب فيه واقعاً لان ينقص بذلك عن قيمته .

و منهم : من قال : ان المطفف هو الذي يعطي أقل مما وقع عليه البيع في الكيل والوزن ، ويأخذ أكثرمما وقع عليه البيع ، ويشمل التقليل في الثمن

ومنهم : من قال : ان التطفيف لا يكون إلا في المعاملات و هي على أقسام :

أحدها - المعاملة التي تكون بين العبد وخالقه .

ثانيها - المعاملة بين الشخص وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وماجاء به من الكتاب الكريم .

ثالثها - المعاملة بين كل واحد من الامة الاسلامية وبين أئمتهم المعصومين وهم أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

رابعها - المعاملة بين كل أحد وأهله وأولاده وخدامه ، وما في تحت يده ممن عليه نفقته الواجبة .

خامسها - المعاملة بين الشخص وأبيه وامّه وإخوانه وأخواته، وعشيرته وأقوامه ...

سادسها - المعاملة بين كل مسلم، وبين المجتمع الاسلامي عامة، وبين إخوانه المؤمنين خاصة.

سابعها - المعاملة بين كل إنسان وبين المجتمع البشري مسلمين كانوا أم لا؟ وقد تكون المعاملات في الأنفس و الاموال، وقد تكون في البيئة و الاعراض ...

قال الله تعالى: «وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلاّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى وبعهدالله أوفوا ذلكم و صّاكم به لعلكم تذكرون» الانعام: ١٥٢)

ومنهم: من قال: ان التطفيف قد يكون في العقائد والاخلاق والآداب، وقد يكون في الاحوال والعلوم، وقد يكون في الاموال والانفس والاعراض ...

ومنهم: من قال: ان التطفيف تنقيص حق الغير الذي يجب الوفاء به، فانظر حالك مع ربك و رسوله، وحالك مع نفسك، و خلق الله عزوجل، فهل نقصت حق أحد أم لا؟

وفيما يخاطب الله تعالى للانسان: «أوف يابن آدم الكيل كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحبّ أن يعدل لك»

ومنهم: من قال: ان التطفيف ناشيء عن شك المطفف بالبعث والحساب و الجزاء يوم القيامة، وعدم حصول اليقين بأنه يجازى بذلك، وبكل مافعل وقال ونوى به في الحياة الدنيا لقوله جل وعلا: «ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين» المطففين: ٤-٦) حتى لو كانوا ظانين بالبعث و الحساب والجزاء لما طففوا في الكيل والوزن.

و في جواهر القرآن للغزالي: ان عمر بن عبدالعزيز أخذ انفه حذراً

من ريح المسك الذى كان يؤذن بين يديه لبيت المال ، و قال : هل ينتفع إلا بريحه .

و إذا كان هذا الانذار و الوعيد ، والتهديد و التوبيخ للمطففين الراضين بالقليل من السحت ، فما ظنك باولئك الأ كالون ، يهضمون أموال الناس بلا كيل ولاوزن ، يسلبونهم مابأيديهم ، و يستثمرونهم ، و يحرمونهم التمتع بها إعتماداً على قوة الملك والحكومة ، أونفوذ القدرة والسلطان ، أوإعمال الجاه والاشتهار والرئاسة أوباستعمال الحيل المختلفة ؟؟ ؟

فهل هم من المسلمين ؟ أم لا ؟ فعليك التأمل فى أمرهم ، و إن ادّعوا انهم من المسلمين لا ستعمال تلك الحيل ، و إختلاس أموال الناس بتلك الوسائل الشؤمة والسياسة الشيطانية والمصالح الواهية ...

و فى تفسير الطبرى : قال أعرابى لعبد الملك بن مروان : قد سمعت ما قال الله تعالى **فى المطففين**؟ أراد بذلك ان المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذى سمعت به ، فماظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولاوزن ؟ نقله أكثر العامة فى تفاسير هم كالجامع لاحكام القران ، و الكشاف ومفاتيح الغيب وفتح البيان وغرائب القرآن وغيرها ...

وفى الكافى : باسناده عن سعد بن سعد عن أبى الحسن عليه السلام : سئلته عن قوم يصغرون القفيزان يبيعون بها قال : «اولئك الذين يبخسون الناس أشياءهم»

ومما شرعه الاسلام لحفظ أموال الناس ونيل حقهم هو ما دعا إليه من تنظيم الاوزان والمكاييل وعدم التلاعب بها ، وقد حظر الامة المسلمة من أن يبخسوا الناس أشياءهم فيمنعوهم حقهم المشروع ، و حذّر الذين يتلاعبون بالاوزان و المكاييل بأشد العقوبات الاخروية ...

﴿ كلام فى ايفاء الكيل و الوزن ﴾

ومن البديهى: ان أمر المكيل والميزان أمر عظيم لان مدار معاملات الخلق عليهما، ولهذا اجرى على قوم شعيب بسبب النقص فيهما ماجرى، وأمر الله جل و علا فى مواضع عديدة من كتابه المجيد بايفاء الكيل والوزن. و نهى الناس عن البخس والنقص فيهما:

منها: قوله تعالى: «أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الارض مفسدين» الشعراء: ١٨١-١٨٣)

و منها: قوله تعالى: «وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و احسن تأويلاً» الاسراء: ٣٥)

و منها: قوله عزوجل: «فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتفسدوا فى الارض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» الاعراف: ٨٥)

وغيرها من الايات الكريمة ...

فأمر الكيل والوزن عظيم لحاجة عامة الناس فى المعاملات إليهما لبناءها عليهما، ولذلك عظم الله جل وعلا أمرهما، وقد وردت فى ذلك روايات كثيرة، و فيها ان من غش الناس، فهو خارج عن دائرة الاسلام، وداخل فى زمرة الكافرين... كما ان فى إستحباب إعطاء الراجح حذراً من النقص المحرم روايات كثيرة:

فى الكافى: باسناده عن حماد بن بشير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لايكون الوفاء حتى يميل الميزان.

اقول: ومايظهر من الرواية هو وجوب الراجح من باب المقدمة حذراً من النقص المحرم ، ولكن الاصحاب حملوا على الاستحباب على أن المراد بالوفاء هو الوفاء الكامل .

وفيه: باسناده عن إسحق بن عمار قال: قال: من أخذ الميزان بيده فنوى أن يأخذ لنفسه وافياً لم يأخذ إلا راجحاً ، و من اعطى فنوى أن يعطى سواء لم يعط إلا ناقصاً .

اقول: وذلك لان الطبع الانسانى مايل إلى أخذ الراجح ، وإعطاء الناقص، فينخدع من نفسه ذلك كثيراً .

وفيه: باسناده عن إبن أبى عمير عن غير واحد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لا يكون الوفاء حتى يرجح .

وفيه: باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل يبيع التمر : يافلان ! أماعلمت انه ليس من المسلمن من غشهم .

و فى رواية: ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « ياوزان زن و ارجح »

وفى رواية: ماصح عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام انه مر برجل يزن الزعفران ، وقد أرجح ، فقال له : أقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ماشئت .

اقول: كأن الامام عليه السلام أخبره بالتسوية أولاً ليعتادها ، و يفصل الواجب من النفل.

و فى تحف العقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس منا من غش مسلماً أو ضره أوما كره .

و فى الكافى: باسناده عن محمد بن سالم عن أبى جعفر عليه السلام قال- فى حديث طويل - : وأنزل فى الكيل :« ويل للمطففين » ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً، قال الله عزوجل :« فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » الحديث

وفيه: باسناده عن موسى بن بكر قال: كنا عند أبي الحسن عليه السلام فاذا دنانير مصبوبة بين يديه، فنظر إلى دينار فأخذه بيده ثم قطعه بنصفين، ثم قال لي: ألقه في البالوعة حتى لايباع شيء فيه غش.

وفيه: باسناده عن هشام بن الحكم قال: كنت أبيع السابري في الظلال، فمر بي أبوالحسن موسى عليه السلام فقال لي: ياهشام ان البيع في الظل غش وإن الغش لايحل.

اقول: حمل في المشهور على الكراهة. وقال الشهيد رضوان الله تعالى عليه في الدروس: يحرم البيع في الظل من غير وصف. و في بعض النسخ: فمر بي أبوالحسن موسى عليه السلام راكباً فقال ...

وفيه: باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل عليه رجل يبيع الدقيق، فقال: إياك و الغش، فان من غش غش في ماله، فان لم يكن له مال غش في أهله.

وفيه: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن يشاب اللبن بالماء للبيع.

وفي الكافي: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مر أمير المؤمنين عليه السلام على جارية قد اشترت لحماً من قصاب وهي تقول: زدني، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: زدها فانه أعظم للبركة

وفيه: باسناده عن إبن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايكون الوفاء حتى يرجح.

وفيه: باسناده عن حماد بن بشير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايكون الوفاء حتى يميل الميزان.

رواه الصدوق رحمة الله تعالى عليه في الفقيه إلا وفيه: «حتى يميل اللسان» بدل «حتى يميل الميزان».

وفي التهذيب: عن إسحق بن عمار قال: قال: من أخذ الميزان بيده، فنوى أن

يأخذ لنفسه وافياً لم يأخذه إلاّ راجحاً ، ومن اعطى فنوى أن يعطى سواء لم يعط إلاّ ناقصاً .

وفيه : باسناده عن عبيد بن إسحق قال: قلت لأبى عبدالله عليه السلام : انى صاحب نخل ، فخبّرنى بحدّ إنتهى إليه فيه من الوفاء فقال أبو عبدالله عليه السلام : إنو الوفاء فان أتى على يدك ، وقد نويت الوفاء نقصان كنت من أهل الوفاء ، وإن نويت النقصان ثم أوفيت كنت من أهل النقصان .

وفى الكافى : عن بعض أصحابنا عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت له : رجل من نيته الوفاء و هو إذ كال لم يحسن أن يكيل ، قال : فما يقول الذين حوله ؟ قلت: يقولون : لايوفى ، قال: هذا ممن لاينبغى له أن يكيل .

وفيه : باسناده عن يونس بن يعقوب عن أبى عبدالله عليه السلام قال: شكى قوم إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم سرعة نفاد طعامهم ، فقال: تكيلون أو تهيلون ؟ قالوا: نهيل يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعنى الجزاف ، قال: كيلوا ولاتهيلوا فانه أعظم للبركة .

وفيه : باسناده عن مسمع قال: قال لى أبو عبدالله عليه السلام : ياأباسيّار إذا أرادت الخادم أن تعمل الطعام ، فمرها فلتكله فان البركة فيما كيل .

وفيه : باسناده عن حفص بن عمر عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيلوا طعامكم فان البركة فى الطعام المكيل .

و فى الفقيه : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ماكان من طعام سمّيت فيه كيلاً ، فلايصلح بيعه مجازفة ، وهذا مما يكره من بيع الطعام .

وفيه : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال فى رجل إشترى من رجل طعاماً عدلاً بكيل معلوم ، وان صاحبه قال للمشترى : إبتع منى من هذا العدل الآخر بغير كيل ، فان فيه مثل ما فى الآخر الذى ابتعت ، قال: لايصلح إلاّ بكيل، وقال: وماكان من طعام سمّيت فيه كيلاً فانه لايصلح مجازفة ، هذا مما يكره من بيع الطعام .

وفي التهذيب: باسناده عن عبدالكريم بن عمرو قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أشترى الطعام فأكتاله ومعي من قد شهد الكيل، وانما أكيله لنفسي، فيقول: بعنيه فأبيعه إياه على ذلك الكيل الذي اكتلته، قال: لا بأس.

وفيه: باسناده عن محمد بن حمران قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إشترى بنا طعاماً فزعم صاحبه انه كاله، فصدقناه وأخذناه بكيله، فقال: لا بأس، فقلت: أيجوز أن أبيعه كما اشتريته بغير كيل؟ قال: لا أما أنت فلا تبعه حتى تكيله.



﴿ دعاة الاسلام و سوق المسلمين ﴾

نتقدّم السئوال - قبل ذكر بعض ماورد فى ذلك من سيرة النبى الكريم و ائمتنا أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين - : أيجوز على دعاة الاسلام و قادة المسلمين أن يدعوا بعض الناس إلى المعروف ويتركوا الآخرين ؟ أو يدعوهم إلى بعض المعروف ويتركوا الآخر ؟ و كذلك القياس فى المنكر ؟

أيجب علينا دعاة الاسلام أن نأمر البقال بايفاء المكيل والموزون، وننهاهم عن التطفيف ؟ ويجوز لنا أن نغمّض عن هضم المترفين الفجار ، والامراء و ذوى الاشتهار والرئاسة والعدد والعدد أموال الناس وحقوقهم ؟؟؟

أيجب علينا أن نامر السارق الفقير الجائع المستضعف بالامانة ، وننهاه عن سرقة البقرة ليلاً ، و يجوز لنا أن نغمض عن سرقة الملوك المستبدة ، و الامراء المستكبرة ، و الحكام الجابرة ، و أصحاب البدع وذوى الجاه الاداريـة أموال المواطنين ، وإختلاس ثراة المؤمنين ، و هضم حقوق المستضعفين نهاراً باستعمال الحيل المختلفة ؟ ونغمض عن نهب ذوى القوى الطاغية ذخائر الممالك الاسلامية، وإستثمارها ليلاً ونهاراً ؟؟؟

أيجب علينا أن ننهى عن الغناء فى السيارات ؟ و يجوز لنا أن نغمض عن السينماءات و ماإليها الدائرة فى الدور و الاسواق، وفى القرى والبلاد ؟

أيجب علينا أن ننهى الفحّاش عن الفحش والسبّ ؟ ويجوز لنا أن نغمّض عن هتك الاعراض المحترمة ، وقتل الانفس بغير حق ؟؟؟

فـي عيون الاخبار : لابن قتيبة الدينوري : مرّ عمر وبن عبيد بجماعة عكوف . فقال: ما هذا ؟ قالوا : سارق يقطع ، فقال : لاإله إلا الله ! سارق السّر يقطعه سارق العلانية

وفي جواهر القرآن : قال المأمون للفضل بن سهل: إني أخاف عليك أقواماً يعادونك ، فلاتركب إلي إلاّ في جيش، فقال الفضل: ماأخاف غيرك، فان أمّنتني من نفسك لم يضرّني إنسان .

وفيه : قال الحجاج للحطيط الخارجي : ماتقول في عبدالملك بن مروان ؟ قال: ماأقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه .

وفيه : قال عبدالملك بن مروان للهيثم بن الاسود : ماما لك ؟ قال : قوام من العيش ، وغنى من الناس ، فقيل له: لم لم تخبر به ؟ فقال: إن كان كثيراً حسدني وإن كان قليلاً إزدراني .

و في الكافي : باسناده عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سوق المدينة بطعام ، فقال لصاحبه : ماأرى طعامك إلاطيباً ، وسئله عن سعره فأوحى الله عز و جل إليه ! أن يدسّ يديه في الطعام ، ففعل فأخرج طعاماً رديّاً ، فقال لصاحبه : ماأراك إلاّ وقد جمعت خيانة وغشاً للمسلمين .

وفي امالي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي عليه السلام كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً. ومعه الدرة على عاتقة و كان لها طرفان ، و كانت تسمى السبيبة ، فيقف على سوق سوق فينادي :

يامعشر التجار قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين وتزينوا بالحكم ، وتناهوا عن الكذب واليمين، وتجافوا عن الظلم وانصفوا المظلومين، ولاتقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان، ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الارض مفسدين .

يطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة، فيقول: هذائم يقول:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها　　　　من الحرام ويبقى الاثم والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها　　　　لاخير من لذة من بعدها النار

و في البداية و النهاية : لابن كثير الدمشقي باسناده عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فاذاً رجل ينادى من خلفي: إرفع إزارك فانه أبقى لثوبك و أتقى لك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً، فمشيت خلفه وهو مؤتزر بازار، و مرتد برداء و معه الدرّة كأنه أعرابي بدوي، فقلت: من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريباً بهذا البلد؟ فقلت: أجل أنا رجل من أهل البصرة، فقال: هذا علي بن أبيطالب أمير المؤمنين عليه السلام حتى إنتهى دار بني أبي معيط و هو يسوق الابل فقال: بيعوا ولاتحلفوا فان اليمين تنفق السلعة و تمحق البركة، ثم أتى أصحاب التمر، فاذاً خادمة تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فردّه مولاى، فأبى أن يقبله، فقال له علي عليه السلام: خذ تمرك وأعطها درهمها، فانها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدرى من هذا؟ فقال: لا، فقلت: هذا علي بن أبيطالب أمير المؤمنين عليه السلام فصبّ تمره و أعطاها درهمها، ثم قال الرجل: احبّ أن ترضى عني يا أمير المؤمنين قال: ماأرضاني عنك إذا أوفيت الناس حقوقهم.

ثم مرّ مجتازاً بأصحاب التمر فقال: يا أصحاب التمر! أطعموا المساكين يرب كسبكم ثم مرّ مجتازاً ومعه المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك، فقال: لايباع في سوقنا طافي.

ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس، فأتى شيخاً فقال: ياشيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً - وردفي الروايات ان علياً عليه السلام كان يشترى ممن لم يعرفه انه علي عليه السلام لئلايقلّ العارف سعر متاعه - ثم أتى آخر، فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً، فاشترى منه قميصاً بثلاثة

دراهم، و كمّه مابين الرسغين إلى الكعبين يقول في لبسه :

« الحمدلله الذى رزقنى من الرياش ماأتجمّل به فى الناس ، و أُوارى به عورتى » فقيل له: ياأمير المؤمنين هذاشىء ترويه عن نفسك أوشىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال: لابل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله عند الكسوة فجاء أبوالغلام صاحب الثوب ، فقيل له : يافلان قدباع إبنك اليوم من أمير المؤمنين عليه السلام قميصاً بثلاثة دراهم . . .

قال: أفلاأخذت منه درهمين؟ فأخذ منه أبوه درهماً ثم جاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس مع المسلمين على باب الرحبة ، فقال : أمسك هذاالدرهم ، فقال عليه السلام: ماشأن هذاالدرهم ؟ فقال: إنماثمن القميص درهمان ، فقال : باعنى رضاى وأخذ رضاه .

اقول: رواه جماعة من أعلام العامة فى أسفارهم :

منهم: محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٣٤ ط الخانجى بمصر)

ومنهم: الخطيب الخوارزمى فى(المناقب ص ٧٢ ط تبريز)

ومنهم: المتقى الهندى فى(منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش(المسند ج ٥ ص ٥٧ ط الميمنية بمصر) مع أدنى تفاوت فى الأخير . وغيرهم ...

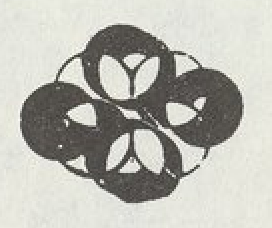
وفى ذلك كله درس لدعاة الاسلام وتعليم لقادة المسلمين حيثما بلغوا من العلم و الاجتهاد مابلغوا ، ولنافى رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين اسوة حسنة، ولابدلنا أن نكون مرجعاً عملياً للامة الاسلامية قبل أن نكون مرجعاً بيانياً ودعوياً دينياً لهم، وإلاّ فكنّا أخسرين أعمالاً فى الاخرة أعاذنا الله تعالى من شرّ النفس الامارة بالسوء بحق محمد و آله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وروى أبوعمر المطرز فى(المداخل ص ٦٩ ط القاهرة) مالفظه .

عن إبن الاعرابى عن عمر بن الخطاب انه كان يطوف بالبيت ، فقال له رجل:

يا أمير المؤمنين ان علياً عليه السلام لطم عيني، فوقف عمر حتى جاءه علي كرم الله وجهه، فقال: يا أبا الحسن ألطمت عين هذا؟ قال: نعم ـ قال: ولم يا أبا الحسن؟ قال: لاني رايته ينظر إلى حرم المسلمين في الطواف، فقال له عمر: أحسنت.

ثم أقبل على الملطوم فقال له: وقعت عليك عين من عيون الله تعالى قال أبو العباس ثعلب، فسئلت إبن الاعرابي عنها، فقال: خاصة من خواص الله عز و جل وولي من أولياءه وحبيب من أحباءه.



« الغش فى المعاملات »

وقدوردت روايات كثيرة فى النهى عن الغش والخيانة والخدعة فى المعاملات وغيرها نشير إلى مايسعه المقام :

١- فى الصحيفة السجادية - فى باب الاستعاذة من المكاره وسيّىء الاخلاق ومذام الافعال - قال سيد الساجدين زين العابدين الامام على بن الحسين عليهما السلام : « ونعوذبك أن ننطوى على غشّ أحدوأن نعجب بأعمالنا ونمدّ فى آمالنا »

٢- فى عيون الاخبار باسناده عن إبن خالد عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كان مسلماً فلا يمكر ولايخدع ، فانى سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: إن المكر والخديعة فى النار ، ثم قال عليه السلام : ليس منا من غشّ مسلماً ، و ليس منا من خان مسلماً ... الحديث

٣- فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه - فى مناهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال - : من غشّ مسلماً فى شراء أو بيع فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود لانهم أغشّ الخلق للمسلمين ، وقال عليه السلام : من بات وفى قلبه غشّ لأخيه المسلم بات فى سخط الله، وأصبح كذلك حتى يتوب .

٤- فى الكافى باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ليس منا من غشّنا .

فى وسائل الشيعة بالاسناد عن موسى بن بكر قال: كنا عند أبى الحسن عليه السلام و

إذاً دنانير مصبوبة بين يديه، فنظر إلى دينار فأخذه بيده ثم قطعه بنصفين ، ثم قال لي: ألقه في البالوعة حتى لا يباع شيء فيه غش .

٦- وفيه بالاسناد عن الحسين بن زيد الهاشمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جائت زينب العطارة الحولاء إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبناته وكانت تبيع منهن العطر فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هي عندهن ، فقال : إذا أتيتنا طابت بيوتنا ، فقالت : بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله ، قال: إذا بعت فاحسني ولا تغشي فانه أتقى و أبقى للمال... الحديث .

٧- في التهذيب باسناده عن الحسين بن المختار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنما نعمل القلانس ، فنجعل فيها القطن العتيق فنبيعها ولا نبين لهم ما فيها ، قال : احب لك أن تبين لهم ما فيها .

٨- في غرر الحكم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام قال: «الغش شر المرء»

٩- في الخصال - في الأربعمأة - قال أمير المؤمنين عليه السلام: المؤمن لا يغش أخاه ولا يخونه ولا يخذله ولا يتهمه ولا يقول له: أنا منك بريء .

١٠- في عقاب الاعمال باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال- في حديث - : ومن غش مسلماً في بيع أو شراء فليس منا، ويحشر مع اليهود يوم القيامة لانه من غش الناس فليس بمسلم ، ومن لطم خد مسلم لطمة بدد الله عظامه يوم القيامة ، ثم سلط الله عليه النار وحشر مغلولاً حتى يدخل النار، ومن بات وفي قلبه غش لأخيه المسلم بات في سخط الله وأصبح كذلك وهو في سخط الله حتى يتوب ويراجع (أو يرجع خ) وإن مات كذلك مات على غير دين الاسلام، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا ومن غشنا فليس منا قالها ثلاث مرات ، ومن غش أخاه المسلم نزع الله بركة رزقه وأفسد عليه معيشته ، ووكله إلى نفسه . ومن سمع فاحشة فأفشاها فهو كمن أتاها و من

سمع خيراً فأفشاه فهو كمن عمله .

١١- في عيون الاخبار عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس منا من غش مسلماً أو ضرّه أو ما كره .

اقول : أي ليس من أهل الاسلام أو من خواص أتباعنا وشيعتنا .



«التطفيف والافساد فى الارض»

واعلم ان التدبر فى الآيات القرآنية النازلة فى المكيال و الميزان يلهمنا بأن أمرهما أمرعظيم يدور عليهما صلاح المجتمع البشرى إذا وفيا، و فساده إذا نقصا، فيتبعه الخزى والوبال، والهلاك والدمار فى الحياة الدنيا، و العذاب و النار فى الدار الآخرة كما جرى بسبب النقص فيهما على قوم شعيب النبى عليه السلام ماجرى:

قال الله عزوجل: «وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا فى الارض مفسدين ـ ولماجاء أمرنا نجينا شعيباً و الذين آمنوا معه برحمة منا و أخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها» هود: ٨٤ ـ ٩٥)

وقال: «وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جائتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتفسدوا فى الارض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين» الاعراف: ٨٥)

و قال: «كذّب أصحاب الايكة المرسلين إذقال لهم شعيب ألاتتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله و أطيعون و ماأسئلكم عليه من أجر إن أجرى إلاّ على رب العالمين أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم

و لاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوافى الارض مفسدين - فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين »
(الشعراء: ١٧٦- ١٩٠)

وقد هددت آيات التطفيف الثلاث الذين ينهبون أموال الناس و أقواتهم بحيل مختلفة وأساليب شيطانية، ويعكرون صفو الحياة، ويهدرون كرامة البشرية وحرمتها ، ونعتهم فى الاية الاولى بالمطففين، وفى الاية السابعة بالفجار وفى سور هود و الاعراف والشعراء بالمفسدين .

و بتقدم العلم تطورت أساليب الاستغلال و الاستثمار ، و نهب الاموال و إختلاس الثراة و هضم الحقوق المسلمين و إمتلاك ذخائرهم . . . و انقسم الفجار المستأثرون إلى فئتين فى عهدنا الراهن تحتلان مركز الصدارة فى شرق الارض و غربها :

الفئة الاولى :وهم يلغون وجود الفرد بدعوى الحرص على مصلحة الجماعة ويركزون كل شيء فى رجالهم وأنصارهم ، فيقبضون على زمام السلطة و الانتاج الاقتصادى بالكامل ، وعلى التشريع والتنفيذ والقضاء ولارأى و لا كلام لأحد إلاّ لهم و منهم ، وماعلى الآخرين إلاّ السمع والطاعة .

والفئة الثانية :يعترفون بوجود الفرد و حريته فى التعبير عمايشاء وتفسح له مجال الاستفتاء ولكن هذا الاعتراف شكلى لاواقعى ، وهذه الحرية وهمية لا واقعية ، و ذلك ان هذه الفئة الطاغية تحدد و تخطط سلفاً للمواطنين الآخرين ، الطريق الذى تريدهى أن يسلكوه ، و مرادها الذى ينبغى أن يؤيدوه ، وتدفعهم إليه بأحدث الوسائل العلمية و الفنية التى تتلاعب بعقول الناس وميولهم كيف تشاء وحيثما تريد .

و من هذه الوسائل الصحف و الاذاعات و الدعايات و الخطابات الجذابة

الخلابة، والدراسات النفسية التي يقوم بها أخصائيون بارعون في استهواء النفوس وتوجيهها حيث يشاؤن إلى غير ذلك من المؤثرات و الانفعالات ، و معنى هذا ان الفئتين تلتقيان في النتيجة على صعيد اللاحرية واللاديمقراطية بل واللا إنسانية ، وإنما هاتان الطائفتان توأمان ترتضعان من لبن واحد وإنما هما كمقراضي المقراض لتقطيع الممالك الاسلامية وقواها واستثمار زخارفها ومنابعها ...

فيظهر من الآيات المتقدمة أن الخيانة في الكيل والميزان ليست كما يبدو في ظاهرها أمراً عارضاً هيناً لا يمس إلاجانباً من حواشي حياة المجتمع البشري، ولا يؤثر تأثيراً ذابال في نظام حياتها ... كلا فان هذا الداء إذا تفشّى في مجتمع من المجتمعات أفسد نظامه كله ، وامتد ظله الاسود الكئيب على حياة المجتمع : مادياتها ومعنوياتها جميعاً ... وحسب أي جماعة ضياعاً وهلاكاً، أن تفقد الثقة في معاملاتها ، وأن يكون الاتهام نقداً متبادلاً بين أفرادها أخذاً وإعطاء .

ونتصور هنا جماعة قد شاع في معاملاتها النقد الزائف، واختلط بالنقد الصحيح.. فهل يجتمع لهذه الجماعة شمل، أو يستتب فيها نظام أو تغشاها سكينة واطمئنان؟.. إن حياة الناس قائمة على التبادل و الأخذ والعطاء فاذا لم يقم ذلك بينهم على ثقة متبادلة بينهم كما يتبادلون كل شيء إنحلّ عقد نظامهم، وتقطعت عرا أوثق رابطة تربط بين الناس والناس ، وتجمع بعضهم إلى بعض وهي الثقة .

وفي تلك الآيات وآيات التطفيف إشارة صريحة إلى خطورة التبادل ،القائم بين الناس ـ أخذاً وعطاء والذي إذا لم يقم على أساس متين من العدل والاحسان أتى على كل صالحة في حياة الناس ... و هذا ما نراه في دعوة نبي الله شعيب عليه السلام و رسالته في قومه ... إنها رسالة تعالج هذا الداء الذي استشرى في القوم وتطبّ له قبل أيّ داء آخر بعد داء الكفر .. فانه لا يقوم بناء ، ولا يستنبت خير ، إلاّ إذا اقتلع هذا الداء ، و طهرت منه الارض التي يراد إستصلاحها ، و غرس البذور الطيبة فيها . . .

وان قصة شعيب عليه السلام قضية حق وعدل ... فاذا افتقد الحق مكانه في قوم ، و اختلت موازين العدل في أيديهم ، فليأذنوا بتصدع بنيانهم ، و إنهيار عمرانهم و بوار سعيهم و سوء مصيرهم ، كما لايخفى ما في الوصف برب العالمين في قوله تعالى : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » المطففين: ٦)

من الدلالة على عظم الذنب و تفاقم الاثم في التطفيف، إذ ان الميزان هو قانون العدل الذى قامت بـه السموات و الارض قال الله عز و جل : « والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط و لاتخسروا الميزان » الرحمن: ٧-٩)

و قد وردت روايات كثيرة في هلاك المطففين و دمارهم نشير إلى نبذة منها :

في الكافي :باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال:وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« إذاظهر الزنا من بعدى كثرموت الفجأة، وإذا طفف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص ، وإذا منعوا الزكاة منعت الارض بر كتها من الزرع والثمار والمعادن كلها ، وإذا جاروا في الاحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم ، وإذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدى الاشرار ، وإذا لم يأمروا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر ، و لم يتبعوا الاخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم ، فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم.

اقول: صدر هذا الحديث في كتاب نكاح الكافي ، و فيه باسناده عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحديث ...

رواه الطوسي في أماليه ، و الصدوق في العلل ، و المجلسي في البحار

بالاسناد عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام يقول: وجدت في كتاب علي بن أبيطالب عليه السلام الحديث.

ولاتنا في بينهما لان مملي الكتاب هو النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و الكاتب هو الامام علي بن أبيطالب عليه السلام، فيجوز نسبته إلى كل واحد منهما، و على تقدير التنافي يمكن وجدانه فيهما.

و في قرب الاسناد: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فيكم خصلتين هلك فيهما من قبلكم امم من الامم قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: المكيال والميزان.

و في تفسيرابن كثير: عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحاب الكيل والميزان: «انكم وليتم أمراً هلكت فيه الامم السالفة قبلكم»

و في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما نقص قوم المكيال والميزان إلاّ سلّط الله عليهم الجوع»

و في الدر المنثور: عن خلف بن حوشب قال: هلك قوم شعيب من شعيرة إلى شعيرة كانوا يأخذون بالرزينة ويعطون بالخفيفة.

و في نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في خطبة ـ يذكر فيها المكاييل والموازين ـ: «عباد الله انكم وما تأملون من هذه الدنيا أثوياء مؤجّلون ومدينون مقتضون أجل منقوص وعمل محفوظ، فرب دائب مضيّع، ورب كادح خاسر قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلاّ إدباراً، والشر فيه إلاّ إقبالاً، و الشيطان في هلاك الناس إلاّ طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته وعمّت مكيدته و أمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس.

فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً؟ أوغنياً بدّل نعمة الله كفراً؟ أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً أومتمرّداً؟ كأن باذنه عن سمع المواعظ وقراً؟ أين

خيارکم و صلحاؤکم ؟ و أين أحرارکم و سمحاؤکم ؟ وأين المتورّعون في مكاسبهم والمتنزّهون في مذاهبهم ؟ أليس قدظعنوا جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنقضية ؟ و هل خلقتم إلاّ في حثالة لاتلتقي بذمهم الشفتان إستصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم ؟

فانالله وإنا إليه راجعون ، ظهر الفساد فلا منكر مغيّر ولازاجر مزدجر ، أفبهذا تريدون أن تجاروا الله في دارقدسه ، وتكونوا أعزّ أولياءه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته ، و لاتنال مرضاته إلاّ بطاعته ، لعن الله الآمرين بالمعروف ، التاركين له ، والناهين عن المنكر ، العاملين به» .

و في الكافي: باسناده عن أبان عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خمس إن أدركتموهنّ فتعوّذوا بالله منهنّ ، لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوها إلاظهر فيهم الطاعون ، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ اخذوا بالسنين ، وشدة المؤونة ، وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة إلاّ منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهدالله و عهد رسوله إلاّ سلط الله عليهم عدوّهم ، واخذوا بعض مافي أيديهم ولم يحكموا بغيرما أنزل الله عز و جل إلاّ جعل الله عز و جل بأسهم بينهم .

و في البحار: عن نوادر الراوندي باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا طفّفت امتي مكيالها و ميزانها ، و اختانوا و حفروا الذمة ، وطلبوا بعمل الآخرة الدنيا ، فعند ذلك يزكّون أنفسهم ، ويتورّع منهم .

و في بعض التفاسير : من ينقص المكيال و الميزان ثم يتبعه الهلاك و الدمار ، فحاله أشبه شيء بماحكي عن بعض الظرفاء انه قال : رأيت طاهراً غوّاصاً ،غاص في الماء فطلع بسمكة ، فغلبه الغراب عليها ، فأخذها منه فغاص ثانية. فطلع

فأخذها منه الغراب ثانياً، وفي الثالثة كذلك.فلما طلع جاء الغراب فرمى الغاص السمكة، و وثب وأخذ برجل الغراب، و غاص به تحت الماء حتى مات الغراب فيه.

و في بعض التفاسير : حكي ان مالك بن دينار دخل على جار له،وقد احضر فقال الجار: يامالك! جبلان من نار بين يديّ أكلّف الصعود عليهما، فسئلت أهله عن حاله، فقالوا: كان له مكيالان: يكيل بأحدهما ويكتال بالاخر. فدعوت بهما، فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما، ثم سئلت المحتضر؟ فقال: مايزداد الأمر عليّ إلاّ عظماً.

ومن غير ريب ان كسر المكيالين عندالاحتضار لايفيد بحال المحتضر، و ما كان يفيده هو كسرهما بيديه قبل ذلك، وإعطاء كل ذي حق حقه، ثم التوبة و الاستغفار... لو أخذهما عن جهالة.

و عن بعض العلماء : قال: رأيت محتضراً يطوف عليه بنوه و عشيرته، و هويتكلم بكل مايريد، فقلت له: قل: أشهدأن لاإله إلاّ الله وهو لايقدر على ذلك، فقلت له: أنت تتكلم بكل ماتريد، ولاتقدر على الشهادة؟ فقال: إذاأردت بها يلقى لسان الميزان على لساني فيقيدبه، فقلت له: كيف ذلك؟ فقال: كنت أنا من المطففين كنت أنقص الكيل والوزن إذابعت، وأزيد هماإذا إشتريت.

و في رواية :« بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة» وعن إبن عمر انه كان يمرّ بالبائع فيقول: إتق الله تعال و أوف الكيل، فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم.

وعن عكرمة انه قال: أشهدان كل كيال ووزان في النار، فقيل له: إن إبنك كيال، فقال: أشهد انه في النار.

كأنه أراد المبالغة و بيان أن الغالب فيهم التطفيف و قد قال الله جل و

علا فى التجار المؤمنين الامناء: «رجال لاتلهيهم تجارة و لابيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا و يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» النور: ٣٧- ٣٨)



﴿ حقيقة البعث و كيفيته ﴾

قال الله جل وعلا : «ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين» المطففين : ٤ _ ٦) .

وقد وجدت المقام مناسباً لبحث البعث لما أشار تعالى إلى ما هو السبب لتطفيف المطففين الذى يتعقبه الفجور و الاعتداء والاثم وتكذيب يوم الفصل و الجزاء فى الحياة الدنيا ، والحرمان من رحمة الله عز وجل ، ومآلاً إلى الجحيم و عذابه فى الدار الاخرة ، و هذا السبب المشار إليه هو عدم ظن المطففين بالبعث و الحساب والجزاء ، فلو كانوا مؤمنين به حقاً لما اجترؤا على ما اجترؤا عليه، ولما رضوا على أنفسهم فى الاخرة مالا يرضون عليها فى الدنيا .

فى تاريخ اليعقوبى : وقال الامام سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عليهم السلام للحسن البصرى ، والحسن لا يعرفه : «ياشيخ ؟ هل ترضى لنفسك يوم بعثك ؟ قال : لا ، قال عليه السلام : فتحدث نفسك بترك مالا ترضاه لنفسك من نفسك يوم بعثك ؟ قال : نعم بلى حقيقة ، قال : فمن أغش لنفسه منك لنفسه يوم بعثك، وأنت لا تحدث نفسك بترك مالا ترضاه بحقيقة» ثم مضى الحسين عليه السلام فقال الحسن البصرى : من هذا ؟ فقيل له : الحسين بن على عليهما السلام فقال : سهلتم على .

اقول : ينبغى لنا قبل الخوض فى بيان حقيقة البعث و كيفيته أن نشير إلى مابين البعث والنشور من الفرق : ان بعث الخلق إسم لاخراجهم من قبورهم إلى

موقف الحساب والقضاء ومنه قوله جل وعلا حكاية عن المبعوثين : « من بعثنا من مرقدنا » يس : ٥٢) .

وقال تعالى : « وأن الساعة آتية لاريب فيها و أن الله يبعث من في القبور » الحج : ٧) .

وان النشور إسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق ، ومنه قولك: نشرت إسمك ، و نشرت فضيلة فلان إلاّ أنـه قيل : أنشر الله الموتى بالألف ، و نشرت الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين .

قال الله تعالى : « يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع » القمر : ٧ ـ ٨) .

واعلم ان البعث هو إعادة لحياة كانت من قبل ، وان بعث الاجساد من القبور الدارسات وقيـامها من التراب ، إنما يكون ذلك إذا ردّت إليها الارواح التي كانت متعلقة بها في الحياة الدنيا ، إذ كانت حياة الاجساد بالارواح في الدنيا وكانت تتحرك وتحسّ بها ما تحسّ ، فتحشر كما كانت بعد الفراق بينهما بالموت للحساب و الجزاء . فالبعث هو إعادة هذا الجسد الذي كان بروحه وجسمه في الحياة الدنيا، فيعود يوم القيامة كما كان ، ويقوم للحساب والجزاء وهو ظاهر جميع ما ورد في القرآن من الآيات الدالة على بعث الناس لذلك كما انك لو رأيت أحداً ثم رأيته بعد عشرين سنة لقلت هذا هو فلان بعينه الذي رأيته قبل عشرين سنة وأنت تريد شخصه ، سواء ذهبت عينه أو قطعت يده أو صار شيباً أو سميناً أو هزيلاً أم لا ، إذ لايقدح في وحدته و تشخصه فقدان عينه أو يده ، فكذلك في الآخرة لايقدح في وحدته وتشخصه كونه في الدنيا بصيراً مثلاً، وفي الآخرة أعمى إذ قال الله جل وعلا حكاية عن المعرض عن ذكر الله تعالى : «قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً» طه : ١٢٥) .

ولايخفى ان صحة البعث يتوقف على أمرين :

احدهما _ ان الله عزوجل قادر على كل مقدور، فهو قادر على إعادة الاحياء بعد موتهم للحساب والجزاء كما انه قادر على خلقهم بدءاً .

قال الله تعالى : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات و الارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » الاحقاف:٣٣) .

وقال : « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » يس : ٨١) .

ثانيهما : ان الله جل وعلا عالم بكل معلوم. قال الله تعالى حكاية عن منكر البعث: «من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم» يس : ٧٩) .

و تشير إلى الامرين الآيات التى بصدد إثبات البعث ولست ههنا بصدد ذكرها . . .

أما إفتقاره إلى القدرة ، فان الفعل الاختيارى لايصح إلا بها ، وأما إفتقاره إلى العلم فلان الأبدان إذا تفرقت ، و أراد الله عزوجل جمعها فلابد وأن يرد كل جزء إلى صاحبه ، ولايتم ذلك إلا بعلمه تعالى بالاجزاء و تناسبها بحيث لايؤلف جزءاً من بدن زيد مع جزء مع بدن عمرو ...

و أما كيفية وقوع البعث : فان الروايات فيها كثيرة جداً لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها :

فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جميل بن دراج عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : إذا أراد الله عز وجل أن يبعث الخلق أمطر السماء على الارض أربعين صباحاً ، فاجتمعت الاوصال و نبتت اللحوم .

و فى قرب الاسناد : عن صفوان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل : ياجبرئيل أرنى كيف يبعث الله تبارك وتعالى العباد يوم القيامة ؟ قال : نعم فخرج إلى مقبرة بنى ساعدة ، فأتى قبراً فقال له : اخرج باذن الله ، فخرج رجل

ينفض رأسه من التراب وهو يقول : والهفاه واللهف هو الثبور.

ثم قال: ادخل، فدخل ثم قصد به إلى قبر آخر ، فقال : اخرج باذن الله فخرج شاب ينفض رأسه من التراب وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده و رسوله ، وأشهد أن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، ثم قال : هكذا يبعثون يوم القيامة يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

و في رواية : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ان الروح مقيمة في مكانها روح المحسن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، و البدن يصير تراباً كما منه خلق، وماتقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته مزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لايعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الارض . و يعلم حدود الأشياء و وزنها ، وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب ، فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور ، فتربوا الارض ثم تمخض مخض السقاء ، فيصير تراب البشر كحصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض .

فتجمع تراب كل قالب إلى قالبه ، فينتقل باذن الله القادر إلى حيث الروح، فتعود الصور باذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها، فاذا قد استوى لاينكر من نفسه شيئاً .

قال الله تعالى: «منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى» طه : ٥٥)

ان الانسان إبن الارض بجسمه ، فانها المادة الاولى لتكوينه ، ومنها طعامه و شرابه و عليها ذهابه وإيابه . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «الارض امكم وهي برة بكم» فالارض امنا لأنا ولدنا منها وهي برة بنا لأنها تغذينا كما ترضع الام وليدها ثم نعود إليها بعد الموت ، ونصير تراباً كما كنا من قبل ثم نحيى ثانية للحساب و الجزاء .

و فـي رواية اخرى : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضر جنازة ظلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب ، فألقاها في القبر ، وقال :«منها خلقناكم ثم اخذ اخرى، و قال: فيها نعيدكم ثم أخذ اخرى ، وقال: ومنها نخرجكم تارة اخرى»

ومن البديهي ان الانسان مركب من الشيئين: الروح والجسم، وان الاول من العالم العلوي وهي السماء ، والثاني من العالم السفلي و هي الارض ، فاذا توفى الانسان ، فروحه تصعد إذاكان مؤمناً ، وتعود إلى ماكان قبل ذلك من التجرد ، و جسمه يعود إلى ماكان من قبل، فكل منهما يرجع إلى مركز العلوي والسفلي كما كان من قبل ، ثم يرجع كل منهما إلى صاحبه يوم البعث كما كانا في الحياة الدنيا.

نعم ماقال شاعر :

ألیس من التراب أباتراب خلقنا والمصیر إلى التراب
فما معنى التأسف ان دفنا تراباً فـي التراب أباتراب



﴿القرآن الكريم و البعث﴾

يجد القارى الخبير المتدبر فى القرآن الكريم الآيات النازلة فى البعث و الحساب والجزاء أكثرمنها فى سائر الاصول الدينية و الفروع الاسلامية من المواضيع . . .

و ذلك ان نسيان الانسان البعث أكثر من غيره ، و لكثرة غفلته عنه مماسواه . . .

فينبه ذلك الكتاب السماوى فى كل خطوة ، هذا الانسان على ما غفل عنه ليرعوى عما عليه من الكفر والمعصية ومن البغى والضلالة . . .

واعلم أن تلك الايات الكريمة على ثلاث طوائف :

الاولى : تصرح بوقوع البعث للحساب و الجزاء . . .

و الثانية : تدل بدلالة واضحة على ذلك .

والثالثة : تشير إلى بعث الناس كلهم : من المسلم و الكافر ، من العالم والجاهل ، من الكبير والصغير ، من الذكروالانثى ، ومن الابيض و الأسود . . . وهم يحشرون يوم القيامة بأجسادهم وأرواحهم معاً كما كانوا فى الحياة الدنيا، فان البعث هوإعادة لحياة كانت من قبل ، و هوفى تقدير البشر أيسر من إنشاء الحياة الاولى : « و هو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه » الروم : ٢٧)

وإن لم يكن بالقياس إلى قدرة الله جل و علاشيء أيسر ولا شيء أصعب.

قال الله تعالى: « ماخلقكم ولابعثكم إلاّ كنفس واحدة » لقمان:٢٩)

فان البدء كالاعادة أثر لتوجه الارادة: « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس : ٨٢)

ولكن القرآن الكريم يأخذ البشر بمقاييسهم ومنطقهم و إدراكهم، فيوجه قلوبهم إلى تدبر المشهود المعهود لهم ، وهو يقع لهم كل لحظة ، ويمرّ بهم في كل برهة ، وهو من الخوارق لو تدبروه بالعين البصيرة والقلب المفتوح و الحس المدرك، ولكنهم يمرّون به أو يمرّ بهم دون وعى ولا إنتباه ، فما هؤلاء الناس ماهم من أين جاؤا ؟ و كيف كانوا ؟ وفي أيّ أطوار مرّوا ؟؟؟

ويستدل القرآن الكريم على البعث بامور :

منها- بقياس الاعادة على الابتداء ! فيقول : « كما بدأكم تعودون » الاعراف : ٢٩)

و يقول : « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنافا علين » الانبياء : ١٠٤)

ويقول : « أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد» ق : ١٥)

و منها- بقياس الاعادة على خلق السموات والارض بطريق الاولى :

فيقول : « أوليس الذى خلق السموات و الارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم » يس: ٨١)

و منها بقياس الاعادة على إحياء الارض بعد موتها بالمطر والنبات :

فيقول: « و آية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون» يس : ٣٣)

و منها بقياس الاعادة على إخراج النار من الشجر الاخضر :

فيقول : « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون » يس: ٨٠)

لماورد في نزول قوله جل وعلا حكاية عن منكر البعث :« قال من يحيى العظام وهى رميم » يس: ٧٨)

و ذلك ان أبى بن خلف جاء رسول الله ﷺ بعظم ، ففتّه فقال : « أيحيى الله هذا بعد ما بلى ورم » فأنزل الله عز و جل: « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » يس: ٧٩)

فاستدل تعالى برد النشأة الاخرى إلى الاولى، والجمع بينهما بعلة الحدوث، ثم زاد في الحجاج بقوله :« الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً » وهذه في غاية البيان في ردّ الشىء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الاعراض عليهما .

وبعبارة اخرى: ان الاصول النظرية التى تتضمّنها آيات سورة (يس) من جهة، ويستخرج النتائج التى تلزم عنها من جهة اخرى وهى :

١- وجود الشىء من جديد ، بعد كونه و تحلله السابقين : ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة، لاسيما أن جمع المتفرق أسهل من ايجاده وإبداعه عن عدم، وإن كان لا يوجد بالنسبة لله سبحانه شىء هو أسهل و شىء هو أصعب - و هذا الدليل موجود فى كلمات قليلة من كلام الله عز وجل : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »

٢- ظهور الشىء من نقيضه كظهور النار من الشجر الاخضر ممكن و واقع تحت الحسّ ، وإذن يمكن أن تدب الحياة فى الجسد المتحلل الهامد مرة اخرى ، وذلك أيضاً على أساس المبدأ الاكبر وهو :

ان الشىء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق- وهذا الدليل موجود في قوله عز وجل :« الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون »

٣- خلق الانسان أو إحياؤه بعد الموت أيسر من خلق العالم الاكبر بعد أن لم يكن، وهذا هو مضمون قوله عز وجل:« أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر

على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم»

٤- الخلق والفعل مطلقاً مهماعظم المخلوق، لايحتاج من جانب الله تعالى المبدع لاإلى مادة ولاإلى زمان - خلافاً لفعل البشر الذى لايتم إلاّ في زمان، و يحتاج إلى مادة تكون موضوع الفعل، وهذاهو معنى قوله تعالى: «إنماأمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»

وهذه الاية الكريمة تجيب عمافى قلوب الكفار من التفكير بسبب ظنهم أن الفعل الالهى المتجلى فى خلق العالم الكبير يحتاج إلى زمان يناسب عظمته، قياساً منهم لفعل الله تعالى على فعل البشر، لان فعل البشر لماهو أعظم يحتاج إلى مدة زمانية أطول، فجائت الآية حاسمة فى بيان نوع الفعل الالهى، و انه إبداع بالارادة الخالقة و القدرة المطلقة، لايحتاج إلى مادة و لا إلى إمتداد زمانى.

فأى بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع فى قول، بقدر حروف هذه الايات الكريمة ماجمع الله عز و جل إلى رسوله ﷺ فيهامن ايضاح: أن العظام تحيى بعد أن تصير رميماً؟ وأن قدرته تخلق مثل السموات والارض؟ وأن الشيء يكون من نقيضه !!! كلت عن ذلك الألسن المنطقية المتحايلة، وقصرت عن مثله نهايات البشر، وحجبت عنه العقول الجزئية ...

وتدبر فى هذا التنظير البديع الذى يذكره القرآن الكريم، بين الارض الموات التى يحييها الله عزوجل، فتنبت من كل زوج بهيج، والعظام والرفات التى يحييها الله تعالى ويصورها، فيحسن تصويرها:

«ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فاناخلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقرّ فى الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى و منكم من يرد

إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » الحج: ٥ ـ ٧)



﴿تحليل قرآني حول البعث﴾

ولايسع المقام بذكر الايات النازلة حول البعث لكثرتها، فنشير إلى بعض مايستدل عليه مع تحليلها الاجمالي :

منها : قوله عزوجل : « أولم يروا ان الله الذى خلق السموات و الارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » الاحقاف : ٣٣)

وذلك ان الله تعالى أخبر في الآية الكريمة عن كمال قدرته على البعث وإحياء الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء بأن الله عز و جل إذاخلق السموات و الارض التي هي أكبر من خلق الناس لارتفاعها وإتساعها، ولعظمها ومافيها من الكواكب الثوابت والسيارات والحركات المختلفات والايات الباهرات ...

و هذه الارض بما فيها من مهاد و وهاد و أوتاد و براري و صحاري و قفار وبحار وأشجار ونبات وحيوان على إختلاف أصنافها وأنواعها، وأشكالها وألوانها ومنافعها ...

قال الله جل وعلا : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم » النازعات : ٢٧- ٣٣)

أفلايقدر من خلق هذه أن يبعث الانسان بعدموته للحساب والجزاء : العزة أو الذلة ، الرضوان أو الخسران ، الفوز أو الخزي ، و الجنة و نعيمها أو النار و

عذابها . . .

ومنها: قوله جل و علا : « كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » البقرة : ٢٨-٢٩)

وذلك ان صحة البعث مبنية على مقدمات ثلاث : وقد برهن عليها فى هاتين الآيتين :

اما الاولى : فهى ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة أشار إلى البرهان عليها بقوله عز وجل : «و كنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم » فان تعاقب الافتراق و الاجتماع والموت والحياة على الأبدان يدل على أنها قابلة لهما .

و أما الثانية و الثالثة : فان الله عز و جل عالم بمواد الابدان و بمواقع أجزائها، قادر على جمعها وإحيائها أشار إلى وجه إثباتهما بأنه وعلا قادر على إبدائهم وإبداء ماهو أعظم خلقاً ، و أعجب صنعاً فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم ، وانه تعالى خلق ما خلق خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت ، و إختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم ، و ذلك دليل على تناهى علمه و كمال حكمته وجلت قدرته و دقت حكمته ...

ومنها قوله تعالى : «والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج - ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد - وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج » ق: ٧- ١١)

وذلك ان الله عز و جل مثل لاحياء الموتى يوم البعث ، و ضرب له مثلاً من إحياء النبات بعد يبسها، وإحياء الارض بعد موتها لان المشركين كانوا فى شبهة فى ذلك من حيث انهم رأوا العادة جارية باحياء الارض الموات بنزول المطر عليها ، ولم يروا احياء الأموات ... فظنوا انه يخالف ذلك ، فضرب الله تعالى لهم مثلاً بأنهم

لو انعموا وامعنوا النظر لعلموا ان القادر على أحدهما قادر على الآخر .

و منها: قوله عزوجل : « ألم نجعل الارض مهاداً _ و جعلنا نومكم سباتاً _ و كل شيء أحصيناه كتاباً » النباء : ۶_ ۲۹)

وذلك ان الله تعالى أشار في هذه السورة إلى بعض أفعاله يدل كلها على صحة البعث وذلك من وجوه ثلاثة :

احدها _ باعتبار قدرته عزوجل ، فقال : « ألم نجعل الارض مهاداً ... » فمن كان قادراً على إنشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ، وقان ينتحيه كان على الاعادة أقوى وأقدر .

ثانيها _ باعتبار علمه الشامل ، وحكمته البالغة جل وعلا ، فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائق مستتبع لغايات جليلة ، ومنافع جميلة عائدة كلها إلى الخلق كلهم يستحيل أن يفنيها تماماً و يفنيهم جميعاً ، ولا يجعل لها ولهم عاقبة باقية وغاية ينتهون إليها ...

ثالثها _ باعتبار نفس الفعل، فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم كما أن إخراج الحب والنبات من الارض الميتة التي يعاينها الانسان كل يوم دليل على البعث ، فكأنه تعالى يقول : أيا أيها الانسان ألم تفعل هذه الافعال الآفاقية و الأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث وحتمية المعاد ، وقطعية الحساب ولابدية الثواب والعقاب ...

و منها : قوله تعالى : «أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير» العنكبوت: ۱۹_۲۰)

يتخلص معنى الآيتين بقول مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : «عجبت لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى» ووجه التلازم بين النشأتين إتحادهما في العلة ، وهي قدرة الموجد ، فان

من قدر على ايجاد الشيء من لاشيء يقدر على جميع أجزائه بعد تفرّقها ، بل إنما الجمع هوأهون من الخلق ، وأيسر من الايجاد .

ومنها: قوله عزوجل : « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّى بنانه » القيامة : ٣ ـ ٤) وفيه دلالة واضحة على وقوع البعث الجسماني، وإنما خصّ البنان دون سائر الاعضاء لدقة هناك ، ولاختلاف ما على البنان ونقوش على عدد الناس ...

و منها : قول الله جل وعلا في قصة عزير : « أو كالذى مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مأة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مأة عام فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك و لنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبيّن له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير » البقرة : ٢٥٩)

و منها : قوله عزوجل : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » المطففين : ٦)

وذلك لان قيام الناس لايطلق على البعث الروحاني فقط ، ولايحتمله عاقل فضلاً عن فاضل خبير .

و منها : قوله سبحانه : « يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون » العنكبوت : ٥٥)

وذلك لعدم إطلاق إحاطة العذاب من فوق ومن تحت إلاّ على الجسم .

و منها : قوله تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » طه: ١٠٢) أى انهم عمياء لان الزرق إذا ذهب نور العين أزرق ناظرها كما في قوله عزوجل : « و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً » الاسراء : ٩٧)

و منها : قوله عزوجل : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » يس: ٦٥)

و منها : قوله جل وعلا : «ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» النساء : ٥٦)

و منها : قوله تعالى : «ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرّة وإليه ترجعون » فصلت : ١٩_٢١)

و منها: قوله سبحانه :«يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه» آل عمران : ١٠٦)

و منها: قوله عزوجل :« وترى المجرمين مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار» إبراهيم: ٤٩_٥٠)

و منها: قوله جل وعلا :« خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه »الحاقة : ٣٠_ ٣٢)

وغيرها من الآيات القرآنية الدالة على المعاد الجسمانى لايسعها المقام ، فلابد من الرجوع إلى نفسها فى القرآن الكريم ، فحملها على المعاد الروحانى مما لايرضى صاحبها، وهو إما من السفاهة وضعف الادراك أومن الجهل بكلام الله تعالى وأهل بيت نبيه ﷺ وإما من أذهان مشوبة بالفلسفة اليونانية لاأصل لها فى الكتاب والسنة ...

ومما يستدل به العلماء المحققون والحكماء المتبحرون على البعث الجسمانى هو إشتراك الجسم والروح فى اللذائذ والآلام فى الحياة الدنيا، فلابد من الجزاء فى الدار الآخرة على سبيل الاشتراك، وهذا لايمكن إلاّ على ماكانا فى الدنيا من التركيب..

ويقولون: ان مثلها مثل العمى الراجل والبصير القاعد، فيركب القاعد البصير العمى الراجل ، فيسرقان معاً ، فيؤاخذان معاً .

و فى تفسير ابن كثير الدمشقى: فى قوله تعالى :« ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» الزمر: ٣١)

قال إبن عباس يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد ، فتقول الروح للجسد: أنت فعلت، ويقول الجسد للروح : أنت أمرت وأنت سوّلت، فيبعث الله تعالى ملكاً يفصل بينهما، فيقول لهما: ان مثلكهما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير، دخلا بستاناً، فقال المقعد للضرير: إني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل إليها ، فقال له الضرير : اركبني فتناولها ، فركبه فتناولها فأيهما المعتدى ؟ فيقولان : كلاهما.

فيقول لهما الملك : فانكما قد حكمتما على أنفسكما يعني ان الجسد للروح كالمطية وهو راكبه .

وذلك ان من المعلوم بل من المحسوس لكل ذي حسّ ان كل أحد من الانسان مركب من جزئين : الجزء المحسوس و هو البدن العنصرى الذى يشاهد بعين الباصرة ويشغل حيزاً من الفضاء .

وجزء آخر لا يحس إلاّ بعين البصيرة، فان كل أحد من الانسان يقطع بوجود شيء فيه بل وفي الحيوان غير هذا البدن، وهو المتصرف من البدن بحيث لولاه لكان هذا البدن جماداً لا حسّ فيه ولا حركة ولا شعور ولا إرادة ...

«أطوار الانسان والبعث»

قال الله عز وجل: «يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبيّن لكم ونقرّ في الارحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» الحج: ٥ـ٧)

واعلم أن التدبر في الآيات الكريمة بالعين البصيرة والقلب المفتوح والحسّ المدرك يلهم المتدبر الخبير بأن أطوار تكونه وحياته دليل قاطع على البعث، و ذلك ان هذا الانسان إبن هذه الارض قال رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «الارض امكم و هي برّة بكم»

من ترابها نشأ، ومن طينها تكوّن، ومن ترابها عاش، وإليها يعود إنما من عنصر في جسمه إلا وله نظير من عناصر امه الارض، ألّلهم إلا ذلك السرّ اللطيف الذي أودعه الله عز و جل إياه، ونفخه فيه من روحه. وبه افترق عن عناصر ذلك التراب، فأصله وعنصره وهيكله وغذائه، و كل عناصره المحسوسة من ذلك التراب.

ولكن أين التراب؟ وأين الانسان؟ أين تلك الذرات الاولية الساذجة من ذلك الخلق السوى المركب الفاعل المستجيب المؤثر المتأثر الذي يضع قدميه على

الارض،ويرف بقلبه إلى السماء ويخلق بفكره فيما وراء المادة كلها،ومنها ذلك التراب:

«ثم من نطفة»:

هذه هي مرحلة تشهد بالقدرة التي لا يعجزها البعث وهي أنشأت ذلك الخلق من تراب إذا فتح الانسان عين قلبه ، ورآى المسافة بين عناصر التراب الاولية الساذجة والنطفة المؤلفة من الخلايا المنوية الحية ، مسافة هائلة تضمر في طياتها السّر الأعظم :

سرّ الحياة : السر الذى لم يعرف عنه البشر شيئاً بعد ملايين الملايين من السنين وبعد مالا يحصى من تحوّل العناصر الساذجة إلى خلايا حية في كل لحظة من لحظات تلك الملايين، فما تلك النطفة انها ماء الرجل والنطفة الواحدة من هذا الماء تحمل الوف الحيوانات المنوية وحيوان واحد منها هو الذى يلقح البويضة من ماء المرأة في الرحم ، ويتحد بها ، فتعلق في جدار الرحم .

و في هذه البويضة الملقحة بالحيوان المنوى . . . في هذه النطفة الصغيرة العالقة بجدار الرحم - بقدرة القادرة ، و بالقوة المودعة بها من لدنه - في هذا النقطة تكمن جميع خصائص الانسان المقبل صفاته الجسدية وسماته من طول و قصر ، وضخامة وضالّة وقبح ووسامة وآفة وصحة ... كما تكمن صفاته العصبية و العقلية والنفسية من ميول ونزعات وطباع ، واتجاهات وإنحرافات وإستعدادات...

فمن يتصور ؟ أو يصدق ان ذلك كله في تلك النقطة العالقة، وان هذه النقطة الصغيرة الضئيلة هي هذا الانسان المعقد المركب الذى يختلف كل فرد من جنسه عن الآخر ،فلا يتماثل إثنان في هذه الارض ، في جميع الازمان ... وهذه النقطة الضعيفة هي منشأ الشر و الفساد أو الخير و الصلاح ، منشأ الانحطاط و الخسران أو الكمال و الفلاح ، ومنشأ الذلة و الشقاء أو الغرة والسعادة ...

ثم تحوّل تلك النطفة إلى علقة فيقول :

«ثم من علقة»

وهى قطعة من دم غليظ لاتحمل سمة ولاشكلاً ، ثم تحول الدم إلى قطعة من لحم وهى المضغة ، فيقول :

«ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة »

فتتخذ شكلها بتحولها إلى هيكل عظمى يكسى باللحم، فتحول إلى إنسان ، فعند مشاهدة هذه المسافة يقف القلب السليم خاشعاً أمام آثار القدرة القادرة مرات ومرات . . .

«لنبين لكم » دلائل قدرتنا على الاعادة والبعث .

« ونقر فى الارحام مانشاء» النطفة أو العلقة أو المضغة .

« الى أجل مسمى » أجل الوضع ومالم نشأ فيسقط .

«ثم نخرجكم طفلا »

فأصل إنعقاد النطفة ، وأطوارها فى الرحم وتقررها فيه وإخراجها عنه كلها بقدرة الله جل وعلا، فلاتتوهموا بانه إذا وقع إحدى الاطوار فلايحتاج إلى مشيئة الله تعالى ، وليس قدرته عزوجل دخيلاً فيه كماتوهم .

« ثم لتبلغوا أشدكم »

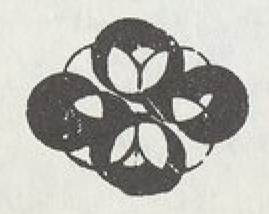
فتستوفوا نموّكم العضلى ونموّكم العقلى ، ونموّكم النفسى ، ولاتغفلوا عما بين الطفل الوليد والانسان الشديد من مسافات فى المميزات أبعد من مسافات الزمان كلها تتمّ بيد القدرة المبدعة التى أودعت الطفل الوليد كل خصائص الانسان الرشيد ، وكل الاستعدادات الكامنة التى تبتدى فيه، وتتكشف فى أوانها كما أودعت النقطة العالقة بالرحم كل خصائص الطفل ، وهى ماء مهين لنبين لكم ان البعث ممكن ، فان مشاهدة الانتقال من التراب الميت إلى النطفة ثم إلى العلقة ثم إلى المضغة، ثم إلى الانسان الحىّ لاتدع ريباً فى إمكان تلبس الميت بالحياة، فتزيل الريب عنكم .

وان هذه الاطوار التى يمرّ بها الجنين ، ثم يمرّ بها الطفل بعد أن يرى النور

لتشير إلى الارادة المدبرة لهذه الاطوار ستدفع بالانسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن فيدار الكمال ، إذان الانسان لايبلغ كماله في حياة الارض فهو يقف ثم يتراجع .

«لكي لايعلم من بعد علم شيئاً »

فلابد من داراخرى يتم فيها تمام الانسان،فدلالة هذهالاطوار على البعثدلالة مزدوجة ، فهي تدل على البعث من ناحية انالقادر على الانشاء قادر على الاعادة ، و هي تدل على البعث لانالارادة المذكورة تكمل تطوير الانسان في الدار الآخرة، وهكذا تلتقي نواميس الخلق والاعادة ،ونواميس الحياة والبعث، ونواميس الحياة والجزاء ، وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر الذيليس في وجوده مراء ولاجدال .



﴿العقل و البعث﴾

واعلم أن الله جل و علا يحث الانسان بمواضع عديدة من كتابه الكريم على التعقل حول البعث والاعادة بعد الموت للحساب والجزاء بطريق مختلفة ...

منها: يقول: « ألا يظن انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » المطففين: ٤-٦)

و يقول: « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً و انكم إلينا لاترجعون » المؤمنون: ١١٥)

ويقول: « و ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الروم: ٢٤)

و يقول: « كذلك يحيى الله الموتى و يريكم آياته لعلكم تعقلون » البقرة: ٧٣)

ومن الضرورة ان الانسان ليعتقد بصورة فطرية ـ مالم يلوث نفسه بالموبقات والمدنسات ـ ان وراء هذا العالم الدنيوي عالماً آخر يقتص الله جل و علا فيه من الظالمين، ويثيب الصالحين ...

وذلك ان من شاهد هذه القوانين المحكمة الرصينة في عالم الوجود: عالم الذرو الجماد، عالم النبات والحيوان، وعالم الانسان والارواح ... في الفيزياء و الكيمياء والفلك العالي، وفي علم الأحياء والمستحاثات (المتحجرات) يقطع بأن الذى رتبها و نظمها لايلهو ولايلعب.

إذ قال : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لا تخذناه من لدنا إن كنا فاعلين » الانبياء : ١٧)

وقال : « وما خلقنا السموات والارض و ما بينهما لاعبين ماخلقنا هما إلاّ بالحق ولكن أكثر هم لايعلمون » الدخان : ٣٨ ـ ٣٩)

فاذا تتبع الانسان حياته النفسية فى هذه الحياة الدنيا ، وما عليه نفسه من مساوى الصفات ، و رذائل اخلاقية : من حسد و بغضاء ، من حقد و إفتراء ، من كذب و نميمة ، من ظلم و جساسة ، من بغى وغيبة ، و من إنتهاك الحرمات و بطش بغير حق . . . ثم مايراه من حيف وظلم ، وقسوة وجفاء ، ومن كذب و بهتان و جساسة و سعاية وما إليها من رذائل الأخلاق من الآ خرين . . .

و مايرى من تشاجر وتطاحن لامور مادية سخيفة أو لجشع بين الامم ، و مايرى من ظلم و إستغلال ، من بغى و استعمار ، ومن استعباد و غمط للحقوق بين الدول والحكومات الجابرة . . . ومايشاهد من حروب لاتبقى ولاتذر ، يقطع بأن الله عزوجل الذى خلق هذا العالم المادى من سماء ، و أرض ، وما خلق فيه من جماد ونبات وحيوان ، و ما أودع الله تعالى فيه من كمال مابعده كمال لايريد بهذا الانسان إلاّ الكمال .

وذلك لانه يقطع بأن الكامل على الاطلاق ، وهو الله جل وعلا لايصدر عنه إلاّ الكمال ، و يقطع بأن البشر غير كامل فى هذه الحياة الدنيا من النواحى النفسية والاخلاقية والاجتماعية ، وهوفى هذه الحالة ـ إلاّ من شذّ فصار يتكامل على ما رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ أشبه بالحيوانات الضارية يضرّ بعضه بعضاً ، ان وجد إلى ذلك سبيلاً .

يقطع بأن الله تعالى الذى أكمل كل شىء من مخلوقاته سوف يجعل لهذا الانسان عالماً آخر كله إطمئنان وخلود و كله حبور وسرور عالماً فيه : « ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين وأنتم فيها خالدون » الزخرف : ٧١) عالماً لاتطاحن

فيه ولاتشاجر ولاتجاوز ولااعتداء . . .

إذقال الله عزوجل: « ونزعنا مافي صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدا نا الله لقدجاء ت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون» الاعراف:٤٣)

عالماً ليس فيه مايلوث النفس الانسانية من ميسر ولهو و لعب ، من لحم خنزير وفسق وفجور وخمر تذهب بالعقل بل « يطاف عليهم بكأس من معين لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون» الصافات : ٤٥ - ٤٩)

عالماً فيه حياة رفيعة لاتشبه ما نحن فيه من هذه الدنيا الملوثة بالآثام و الاجرام و الاحن و البغضاء والتطاحن و التشاجر والعداوات . . .

عالماً يقول فيه الفائزون : « الحمدلله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » فاطر ٣٤ - ٣٥)

فلاحزن ولاتعب ولا نصب ولالغوب في ذلك العالم بل كله طمأنينة وصفاء وراحة لاتقاس بالراحة التي ينالها الفرد بصورة موقتة وغير كامنة في الحياة الدنيا.

و هذه من صفات ذلك العالم القدسي المنزه من كل ما يشين النفس أو يزعجها أو ينقص راحتها :

قال الله عزوجل : «تحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم أن الحمدلله رب العالمين يونس : ١٠)

و في المقام كلمات نشير إلى أهمها :

في المنار: قال : « ان الصحيح ان العقل دل على المعاد والثواب والجزاء إجمالاً و أما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لايدل عليه العقل ، وإنما علم بالسمع ، وقد دل السمع دلالة قاطعه على دوام ثواب المطيعين،

وأما عقاب العصاة ،فقد دلّ السمع أيضاً دلالة قاطعة على إنقطاعه في حق الموحدين ، و أما دوامه و إنقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال »

وقال بعض المحققين من المفسرين : « ان مدار القول باثبات البعث و الحساب و الجزاء عقلاً على اصول ثلاثة :

أحدها - إثبات ان الله عزوجل قادر على الممكنات كلها عقلاً .

ثانيها - إثبات انه جل وعلا عالم بجميع المعلومات كلياتها وجزئياتها كذلك

ثالثها - إثبات ان كل ما كان ممكن الحصول في بعض الاوقات كان ممكن الحصول في سائر الاوقات عقلاً .

فاذا ثبتت هذه الاصول الثلاثة ثبت القول بامكان البعث و الحساب عقلاً .

و منهم من يقول : نحن نرى من النحل ما اوتي شعراً يرى بالميكر سكوب أسود أو أحمر أو أصفر إختلف ألوانه كما إختلف طرقه في طلب الازهار ، والنحل الكبير الذي يعيش في الكلأ والحقول يموت في الشتاء إلاّ قليلاً يتوارى في أماكن تدفيء جثته حتى إذا جاء فصل الربيع و انتشرت الحرارة نفخ الله فيها الارواح و أيقظها من رقدتها بعد نومها بعثها من مرقدها في برزخها . و هذا المشاهد يدل عقلاً على إمكان بعث الانسان بعد موته .

ومنهم من يقول : ان العقلاء يقولون : لو اجتمعت الخلائق كلها على ايراد حجة عقلية في البعث أو جزء من هذا الدليل لم يقدروا عليها .

وهذا هو ان خلق الذات مع الصفات أصعب من تغيير الذات في أطوار الصفات.

وهذا معلوم لكل صانع وفاعل يتكرر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد في خزانة خيال ، و الثاني قد ارتسم واستقرّ وثبت له مثال وحذاء

وإذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك ، فما الظن بمن لايتوقف مقدوره إلاّ على مجرد تعلق الارادة الأزلية به ، و هو يقول : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون »

فمن كان قادراً على بناء دار لم يعهد مثلها بعد ، وهو قادر عقلاً على تغيير

الدار وتخريبها ، ثم بنائها ثانياً على شكل ماأراد .

و منهم مـن يقول : ان للانسان بدناً طبيعياً،وهومركب لبدنه المثالي، والبدن المثالي مركب لنفسه الحيواني، ونفسه الحيواني مركب لنفسه الانساني ونفسه الانساني مركب لروحه وعقله،فاذامات بدنه الطبيعي يبقى بدنه المثالي .ونفسه الحيواني والانساني والروح والعقل فالفاني هوبدنه الطبيعي فقط وهومادة معتبرة في الانسان بنحو الابهام ، صار مركوباً في حياته لتلك البواقي وإنما التشخيص و التحصل له كان بتلك البواقي . . .

ألاترى ان البدن الطبيعي من أول إستقرار نطفته إلى فنائه يكون معرضاً للانحلال ، و لايبقى منه شيء إلى آخر عمره و مع ذلك هو هو من غير تبدل شخصيته وتحصله ، وذلك ان شيئية الشيء هي فعليته الأخيرة ، و ماسوى فعليته الأخيرة مأخوذة بنحو الاجمال في شخصيته ، فأجزائه غير الأصيلة غير معتبرة فيه بنحو التفصيل ، والبدن الطبيعي يصير ترا باً كما كان ،وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته و مزقته .

كل ذلك محفوظ في التراب عند «من لايعزب عنه مثقال ذرة » في ظلمات الارض ، و هو الذي يعلم عدد الاشياء و أوزانها ، فعند البعث ينفصل تراب كل شيء و شخص كما ينفصل الذهب من التراب ، وهذا مما لايأباه العقل السليم .

ويؤيد ذلك العلم الحديث إذ يقول العلماء : نحن نقدر على تجزية المواد في كل شيء ، ففي التفاح مثلا مواد كثيرة : مادة الملح ، ومادة السكر ، ومادة الحديد و مادة الجص ومادة النحاس . . . كما أن أحشائنا تجزئ المواد من التفاح إذاناً كله، وكذلك في كل قطرة من الماء مواد كثيرة نتمكن بتجزيتها كما تجزأه أحشائنا إذا نشربه .

و منهم مـن يقول : ان المطر وهوالماء العذب الفرات ينزل علينا بعد التبخير من الماء الملح الاجاج ، فيد لنا العقل بهذا المشاهد على أن الحياتين :

حياة فى الدنياوحياة فى الآخرة للانسان و الموت بينهما بمنزلة الماء العذبو الماء الملح و بينهما تبخير .

و منهم من يقول : ان الدم الفاسد التى هى دم حيض تصير لبناً- لان الدم المتوالد من الأغذية تنقسم سالماً و فاسداً،فالسالم تذهب بالعروق إلى الاعضاء الانسانى ، وتذهب الفاسد إلى كيس الحيض ثم تتحول فى الغدد التى فى الضرع إلى شراب طيب لذيذ الطعم صالح للتغذية بهاحياتنا- فاذا شربه الولد يصير أيضاً دماً كما كانت من قبل دماً .

وهذامن أظهر الدلائل العقلية على قدرة الخالق على إحياء الانسان بعد موته وغيرها من الاقوال تركناها للاختصار .



﴿لزوم البعث و حتمية الجزاء﴾

قال الله عزوجل : «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً و لكن أكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه و ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين - لاجرم أنهم فى الاخرة هم الخاسرون- يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لايظلمون» النحل : ٣٨: ١١١)

وذلك ان إختلاف المختلفين فى الحق لايوجب إنقلاب الحق فى نفسه ،وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه ،و الحق فى نفسه واحد .

فلما ثبت ان ههنا حقيقة موجودة لامحالة ، وكان لاسبيل لنافى حياتنا إلى الوقوف عليه وقوف يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف إذكان الاختلاف مركوزاً فى فطرنا مع الاختيار لحكمة الاختبار، وكان لايمكن إرتفاع الاختلاف وزواله عن الذات إلاّ بارتفاع هذه الجبلة ، ونقلها إلى صورة غيرها صحّ ضرورة ان لنا حياة اخرى غير هذه الحياة ترتفع فيها الخلاف والعناد . وهذه هى الحالة التى وعدنا الله عزوجل بالمصير إليها .

فقال : «و نزعنا ما فى صدورهم من غل» الاعراف : ٤٣) أى حقد .

فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضع دليل على لزوم البعث ينكره المنكرون ، و صار أمل النيل بما وعده الله تعالى دليل قاطع على حتمية البعث و الجزاء .

وذلك انك لاترى فى هذه الحياة الدنيا أحداً يرضى عن حياته الدنيوية ... لامن حيثما من الله تعالى من النعم ، فانها أعظم ممايستحقه هذه الانسان بمراتب لاتعدو درجات لاتحصى :« وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها» النحل: ١٨)

وهى بمقدار من الوفور والكثرة بحيث لايقدر الانسان على أن يؤدى تجاهها مايجب عليه من الشكر مهما بلغ من مراتب الكمال ... ولكن من حيث مايشعر به من حياة ملؤها المشاكل : مشاكل إجتماعية، مشاكل خلقية ، مشاكل عائلية ، و مشاكل مرضية، وماإليها من المشاكل الاخرى والنوائب والكوارث ...وهو يشكو طوال حياته مشاكل كثيرة ...

يود لو كانت هنالك حياة اخرى خالية عن هذه المشاكل وهذه النواقص و هذه النوائب وهذه التأثرات ! ... نعم كان حتماً فى إستطاعة الله جل وعلا أن يجعل الحياة الدنيا هذه التى نعيشها حياة كاملة لا كدر فيها ولاأحزان ، لاتطاحن فيها و لانقصان إلا ان الله جل وعلا أراد بهذا الانسان أن يتكامل فى هذه الدنيا نفسياً، وأن يميز الخبيث من الطيب .

و من تفكر فى خلق السموات و الارض و ما بينهما ، و تفكر فى تلك القوانين الفيزيائية التى تبهر العقول ، يقطع بأن الكامل على الاطلاق ، و هو الله تعالى جل أن يلهو و يلعب : يخلق هذا الانسان بهذه الكثرة المتكاثرة ليفسد فى الارض و يسفك الدماء ، ويكتفى بذلك من غير أن يكون وراء ذلك هدف ولاغاية .

وهو يقول :« أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار » ص: ٢٨)

ويقطع من تفهم سنة الكمال وشاهدها بصورة جلية واضحة فى كل زاوية من زوايا هذا الكون : ان هذه الدنيا دار إختبار وإمتحان : « الدنيا دار عمل و لاحساب والاخرة دار حساب ولاعمل »

ويقطع بأن الدنيا مدرسة يتكامل فيهاحسب دساتير الانبياء والاوصياء من بعدهم عليهم السلام ، ويقطع ان سنّة الكمال توجب أن تكون هناك بعد هذه الحياة الملوثة حياة التهيأ و التزود : « الدنيا مزرعة الاخرة » حياة خالدة لا كدر فيها و لاإختبار و لاإبتلاء حياة فيها : « مالاعين رأت أواذن سمعت أوخطر على قلب بشر . . . »

ويقطع هذاالانسان الذى يرى كمال الله تعالى متجلياً فى كل ماخلق من مخلوقات : انوراء هذهالحياة الدنيا المضطربة: حياة البغى والجور، حياةالضلالة والمعصية وحياة الذلة والخسران : جنة« عرضها كعرض السماء والارض أعدّت للذين آمنوا باللهورسله »

وأشار جل وعلا إلىذلك فى كثير منالآيات القرآنية :

منها :قولهتعالى :« وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعةقل بلىوربى لتأتينكم ـليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات » سباء : ٣ ـ ٤)

و ذلكلان المسيىءوالعاصى والكافر، و المنافق و الظالم و الباغى. . . قد يبقون فى الحياة الدنيا مدة مديدة فى لذاتها ، و ينهمكون فيها ثم يموتون عليها .

وان المؤمنوالمحسن المطيع العادل قديعيش فى الدنيا على آلام شديدة طيلة حياته ثميموت عليها، فلولادار يكونفيها الجزاء لكان الامر فى غايةالظلم، وعلى خلاف الحكمة فىتشريع التكاليف ...

و منها: قوله عزوجل :« أليس اللهبأحكم الحاكمين» التين : ٧)

وفى الاية الكريمة دلالة علىوجوب البعث ، وذلك لانهلولا البعث لبطل القول بأنهتعالى حكيم حيث خلق الانسان ، فظلم بعضه بعضاً علىأنواع الظلم،فلم يعتنى به الله سبحانه ثم يرجع الظالم و المظلوم إلى العدم من غير محاسبة و حكم بينهم .

ولكن الامر ليس كذلك بل الله جل وعلا خلق الانسان وأمر بما أمره ونهاه عمانهاه ثم يحكم بينهم يوم القيامة ، و يفصل بين الكافر و المسلم ، بين المطيع و العاصى ، بين الظالم والمظلوم ، بين الخائن والأمين ، بين الصادق والكاذب ، بين الضال والمهتدى ، وبين المتقى والفاجر ...

و منها : قوله سبحانه : « ألم نجعل الارض مهاداً - و جنات ألفافاً » النبأ : ٦ - ١٦)

وذلك لان هذه الآيات مسوقة سوق الاحتجاج على ثبوت البعث والجزاء و تحقق هذا النبأ العظيم ولازم ثبوته صحة مافي قوله تعالى : « سيعلمون » من الاخبار بأنهم سيشاهدونه ، فيعلمون .

تقرير الحجة ان العالم المشهود بأرضه و سمائه ، و بليله و نهاره و البشر المتناسلين والنظام الجارى فيها ، والتدبير المتقن الدقيق لامورها من المحال أن يكون لعباً باطلاً لاغاية لها ثابتة باقية، فمن الضرورة أن يستعقب هذا النظام المتحوّل المتغيّر ، الدائر إلى عالم ذى نظام ثابت باق ، وأن يظهر فيه أثر الصلاح الذى تدعو إليه الفطرة الانسانية ، والفساد الذى تردع عنه ، ولم يظهر فى هذا العالم المشهود أعنى سعادة المتقين وشقاء المفسدين .

ومن المحال أن يودع الله عزوجل الفطرة دعوة غريزية أو ردعاً غريزياً بالنسبة إلى مالا أثر له في الخارج، ولاحظّ له من الوقوع، فهناك يوم يلقاه الانسان ويجزى فيه على عمله إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً .

فالايات الكريمة فى معنى قوله جل و علا : « و ماخلقنا السماء و الارض و ما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص: ٢٧ - ٢٧)

وقوله تعالى: « ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات

ولا المسيىء قليلاً ما تتذكرون ان الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون»
غافر: ٥٨ ـ ٥٩)

و بهذا البيان يظهر ان البعث ضروري الوقوع يوماً يجزى فيه الانسان بما عمل في الدنيا



﴿ بعث و عقائد ﴾

و اعلم أن البعث على ما تقدم هو بعث هذا الجسد الذى كان بروحه و جسمه فى الحياة الدنيا بعد موته ، فيعود يوم القيامة كما كان ليقوم للحساب و الجزاء .

و قد انقسم الناس قديماً و حديثاً بازاء هذه العقيدة إلى طوائف أربع :

الاولى : و هم الذين ينكرون البعث مطلقاً: جسماً وروحاً وهم الملاحدة والطبيعيون الذين ينكرون المبدأ ، فكيف المعاد ، وهما متلا زمان فى المفاد ، و بينهما أقوى مراتب الاتحاد وإثبات المبدأ يكفى فى إبطال هذا القول ، وهم الحسيّون الذين لا يرضاهم من العقائد إلاّ مايؤثر فى حسّهم ويدهش مشاعر، وهم فى نكران عوالم الغيب منغمسون .

قال الله تعالى حكاية عنهم : « و قالوا ما هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلاّ الدهر و ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

وهم الذين يطالبون البراهين المحسوسة ، وقد كشف الله عزوجل لهم من عالم الارواح ما ينقع غلتهم ويشفى علتهم ، ومن يتأمل فى أبحاث الروح والنفس الانسانية ، و فى العقل تأخذه الدهشة ، فيتحقق ان الخالق الحكيم المدبر العليم ما خلق فى النفوس الحسية هذه النزعة إلاّ و قد كشف لها بازائها ما يبلغ بها حاجتها .

الطائفة الثانية : وهم الذين ينكرون البعث الجسماني ، ويعتقدون بالبعث والمعاد الروحاني ، وهم أكثر الفلاسفة قديماً وحديثاً ، و يقولون : ان الارواح مجردة ، و المجرد باق و الجسم مركب من عناصر شتى ، فاذا فارقته الروح و دخلت فى عالم التجرد إنحل هذا المركب ، و لحق كل عنصر بأصله و انعدم وتلاشى ذلك المركب وانعدمت تلك الصورة ، والمعدوم يستحيل عودها ، و أما الروح فهى باقية لاتفنى ، و هى التى تعاد يوم القيامة للحساب والجزاء .

و كان على هذه العقيدة الفاسدة و الاوهام الواهية والافكار العليلة أكثر المشركين و من إليهم فيها .

قال الله عز وجل حكاية عنهم : « أيعدكم أنكم إذا متم و كنتم تراباً و عظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيى وما نحن بمبعوثين ـ قالوا أإذا متنا وكنا تراباً و عظاماً أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن و آباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الاولين » المؤمنون : ٣٥ـ ٨٣)

و هؤلاء المنكرون إختلفوا فى نحو إنكار البعث مع إتفاقهم فى الانكار :

فمنهم : من كان يرى إستحالة البعث فينكره ، و هو ظاهر ما قال الله عزوجل حكاية عنهم : « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذامزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد » سبأ :٧)

و منهم : من كان يستبعد البعث فينكره، و هو قوله تعالى حكاية عنهم : « أإذامتنا و كناتراباً ذلك رجع بعيد » ق : ٣)

ومنهم: من يشك فى إعادة الجسم بعد تفرق أجزائه ، فينكره قال الله عز وجل : « بل ادّارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها » النمل : ٦٦)

و قال : « و إذا قيل ان و عدالله حق و الساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ما

الساعة إن نظن إلاّ ظناً و ما نحن بمستيقنين » الجاثية:٣٢)

ومنهم : من كان يوقن بالبعث لكنه لايؤ من عناداً ، فينكره لجاجاً كمن كان لايؤمن بالتوحيد والنبوة و العدل الالهى و الامامة و سائر الفروع الدينية بعد تمام الحجة عداوة .

قال‌الله عزوجل : « بل لجّوا فى عتوّ ونفور » الملك : ٢١)

ومنهم : قوم ينكرون البعث ويعترفون بالصانع ، وقد اعترفوابالصانع لما رأوه فى عجائب الطبيعة من تناسق محكم لايمكن أن يكون وليد المصادفة ، و لكنهم رأوا أن النفس تابعة للبدن ، و لذلك تفنى بفنائه و كانت نتيجة ذلك أن جحد وا الآخرة وأنكرواالحساب‌والجنة و النار .

و لم يكن عند مشر كى العرب فى إنكار البعث منطق جدلى فلسفى ، و ليس لهم من دليل سوى الاستبعاد و الانكار ، و ليس للمنكر دليل إلاّ حرف « لا »

و لا يخفى على القارى الخبير : ان إبطال هذه العقيدة الباطلة يبتنى على إثبات القدرة لله جل و علا سواء قلنا بمنع صيرورة البدن معدوماً بالموت أم لا !

و ان القرآن الكريم يرد عليهم بتذ كيرهم بمظاهر قدرة الله عز و جل السائدة فى الكون ، وبأنه ليس من‌العدالة الالهية أن يترك الانسان سدى ، فلا يجازى على ما قدم : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذ كر و الانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » القيامة : ٣٦ ـ ٤٠)

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات ترد عليهم مستندةإلى مظاهرقدرة الله تعالى و عدالته .

وفيه آيات متتالية فى آخرسورة « يس » تحدثت عن‌رأى منكرى البعث

ثم ردت عليهم ردوداً متنوعة مختلفة واضحة قوية ، كما أن في نفس الكتاب المجيد ردّ عليهم بأنحاء من الاساليب البليغة البالغة إلى أقصى مراتب البلاغة والقوة يعرفها من يتدبر فيها :

قال الله عزوجل : « أو لم يرى الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرّة و هو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » يس : ٧٨ ـ ٨٣)

والطائفة الثانية : وهم الذين يقولون بالبعث الجسماني فقط، وهم ينكرون المعاد الروحاني .

وهذا هو مذهب جميع أهل الظواهر من المسلمين وغيرهم من القشريين وبعض المتكلمين ، و هم الذين ينكرون وجود النفس و الروح المجردة ، بل ينكرون وجود كل مجرد سوى الله تعالى ويقولون : « لامجرد إلاّ الله »

وأما الملائكة و العقول و النفوس والارواح ، فكلها عندهم أجسام . . . غايته انها تختلف من حيث اللطافة والعنصرية والمثالية .

ولايخفى ان الاجسام إذ اعيدت لزمت إعادة الارواح أيضاً باعتبار المشاركة للطافتها وسريانها فيها ، إذ لامعنى لحشر الاجساد فقط ، فانها حينئذ جمادات و لايقول بذلك عاقل فضلاً عن متكلم فاضل .

فيرجع القول إلى القول بالبعث الجسماني والروحاني معا ولكن على تجسم الارواح لقوله جل وعلا : «يوم يقوم الروح و الملائكة صفاً لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن و قال صواباً » النباء ٣٨)

و الطائفه الرابعة: هم المثبتون الذين يعتقدون بالبعث الجسماني والروحاني

معاً يوم يقوم الناس لرب العالمين للحساب والجزاء .

وهولاء المثبتون فى الاعتقاد على مراتب ثلاث :

أولها ـ رتبة أهل الله جل و علا و خاصته ، و هم السابقون السابقون او لئك المقربون ، و هم الانبياء و الاوصياء من بعد هم صلوات الله عليهم أجمعين .

وقد انفتق لهم حجاب المادة ،فرأوا ماو راءها رأى الباصرة والبصيرة، فآمنوا بالمشاهدة و العيان ، وقد نالوا هذه الرتبة هبة من الله عز و جل كما فى النبوة والولاية و الوصاية .

ثانيها ـ رتبة أهل البصائر الثاقبة ، و الفطر السليمة ، والقلوب الصافية و النفوس الزكية ، والصدور المنشرحة . . . وهم الذين ينظرون إلى آيات الله جل وعلا : الآفاقية منها و الانفسية ، التدوينية منها و التكوينية . . . فيعتقدون با البعث ، ويؤمنون بيوم الفصل و الجزاء على أدلة قاطعة ، وبراهين واضحة ، و حجج متقنة ... وهم الذين قال الله تعالى فيهم :

« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون »البقرة : ٢ ـ ٥)

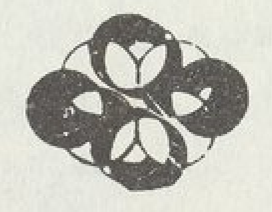
وقال : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥

وقال : « تلك آيات القرآن و كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون » النمل : ١ ـ ٣)

وهم الذين لايعتقدون بالبعث والحساب والجزاء عن تقليد ، كما انهم لايقلدون عن أحد فى سائر الاصول الدينية: من التوحيد والنبوة و العدل الالهى والولاية

لأهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

ثالثها - رتبة أهل التقليد ، وهم أكثر الناس ، وليس إعتقاد هم بالبعث و اليوم الآخر عن دليل و يقين ، بل أكثر هم في شك منه ، كما أنهم كذلك في سائر الاصول الدينية ، وليس لهذه العقيدة المضطربة أثر في نفوس أصحابها ، كما يكون لأهل البصائر ، و إلاّ لكانت رادعتهم عن المعصية والطغيان عن الجناية والعصيان ، عن الحيرة والحرمان ، وعن الغيبة والعدوان ...



﴿البعث وعلل الانكار﴾

قال الله تعالى: «ويل للمطففين ـ ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ـ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين» المطففين: ١ـ٧)

قال بعض المحققين: واعلم أن سبب التطفيف هي عدم ظن المطففين بالبعث و الحساب والجزاء إذ لو ظنوا به لما نقصوا الكيل و الوزن، وأما سبب فقدان ظنهم بالبعث فهو تلبسهم بالفجور.

إذ قال الله عز و جل: «و ما يكذّب به إلا كل معتد أثيم» المطففين: ١٢)

اقول: و من غير مراء ان الانسان كلما تردّى و تسافل كان إعتقاده بالبعث أوهى وأضعف، وإذا اشتدّ التردى و التسافل يكذّب بالبعث و الحساب و الجزاء.

وان أعداء الاسلام تحبّ أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لردعهم عن الاعتقاد بالبعث والحساب ـ بأنواع الحيل وشتّى الوسائل:

بالصحف و الاذاعات والمجلات بما فيها من تصاوير طليقة العنان وأجساد العريان، و كتب غرامية وأفلام سينمائية، وتمثيلات شهوانية، ثم بتهيئة حانات الخمور وايجاد محلات الزنا والفجور كي تتلوث النفوس، وضلت الافكار، وانكدرت القلوب ...

فاذا تلوّث النفوس بتلك الآثام لم يكن في النفس عندئذ محل يحلّ فيه الايمان بالبعث، و الاعتقاد بالحساب، والتصديق بالجزاء، ولا تحل فيها المقدسات

و الفضائل ، و من ثم يأتي دور الانكار و التكذيب، وارتكاب المعاصي والانهماك في الشهوات و الفجور ، و هتك الاعراض المحترمة و سفك الدماء بغير حق ، و هضم حقوق الناس و استثمارهم و استعبادهم بحيل مختلفة . . . فترسخ أقدام المادية في تلك النفوس المظلمة ، و تكون المادة و المقام و الرئاسة والجاه و الاشتهار معبودة لها .

قال الله تعالى: « وإذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالاخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون » الزمر: ٤٥)

و قال : « فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون » النحل : ٢٢)

وقال :« وانك لتدعوهم إلى صراط مستقيم وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون » المؤمنون: ٧٣- ٧٤)

و في بعض المجلات : كتب شاب وقد بلغ من العمر ١٩ سنة :

« ان أكثرية الشباب الساحقة منصرفون إلى أعمال منكرة: أعمال تقشعر منها الجلود بافراط لامزيد عليه، وبصورة غير مشروعة ، وان هذا الانهماك في الفسوق و الطغيان والضلالة والعصيان لايدع مجالاً للشاب كي يفكر في مصيره و كماله، في إنسانيته وتكميل نفسه، والتوجه نحو المقدسات ... فان إختلاط الجنسين في شتى المجالات وغيره من عوامل شتى قد فسحا مجالاً واسعاً للاشباع الجنسي بشكل فظيع، وهذا بدوره يجعل الشاب غير ميال بالقيم الاخلاقية والفضائل والمقدسات وبالدين بعد تلويث نفسه بيده، فلابد من معالجة جذرية تبعد الشاب عن هذه المزالق لواريد بالشاب الهداية والكمال الخلقي ، وتقديس المقدسات . . . فان النصيحة وحدها لايكفي لردع الشاب عن غوايته ... »

ومن هنا يعلم قيمة ما وضعه الدين الاسلامي من قوانين صارمة تمنع إختلاط الجنسين و مايؤدي إلى التفسخ الخلقي ، و من ثم إلى تلويث النفوس وإستهزائها

بالمقدسات...

قال الله عزوجل : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن » الروم : ١٠)

نعم قد أخذ الماديون الحمقاء و الدهريون الببغاء و السفلة الجهلاء ، وهم الذين تحجرت عقولهم بعد أن تلوثت نفوسهم ينكرون البعث ، و كل ما لا يقع تحت أبصارهم أو حواسهم الخمس ... « وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤) مع العلم بأن هذه الحواس ناقصة إلى حدّ بعيد في قابلياتها وإمكانياتها ، وهي تعمل على قدر ما أودع الله عزوجل فيها من كفاءات ...

ولذلك يستعان بآيات اخرى تزيد القابلية بعض الحواس من إبصار وسماع.. إلى ما هنالك ... و كلما زادت حساسيّة تلك الآلات ... كلما تعرف الانسان إلى أشياء كان يعتقد انها غير موجودة من ذي قبل حتى استعمل (ميكروسكوب الكترونيك) حيث تكبر الجرثومة بواسطتها (٧٠٠٠٠) مرة .

و لعل الله تعالى يوقف في المستقبل بعض المتتبعين إلى تكبير بعض الميكروبات الصغيرة جداً إلى مليون مرة أو أكثر ، وهكذا تتجلى للانسان بما يلهم الله عز و جل بعض المشتغلين في الفيزياء وعلم الاحياء عجيبة كانت تعد إلى زمن قريب من (غير المنظور) فللفجور و الآثام و المعاصي أثر عجيب في ردع الانسان عن الاعتقاد بالبعث و الحساب و الجزاء و يتعقبه الكبر و الاستهزاء بآيات الله جل وعلا :

قال الله تعالى : « و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه و في آذانهم و قراً و إذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوّا على أدبارهم نفوراً » الاسراء :

٤٥ ـ ٤٦)

و قال : « ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون » النمل : ٤)

وقال : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » الحج: ٧٢)

وقال : « فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ـ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين » النحل: ٢٢ـ٢٤)

فالنفوس المتكدرة بالآثام ، و القلوب القاسية بالفجور ، و النفوس المتكبرة بالمعاصى ، و القلوب المظلمة بالاعتداء لاتخشع ولاتخاف عقاب الله عز و جل ، لاتخاف الآخرة لاتخاف موقف الحساب و لاتخاف الجزاء . . . « كلا بل لايخافون الاخرة » المدثر : ٥٣)

« و كيف أخاف ما أشركتم ولاتخافون أنكم أشركتم بالله » الانعام : ٨١)

« فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها و لايخاف عقباها » الشمس: ١٤ ـ ١٥)

فتعصى الله جل وعلا فى أرضه ، فيقسو القلب نتيجة ذلك الانكار والاستهزاء بما أنزل الله تعالى من آيات ، فتتصورها اسطورة وخرافة ...

قال الله سبحانه : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » المطففين : ١٣)

والقضية عكس بالنسبة إلى النفوس الزكية ، والقلوب الطاهرة ، والعقول السليمة ، والصدور المنشرحة للاسلام .

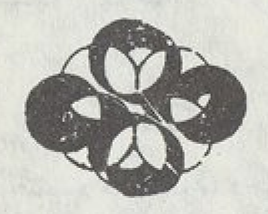
إذ كلما كان الانسان أقرب إلى التقوى وصالح الاعمال ، نقىّ الثوب، وطيّب الأكل ، وطاهر الضمير وصادق القول، و كثير الاعتبار كان إعتقاده بمابعد الموت والبعث والحساب والجزاء أقوى وأمتن وأتقن .

قال الله عز و جل : « تلك آيات الكتاب الحكيم هدى و رحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » لقمان: ٣ـ ٥)

فليجرّب المجرّبون ، وليختبر المختبرون ليروا صحة ذلك .

كيف لاينكر البعث والحساب و الجزاء من لاعمل له في الحياة الدنيا إلاّ طلاقة العنان و البغي و الضلالة والاستبداد و الانهماك في زخارف الدنيا وحب الجاه و الرئاسة وتضييع الشرف الانساني و تخريب الآخرة ؟؟؟

وقد كتب لي بعض الشباب المحصلين من برلين (آلمان) سنة : ١٣٥٣هـ ش: « يوجد في اوروبا كل شيء إلاّ الانسانية والشرف . . . »



اقرار الشيطان بالبعث

و انكار أتباعه به وشبها تهم فيه ودفعها

و قد جاء إعتراف الشيطان بالبعث و إقراره بيوم الفصل و الجزاء في مواضع عديدة من القرآن الكريم للمناسبات المختلفة المقتضية لذلك بأساليب متنوعة :

منها : في قول الله عزوجل : « قال ما منعك ألاّ تسجد إذأمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منهافما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين» الاعراف : ١٢ ـ ١٥)

و منها : في قوله جل وعلا : « قال يا إبليس مالك ألاتكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم و إن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » الحجر : ٣٢ ـ ٣٨)

ومنها: في قوله سبحانه : « قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالمين قال أناخير منه خلقتني من نار و خلقته من طين قال فاخرج منهافانك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » ص :

٧٥ ـ ٨١)

وغيرها من الآيات الكريمة النازلة في ذلك .

ومن العجيب ان أتباع الشيطان ومردة إبليس صاروا أشد كفراً وحرارة ـ من متبوعهم إذتسابقوا عليه ، فأنكرت طائفة التوحيدوربوبية الله جل و علا ، وأنكرت طائفة آخرون البعث والحساب والجزاء . . .

قال الله تعالى : « و قالوا إن هي إلاّ حياتنا الدنيا و ما نحن بمبعوثين » الانعام : ٢٩)

وقال : « و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا إن هذا إلاّ سحرمبين » هود : ٧)

وقال : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت » النحل :٣٨)

و قال : « وإنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً » الجن : ٧)

وقال : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا » التغابن : ٧)

وان مايستظهر من قصّة إبليس هذه امور :

منها : ان الشيطان كان يعترف بالربوبية لله عزوجل إذ قال : « رب » و لكن السهم رمى عن القوس بأيدى أتباعه ، فانهم أنكروا ما اعترف به قائدهم إذ قالوا ما هي إلاّ حياتنا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلاّ الدهر » الجاثية : ٢٤)

ومنها: ان الشيطان كان يعلمان لآدم عليه السلام ذرية سيعمرون الارض ويعيشون على وجهها ثم يموتون ، فيمكن له عندئذ إغوائهم إذ قال : « فأنظرني ـ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين الاعراف : ١٤ ـ ١٧)

و قال : « فبعزتك لا غوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين » ص : ٨٢ ـ ٨٣)

ومنها: انه كان يعترف بالبعث و الحساب و الجزاء إذ قال : « إلى يوم يبعثون » فأنكر كلها أتباعه ، فطائفة منهم بالاستحالة إذ قالوا: « هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزّقتم كل ممزّق انكم لفى خلق جديد » سباء : ٧)

وطائفة منهم : بالاستبعاد إذ قالوا : « أيعدكم انكم إذا متم و كنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لماتو عدون » المؤمنون : ٣٥- ٣٦)

وطائفة ثالثة : بالعناد و اللجاج : « بل لجوّا في عتوّ ونفور» الملك:٢١)

و طائفة رابعة : بالتشكيك والترديد : « بل هم فى شك منها » النمل : ٦٦) « إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يتردّدون » التوبة : ٤٥)

فأوقعوا فيها من الشبهات الواهية نشير إلى ما هو أهمها عند أتباع الشيطان، ثم ندفعها ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها .

منها : وهو أهم الشبهات وأعضلها عند هم انه : كيف يعود هذا الجسم العنصرى الذى تعتور عليه الأطوار والأدوار المختلفة المتنوعة التى ينتقل فيها من دور إلى دور لايدخل فى واحد إلاّ بعد مفارقة ماقبله ، ولايتشكل إلاّ بشكل يباينه مابعده ينشأ جنيناً ، ثم طفلاً رضيعاً ، ثم صبيّاً وغلاماً، ثم شباباً و كهلاً ثم شيخاً وهرماً ؟

فبأىّ صورة من هذه الصور يبعث ؟ و بأىّ جسم من تلك الاجسام يعود ؟ ثم كيف يعود ؟ وقد تفرّقت أجزائه وتغيّرت صورته، ورجع كل شىء إلى أصله غازاً وتراباً ،وكل ما فيه من عناصر . . . و لو اجتمع كلها و اعيدت فهو خلق جديد وجسد حادث ، غايته انه مثل الاول لاعين الاول .

قال الله تعالى : « وقالوا أإذا ضللنا فى الارض أإنـا لفى خلق جديد » السجدة : ١٠)

و قال : « و قال أإذا كنا عظاماً و رفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٨)

مضافاً إلى الشبهات الاخرى كاستحالة إعادة المعدوم ، و شبهة الآكل و المأكول وغير ذلك ...

واما دفع هذه الشبهة وماإليها من الشبهات الواهية فبما قدمنا فى ضمن مواضيع البعث من أن إثبات القدرة المطلقة الكاملة ، و العلم الشامل و الحكمة البالغة لله عز و جل يرتدع عن الانسان الشبهة مهما اعضلت عندهم .

قال الله تعالى حكاية عن بعض المنكرين : « قال من يحيي العظام و هي رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة و هو بكل خلق عليم ـ أوليس الذى خلق السموات و الارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم » يس : ٧٨ـ ٨١)

ان الله عز و جل خلق هذا الكون على مقادير هائلة من الايدر و جين و الاوكسيجين و الكاربون و الكلس و الحديد إلى ما هنا لك من عناصر . . . لتكوين القسم المادى من البدن الانسانى ، و خلق طاقات بمقادير لاتحد ّ . . . فبا ستطاعة الله عز و جل أن يرجع لكل إنسان بدنه المكو ّن من نفس العناصر الذى كانت الروح تحل ّ فيه ، و تسيطر عليه ، فيبعثه للحساب والجزاء .

و منها: وهو ليس بأقل أهمية من الشبهة الواهية السابقة: انه إذا وقع البعث والحشر ، ففي أي ّ موضع يقع ؟ أفي السماء ؟ أم في الارض ؟ أولا بينهما ؟ أولا فيها ولافيها ، ولافيه ؟

وعلى الثانى فكيف يسع وجه الارض لجميع الخلائق كلها ، وقد برهن على قدر مساحتها بحيث لايسع أفراد الانسان التى حصلت بمدة ألف سنة إذا بقيت التناسل وإدتفع الموت؟ فكيف من إجتماع الافراد الحاصلة بمدة متطاولة، وأعصار عديدة غير معدودة ؟

و على الاول فلا توافق قوله تعالى : « و جنة عرضها السموات والارض » آل‌عمران : ۱۳۳)؟

فضلاً عن طولها ؟ و كذلك على الثالث والرابع ؟ ولو كانت على فوق الافلاك فيلزم وجودها في لاجهة مع كونها ذات جهات ؟

واما الجواب: فان البعث والحشر والجنة والنار، و بالجملة عالم القيامة و الآخرة عالم مستقلّ تام برأسها، فلاينتظم في سلك عالمنا هذا، ولا في جهة من جهة عالمنا هذا لكونها نشأة ثانية غير هذه النشأة.

قال الله تعالى : « يوم تبدّل الارض غير الارض و السموات » إبراهيم: ۴۸)

وقال : « وان عليه النشأة الاخرى » النجم: ۴۷)

ومنها : انهم يقولون : ان الدار الآخرة إن كانت شراً من حياتنا الدنيا ، فالتبديل سفه، ولو كانت مثلها فالتبديل عبث، وإن كانت خيراً منها ، فاما أن يقال : ان الله تعالى كان قادراً على خلق ذلك الخير أولاً فتركه، وفعل الأدنى ، فذلك سفه أو يقال : انه ما كان قادراً ثم حدثت له القدرة ، فذلك إنتقال من العجز إلى القدرة ، و من الجهل إلى الحكمة ، فهو محال على القديم .

والجواب: إن كلاً من الدارين خير في وقتها ، فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل ، و الاخرى للرحمة و الجزاء إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً .

ومنها: شبهة الملاحدة والدهريين الأقدمين والعصريين، وهم الذين ينكرون وراء المحسوس ، و هم يقولون : ان الانسان و الحيوان ليسا كالجماد ، فانهما يحسّان و يتحركان ، و الانسان عقل و إرادة و لكن ذلك كله مقتضى تركيبه العضوي .

فمتى إنحلّ هذا التركيب بطلت الحياة وتلاشى وجود الشخص، ومحي من لوح العالم الحيواني ، فلاروح و لانفس وراء هذا الجسد حتى تبقى بعد الموت ،

فتلحقه كمايدعيه الاعتقاديون .

و دفع هذه الشبهة : يبتنى على إثبات وجود الخالق لهذا الكون، ووجود المدبر الحكيم العالم الخبير لنظام هذا الوجود ، ووجود الارواح و الملائكة و العقول والنفوس وراء هذا الجسد المادى ..



﴿ الحنفاء والبعث ﴾

الحنفاء: جمع الحنيف، وهو المائل عن الشرك إلى الاسلام الثابت عليه.

قال الله عزوجل: «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن و اتبع ملة إبراهيم حنيفاً» النساء: ۱۲۵)

والحنيف عند العرب: من كان على دين إبراهيم خليل الله عليه السلام

قال الله جل وعلا: «قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً» الانعام: ۱۶۱)

وفي الحديث المشهور: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة»

والحنيف: هو الذي كان على الفطرة والقلب السليم.

قال الله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها» الروم: ۳۰)

و في الحديث قال الله عز و جل: «خلقت عبادي حنفاء» أي على فطرة التوحيد.

والحنيف هو الميل عن الشرك والضلال إلى التوحيد والاستقامة، عن الكفر والطغيان إلى الايمان و الطاعة، عن الشقاء والفساد إلى السعادة والصلاح، و عن الانحطاط والخسران إلى الكمال والفلاح...

قال الله سبحانه: «فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء

لله غير مشركين به » الحج :٣١)

وقال : «وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » البينة: ٥)

فالحنفاء هم الذين كانوا على دين الفطرة و هو الاسلام ، و كانوا تابعين لاصوله وفروعه وثابتين عليها .

و هم الذين يقولون : إن البعث إنما يكون بالأجساد و الارواح معاً ، لا بأحدهما دون الآخر ، فان الكمال لما سوى الله جلاوعلا فى التركيب لافى البساطة والتحليل ، والمعاد كمال لامحالة غيرأن التركيب الدنيوى كانت الارواح فيه مستورة بالا جساد ،وأحكام الاجسادغالبة وأحوالها ظاهرة للحس ، وأما التركيب الاخروى فالاجساد فيه مغمورة بالارواح ، وأحكام النفوس غالبة، وأحوالها ظاهرة للعقل . قال الله جل وعلا : «يوم يقوم الروح و الملائكة صفاً لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً » : ٣٨)

و إلا فلو كانت الاجساد تبطل رأساً وتضمحل أصلاً كما توهمه القائلون بالمعاد الروحاني بأن الارواح تعود إلى مبدأها الاول، فتجزى فيه بما كسبت فى الحياة الدنيا ، أو كانت الارواح غير مجزية كما توهمه القائلون بالمعاد الجسمانى فقط أوفقد الارواح حتى فى الدنيا ، أو إضمحلالها وفنائها بالموت كما توهمه القائلون بالمعاد الجسمانى فقط أيضاً من القشريين - لما كان للاتصال بالأبدان والعمل بالمشاركة فائدة ،ولبطل تقدير الثواب والعقاب على فعل العباد .

وقد قال الله تعالى : «إنى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أوانثى بعضكم من بعض » آل عمران : ١٩٥)

وقال : « واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون » البقرة : ٤٨)

وقال :« ومن يعمل من الصالحات من ذكر أوانثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون

الجنة ولا يظلمون نقيراً » النساء : ١٢٤)

وقال : «ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب » إبراهيم: ٥١)

وقال: « من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل : ٩٧)

وقال : « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب - من عمل سيئة فلايجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » غافر : ١٧ - ٤٠)

و قال : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم يظلمون » الجاثية : ٢١ - ٢٢)

ومن الدليل القاطع العقلى على ذلك: ان النفوس الانسانية فى حال إتصالها بالأبدان إكتسبت أخلاقاً نفسانية بحيث صارت هيئات متمكنة فيها تمكن الملكات حتى قيل : انها نزلت منزلة الفصول اللازمة التى تميزها عن غيرها ، ولولاها لبطل التمييز ، وتلك الهيئات إنما حصلت بمشاركات من القوى الجسمانية بحيث لن يتصور وجودها إلا مع تلك المشاركة ، و تلك القوى لن تتصور إلا فى أجسام مزاجية ... فاذا كانت النفوس لن تتصور إلا معها ، و هى المعينة المخصصة ، و تلك لن تتصور إلا مع الاجسام ، فلابد من حشر الاجساد مع الارواح يوم المعاد.

فتأمل جيداً واغتنم جداً .

«الشيعة والبعث»

جدير أن نعرف الشيعة أصلاً و إصطلاحاً قبل أن نبيّن إعتقاد هم بالبعث والحساب والجزاء :

التشيع لغة : هو الاتباع على وجه التدين و الولاء للمتبوع على الاخلاص.

قال الله عزوجل : « وإن من شيعته لابراهيم » الصافات:٨٣)

فقضى الله جلا وعلا لابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بسمة الشيعة بسبب إتباعه لنوح النبى عليه السلام على سبيل الولاء .

و ان الشيعة الامامية في الاسلام هم أتباع مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام على سبيل الولاء إذ أمر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، وقد أورد نا روايات كثيرة بأسانيد عديدة فى ذلك عن طريق العامة فى بحث الولاية فى هذا التفسير ، فراجع .

و فى فضل الشيعة روايات كثيرة باسانيد عديدة أيضاً عن طريق العامة ، أوردنا نبذة منها فى بحث الشيعة و ترجمتها فى تفسير سورة الصافات فراجع .

منها : ما رواه إبن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان ج ٦ ص ٢٤٣ ط حيدر آباد الد كن)

باسناده عن عاصم بن ضمرة عن عليّ رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «شجرة أنا أصلها وعليّ فرعها ، والحسن والحسين ثمرها ، والشيعة ورقها ، فهل يخرج من الطيّب إلاّ الطيب ، وأنا مدينة العلم و على بابها ، فمن أراد المدينة

فليأت الباب » وان الشيعة الامامية هم الذين يقال لهم : اثنى عشرية أيضاً ، و هم يقولون بامامة على بن أبيطالب عليه السلام وخلافته نصاً ووصية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلافصل ثم بامامة إحدى عشر إماماً واحداً بعد واحد بعد على بن أبيطالب عليه السلام الاول منهم الحسن بن على والثانى منهم الحسين بن على بن أبيطالب عليهما السلام ثم تسعة آخرون هم من أولاد الحسين بن على عليهما السلام

وهم يقولون : إن الامامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الامام بنصبهم ، بل إنما الامامة هى قضية اصولية ، وهى ركن الدين ، وعلى الرسول صلى الله عليه وآله بيانه . . .

ومن المتفق عليه بين المسلمين نزول آية التبليغ فى ذلك إذ أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بالبيان ، فقال : « ياأيها الرسول بلّغ ماانزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من الناس » المائدة : ٦٧)

و جعل كمال الدين الاسلامى على هذا البيان إذ قال : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة : ٣)

و ليس غير هؤلاء الأئمة الاثنى عشر المعصومين عليهم السلام إماماً فمن ادّعى الامامة أو تلقّب بها فهو- كذّاب مفتر يجب على المسلمين تكذيبه .

و هؤ لاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية يقولون بوجوب العصمة للأنبياء- والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين عن الكبائر والصغائر ، وبوجوب القول بتوليهم، والتبرّى عن أعدائهم قولاً و فعلاً و عقداً إلاّ حال التقية .

و هم يعتقدون بالبعث بان الله جل وعلا يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة جسماً وروحاً للحساب والجزاء ، والمعاد هو بعث كل إنسان بعينه : بجسده و روحه بحيث لو رآه الرائى لقال : هذا فلان ، وهم يؤمنون بجميع مافى القرآن الكريم والسنة القطعية من الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، ومن الميزان والصراط و الأعراف والكتاب الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، وان

الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراًفشر : «ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراًيره » الزلزلة: ٧-٨)

إلى غير ذلك من التفاصيل المذكورة فى محلها من كل ماصدع بهالوحى المبين ، وأخبر به الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم و هذا الاعتقاد عند هم أصل من اصول الدين الاسلامى ،فمن أنكره فهو كافر ، سواء صدّق أم لا .

اقول : فموعد تحقيقى: ان إعتقادنا - معاشرالشيعة الامامية الاثنىعشرية - فى أمر البعث هو : بعث الانسان بمجموع النفس و الروح ، و ان هذا البدن المعين الشخصى يعاد يوم القيامة مع النفس دون بدن آخر ولاروح اخرى .

وهذا هو الاعتقاد الحق فى البعث المطابق للشرع الصريح والعقلالسليم ، فمن آمن بهذا و صدّق ، فقد أصبح مؤمناً حقاً ، و آمن بيوم البعث و الجزاء ، و من نقص عن هذهالمرتبة، فقد أخلّ فىأحد أركانالاعتقاد ، وخرج عن دائرة الاسلام .



«البعث و آثار الايمان به»

ومن المعلوم ان آثار الايمان بالبعث لاتقصر في نفس المؤمن: من طمأنينتها وصلاحها، من عزّها وفلاحها، من كمالها وسيادتها في الحياة الدنيا، ومن تنعمها بنعيم الجنة ونجاتها من عذاب النار في الآخرة.

بل للايمان بالبعث آثار كثيرة في المجتمع البشري من الصلاح والفلاح، و من الطمأنينة والسيادة والأمن والأمانة... حيث انه مركب من أفراد إذا صلحت صلح، وإذا فسدت فسد...

قال الله تعالى: «رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» النور: ٣٧- ٣٨)

وقال: «وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى و من حولها و الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به و هم على صلاتهم يحافظون» الانعام: ٩٢)

و قال: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون و الذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» المؤمنون: ١-١١

وقال: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً» النساء: ٥٩)

وقال: «يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين» آل عمران: ١١٤)

فاذا تألف مجتمع من المجتمعات البشرية من هؤلاء الافراد الذين هذه خصالهم الناشئة عن الايمان بالله عزوجل والبعث، فهو مجتمع صالح يليق أن يعيش فيه الانسان بحقيقة معناه.

وذلك ان من آمن بالبعث والحساب و الجزاء يراقب نفسه في كل عقيدة يعتقد بها، في كل قول يقول به، وفي كل عمل يقوم به خوفاً من العقاب الاخروي: «يخافون يوماً كان شره مستطيراً» الانسان: ٧)

فالمؤمن بالبعث والجزاء لايتصدى إلى ما حرّم الله عزوجل من ظلم وبغي، من تطفيف وهضم حق، من فسق وفجور، من إفساد وإضلال، و من هتك عرض وسفك دم بغير حق، ومن إجحاف بحقوق الآخرين، وهو لايغتب ولايتجسّس، ولاينمّ ولايفتري، ولايكذب ولايحسد ولا يبغض مؤمناً، ولا يعمل ما فيه غضب الله تعالى وسخطه لرضا غيره.

و إن أغواه الشيطان يوماً فهو يتوب حالاً، ويعالج بصورة فعلية وعملية ما كان منه من إجحاف بحقوق الغير أو جرح الخواطر إلى ماهنالك...

ومن آمن بالبعث و الحساب و الجزاء يرى ان الحياه ليست بالشيء الذي ينقطع بالموت، بل هي خالدة مستمرة إلى ما بعد الموت بصورة دائمة إذ قال الله عزوجل: «وان الدار الآخرة لهي الحيوان» العنكبوت: ٦٤)

ويعلم ان هذه الحياة الدنيا دار عمل ولاجزاء، وان الدار الآخرة هي دار جزاء ولاعمل، وان الدنيا مزرعة الآخرة، فيقوم في هذه الدنيا بأعمال صالحات

ويقوم بما يقربه إلى الله تعالى من عبادات وبرّات كي يجنى ثمرها الجنى فى الدار الآخرة .

فهذه العقيدة نفسها خير مؤدّب للفرد ، و أحسن عامل قويّ لايجاد حياة إجتماعية سعيدة يعلوها الهدؤ و الاطمئنان . . . كما ان للتكذيب بالبعث آثاراً شؤمة لايقصر ضررهافى المكذب فى الحياة الدنيا من الانحطاط والذلة والخسران والهلاك والدمار ، ومن النار والعذاب فى الآخرة ، بل وفيه فساد الحرث والنسل والمجتمع البشرى . . .

وذلك ان من تجرّد عن عقيدة البعث و الحساب و الجزاء لايردعه شىء عن إرتكاب ماتهواه نفسه الطائشة إلاّ هذه القوانين الوضعية المجعولة فى المجالس البار لمانية المستكبرة من أفكار عليلة و عبيد الاشتهار و الرئاسة والشهوة . .

و ان تلك القوانين الوضيعة البشرية ! لاأثرلها في تعديل الاخلاق الشخصية الفردية ، ولافى تعديل الاخلاق العائلية و الاجتماعية لأنها أبعد من أن تستوعب كل ذلك ، مع أن واضعيها أرذل الناس أخلاقاً وأفسدهم أعمالاً غالباً ...

فالعقيدة بالبعث خير حافز لاصلاح النفس الانسانية و تزكيتها و قطعها مراحل الكمال الانسانى ولاصلاح المجتمع البشرى .

من آمن بالبعث و الحساب و الجزاء فهويقوم بماأوجب عليه الدين الاسلامى بالنسبة إلى الوالدين و الأرحام والاصدقاء و باخوانه المؤمنين من برّ و إحسان وخدمات إجتماعية . . .

قال الله عزوجل : « و تعاونوا على البر و التقوى ولا تعاونوا على الاثم و العدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » المائدة : ٢)

وقال رسول الله الاعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من أصبح و لم يهتمّ باموالمسلمين فليس منهم » وهذا ممايؤدّى إلى تساند إجتماعى وتكوين مجتمع متكافل هو مصداق هذا الحديث : « مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد

إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى »

قال الله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم »الحجرات : ١٠)

وأما الذين لايعتقدون بالبعث فيقولون :ان الاعتقاد بالبعث والحساب و الجزاء يعوق الفرد عن السير فى امور الدنيا قدماً بجد و نشاط ، وهم يريدون بذلك الافساد وطلاقة العنان. . .

وهم الذين قال الله تعالى فيهم : « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون و إذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا إنما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون » البقرة : ١٠ ـ ١٢)

وقال :«فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ـ للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ـ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ـ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون » النحل : ٢٢ و ٦٠ و ١٠٧ و ١٠٩)

ونحن نرى ان المسلمين الأوائل قد كانوا يقومون بأعمال جبارة فى حقول شتى من تجارية وصناعية وزراعية وعمرانية ، و ان أكثر من ربع المعمورة كانت للمسلمين ، و ما كان ليعيقهم الاعتقاد بالبعث والحساب و الجزاء من العمل فى عمارة الارض بشكل لايؤدى إلى فسادها وتسافل النفوس ونسيان الاخرة ، وغفلة أهوالها وشدائها . . .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أخوف ما أخافه عليهم إثنان: إتباع الهوى وطول الأمل ، فأما إتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الاخرة».

على أن الانسان بطبيعته ميال إلى الدنيا يحرص على عمرانها ، والتزود منها كلما وجد إلى ذلك سبيلاً و لذلك يحث الدين الاسلامى الانسان على التفكير و التعقل فى حياة اخروية خالدة ، و التهيؤ لها كيلا تميل النفس إلى المادة ، فحسب فتتسا فل .

وفى الخبر : « تذكر واهادم اللذات » .

و من تدبّر في الاعتقاد بالبعث يجدله أثراً بالغاً في تهدئة النفوس إذا ما حرموا الحكمة ما من بعض زخارف الدنيا أو اصيبوا ببعض النكبات . . . فالله عزوجل سوف يعوّضهم عن ذلك جزاء أموفوراًفي نعيم خالدلايقاس بنعيم الدنيا بحال يقدر ذلك علماء النفس .

و صفوة القول : إن الاعتقاد بالبعث و الحساب و الجزاء خير رقيب لهذا الانسان يصدّه عمايؤدّي إلى فساد أوإفساد، إلى ضلال أوإضلال... ويحثه على ما هو خير وصلاح لنفسه وللمجتمع البشري ،فتكون الحياة الاجتماعية قدبلغت شأواً قاصياً من تحابب وتوادّ وتراحم . . .

قال الله عزوجل : « و أنتم الاعلون أن كنتم مؤمنين » آل عمران :١٣٩)

فما على المسلمين في أرجاءالبسيطة إلاّ أن يقوموابتطبيق تعاليم الاسلام، و معارف القرآن الكريم لتحقيق حياة إجتماعية سعيدة على وجه الارض ، و لا دين على وجه الارض أن يقوم بذلك إلاّ الاسلام وهوالرحمة الشاملة للعالمين...

قال الله جل وعلا : « ان الدين عندالله الاسلام ـ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » آل عمران : ١٩ ـ ٨٥)

وقال : « ذلك الدين القيم » التوبة : ٣٦)

وقال : « فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله » الروم : ٤٣) وأماما يشاهد من بعض المسلمين في طوال الاعصار . . . وخاصة من الامراء والسلاطين والحكام باسم الاسلام من القسوة ،وهتك الاعراض المحترمة و نهب أموال المواطنين وهضم حقوق المستضعفين ، وقتل النفوس بغير حق،وتحريم حلال الله جل وعلا وتحليل حرام الله عزوجل و ما إليها من المحارم . . . فذلك كله ليس من واقع الاسلام فهو منهم ومن أعمالهم بريّ .

فنقول : « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد » آل ـ عمران : ٨ ـ ٩)

﴿ الفجار و الفجور ﴾

قال الله عزوجل : « كلا إن كتاب الفجار لفى سجين ـ ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون » المطففين : ٧ـ١٧)

واعلم أن الفجر هو: الشق و الفتح ، والفجور هو : إنفتاح باب الكفر وشق ستر الديانة و هتك حجاب الحياء والميل عن الحق والدخول فى الكفر والباطل و فى المعاصى والمحارم ...

قال الله تعالى : « بل يريد الانسان ليفجر أمامه » القيامة : ٥) أى يمضى فى آثامه ...

والفجار هم الذين يتلبسون بالكفر والذنوب ، و ينهمكون فى المعاصى و الخطايا ، وهم بماهم عليه من الفجور يصلون النار وهم فيها خالدون .

وان الفجور يقابل التقوى .

قال الله عز و جل : « و نفس و ماسوّاها فالهمها فجورها و تقواها » الشمس : ٧و٨)

وقال : « أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٨)

و ان الفرق بين الفسق و الفجور : ان الفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى بكبيرة و الفجور هو الانبعاث فى المعاصى و التوسع فيها ، و أصله

من قولك : أفجرت السكر إذا خرقت فيها خرقاً و اسعاً ، فانبعث الماء كل منبعث ، فلا يقال لصاحب الصغيرة : فاجر كمالا يقال لمن: خرق في السكر خرقاً صغيراً أنه قد فجر السكر ثم كثر إستعمال الفجور حتى خصّ بالزنا و اللواط و ما إليها من المآثم والمحارم الكبائر...

في الخصال: عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام قال : « إن لاهل التقوى علامات يعرفون بها : صدق الحديث و أداء الامانة و الوفاء بالعهد، وقلة الفخر و التحمّل و صلة الارحام، و رحمة الضعفاء وقلة المواتاة للنساء و بذل المعروف و حسن الخلق ، وسعة الحلم و اتباع العلم فيما يقرّب إلى الله تعالى ، ثم قال : الفاجر إن ائتمنه خانك ، وإن صاحبته شانك ، و إن وثقت به لم ينصحك »

اقول: قوله عليه السلام : « و التحمل » أى ان المؤمن المتقى لايتحمّل على الا صدقاء أى لايرى كله على أصدقائه .

و قوله عليه السلام : « المواتاة » أى حسن المطاوعة و الموافقة للنساء أى فلا يفعل كلما تشتهيه النساء ، بل إنما من علائم الفجار حسن موافقتهم للنساء .

و في نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « لا تواخينّ الفاجر فانه يزيّن لك فعله و يودّ لو أنك مثله، ويحسّن لك أقبح خصاله ومدخله ومخرجه من عندك شين وعار ونقص » .

وفيه : قال عليه السلام : « خير الدنيا والاخرة في خصلتين : الغنى والتقى ، وشر الدنيا و الآخرة في خصلتين : الفقر والفجور »

وفي احقاق الحق: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لسفيان الثورى- : ولا تصحب الفاجر فيعلّمك من فجوره .

و في رواية : ان الله تعالى غرس الفردوس بيده ثم قال : وعزتي و جلالي لا يدخلها مدمن الخمر ولاديوث قيل : ما الديوث يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : الذي يرضى الفواحش اهله .

اقول : ليس معنى الديوث أن يكره الرجل إمرأته على البغاء ، بل أن يرضى لها عرضة لمن يحرم النظر إليها ، فضلاً عن إطلاق العنان ، وما يتبعه من الفواحش ..

و في قرب الاسناد : باسناده عن مسعدة بن زياد قال : قال جعفر الصادق عليه السلام : لايدخل الجنة العاق لوالديه ، و المدمن الخمر ، و المنان بالفعال الخير إذا عمله .

و في أمالي الصدوق : باسناده عن أبي سعيد هاشم عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : أربعة لايدخلون الجنة : الكاهن والمنافق ، ومدمن الخمر والقتات وهو النمام .

و في الكافي : باسناده عن محمد بن سالم الكندي عمن حدثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة : الماجن الفاجر ، و الأحمق و الكذاب ، فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ، و يحب أن تكون مثله ، و لايعينك على أمر دينك و معادك ، و مقاربته جفاء و قسوة و مدخله و مخرجه عار عليك ، و أما الأحمق فانه لايشير عليك بخير ، و لايرجى لصرف السوء عنك و لو أجهد نفسه .

وربما أراد منفعتك فضرك ، فموته خير من حياته وسكوته خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وأما الكذاب فانه لايهنئك معه عيش ينقل حديثك ، و ينقل إليك الحديث ، كلما أفنى (أفنى) احدوثة مطها باخرى مثلها حتى انه يحدث

بالصدق فمايصدق ويفرق (يغرى) بين الناس بالعداوة، فينبت السخائم في الصدور، فاتقوالله وانظروا لانفسكم.

وفيه :عن عبد الأعلى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا ينبغي للمرء المسلم أن يؤاخي الفاجر فانه يزيّن له فعله، و يحبّ أن يكون مثله، و لايعينه على أمر دنياه و لاأمر معاده، و مدخله إليه و مخرجه من عنده شين عليه.

وفيه : باسناده عن عمار بن موسى قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ياعمار إن كنت تحب أن تستتب لك النعمة و تكمل لك المروة و تصلح لك المعيشة فلا تشارك العبيد و السفلة في أمرك ، فانهم إن ائتمنتهم خانوك ، و إن حدثوك كذبوك،وإن نكبت خذلوك وإن وعدوك أخلفوك، قال:وسمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: حب الابرار للابرار ثواب للابرار ، وحب الفجار للابرار فضيلة للأبرار ، و بغض الفجار للابرار زين للابرار ، وبغض الابرار للفجار خزى على الفجار.

وفيه : عن إبراهيم بن أبى البلاد عمن ذكره رفعه قال : قال لقمان لابنه يا بنى لاتقترب فيكون أبعد لك ، و لاتبعد فتهان ، كل دابة تحبّ مثلها ، و إن إبن آدم يحبّ مثله ، و لاتنشر برّك إلاّ عند باغيه كما ليس بين الذئب و الكبش خلة كذلك ليس بين البار و الفاجر خلة ،من يقرب من الرفت يعلق به بعضه ، كذلك من يشارك الفاجر يتعلّم من طرقه ، من يحبّ المرآة يشتم ، و من يدخل مداخل السوء يتّهم ، ومن يقارن قرين السوء لايسلم ، ومن لايملك لسانه يندم.

و فى العلل : باسناده عن معاوية بن وهب عن أبى عبدالله عليه السلام قال:سمعته يقول : كان أبى عليه السلام يقول : قم بالحق و لاتعرض لما فاتك ،و اعتزل مالايعنيك و تجنّب عدوّك و احذر صديقك من الاقوام إلاّ الأمين ، و الأمين من خشى

الله. ولاتصحب الفاجر ولا تطلعه على سرك ، ولاتأمنه على أمانتك ، واستشر في امورك الذين يخشون ربهم .

وفي تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا مدح الفاجر إهتزّ العرش وغضب الرب .



الامام علي عليه السلام قاتل الفجرة
وعذاب الفجار

وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة : ان أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام هو إمام البررة وقاتل الفجرة لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها :

١ـ أبوعبدالله الحاكم النيسابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١٢٩ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول : هذا أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ثم مدّ بها صوته .

ثم قال : وهذا حديث صحيح الاسناد .

رواه الخطيب البغدادي في (تاريخ البغداد ج ٤ ص ٢١٩ ط السعادة بمصر) وفي (ج ٢ ص ٣٧٧ الطبع) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا مدينة العلم و عليّ بابها فمن أراد البيت فليأت الباب . وذكر « بيد علي » بدل « بضبع علي » .

وإبن المغازلي الشافعي في (المناقب) بعين ما في (المستدرك)

٢ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٢٥ ط تبريز) ما لفظه : علي قاتل الفجرة إمام البررة ، وعليّ إمامكم بعدي أخي ووليّ في الدنيا والاخرى.

وفي (ص ١٠٧ الطبع) عن حذيفة بن اليمان يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : عليّ أمير البررة و قاتل الفجرة منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ألا وان الحق معه و يتبعه ألا فميلوا معه .

٣- روى الحموينى فى (مطالب السئول ص ٣١ ط طهران) باسناده عن عبدالرحمن بن سهمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بضبع علىّ يوم الحديبية، و هو يقول : هذا أمير البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره مخذول من خذله ، و مدّ بها صوته .

و غيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة فيما تقدم تركناها للإختصار .

فى الكافى : باسناده عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم و هو يخطب على المنبر بالكوفة : يا أيها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ،ألا إن لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة، ألا وإن الغدر والفجور والخيانة فى النار .

قوله عليه السلام « أدهى » الدهاء و الدهى : النكر وجودة الرأى و الأدب .و رجل دهاه أى عابه أو تنقصه أو أصابه بداهية وهى الامر العظيم. والمراد هنا طلب الدنيا بالحيلة و إستعمال الرأى فى غير المشروع مما يوجب الوصول إلى المطالب الدنيوية وتحصيلها ،وطالبها على هذا النحو يسمى داهية للمبالغة ، و هو مستلزم للغدر بمعنى نقض العهد وترك الوفاء .

قوله عليه السلام : « ألا إن لكل غدرة فجرة » أى إتساع فى الشر و انبعاث فى المعاصى أو كذب أو موجب للفساد أو عدول عن الحق . وقوله عليه السلام : « ولكل فجرة كفرة » أى سترة للحق أو كفران للنعمة وسترلها، أو المراد بها الكفر الذى يطلق على أصحاب الكبائر كمامرّ ، أو المراد بالكفرة الكفر ضد الايمان . قال الله تعالى : « وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة » عبس:٤٠ - ٤٢)

وفى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : و الله ما معاوية بأدهى منى و لكنه يغدر و يفجر ، ولو لا

كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ، ولكن كل غدرة فجرة ، و كل فجرة كفرة ، ولكل غادرلواءيعرف به يوم القيامة والله مااستغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة .

و قال إبن أبى الحديدفى (الشرح): الغدرة على فعلة: الكثيرة الغدر، والكفرة و الفجرة الكثير الكفر والفجور ، و كلما كان على هذا البناء فهو الفاعل ، فان سكّنت العين تقول : رجل ضحكة أى يضحك منه . وقال إبن ميثم: وجه لزوم الكفر ههنا أن الغادر على وجه إستباحة ذلك و إستحلاله كما هوالمشهور من حال عمر وبن العاص ومعاوية فى إستباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجحده هو الكفر ، ويحتمل أن يريد كفر نعم الله وسترها باظهار معصيته كما هو المفهوم منه لغة ، وإنما وحّد الكفرة لتعدد الكفر بسبب تعدّد الغدر

و فى رواية : عن الامام على بن الحسين عليهما السلام قال : الحمدلله الذى لم يجعل للفاجر عليّ يداً كيلا يرزقه فى قلبه مودة ، مودة الفجار تجرّ إلى النار » .



﴿ كلمات قصار حول الفجور و الفجار ﴾

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى الفجور والفجار، نشير إلى مايسعه المقام :

۱ـ قال الامام على عليه السلام : « ثلاثة شين الدين : الفجور والغدر والخيانة »

۲ـ وقال عليه السلام : « سبب الفجور الخلوة » أى الخلوة مع النساء الاجنبية .

۳ـ و قال عليه السلام : « قد تواخى الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدين ، و تحابوا على الكذب ، وتباغضوا على الصدق »

۴ـ وقال عليه السلام : « ليس مع الفجور غناء »

۵ـ وقال عليه السلام : « الفجور من خلائق الكفار »

۶ـ و قال عليه السلام : « ليس لكذوب أمانة ، و لا لفجور صيانة » أى صيانة الاعراض والأسرار ...

۷ـ و قال عليه السلام : « لاوزر أعظم من التبجّح بالفجور » التبجح : السرور و الفرح .

۸ـ وقال عليه السلام : « ينبغى لمن عرف الفجار أن لايعمل عملهم »

۹ـ وقال عليه السلام : « يفسد الطمع الورع ، والفجور التقوى »

۱۰ـ وقال عليه السلام : « الفجور لا تقية له »

۱۱ـ وقال عليه السلام : « المعصية تفريط الفجرة »

۱۲ـ و قال عليه السلام : « إياك وإنتهاك المحارم فانها شيمة الفساق واولى الفجور

والغواية »

١٣- وقال عليه السلام: « إياك والمجاهرة بالفجور فانه من أشد المآثم »

١٤- وقال عليه السلام: « خير الناس أورعهم وشرّهم أفجرهم »

١٥- وقال عليه السلام: « الكافر فاجر جاهل »

١٦- وقال عليه السلام: « التقوى تعزّ و الفجور يذل »

١٧- وقال عليه السلام: « الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور »

١٨- و قال عليه السلام: « إن التقوى دار حصن عزيز لمن لجأ إليه ، و الفجور دار حصن ذليل لايحرز أهله ، ولايمنع من لجأ إليه »

١٩- وقال عليه السلام: « الفاجر مجاهر »

٢٠ - و قال عليه السلام: « المؤمن من وقى دينه بدنياه ، و الفاجر من وقى دنياه بدينه »

٢١- وقال عليه السلام: « إن الفجار كل ظلوم ختور ».

٢٢- وقال عليه السلام: « دولة الفجار مذلّة الأبرار »

٢٣- وقال عليه السلام: « الاصرار شيمة الفجار »

٢٤- وقال عليه السلام: « الاحتكار شيمة الفجار »

٢٥- وقال عليه السلام: « أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار »

٢٦- وقال عليه السلام: « السلطان الجائر والعالم الفاجر أشد الناس نكاية »

٢٧- وقال عليه السلام: « أمقت العباد إلى الله سبحانه الفقير المزهوّ ، والشيخ الزاني ، والعالم الفاجر »

٢٨- وقال عليه السلام: « آفة العامة العالم الفاجر »

٢٩- و قال عليه السلام: « كم من عالم فاجر ، وعابد جاهل ، فاتقوا الفاجر من العلماء ، والجاهل من المتعبدين »

٣٠- وقال عليه السلام: « ينبغي للعاقل أن يكثر من صحبة العلماء الابرار ، و

يجتنب مقاربة الاشرار والفجار »

٣١- وقال عليه السلام: « الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و الفاجر و الاخرة دارحق يحكم فيها ملك قادر »

٣٢- وقال عليه السلام: « كن حذراً من الاحمق إذا صاحبته ، ومن الفاجر إذا عاشرته ومن الظالم إذا عاملته »

٣٤- وقال عليه السلام: «إحذر مصاحبة الفسّاق والفجار والمجاهرين بمعاصي الله»

٣٥- و قال عليه السلام: « إياكم و مصادقة الفاجر فانه يبيع مصادقه بالتافه المحتقر »

٣٦- و قال عليه السلام: «أعظم الجهل معادات القادر و مصادقة الفاجر و الثقة بالغادر »

٣٧- وقال عليه السلام: « ثلاثة لاينتصفون من ثلاثة: العاقل من الاحمق ،والبر من الفاجر ، والكريم من اللئيم »

٣٨- وقال عليه السلام: « فرّوا كل الفرار من الفاجر الفاسق »

٣٩- وقال عليه السلام: « قطيعة الفاجر غنم »

٤٠- وقال عليه السلام: « من أعظم الحمق مواخاة الفجار »

٤١- وقال عليه السلام: «لاينتصف البر من الفاجر »

٤٢- وقال عليه السلام: «يغتنم مواخاة الأبرار، وتجنّب مصاحبة الاشرار والفجار»

٤٣- وقال عليه السلام: « نفوس الاخيار نافرة من نفوس الاشرار، نفوس الابرار أبداً تأبى أفعال الفجار »

٤٤- و قال عليه السلام: « من لم يقدم فى إتخاذ الاخوان الاعتبار دفعه الاغترار إلى صحبة الفجار »

٤٥- وقال عليه السلام: «يأتي على الناس زمان لايقرّب فيه إلاّ الماحل، ولا يستطرف فيه إلاّ الفاجر ، ولايضعّف إلاّ المنصف »

٤٦- وقال عليه السلام: « أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل، و كريم يستولى عليه لئيم، وبر تسلّط عليه فاجر »

وفي دعاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم -: « اللهم اني أعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً أو أكون بك مغروراً »

وفي دعاء الامام الثاني عشر ولي أمر ناحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام -: « واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة ... » الدعاء.



﴿ كلام فى الاثم و جزاء الآثمين ﴾

قال الله عز وجل: «وما يكذّب به إلاّ كل معتد أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» المطففين: ١٢-١٤)

الاثم فى الأصل: فعل مانهى عنه، وقد أطلق الاثم فى القرآن الكريم على الشرك بالله سبحانه و تكذيب البعث والحساب والجزاء، و كفران النعمة، والتجاوز عن حدود الله تعالى، و على المعصية و العداوة والظلم، و البغى و الاعتداء على المسلمين بقطع الطريق، وعلى تضييع حق الورّاث وأكل أموال الناس بغير حق، وترك الورع وشرب الخمر، وعلى الكذب والزنا وسوء الظن وايقاع الريبة فى قلوب المؤمنين وعلى البهتان و الكذب والافتراء وقتل النفس بغير حق، و كتمان الشهادة وأكل الربا ومنع الناس من فعل الخير، وايذاء المؤمنين والمؤمنات...

وقيل: ان الفرق بين الاثم والخطيئة: أن الخطيئة قد تكون من غير تعمد ولا يكون الاثم إلاّ تعمداً، ثم كثر ذلك حتى سميت الذنوب كلها خطايا كما سميت إسرافاً، وأصل الاسراف مجاوزة الحد فى الشىء.

وان الفرق بين الاثم والذنب: أن الاثم فى أصل اللغة التقصير أثم يأثم إذا قصر. ومن ثم سمى الخمر إثماً لأنها تقصير بشاربها لذهابها بعقله.

وان الفرق بين الأثيم والآثم، أن الأثيم المتهادى فى الاثم، والآثم فاعل الاثم.

واعلم أن الله جل و علا عدّ الاثم فى سورة «المطففين» ممايوجب التكذيب بالبعث والحساب، ويحمل الأثيم على إنكارها، ويأبى نفسه عن التسليم لما يردع

عن المعاصي والتزهد عنها، وبما تراكم عليه الاثم وانهمك في الشهوات إنتهى أمره إلى تكذيب آيات الله تعالى ...

إذ قال: « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » المطففين : ۱۳)

وقال: « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى ان كذّبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن » الروم : ۱۰)

قيل: ان الاثم في الأصل : هو القبيح الضار يشمل لجميع المعاصي : الكبائر منها كالفواحش والخمر ، والصغائر منها كالنظر واللمس بشهوة . . . فالعدوان في قوله جل و علا : « وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان » المائدة : ۲) من قبيل عطف الخاص على العام بناء على أن يكون المراد بالعدوان العداوة لامطلق التجاوز عن حدود الله تعالى .

كقوله جل و علا : « و ترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم و العدوان » المائدة : ۶۲)

في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « البر حسن الخلق والاثم ماحاك في نفسك و كرهت ان يطلع عليه الناس » .

قال الله عزوجل : « إجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم » الحجرات: ۱۲)

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « البرّ ماسكنت إليه نفسك واطمأنّ إليه قلبك ، والاثم ماجال في نفسك وتردّد في صدرك »

قيل: ان للانسان جانبين : أحدهما ـ ينوط بقلبه يسمى نيته . ثانيهما ـ يتعلق بجسده يسمى عمله، وأحدهما ظاهر والاخر باطن .فكلما يتعلق بجوارحه من سوء الاعمال ونكير الاقوال يسمى ظاهر الاثم ، و كلما يتعلق بقلبه من عقائد باطلة ونيات سيئة يسمى باطن الاثم . وان الله جل وعلا نهى الانسان عن كليهما

لان كمال الانسان أن يكون ظاهره كباطنه و العكس بالعكس ، فكما لايجوز تلويث الظاهر بظاهر الاثم كذلك لايجوز تلويث القلب بسوء النية وباطن الاثم.
ولذلك قيل : اتركوا المعاصي بالجوارح وحبّها بالقلوب ...

قال الله عزوجل : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بماكانوا يقترفون » الانعام : ١٢٠)

قال الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت	إنما الميت ميّت الاحياء
إنما الميت من يعيش كئيباً	كاسفاً باله قليل الرجاء

وفي الخصال: باسناده عن حماد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث طويل - قال لقمان لابنه: وللآثم ثلاث علامات: يخون، ويكذب ويخالف مايقول .

و في تحف العقول : وقال له - لعلي بن أبيطالب عليه السلام - رجل : أوصني فقال عليه السلام : اوصيك ان لايكونن لعمل الخير عندك غاية في الكثرة ، ولا لعمل الاثم عندك غاية في القلة .

قال الله تعالى : « ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً - انظر كيف يفترون على الله الكذب و كفى به إثماً مبيناً - ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » النساء: ٤٨ و ٥٠ و ١١١)

و قال : « ولايحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين » آل عمران : ١٧٨)

وقال : « يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير - ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بماتعملون عليم » البقرة : ٢١٩-٢٨٣)

وقال : « لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولّى كبره منهم له عذاب عظيم » النور: ١١)

و قال : « والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر و لايقتلون النفس التي حرم الله

إلابالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهاناً » الفرقان : ٦٨ـ ٦٩)

وقال :« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا فقداحتملوا بهتاناً وإثما مبيناً » الاحزاب :٥٨)

وقال :« مناع للخير معتدأثيم » القلم: ١٢)



﴿ كلمات قصار فى الاثم والآثم ﴾

غرر حكم ودر ر كلم فى المقام عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى نبذة منها:

١- قال الامام على عليه السلام: « لاتحقرنّ صغائر الآثام فانها الموبقات ، و من أحاطت به موبقاته أهلكته »

٢- وقال عليه السلام: « لاتصرّ على ما يعقب الاثم»

٣- وقال عليه السلام: « من خالف علمه عظمت جريمته و إثمه »

٤- و قال عليه السلام: « كل عاص متأثم »

٥- وقال عليه السلام: « كن آمراً بالمعروف وعاملاً به، ولاتكن ممن يأمربه وينأه عنه ، فتبوء باثمه وتتعرّض لمقت ربه »

٦- وقال عليه السلام: « إن هذه النفس لأمارة بالسوء فمن أهملها جمحت به إلى المآثم »

٧- وقال عليه السلام: « المؤمن لايظلم ولايتأثّم »

٨ وقال عليه السلام: « حسنِ الظن يخفّف الهمّ وينجّى من تقلّد الاثم »

٩- وقال عليه السلام: «حسن الظن ينجى من تقلّد الاثم »

١٠-- وقال عليه السلام: « سوء الظن بالمحسن شرالاثم وأقبح الظلم »

١١-قال عليه السلام: « من بالغ فى الخصام أثم ومن قصر عنه خصم »

١٢- وقال عليه السلام « من مطاوعة الشهوة تضاعف الآثام »

١٣ـ وقال عليه السلام : «الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم ولكل داخل في باطل إثمان : إثم الرضا به و إثم العمل به »

١٤ـ وقال عليه السلام : « المتجبّر الظالم توبقه آثامه »

١٥ـ وقال عليه السلام :«في المظالم إحتقاب الآثام »

١٦ـ وقال عليه السلام : «من اكتسب حراماً إحتقب آثاماً »

١٧ـ و قال عليه السلام : « من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت آثامه »

١٨ـ وقال عليه السلام : « إتقوا خداع الآمال فكم من مؤمّل يوم لم يدركه و باني بناء لم يسكنه وجامع مال لم يأكله ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه ، أصابه حراماً واحتمل به آثاماً »

١٩ـ وقال عليه السلام : «ذلّلوا أنفسكم بترك العادات وقودوها إلى فعل الطاعات، وحمّلوها أعباء المغارم ، وحلّوها بفعل المكارم ، وصونوها عن دنس المآثم »

٢٠ـ و قال عليه السلام : « صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم ، وخلوّ القلب من جميع أسباب الشر »

٢١ـ وقال عليه السلام : « من زاد ورعه نقص إثمه »

٢٢ـ وقال عليه السلام : « من قلّ كلامه قلّت آثامه »

٢٣ـ وقال عليه السلام : « من لوازم الورع التنزّه عن الآثام »

٢٤ـ وقال عليه السلام : « ماظفر من ظفر الاثم به »

٢٥ـ وقال عليه السلام : « أجلّ المسموعات الغنا ، والترنم وهو إثم »

٢٦ـ وقال عليه السلام : « لاتذكر الموتى بسوء فكفى بذلك إثماً »

٢٧ـ وقال عليه السلام : « لاتعوّد نفسك اليمين فان الحلاف لايسلم من الاثم »

٢٨ـ وقال عليه السلام : « لاورع كتجنّب الآثام »

٢٩ـ وقال عليه السلام : « إنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل ، و اللسان فيه عن الصدق كليل ، واللازم فيه للحق ذليل ،أهله منعكفون على العصيان،مصطلحون

على الأدهان ، فتاهم عارم ، و شيخهم آثم ، و عالمهم منافق ، و قاريهم ممارق ، و لايعظّم صغير هم كبيرهم ، ولايعول غنيّهم فقيرهم »

٣٠- وقال عليه السلام : « من لم يقدّم ماله لآخرته وهومأجود خلفه و هو مأ نوم »

٣١- وقال عليه السلام : « لاتغرنك العاجلة بزور الملاهى فان اللهو ينقطع و يلزمك ما اكتسبت من الاثم »

٣٢- وقال عليه السلام : « لامروّة كالتنزّه عن المآثم »

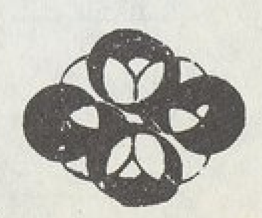
٣٣- وقال عليه السلام : « نيل الجنة بالتنزه عن المآثم »

٣٤- وقال عليه السلام « إياك والمجاهرة بالفجور فانها من أشد المآثم »

٣٥- و قال عليه السلام : « ابذل فى المكارم جهدك تخلص من المآثم و تحرز المكارم »

٣٦-وقال عليه السلام : « ابعدوا عن الظلم فانه أعظم الجرائم و أكبر المآثم »

٣٧- وقال عليه السلام : « شرالافعال ماجلب الآثام »



«رين القلوب وأسبابه وأحوالها»

قال الله عز وجل : «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» المطففين:١٤)

ان الله جل و علا أشار بمواضع عديدة فى القرآن الكريم إلى الاحوال المختلفة التى تعترى القلوب الانسانية من الطبع والرين ، والقفل و الزيغ ، و الغلف والريب ، والمرض والقسوة ، و النفاق والغيظ ، و الاباء والصرف ، و من الاكنة و النكران ... بسبب ما يكسبه الانسان من الكفر والاعراض ، والتكبر والاعتداء ، واللهو وحب الدنيا ، والجرم والاستبداد ، والجهل والاستكبار ، ومن الفسق و إتباع الهواء . . .

قال الله تعالى : «فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين» الاعراف : ١٠١)

وقال : «الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» غافر : ٣٥)

وقال : «فما كانوا ليومنوا بما كذّبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين» يونس : ٧٤)

وقال: «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدى القوم الكافرين اولئك الـذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون» النحل : ١٠٧ و ١٠٨)

و قال : «فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانـوا

يكذبون - ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة - و قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون - ولكن يؤاخذكم الله بما كسبت قلوبكم » البقرة : ١٠ و ٧٤ و ٨٨ و ٢٢٥)

وقال : « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكّروا به » المائدة : ١٣)

وقال : « وارتابت قلوبهم فهم في ريبها يتردّدون - لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطّع قلوبهم - و إذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لايفقهون » التوبة : ٤٥ و ١١٠ و ١٢٧)

وقال : « و إذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أن يفقهوه و في آذانهم وقراً » الاسراء : ٤٥ و ٤٦)

و قال : « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون » الروم : ٥٩)

وقال : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » الجاثية : ٢٣)

و قال : « اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و اتبعوا أهواءهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ١٦)

وقال : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدي القوم الفاسقين » الصف : ٥)

وغيرها من الايات القرآنية التي تشير إلى أحوال القلوب وأسبابها . . .

ومن البديهي ان الله تعالى جعل لكل فعل من أفعال الانسان وأقواله وعقائده ونياته وحركاته . . . خيراً كانت أم شراً ، أثراً وضعياً في نفسه ، تلك الآثار التي يعبّر عنها بالاحوال المختلفة القلبية ، و إن كانت مستندة إلى الله عزوجل ، ولكن أسبابها مستندة إلى الانسان الذي كسبها باختياره و إرادته .

وللمفسرين في مراتب أحوال القلوب كلمات لاتخلو من فائدة لأهل التحقيق و

النظر :

فمنهم من يقول : ان الرين أن يسودّ القلب بسبب الذنوب والمحارم التى يكسبها الانسان ، والطبع أن يطبع على القلب، وهو أشد من الرين، والختم أشد من الطبع ، و الزيغ أشد من الختم ، فاذن ختم الله تعالى على قلب لايرجى با هتدائه.

قال الله عزوجل : « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» البقرة : ٦ ـ ٧)

و منهم من يقول : إذا أذنب الانسان ذنباً إنقبض قلبه وهو الختم ، و إذا أذنب ثانياً يطبع قلبه وهو الرين .

ومنهم من يقول : كلما اذنب الانسان ذنباً حصلت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسودّ القلب كله إذا تكرر الذنب ، وذلك لان تكرر الافعال سبب لحصول الملكة النفسانية ، فان من أراد تعلّم الكتابة ، فكلما كان إتيانه بعمل الكتابة أكثر كان إقتداره على عملها أتم إلى أن يصير بحيث يقدر على إتيانها من غير روّية ، فهذه الهيئة النفسانية لما تولدت من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل واحد مغها أثر فى حصول تلك الهيئة .

فاذا واظب الانسان على الاتيان ببعض الذنوب حصلت فى قلبه ملكة نفسانية على الاتيان بذلك الذنب بحيث يأتى بلافكرة كمن اعتاد بالكذب والغيبة ،والظلم والافتراء ، و البهتان والنمامة ، والسبّ والشتم ، و البطش و الأذى وما إليها من رذائل الاخلاق وخبائث الاعمال... فيأتيها على عادتها . . .و كلما أذنب ذنباً قرب من الباطل الذى ليس إلاّ ظلمة وسواداً، ويبعد عن الحق الذى ليس إلاّ نوراً وبياضاً، فاذن تسودّ القلوب بالنكت السوداء ، لما كانت مراتب الملكات مختلفة فى الشدة والضعف ، فلاجرم كانت مراتب السواد و الظلمة أيضاً مختلفة :

فبعضها رين ، وبعضها زيغ ، وبعضها طبع ، ومنها ختم ، ومنها قفل ، ومنها

غلف . . . وبحصول الملكة تحصل لهم الجرأة في إتيان الذنوب ، و تقوى دواعيهم إلى ترك التوبة ، وإتيان المعاصي ، فيستمرون عليها ويصعب عليهم الاقلاع بالا ـ ستغفار و الانابة ، فتفرحهم السيئات وتسؤهم الحسنات ، فيفرحون بالمعاصى و يعرضون عن الطاعات . . .

و في رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، فان زاد زادت حتى يغلف قلبه ، فذلك الران الذى قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » .

فأخبر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، و إذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم والطبع من قبل الله تعالى ، فلايكون للايمان مسلك إليها ، و لا للكفر مخلص منها ، و هذا سنّة من السنن الالهية . . .

وفى رواية اخرى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قتل مؤمناً إسود سدس قلبه ، و إن قتل إثنين إسودّ ثلثه ، وإن قتل ثلاثة رين على قلبه ، فلم يبال ماقتل فذلك قوله : « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

ومنهم من يقول : ان القلب الانساني مثل الكفّ ، فيذنب الذنب ، فينقبض منه ثم يذنب فينقبض منه ، حتى يختم عليه ، فيسمع الخير فلايجد له مساغاً فيجمع فيه ، فاذا اجتمع طبع عليه ، و إذا سمع حقاً أعرض ، و إذا رآى مؤمناً يضحك و إذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لايؤمنون .

قال الله تعالى : « فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » النحل : ٢٢)

وقال : « و إذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة و إذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون » الزمر : ٤٥)

فحال القلب الانساني عكس في العكس كالمرآة التى ليس وراء صقالها

إلا سواداً فاذا انقلب القلب بالكفر والطغيان ، بالغى والضلالة ، بالظلم والجناية، بالكذب والخيانة ، بالافتراء والنمامة ، بالبهتان والغيبة ، وبحب الدنيا والشهوة . . . و الاشتهار و المقام و الرئاسة إنقلب بياضه سواداً ، وصفائه كدورة ، وحبّه الخير والابرار بغضاً وحلوه مرّاً ، ولينته خشونة ، وخشوعه إستكباراً، وخضوعه ترفعاً . . .

ومثل القلب الانسانى مثل العنب يتحول حلواً ومراً، وحلالاً وحراماً، حلو إذا كان عنباً ومرّ إذا صار خلاً، حلالاً إذا كان عنباً، وحرام إذا كان عنباً ، وحرام إذا صار خمراً .

وربما يرى ذلك فى طوال الاعصار كيف صار المتظاهرون بالتواضع المختلق مستكبرين ، وبالخشوع متكبرين؟ كيف صار المتظاهرون بالاحتياط فى الدماء و الاعراض والاموال يسفكون الدماء بغير حق، ويهتكون الاعراض المحترمة، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويحرّمون الحلال ويحللون الحرام، ويبتدعون فى دين الله تعالى؟ وكيف صار أصحاب الرأفة المتصنعة جرثومة الغلظة والاستبداد على المواطنين، وأهل الرأحمة جرثومة الشدة على المؤمنين وغيرهم! و كيف يرتكبون ما كانوا يذمونه من قبل! و كيف صاروا أعداء على أصدقائهم ،و كيف طرّدوا عن أنفسهم أخصائهم و أحبائهم وأحبائهم لحب المقام والرئاسة . . . و كيف و كيف ! ! !

أعاذنا الله جل و علا من هذا الانقلاب القلبى بحق محمد و أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

عن بعض الظرفاء: قال: إن العبد إذا أذنب صار فى قلبه كوخزة الابرة ثم صار إذا أذنب ثانياً صار كذلك ، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغربال لايعى خيراً ولايثبت فيه صلاح .

وعن حذيفة اليمانى : انه قال : ان القلب مثل الكفّ و رفع كفّه ، فاذا أذنب العبد الذنب إنقبض وضمّ إصبعه، فاذا أذنب الذنب إنقبض وضمّ اخرى حتى

ضمّ أصبعه كلها حتى يطبع على قلبه ، وقال: وكانوا يرون انذلك هو الرين ثم قرأ: « كلابل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » .

وقال أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: « كثرة المال يفسد القلوب وينسى الذنوب »

وقال عليه السلام: « كثرة التقريع يوغر القلوب ويوحش الأصحاب »

وقال عليه السلام: « لحب الدنيا صمت الأسماع عن سماع الحكمة، وعميت القلوب عن نور البصيرة »

ومن المعلوم ان الانسان يعيش بقلبه ، ومن لاقلب له لا حياة له ، وان القلب الذى لايتوجه إلى خالقه هو كالحجارة لانبض فيه، ولاحياة ، انه قلب ميت ، وقلب أعمى لايبصر الحق ولايراه

قال الله عز وجل: « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور» الحج : ٤٦)

و قال : « فانك لاتسمع الموتى و لاتسمع الصم الدعاء إذا و لّوا مدبرين » الروم : ٥٢)

وقال: « انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » النمل : ٨٠ و ٨١)

وقال : « أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها» الانعام : ١٢٢)

فالحياة الحقيقة تتجلّى فى تسبيحات هذا القلب، الذى تعلق بخالقه، واتصل بمعبوده إتصالاً وثيقاً جعله يذكر الله تعالى بالغدوّ والآصال جعله يفرح ويطمئن بذكر الله تعالى إلى أبعد الحدود .

فقلوب الكافرين والفجار موتى بالقياس إلى قلوب المؤمنين والابرار، فان

قلوب الابرار والمؤمنين مفتوحة لاشراق نور المصباح من مشكاة الربوبية، وصدورهم منشرحة متسعة ممتلئة من نور الهدى وروح المعارف وخير الحكم، و زهرة العلوم، وحسن النيّات ...

وأما قلوب الفجار والكافرين فحرجة منغلقة مطبوعة مختومة، وعليها رين وزيغ وريب ... بما كسبوا، وصدورهم ممتلئة من الوساوس والاوهام وسوء النيات ... وضيّقة مظلمة، وتاهت أفكارهم فى ظلمات الجهل المتراكمة والعصبية، و قست قلوبهم عن ذكر الله عزوجل ...

قال الله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون» الانعام: ١٢٥)

وقال: «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين» الزمر: ٢٢)

و قال بعض الظرفاء: انموت القلب كموت الجسد، أولاترى الانسان سواء كان صحيحاً أم مريضاً إذا منع من الطعام و الشراب و الدواء بمدة يموت؟ فكذلك القلب إذا منع من الايمان والمعرفة بالله عزوجل، ومن التفكر فى آيات الله تعالى التكوينية والتدوينية والآفاقية والانفسية، ومن النظر إلى آثار رحمة الله جل و علا.

و فى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، و كثرة منافسة النساء، ومماراة الاحمق، يقول وتقول، ولامرجع خير أبداً، و مجالسة الموتى، فقيل: يارسول الله! وما الموتى؟ فقال: كل غنىّ مترف».

و من البديهى عند المحققين: ان الملكة النفسانية تحصل بتكرار العمل مرة بعد اخرى، فاذا حصلت يصير إتيان العمل عادة للعامل لايسهل تغييرها، ولا يقصر حصول الملكة للانسان فى صناعة دون صناعة، وحرفة دون حرفة، وعمل

دون عمل ، و لايختص بطائفة دون طائفة ، بل إنما يمكن حصولها في الاقوال و الافعال والحركات خيرها وشرها ، حسنها و قبيحها ، صالحها و فاسدها ، من أيّ طائفة إطلاقاً ، حتى و قد قيل : يجري في العقائد بأن من اعتقد بشيء ، و طال الا عتقاد به، فتحصل له ملكة إعتقادية به لا يسهل تغييرها .

كمن له ملكة الغيبة والافتراء ، والكذب والتهمة ، والفحش والنمامة ، و السبّ والبهتان ، والنظر إلى الأجنبية ، وإستماع اللهو واللعب والظلم والتطفيف في الكيل والوزن ، والخيانة وهتك الاعراض المحترمة ، والسرقة و قتل النفس بغير حق ، وما إليها من رذائل الاخلاق وقبائح الافعال لا يسهل تغييرها ، حتى نرى من اعتاد بشرب توتون والترياق لا يسهل له تركها .

وبعكس تلك الملكات الخبيثة ملكات حسنة كمن له ملكة الصدق والصفا، والأمانة والصلاح، وغضّ البصر عن الأجنبية ، والاجتناب عن المحرمات ،والانس بذكر الله جل وعلا و ما إلى ذلك من فضائل الاخلاق ...

ومثلهما كمثل الدباغ الذي يتأذّى من عمل العطار لانسه بالروائح الخبيثة، ومثل العطار الذي يتأذى من عمل الدبّاغ لانسه بالروائح الطيبة ...

فينبغي أن يعتاد الانسان بما فيه خيره و سعادته ، و عزته وفلاحه،و كماله و نجاته . . . و لا يعتاد بما فيه شرّه و شقاؤه ، و ذلته و خسرانه ، و إنحطاطه و هلاكه ...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ينبغي إعتياد الخير فان الخير في العادة » .

ولا يخفى ان تطهير القلب من أرجاس الذنوب، وأدناس المعاصي قبل حصول الملكة لا يصعب .

ألا ترى ان الانسان عند محاولته أول كذبة، أو أول إفتراء ، أو أول سرقة و زنا، أو أول ظلم و بغي ، أو أول دعّ لليتيم و بطش تشمئزّ روحه ، و يحتبس طبعه

فوازع باطني يلومه ، ومؤنب داخلي يؤنبه ويوبخه ، ثم انه إذا تمادى في الفجور و الفسوق و المعاصي و الكفر ، خفّ أثر ذلك الوازع شيئاً فشيئاً حتى ينطفيء و يزول أثره، فيقسو القلب، فتكون كالحجارة أوأشد قسوة، فيرين و يطبع ويزين و يختم .

قال الله تعالى :« كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » المطففين : ١٤)



«أحوال القلوب وأقسامها»

قال الله عزوجل: «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» المطففين: ۱۴)
لابدلنا من البحث في معرفة أحوال القلوب و أقسامها ، و ما يعتريها من موجبات فسادها وسوادها وزيغها وختمها وزينها وتقلباتها ... ومن موجبات صفائها وبياضها و صلاحها و ثباتها . . . فانها عرضة للايمان و الكفر ، للحق و الباطل ، للتقوى والفجور، للخير والشر ، للصلاح و الفساد ، للبياض و السواد ، للتزكية والتلويث ، وللتطهير والتدنيس ... ويجول فيها طائفتان :

طائفة الملائكة: التي تسعى في صلاح القلوب وصفائها ، وتزكيتها وتطهيرها من الادناس والأرجاس ، ومن الوساوس والشكوك والاوهام ...

وطائفة الشيطان: التي تسعى في فساد القلوب ورينها ، وتلويثها و تدنيسها بالمعاصي و المحارم ، بالكفر و التكبر ، بالبغي و الضلالة ، و بالذنوب و الفساد . . .

ومن ثم تكتنفها الصفات و تنصب إليها الآثار و الاحوال من أبواب متفرقة أفلايجب علينا بمعرفة الابواب : خيرها وشرّها ، فنفتح خيرها ، فتصفى القلوب، و نسدّ شرها لئلاترين القلوب ، وان القلب البشرى هو الهدف الذى يصاب على الدوام من كل جانب ، فاذا أصابه شيء يتأثر به سريعاً ، وإذا أصابه شيء من جانب آخر ما يضاده فتتغيّر حاله .

فان نزل به الشيطان ، فدعاه إلى الهواء نزل به الملك و صرفه عنه ، وإن

جذبه الشيطان إلى شرّ جذبه الملك إلى خير ، وقد يكون بين جذبة الشياطين: من الانس والجن ، يدعوه كل واحد إلى نوع شر غير الآخر إذاران ، وقد يكون بين جذبة الشيطان والملك مالم يـرن ، و أما الانجذاب فباختيار الانسان فـاذا انجذب إلى الشيطان وتبعه فيمادعاه فيترتب عليه آثاره من الريب والطبع ، والزيغ والختم ، والرين والفساد ، و إذا انجذب إلى الملائكة واتبع العقل فيما يدعوه إليه ، فيترتب عليه آثاره من القطع واليقين ، والصلاح والصفاء ، و هذه ستة من السنن الكونية الالهية لاتبدل فيها .

وإليها أشار جل وعلا بقوله : « ونقلب أفئدتهم و أبصارهم » الانعام : ١١٠)

ولا طلاع رسول الله الخاتم ﷺ بأحوال القلب يقول كثيراً : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالوا : أو تخاف يا رسول الله ؟ قال : « ومايؤمنني و القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء »

ويقول الراسخون في العلم من أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم اجمعين: « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذهديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب» آل عمران : ٨)

وقدضرب رسول الله ﷺ للقلب ثلاث أمثلة :

احدها ـ قال : « مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة »

ثانيها ـ قال : « مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غلياناً »

ثالثها ـ قال : « مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن » و كل هذه التقلبات من ناحية الانجذاب ، وللانسان فيه إختيار ، فلاجبر ولاقسر ، و لتقلب القلب كثيراً سمي القلب قلباً لانه في عرضة القلب في كل حال ، ولا يطمئن إلاّ بذكر الله تعالى : «الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» الرعد : ٢٨)

واعلم أن القلوب في الانجذاب إلى الملك والشيطان أو التردد بينهما على ثلاثة أنواع:

النوع الاول : قلب مجذوب إلى الملك ، فيصفى بالايمان ويزكى بالتقوى ، ويصلح بالعمل ، ويطهر عن ذميم الصفات ورذائل الاخلاق ... تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت ، فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ، ويطلع على أسرار فوائده ، فينكشف له بنور البصيرة وجهه ، فيحكم بانه لابد من فعله ، فيستحثه عليه ، ويدعوه إلى العمل به ، و ينظر الملك إلى القلب ، فيجده طيباً في جوهره طاهراً زكياً بتقواه مستنيراً بضياء العقل ، معموراً بأنوار المعرفة ، فيراه صالحاً لان يكون له مستقرّ ، و مهبطاً فعندئذ يمدّه بجنود لاترى ويهديه إلى خيرات اخرى ، وتتعقبه الخيرات : خيراً بعد خير وهكذا على الدوام ...

ولايتناهى إمداده بترغيب الخير وتيسير الامر عليه ، وإليه أشار تعالى بقوله : « فأما من اعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » الضحى : ٥ ـ ٧)

وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لايخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، و لايروج على هذا القلب شيء من مكايد الشيطان ، بل يقف الشيطان و يوحى زخرف القول غروراً فلايلتفت إليه هذا القلب ، وهذا بعد طهارة من المهلكات يصير على القرب معموراً بالمنجيات من الشكر والصبر ، و الخوف والرجاء ، و الفقر و الزهد ، و المحبة والرضا ، والشوق والتوكل ، والتفكر والمحاسبة ، و ما إليها من آثار صفاء القلب وطهارته وهو القلب المطمئن أشار تعالى إليه بقوله «ألابذكر الله تطمئن القلوب » الرعد : ٢٨)

وبقوله : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذاتليت عليهم آياته زادتهم ايماناً » الأنفال : ٢)

وبقوله : « و بشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و الصابرين على ماأصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقنا هم ينفقون » الحج : ٣٤ ـ ٣٥)

و بقوله :« الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء» الزمر : ٢٣)

و بقوله : « وإن من شيعته لابراهيم إذجاء ربه بقلب سليم » الصافات : ٨٣-٨٤)وبقوله:« من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب»ق:٣٣٠)

وبقوله : «اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه » المجادلة:٢٢)

وبقوله : « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولا خواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا »الحشر: ١٠)

و هذا هو القلب الذى يقبل الله جل وعلا بوجهه عليه : « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى و ادخلى جنتى » الفجر :٢٧ ـ ٣٠)

وعدّة أصحاب هذا القلب قليلة جداً أشار تعالى إليهم بقوله : « و قليل من عبادى الشكور » سبأ : ١٣)

النوع الثانى : قلب مخذول مشحون بالهوا ومدنس بذميم الاخلاق وفساد الاعمال ، مفتوح فيه أبواب الشياطين ، مسدود عنه أبواب الملائكة ، وهوالذى ران عليه بما كسب ، و إليه أشار جل وعلا بقوله : « كلابل ران على قلوبهم بما كانوا يكسبون »

فيقوى سلطان الشيطان ،فيغلب الهوى على العقل، ويضعف سلطان الايمان و يخبو نور اليقين ، فلايبقى للقلب عندئذ موقف للملائكة ، فيتلبس بالفجور و يكذب بآيات الله عزوجل ولو بصره واعظ و أسمعه ماهو الحق فيه عمى عن الفهم، وصمّ عن السمع ، وهو فى غفلة لايؤمن ، وإلى مثل هذا القلب أشار تعالى بقوله: « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون»الاعراف : ١٧٩)

وأصحاب هذا القسم من القلب كثيرون جداً أشار تعالى إليهم بقوله :
« و إن تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلاّ الظن وإن هم إلاّ يخرصون » الانعام : ١١٦)
وبقوله : « إنه الحق من ربك و لكنّ أكثر الناس لايؤمنون » هود:١٧)
وبقوله : « وما أكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين » يوسف : ١٠٣)
و بقوله: « تلك آيات الكتاب والذى انزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لايؤمنون » الرعد : ١) وغيرها من الايات الكثيرة . .

النوع الثالث: قلب فيه تردّد إلى جذبة الشيطان ، فيتر دد أن يأتى خيراً أم شراً ، أن يكفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به وباليوم الآخر أم يؤمن، أن يقبل الحق أم الباطل ، أن يقول صدقاً أم كذباً ، أن يأكل الحرام أم لا ، أن ينظر إلى الأجنبية أم يغضّ بصره عنها ، وبالجملة أن يدخل فى زمرة حزب الرحمن أم فى زمرة حزب الشيطان كحرّ بن يزيد الرياحى . . .

و على مثل هذا القلب تبد وخواطر الهوى ، فتدعوه إلى الكفر و الباطل و الشر و المعصية و الطغيان والاستبداد والاستكبار . . . فيلحقه خاطر الملك ، فيد عوه إلى الايمان والحق والخير والطاعة والانقياد والعدل والرأفة و الخضوع . . . فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الهوى ، فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم . . .

و عندئذ يحمل الشيطان حملة على العقل ، و يقوّى داعى الشر ، و يقول : ماهذا التحرّج البارد ؟ ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك ؟ وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أويترك غرضه ؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها ، و تحجّر على نفسك حتى تبقى محروماً من نعيم الدنيا ولذائذها ، فيضحك عليك أهل الزمان ؟ أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان ، وقد فعلوا مثل ما اشتهيت و لم يمتنعوا ؟ أماترى العالم الفلانى لايحترز من مثل ذلك ، ولو كان ذلك شراً

لامتنع منه العالم؟ فتميل النفس إلى الشيطان و تنقلب إليه.

وعندئذ ينبعث العقل إلى خاطر الخير، و يقوم في دفع وساوس الشيطان و مشتهيات النفس، فيقبح فعلها و ينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة و السبع في تهجمها على الشر، وقلّة إكتراثها بالعواقب... وحينئذ يحمل الملك على النفس، والشيطان فيقول: هل تقتدى من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة؟ أفتقنع بلذة يسيرة، وتترك لذة الكثيرة الأبدية من الجنة و نعيمها؟ أتستثقل ألم البصر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار على جسمك و روحك؟

أتغترّ بغفلة الناس عن أنفسهم وإتباعهم هواهم، ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لايخففه عنك معصية غيرك؟ أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر و وقف الناس كلهم في حرّ الشمس، وكان لك ظلّ ظليل؟ أفتساعد الناس، أم تطلب لنفسك الخلاص؟ فكيف تخالف الناس خوفاً من حرّ الشمس ولاتخالفهم خوفاً من حرّ النار الدائم؟

فعندئذ يتردد القلب بين الجذبين: جذبة الملك والعقل، وجذبة النفس الامارة والشيطان، فان كانت الصفات الغالبة من قبل على القلب من الرذائل، فيغلب عليه الشيطان و النفس، وإن كانت من الفضائل، فيغلب عليه الملك و العقل، و هذا التردد حال أكثر الناس، فمنهم من يغلب على قلبهم النفس والشيطان، فهم يتركون إتباع الملك والعقل وهم أكثر منهم.

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان: «قال فبعزتك لاغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢ - ٨٣)

ومنهم من يغلب على قلبهم الملك والعقل، فيتركون إتباع الهوى والشيطان وهم قليلون جداً.

قال الله تعالى: «انه لقول رسول كريم وماهو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون و لابقول كاهن قليلاً ماتذكرون» الحاقة: ١٤-٤٢)

في الكافي: باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: القلوب

ثلاثة : قلب منكوس لايعى شيئاً من الخير و هو قلب الكافر ، و قلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرفيه يعتلجان ، فأيهما كانت منه غلب عليه،وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لايطفأ نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن .

وفيه : باسناده عن سلام بن المستنير قال : كنت عند أبى جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين ، وسئله عن أشياء فلما همّ حمران بالقيام قال لأبى جعفر عليه السلام : أخبرك أطال الله بقاءك لنا ، وأمتعنابك انا نأتيك ، فما نخرج من عندك حتى ترقّ قلوبنا وتسلوا أنفسناعن الدنيا ، ويهون علينامافى أيدى الناس من هذه الاموال ،ثم نخرج من عندك فاذا صرنامع الناس والتجارأحببناالدنيا؟قال:

فقال أبو جعفر عليه السلام :إنماهى القلوب مرّة تعصب ومرّة تسهل ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أما ان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : يارسول الله نخاف علينا النفاق قال : فقال: ولم يخافون ذلك ؟ قالوا : إذا كنا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنانعاين الآخرة والجنةوالنار، ونحن عندك ، فاذاخرجنا من عندك ، ودخلنا هذه البيوت وشممنا الاولاد ورأينا العيال و الاهل يكادأن نحوّل عن الحال التى كنا عليها عندك ، وحتى كأ نالم نكن على شئ؟

أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كلا ان هذه خطوات الشيطان فير غبّكم فى الدنيا والله لوتدومون على الحالة التى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ، ومشيتم على الماء . . . الحديث .

﴿القلوب و أقسامها﴾

و اعلم أن القلوب الانسانيـة باعتبار آخر - غير ما أوردناه سابقاً - على أقسام :

وقدورد فی ذلك روايات كثيرة نشير إلى مايسعه المقام :

١- روى الحميرى رحمةالله تعالى عليه فی قرب الاسناد باسناده عن الامام سيدالشهداء سبط المصطفى الحسين بن على عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :القلوب أربعة : فقلب فيه ايمان ، وليس فيه قرآن ، وقلب فيه قرآن وايمان ، و قلب فيه قرآن وليس فيه ايمان وقلب لاقرآن فيه ولا ايمان .

فأما القلب الذى فيه ايمان ، وليس فيه قرآن كالثمرة طيّب طعمها ، ليس لها ريح، وأما القلب الذى فيه قرآن وليس فيه ايمان كالاشنة ، طيّب ريحها خبيث طعمها ، وأما القلب الذى فيه قرآن وايمان كجراب المسك ، إن فتح فتح و إن وعى وعى طيّباً ، وأما القلب الذى لاقرآن فيه ولا ايمان كالحنظلة خبيث ريحها ، خبيث طعمها .

٢- روى الكلينی رضوان الله تعالى عليه فی الكافی باسناده عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان القلوب أربعة : قلب فيه نفاق وايمان ، وقلب منكوس، و قلب مطبوع ، و قلب أزهر أجرد ، فقلت : ماالازهر ؟ قال: فيه كهيئة السراج ، فاما المطبوع فقلب المنافق ، وأما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر ، و إن إبتلاه صبر، وأما المنكوس فقلب المشرك .

ثم قرأ هذه الآية : « أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم »

فأما القلب الذى فيه ايمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف ، فان أدرك أحدهم أجله على نفاق هلك ، وإن أدركه على ايمانه نجى .

٣ـ فى تفسير إبن كثير عن رسول الله ﷺ قال: القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، و قلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره . و أما القلب الأغلف فقلب الكافر ، و أما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر ، وأما القلوب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق ـ و مثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأىّ المادتين غلبت على الاخرى غلبت عليه .

و عن بعض الظرفاء من المحققين : قال : ان القلوب الانسانية على أربعة أقسام :

قلب يائس وهو قلب الكافر أشار جل و علا إليه بقوله : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون » المائدة: ٣) وقوله : « إنه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون » يوسف : ٨٧) .

وقلب مقفول وهو قلب المنافق أشار تعالى إليه بقوله: « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم» الحجرات: ١٤)
و قوله : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم » آل عمران : ١٦٧)

وقوله : « ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » المائدة: ٤١)

وقوله :« إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » التوبة : ٤٥)

وقلب مطمئن ، وهو قلب المؤمن أشار عزوجل إليه بقوله : « من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » النحل: ١٠٦)

و قوله : « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبى لهم و حسن مآب» الرعد : ٢٨ ـ ٢٩)

وقوله :« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » الانفال: ٢)

وقوله :« ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم و كره إليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون» الحجرات : ٧)

وقوله : « يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » الحشر: ١٠)

و قلب سليم خالص، و هو قلب الانبياء و أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين أشار إليه بقوله تعالى :« وان من شيعته لابراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم » الصافات : ٨٣ و ٨٤)

و قوله: « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب »آل عمران : ٧ و ٨)

و لكل قلب مراتب في الكفر و الايمان ، و درجات في النفاق و السلامة و الخلوص ... و إنما القلب الأخير هو مرآة الصفات الكمالية والجلالية الالهية . . .

ونحن نقول اليوم ـ يوم عاشوراء يوم الخميس قريباً من الظهر سنة ١٤٠٣

ﻫ ق ـ وفي كل حال متأسياً من هؤلاء الابرار المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين:
ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب بحق
سيّد المظلومين من شهداء كربلاء و أُسرائها من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و
أنصارهم عليهم السلام



﴿ مافيه سواد القلب و فساده ﴾

و قد وردت روايات كثيرة فيما يوجب سواد القلب الانساني و فساده من الكبر وحب الدنيا والشهوة والآمال ، من الغضب والشك والجهل واللجاج ، من الحقد والضغن والغل والعداوة ، من التمدح وإستهجان الكلام والبطنة ومجالسة السفلة ، ومن التقريع وإستماع اللغو واللهو والتجسس والتتبع عن عيوب الناس...

في الكافي: باسناده عن أبي بصير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء ، فان تاب إنمحت وإن زادزادت ، حتى تغلب على قلبه ، فلايفلح بعدها أبداً .

وفيه : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام قال : لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب ، ولا خوف أشد من الموت ، و كفى بما سلف تفكراً و كفى بالموت واعظاً .

وفيه : باسناده عن أبي بصير و غيره قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ان القلب ليكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر، ولاايمان كالثوب الخلق قال : ثم قال لي : أما تجد ذلك من نفسك ؟ قال : ثم تكون النكتة من الله في القلب بماشاء من كفر وايمان .

اقول : وذلك إذا تتابع أسباب الكفر على القلب ، فتتبعه نكتة الكفر ، ولوتتابع عليه أسباب الايمان ، فتتبعه نكتة الايمان، وهذاسنة من السنن الالهية.

و في تفسير ابن كثير : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : تعرض الفتن على القلوب

كالحصير عوداً عوداً ، فأىّ قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء وأىّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على أبيض مثل الصفا ، فلا تضرّه فتنة ما دامت السموات والارض والآخر أسود مرباد كالكوز مجخياً لايعرف معروفاً ولاينكر منكراً .

و فى الدر المنثور : عن الامام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال : ان الايمان يبدو لحظة بيضاء فى القلب ، فكلما ازداد الايمان عظماً ازداد ذلك البياض ، فاذا استكمل الايمان أبيض القلب كله ، وان النفاق لحظة سوداء فى القلب ، فكلما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السوداء فاذا إسودالقلب كله، وأيم الله لوشققتم على قلب مؤمن لوجد تموه أبيض ، ولو شققتم علىقلب منافق لوجد تموه أسود.

اقول : و من غير مراء ان تواتر صغائر الذنوب عظيم التأثير فى تسويد القلب وفساده فضلاً عن كبائر الذنوب ، وان صغير الذنب فىتأثيره متواتراً على القلب كتأثيرتواتر قطرات الماء على صخرة ،فانهيحدث فيها حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر وتعظم الصغيرة لامور :

احدها-باستصغار المذنب و إستهانته بها يغتمّ باتيانها .

ثانيها - السرور والتبهج بسببها وإعتداد التمكن منها حتى يفتخرالمذنب ويقول : أمارأيتنى كيف شتمت زيداً ؟ و كيف مزقت عرضه ؟ و كيف خدعته فى المعاملة ، وذلك عظيم التأثير فى تسويد القلب .

ثالثها - أن يتهاون بستر الله عزوجل عليه ، فيظن انذلك لكرامته عندالله تعالى ، فلايدرى ان ذلك إستدراج ، فقد أمهل ليزداد إثماً ، فيكون فى الدرك الاسفل من النار .

رابعها - أن يجاهر بالذنب ويظهره ويذكره بعد فعله .

وفى الكافى : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان

أبي عليه السلام يقول : ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة ، ان القلب ليواقع الخطيئة ، فما تزال به حتى تغلب عليه ، فيصير أعلاه أسفله .

اقول : رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه .

وذلك لان الخطيئة والذنوب تفعل بالقلب وتؤثرفيه بحلاوتها الخادعة حتى تجعل وجهه الذى إلى جانب الحق والاخرة إلى جانب الباطل والدنيا .

وفي الخصال: باسناده عن موسى المروزى عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع يفسدن القلب وينبتن النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر : إستماع اللهو والبذاء وإتيان باب السلطان وطلب الصيد .

وفي البحار : من مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام : بحق أقول لكم : ما ذا يغني عن الجسد إذا كان ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً ؟ و ما تغني عنكم أجسادكم إذا أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم ؟ و ما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة ؟

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربع خصال تفسد القلوب : مجاراة الأحمق فان جاريته كنت مثله ، وإن سكت منه ، و كثرة الذنوب مفسدة القلوب وقال: قال :« بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » والخلوة بالنساء والاستمتاع منهن ، والعمل برأيهن و مجالسة الموتى ، قيل : و ما الموتى ؟ قال : كل غني قد أبطره غناه .

« غرر حكم ودرر كلم في رين القلوب »

كلمات قصار حول رين القلوب و زيغها وطبعها و ختمها عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه المقام :

١- قال الامام على عليه السلام : « الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين »

٢- وقال عليه السلام : « الكبر يساور القلوب مساورة السموم القاتلة »

٣- و قال عليه السلام : « إحترسوا من سورة الاطراء والمدح فان لها ريح خبيثة في القلب »

٤- وقال عليه السلام : « إياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلوب »

٥- و قال عليه السلام : « إياكم و البطنة فانها مقساة للقلب ومكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد »

٦- وقال عليه السلام : « الشك يطفيء نور القلب »

٧- وقال عليه السلام : « الغضب نار القلوب »

٨- وقال عليه السلام : « إياكم وغلبة الشهوات على قلوبكم فان بدايتها ملكة ونهايتها هلكة »

٩- و قال عليه السلام : « ألا وإن من البلاء الفاقة ، وأشد من الفاقة مرض البدن و أشد من مرض البدن مرض القلب »

١٠- وقال عليه السلام: « أشد القلوب غلاً قلب الحقود »

١١- وقال عليه السلام: « حاربوا هذه القلوب فانها سريعة الدثار »

١٢- وقال عليه السلام: « اللجاج ينتج الحروب ويوغر القلوب »

١٣- وقال عليه السلام: « تجنّبوا تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الأيدى تملكوا أمركم »

١٤- وقال عليه السلام: « شرّ ما القى فى القلب الغلول »

١٥- وقال عليه السلام: « شرّ القلوب الشاك فى ايمانه »

١٦- وقال عليه السلام: « عوّد اذنك حسن الاستماع ولاتصغ إلاّ إلى مايزيد فى صلاح إستماعه فان ذلك يصدى القلوب ويوجب المذامّ »

١٧- وقال عليه السلام: « غير منتفع بالعظات قلب متعلق بالشهوات »

١٨- وقال عليه السلام: « فالله الله عباد الله أن تتردّد وارداء الكبر، فان الكبر مصيدة إبليس العظمى التى يساور بها القلوب مساورة السموم القاتلة »

١٩- و قال عليه السلام: « قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال وحضرتكم كواذب الآمال »

٢٠- و قال عليه السلام: « قد ذهب عن قلوبكم أصدق الأجل و غلبكم غرور الأمل »

٢١- و قال عليه السلام: « قد قادتكم أزمة الحين و استغلقت على قلوبكم أقفال الرين »

٢٢- وقال عليه السلام: « كثرة العداوة عناء القلوب »

٢٣- وقال عليه السلام: « كثرة المال يفسد القلوب و ينسى الذنوب »

٢٤- وقال عليه السلام: « كثرة التقريع يوغر القلوب و يوحش الاصحاب »

٢٥- وقال عليه السلام: « لحب الدنيا صمت الاسماع عن سماع الحكمة و عميت

القلوب عن نور البصيرة »

٢٦- و قال ﷺ : « من تتبّع خفيّات العيوب حرّمه الله سبحانه مودّات القلوب »

٢٧- وقال ﷺ : « مجالسة السفل تضنّ القلوب »



﴿البر وأقسامه﴾

قال الله عزوجل : « إن الابرار لفي نعيم ـ وفي ذلك فليتنا فس المتنافسون»
المطففين : ٢٢ ـ ٢٦)

ان الله تعالى يأمرهنا عباده بالتنافس فيما نال به هؤلاء الابرار من الجنة ونعيمها ، و من المعلوم أنهم لم يتصفوا بالابرار إلاّ بعمل البر ، و أنهم لم ينالوا بنعيم الجنة إلاّ بالعمل ، فلابدلنا من البحث في حقيقة البر وأنواعه على ماورد في القرآن الكريم والروايات الشريفة و كلمات المحققين ،فنعرف الابرار وأعمالهم حتى نتنافس فيما نالوا به في الدار الآخرة بما كسبوا في الحياة الدنيا :

البر ـ بكسر الباء ـ في الأصل : الاتساع في الاحسان . ومنه أخذ البر ـ بفتح الباء ـ : مقا بل البحر. ثم شاع في الصدق والصلاح والطاعة والشفقة والصلة والوفاء بما جعل على نفسه دون الغدر والنكث . . .

البر كلمة جامعة لكل صفات الخير. والبار: كثير الطاعة والعبادة والاحسان و الصدق والعطوفة والخير . . .

جمع البر : الابرار ، و جمع البار : البررة . و كثيراً مايخصّ بالاولياء والزهاد و العبّاد والبر ـ بالفتح ـ من أسماء الله الحسنى و هو جل و علا واسع العطوف والرحمة على عباده ببره ولطفه .

قال الله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ـ ليس البر أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون - و ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون» البقرة: ٤٤ و ١٧٧ و ١٨٩)

وقال تعالى حكاية عن المؤمنين : «ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار» آل عمران : ١٩٣)

وقال : «بأيدى سفرة كرام بررة» عبس : ١٥ و ١٦)

وقال : «انا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم» الطور : ٢٨)

فى قرب الاسناد :باسناده عن الأزدى قال:كان ما كان يوصينا به أبو عبدالله عليه السلام : البر و الصلة .

و فى عيون الاخبار : باسناده عن الامام على بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأس العقل بعد الدين التودّد إلى الناس وإصطناع الخير إلى كل أحد برّ وفاجر .

وفى الخصال: باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إن الصبر والبر والحلم و حسن الخلق من أخلاق الانبياء .

وفى مجالس الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جميل عن أبى عبدالله عليه السلام قال : خيار كم سمحاؤ كم ، وشرار كم بخلاؤ كم ، و من صالح الأعمال البرّ بالاخوان والسعى فى حوائجهم ، وفى ذلك مرغمة الشيطان، وتزحزح عن النيران ، ودخول الجنان ياجميل أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك ، قلت : من غرر أصحابى ؟ قال : هم البارّون بالاخوان فى العسر واليسر ثم قال : أما ان

صاحب الكثير يهون عليه ذلك ومدح الله صاحب القليل فقال : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون »

رواه الطوسى قدس سره فى أماليه والصدوق رحمة الله تعالى عليه فى الخصال.

وفى شرح الحديد : فى الحكم المنسوبة إلى مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام - قال: «البرّ ماسكنت إليه نفسك واطمأنّ إليه قلبك ، والاثم ماجال فى نفسك وتردّد فى صدرك »

وفى قرب الاسناد : باسناده عن سيد الشهداء سبط المصطفى الامام المظلوم الحسين بن على عليهما السلام عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «البر ما طابت به النفس واطمأنّ إليه القلب ، والاثم ماجال فى النفس وتردّد فى الصدر »

وفى تحف العقول :- فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بن أبيطالب عليه السلام -: ياعلى : ثلاث من أبواب البر : سخاء النفس ، و طيب الكلام ، و الصبر على الأذى .. الحديث .

وفى تفسير محاسن التأويل : عن نوّاس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : البر حسن الخلق ، و الاثم ما حاك فى نفسك و كرهت أن يطلع عليه الناس .

وفى مجالس الطوسى قدس سره باسناده عن أبى الحسن الثالث عن آبائه عن الصادق عليه السلام قال : ثلاث دعوات لايحجبن عن الله تعالى :دعاء الوالد لولده إذا برّه ، و دعوته عليه إذا عقّه ، ودعاء المظلوم على ظالمه ، ودعائه لمن انتصر له منه، ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا ، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه وإضطرار أخيه إليه .

وفى البحار: عن كليب الأسدى قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : تواصلوا وتبارّوا وتراحموا ، و كونوا إخوة بررة كما أمركم الله .

وفى الكافى : باسناده عن شعيب العقرقوفى قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام

لأصحابه : اتقوا الله و كونوا إخوة بررة متحابّين في الله ، متواصلين، متراحمين ، تزاوروا ، و تلاقوا ، وتذاكروا أمرنا وأحيوه .

قوله عليه‌السلام : « أمرنا » :إمامتنا ودلائلنا وفضائلنا وصفاتنا ... أوالاعم منها و من رواية أخبارهم ونشر آثارهم و مذاكرة علومهم ،وإحياؤها تعاهدها و نسخها وروايتها وحفظها عن الاندراس . . .

و فيه : باسناده عن عبدالله الكاهلي قال : سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول : تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وتعاطفوا.

و قال بعض الظرفاء من المحققين : سمى البر ـ بفتح الباء ـ برّاً لانه يبر بصلاح المقام فيه خلاف البحر ، ومنه البر ـ بضمّ الباء ـ لانه يبرّ بصلاحه في الغذاء أتم الصلاح ومنه البر ـ بكسرها ـ لانه يوجد بواسع عطوفته وإحسانه على غيره أتم الائتلاف والصلاح ...

ومنهم من قال : ان الفرق بين البرّ والخير : ان البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد ، وأما الخير فلايشترط فيه القصد، وإن وقع عن سهو . وضد البر العقوق وهو الاسائة وتضييع الحقوق وضدّ الخير الشر .

ومنهم من قال: ان الفرق بين البر و الصلة : ان البر سعة الفضل المقصود إليه ، والبر أيضاً يكون بلين الكلام ، وبرّ والده إذا لقاه بجميل القول و الفعل . قال الراجز :

بنى ان البر شيء هين   وجه طليق و كلام لين

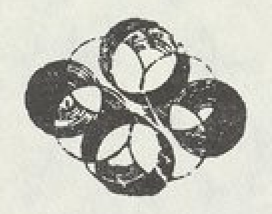
والصلة : البر المتأصل، وأصل الصلة وصلة على فعلة وهي للنوع والهيئة يقال: بار وصول أي يصل برّه فلايقطعه ،وتواصل القوم : تعاملوا بوصول برّ كل واحد منهم إلى صاحبه ، وواصله : عامله بوصول البر . وفي القرآن الكريم : « ولقد وصلنا لهم القول » أي كثرنا وصول بعضه بيعض بالحكم الدالة على الرشد .

ومنهم من قال : ان الفرق بين البر والصدقة : انك تصدق على الفقير لسدّ

خلته ، وتبرّ ذاالحق لاجتلاب مودته ، ومن ثم قيل : برالوالدين ، ويجوزأن يقال: البر هوالنفع الجليل ، ومنه قيل : البر محلاله نفعة ،ويجوز أن يقال: البرسعة النفع و منه فيه البر : الشفقة .

ومنهم من قال : ان الفرق بين البروالخير : ان البرمضمن بجعل عاجل قدقصد وجهالنفع به ، فأماالخير فمطلق حتى لووقع عن سهو لم يخرج عن إستحقاق الصفة به .

ومنهم من قال : ان الفرق بين البروالقربان ان القربان. هوالبر الذى يتقرب به إلى الله تعالى وأصله المصدر مثل الكفران والغفران والشكران .



﴿ آثار البر و علائم الأبرار ﴾

و اعلم أن للبر آثاراً في نفوس الابرار ، و في المجتمع البشري ، وللابرار علائم من طلاقة الوجه و البشاشة وحسن الخلق و الاستسلام ، من الرفق والقول اللين مع عامة الناس وخاصة الجهال ، من الايثار والاحسان بالوالدين و الجيران والاحباء ، من الحياء والعفة والمروّة والوفاء بالعبد وصلة الارحام والصدقة ومجالسة الاخيار ، ومن الصبر في الطاعة والمصائب وعن المعاصي ، والذكر في كل حال ، و تحريض الناس على البر والاحسان ، والشكر ومقابلة الاحسان بالاحسان ...

في تحف العقول : ـ من مواعظ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال ـ : و أما علامة البار فعشرة : يحبّ في الله ، و يبغض في الله ، و يصاحب في الله ، ويفارق في الله ، و يغضب في الله ، ويرضى في الله ويعمل لله ، و يطلب إليه ، و يخشع لله خائفاً مخوفاً ظاهراً مخلصاً مستحيياً مراقباً ويحسن في الله .

و في احقاق الحق : ـ ومن كلام الامام الجواد عليه السلام قال ـ : موت الانسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل ، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن القوم ليكونون فجرة ولايكونون بررة ، فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم و تطول أعمارهم ، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة .

وفيه : باسناده عن إسحق بن عمار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إن صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا أرحامكم وبرّوا

باخوانكم ولو بحسن السلام و ردّ الجواب .

وفيه : باسناده عن محمد بن مروان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله أوصنى فقال : لاتشرك بالله شيئاً و إن حرّقت بالنار وعذّبت إلاّ و قلبك مطمئن بالايمان ، و والديك فأطعهما، و برّهما حيين كانا أو ميتين ، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل فان ذلك من الايمان .

وفيه : باسناده عن منصور بن حازم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت : أىّ الاعمال أفضل ؟ قال : الصلاة لوقتها و برّ الوالدين والجهاد فى سبيل الله .

وفيه : باسناده عن محمد بن مروان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين وميّتين ، يصلّى عنهما ، و يحجّ عنهما ، و يصوم عنهما ، فيكون الذى صنع لهما وله مثل ذلك ، فيزيده الله عزوجل ببرّه وصلته خيراً كثيراً .

وفى شرح الحديد : ـ فى الحكم المنسوبة إلى الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولايردّ القدر إلاّ الدعاء. ولايزيد فى العمر إلاّ البرّ ـ ولايزول قدم إبن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه ؟ و عن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين إكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعما عمل فيم علم ؟ .

وفيه : ـ فيها : من أفضل أعمال البر الجواد فى العسر ، والصدق فى الغضب، والعفو عند القدرة .

وفى الكافى : باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله من أبرّ ؟ قال : امك ، قال : ثم من ؟ قال : امك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أباك .

وفيه : باسناده عن عمار بن حيّان قال : خبّرت أباعبدالله عليه السلام ببرّ إسمعيل

إبنی بی فقال : لقد كنت احبه. وقد ازددت له حباً ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر إليها سرّ بها و بسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثم أقبل يحدّثها و يضحك فی وجهها ، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها ، فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له : يارسول الله صنعت باخته مالم تصنع به و هو رجل؟ فقال : لانها كانت أبرّ بوالديها منه .

وفيه :باسناده عن جابر قال : سمعت رجلاً يقول لأبی عبدالله عليه السلام : إن لی أبوين مخالفين ؟ فقال: برّهما كما تبرّ المسلمين ممن يتولاّنا .

وفيه :باسناده عن عنسبة بن مصعب عن أبی جعفر عليه السلام قال: ثلاث لم يجعل الله عزوجل لاحد فيهنّ رخصة : أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ و الفاجر، و برّ الوالدين برين كانا أو فاجرين .

وفيه :باسناده عن محمد بن سلم عن أبی جعفر عليه السلام قال: إن العبد ليكون باراً بوالديه فی حياتهما ثم يموتان ، فلا يقضی عنهما ديونهما و لايستغفر لهما فيكتبه الله عاقاً ، وانه ليكون عاقاً لهما فی حياتهما غير بار بهما ، فاذا ماتا قضی دينهما و استغفر لهما فيكتبه الله عزوجل باراً .

قال الله تعالی :« لن تنالوا البر حتی تنفقوا مما تحبون » آل عمران : ۹۲)

وقال:« ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس و الله سميع عليم» البقرة :۲۲۴) بأن اليمين الكاذب يمنعكم عن البر و التقوی والاصلاح بين الناس .

وقال:« وتعاونوا علی البر والتقوی ولاتعاونوا علی الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » المائدة: ۲)

و قال فی يحيی بن زكريا وعيسی بن مريم عليهما السلام : «وبراً بوالديه ولم يكن عصياً ـ وبراً بوالدتی ولم يجعلنی جباراً شقياً» مريم: ۱۴ـ۳۲)

و قال : « ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم و العدوان و

معصية الرسول و تناجوا بالبر و التقوى و اتقوا الله الذى إليه تحشرون »
المجادلة : ۹)

وقال :« لاينها كم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من
ديار كم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم ان الله يحبّ المقسطين » الممتحنة :۸)



الابرار و التنافس

فيما نالوا به الى الجنة

قال الله تعالى : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار » آل عمران : ١٩٨)

وقال : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرّونها تفجيراً يوفون بالنذر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً ـ ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً » الانسان : ٥ ـ ٢٢)

فـى تحف العقول : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « من كنوز الجنة البر، وإخفاء العمل ، والصبر على الرزايا ، و كتمان المصائب »

و فى الكافى: باسناده عن إبن أبى عمير عن سيف عن أبى عبدالله عليه السلام قال : يأتى يوم القيامة شيء مثل الكبّة فيدفع فى ظهر المؤمن ، فيدخله الجنة، فيقال : هذا البر .

قولـه عليه السلام : « الكبة »: الدفعة فى القتال والحملة فى الحرب والصدمة .

و فـى احقاق الحق : من كلام الامام الخامس محمد بن على باقر العلوم عليه السلام : « مامن شيء أحب إلى الله عزوجل من أن يسئل، ومايدفع القضاء إلاّ الدعاء وإن أسرع الخير ثواباً البرّ ، وأسرع الشر عقوبة البغى ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس مايعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لايفعله، وأن ينهى الناس

بمالايستطيع التحوّل عنه، وأن يؤذى جليسه بمالايعنيه .

أقول: وفى المقام غرر حكم ودرر كلم عن الامام على عليه السلام نشير إلى نبذة منها

١- قال عليه السلام : « إنالننافس على الحوض ، وانا لنذود عنه أعدائنا ونسقى منه أوليائنا ، فمن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً »

٢- وقال عليه السلام : « تنفّسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق »

٣- وقال عليه السلام : « تنافسوا فى الاخلاق الرغيبة والاحلام العظيمة ،والاخطار الجليلة، يعظم لكم الجزاء »

٤- وقال عليه السلام : « تبادروا إلى محامد الافعال وفضائل الخلال، وتنافسوا فى صدق الاقوال وبذل الاموال »

٥- وقال عليه السلام : « رحم الله امرءاً تورّع عن المحارم ، و تحمّل المغارم ، و نافس فى مبادرة جزيل المغانم »

٦- وقال عليه السلام : « فى الاخلاص (إخلاص الاعمال خ) تنافس اولى النهى و الالباب »

٧- وقال عليه السلام : « كلماعظم قدر الشىء المنافس عليه عظمت الرزيّة لفقده » الرزية : أى المصيبة .

٨- وقال عليه السلام : « لاتنافس فى مواهب الدنيا ، فان مواهبها حقيرة »

٩- وقال عليه السلام : « قدلعمرى يهلك فى لهب الفتنة المؤمن ، ويسلم فيها غير المسلم، قدغاب عن قلوبكم ذكر الأجال، وحضرتكم كواذب الآمال ، قدذهب عن قلوبهم صدق الأجل ، وغلبكم غرور الأمل ، قد ذهب منكم الذاكرون والمتذكرون و بقى الناسون و المتنافسون فى حق قوم ذمهم قد قادتكم أزمة الحين و استغلقت على قلوبكم أقفال الرين .

قدتصافيتم على حبّ العاجل ورفض الآجل ، قد طلع طالع، ولمع لامع و لاح لائح ، واعتدل مائل قدصار دين أحدكم لعقة على لسانه صنيع من فزع من

عمله، وأحرز رضا سيده، قد يكذب الرجل على نفسه عند شدة البلاء بما لم يفعله، قد أمر من الدنيا ما كان حلواً وكدر منها ما كان صفواً.

١٠- وقال عليه السلام: « فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا منها، فان لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير »

١١- وقال عليه السلام: « إذا رأيتم الخير فسارعتم إليه، ورأيتم الشر فتباعدتم عنه، وكنتم بالطاعات عاملين، وفي المكارم متنافسين كنتم محسنين فائزين »



﴿كلمات قصار حول البر و الأبرار﴾

غرر حكم ودرر كلم فى البر و الأبرار عن سيد الأبرار مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال الامام على عليه السلام : « البشر ـ بكسر الباء وسكون الشين ـ أوّل البرّ »

٢ـ وقال عليه السلام : « بشرك أوّل برك ووعدك أوّل عطاءك »

٣ـ وقال عليه السلام : « تعجيل البر زيادة فى البرّ »

٤ـ وقال عليه السلام : « بادر البر فان أعمال البر فرصة »

٥ـ وقال عليه السلام : « برّ الوالدين أكبر فريضة »

٦ـ وقال عليه السلام : « برّوا آباكم يبرّكم أبناءكم »

٧ـ وقال عليه السلام : « حسن الخلق رأس كل برّ »

٨ـ وقال عليه السلام : « خير البر ما وصل إلى الاحرار »

٩ـ وقال عليه السلام : « خير الثناء ماجرى على ألسنة الابرار »

١٠ـ وقال عليه السلام : « خير البر ما وصل إلى المحتاج »

١١ـ وقال عليه السلام : « ان المجاهد نفسه على طاعة الله وعن معاصيه عند الله سبحانه بمنزلة برّ شهيد »

١٢ـ وقال عليه السلام : « خير المعروف ما اصيب به الابرار »

١٣ـ وقال عليه السلام : « البر عمل مصلح »

١٤ـ وقال عليه السلام : « البر عمل صالح »

١٥- وقال عليه السلام : « رحم الله ولداً أعان والديه على برّه ، ورحم الله والداً أعان ولده على برّه ، ورحم الله جاراً أعان جاره على برّه ، ورحم الله رفيقاً أعان رفيقه على برّه ، ورحم الله خليطاً أعان خليطه على برّه »

١٦- وقال عليه السلام : « سنّة الابرار حسن الاستسلام »

١٧- وقال عليه السلام : « البر غنيمة الحازم »

١٨- وقال عليه السلام : « جماع الخير في أعمال البرّ »

١٩- وقال عليه السلام : « إستشعر الحكمة وتجلبب السكينة فانهما حلية الابرار »

٢٠- وقال عليه السلام : « طول الاصطبار من شيم الابرار »

٢١- وقال عليه السلام : « إنما طبائع الابرار طبائع محتملة للخير، فمهما حمّلت منه إحتملته »

٢٢- وقال عليه السلام : « بالبر يملك الحر » قوله عليه السلام : « يملك » مبنيّ للمفعول و« الحر » نائب الفاعل .

٢٣- وقال عليه السلام : « طلاقة الوجه بالبشر والعطية وفعل البر و بذل التحية داع إلى محبة البرية »

٢٤- وقال عليه السلام : « الايثار شيمة الابرار »

٢٥- وقال عليه السلام : « الايثار سجيّة الابرار وشيمة الاخيار »

٢٦- وقال عليه السلام : « أبرّكم أتقاكم »

٢٧- وقال عليه السلام : « أكبر البر الرفق »

٢٨- وقال عليه السلام : « أفضل البر ما اصيب به الابرار »

٢٩- وقال عليه السلام : « أفضل البر ما اصيب به أهله »

٣٠- وقال عليه السلام : « الاسراف مذموم في كل شيء إلاّ في افعال البر »

٣١- وقال عليه السلام : « ان الحياء والعفة من خلائق الايمان وإنهما لسجيّة الاحرار وشيمة الابرار »

٣٢- وقال عليه السلام: «بحسن الوفاء يعرف الابرار»

٣٣- وقال عليه السلام: «عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال وذكر الله فى كل حال»

٣٤- وقال عليه السلام: «عليكم بصنايع الاحسان و حسن البر بذوى الرحم و الجيران فانهما يزيدان فى الاعمار ويعمران الديار»

٣٥- وقال عليه السلام: «الصدقة فى السرّ من أفضل البر»

٣٦- وقال عليه السلام: «حق الله سبحانه عليكم فى اليسر البر و الشكر، وفى العسر الرضا و الصبر»

٣٧- وقال عليه السلام: «زكاة اليسار برّ الجيران وصلة الارحام»

٣٨- وقال عليه السلام: «برّوا أيتامكم وواسوا فقرائكم وارأفوا بضعفائكم»

٣٩- وقال عليه السلام: «أوفر البر صلة الرحم»

٤٠- وقال عليه السلام: «إن أفضل السرّ وبرّ الوالدين صلة الرحم»

٤١- وقال عليه السلام: «برّ الرجل ذوى رحمه صدقة»

٤٢- وقال عليه السلام: «أحق من بررت من لايغفل برّك»

٤٣- وقال عليه السلام: «عند تواتر البر والاحسان يتعبّد الحرّ»

٤٤- وقال عليه السلام: «فى كل برّ شكر»

٤٥- وقال عليه السلام: «لو أن المروّة لم تشتد مؤنتها ولم يثقل محملها ما ترك اللئام للكرام منها مبيت ليلة، ولكنها إشتدّت مؤنتها وثقل محملها، فحاد عنها اللئام الاغمار وحملها الكرام الابرار»

٤٦- وقال عليه السلام: «لسان البر مستهتر بدوام الذكر»

٤٨- وقال عليه السلام: «الصديق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان معيناً على البر و الاحسان»

٤٨- وقال عليه السلام: «خير إخوانك من سارع إلى الخير وجذبك إليه وأمرك

بالبر وأعانك عليه »

٤٩- وقال عليه السلام: « خير الاصحاب أعونهم على الخير وأعملهم بالبر وأرفقهم بالمصاحب »

٥٠- وقال عليه السلام: « لسان البر يأبى شفه الجهال »

٥١- وقال عليه السلام: « من كثر بره حمد »

٥٢- وقال عليه السلام: « البر من أدام الشكر »

٥٣- وقال عليه السلام: « من قرب برّه بعد صيته و ذكره »

٥٤- وقال عليه السلام: « من اتبع الاحسان بالاحسان، واحتمل جنايات الاخوان والجيران فقد أكمل البرّ »

٥٥- وقال عليه السلام: « من برّ والديه برّه ولده »

٥٦- وقال عليه السلام: « من بخل عليك ببشره لم يسمح لك ببره »

٥٧- وقال عليه السلام: « من شيم الابرار حمل النفوس على الايثار »

٥٨- وقال عليه السلام: « من أفضل البرّ برّ الايتام »

٥٩- وقال عليه السلام: « أحمق الناس من يمنع البر ويطلب الشكر ويفعل الشر، ويتوقع ثواب الخير »

٦٠- عليه السلام: « من أفضل الاحسان الاحسان إلى الأبرار »

٦١- وقال عليه السلام: « مع البرّ تدرّ الرحمة »

٦٢- وقال عليه السلام: « معاشرة الابرار توجب الشرف »

٦٣- وقال عليه السلام: « متقى المعصية كعامل البر »

٦٤- وقال عليه السلام: « نفوس الابرار تأبى أفعال الفجار »

٦٥- وقال عليه السلام: « لا تصطنع من يكفر برّك »

٦٦- وقال عليه السلام: « دول الفجار مذلّة الابرار »

٦٧- وقال عليه السلام: « سوء الجوار والاسائة إلى الابرار من أعظم اللؤم »

٦٨- وقال عليه السلام : « لاتصحب الابرار إلاّ نظر ائهم »

٦٩- وقال عليه السلام : « ينبغى للعاقل أن يكثر من صحبة العلماء الابرار ، و يجتنب مقاربة الاشرار والفجار »

٧٠- وقال عليه السلام : «يفتنم مواخاة الابرار وتجنّب مصاحبة الاشرار والفجار»

٧١- وقال عليه السلام : « البرأ عجا، شيء مثوبة »

٧٢- وقال عليه السلام : « الطاعة وفعل البر هما المتجر الرابح »

٧٣- وقال عليه السلام : « أعجل الخير ثواباً البر »

٧٤ - وقال عليه السلام : « إن أسرع الخير ثواباً البر »

٧٥- وقال عليه السلام : « إياك أن تخدع عن دار القرار، ومحلّ الطيبين الاخيار والاولياء الابرار التى نطق القرآن بوصفها وأثنى على أهلها و دلّك الله سبحانه عليها ودعاك إليها »

٧٦- وقال عليه السلام: « إنكم مجازون بأفعالكم فلاتفعلوا إلاّ برّاً»

٧٧- وقال عليه السلام: « إن صبرت أدركت بصبرك منازل الابرار ،وإن جزعت أوردك جزعك عذاب النار »

٧٨- وقال عليه السلام : « إن كان فى الغضب الانتصار ففى الحلم ثواب الابرار»

٧٩- وقال عليه السلام: « نسئل الله سبحانه منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء والابرار »

٨٠- وقال عليه السلام: « دار البقاء محلّ الصديقين وموطن الابرار و الصالحين»

٨١- وقال عليه السلام: « سادة أهل الجنة الاتقياء الابرار »

﴿ حقيقة الضحك و أقسامه ﴾

قال الله عز و جل : « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون - فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » المطففين : ٢٩ - ٣٤)

وقال : « فاتخذ تموهم سخرياً حتى أنسو كم ذ كرى و كنتم منهم تضحكون » المؤمنون : ١١٠)

وقال : « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » النجم: ٥٩-٦٠)

وقال : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون » التوبة : ٨٢)

وقال : « فلما جاءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون » الزخرف : ٤٧)

وقال : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » عبس : ٣٨ - ٣٩)

الضحك : هو تفتح أسرار الوجه عن عجب فى القلب تارة ، وعن سرور فيه تارة اخرى ، فاذا هجم على الانسان منه ما لا يمكنه دفعه يضحك . والضحك : ضدّ البكاء . وان الضحك الذى يبلغ حدّ القهقهة فى الصلاة يبطلها إجماعاً .

وان الضحك على ما يستفاد من الآيات القرآنية ، والروايات الواردة على قسمين:

احدهما - ضحك حسن ممدوح .

ثانيهما - ضحك قبيح مذموم .

وما حقّقه علماء النفس انهم قالوا : ان الضحك على ضربين :

أحدهما - أداة هزء وهراء وسخرية وإزدراء ، ومنشأها إما المال والملك والجاه والاشتهار والرئاسة والقدرة ، و زخارف الدنيا و غرورها ، وإما البسطة فى

الجسم والبطش .

وهذا القسم من الضحك نعيم يشير إليه أكثر الآيات المتقدمة ، وهذا دأب من تلبس بماتقدم من الامور ...

حكى: ان المتوكل قال لأبي العيناء: ان سعيداً إبن عبدالملك يضحك كلما رآك، فقال أبو العيناء :« ان الذين أجرموا من الذين آمنوا يضحكون »

ثانيهما - له فلسفة خاصة تأتى فى طليعة العوامل النفسيّة والبواعث الوجدانية ، و النزعات الانسانية ، وانها مرآت حقيقية لوجه الطبيعة ، و إلاّ لما ضحك الطفل وهو فى شهره الاول، وإنما الضحك غريزة كامنة فى النفوس غريزة السرور والبهجة والحبور هى التى تتحرك وتتجاوب .

ولقد بحث علماء النفس وفلاسفة الاجتماع في بواعث الضحك و فوائده و آثاره وأقسامه ... فأجمعوا على أنه أعظم خصيصة وهبها الله عزو جل للنفس الانسانية وللنفس غير الانسانية أيضاً من بعض الحيوانات ...

وقال بعض علماء النفس :« إذا ابتسم الانسان تحرّكت ثلاث عشرة عضلة فى وجهه ، وإذا غضب تحركت سبع وأربعون عضلة »

ومنهم من قال: «للضحك وظيفتان: إحداهما- فسيولوجية تتعلق بالجسد، والاخرى سيكولوجية تتعلق بالعقل »

وقالوا: ان الضحك يؤثر فى الجسم والعقل معاً، ويساعد على الهضم، وقد يوجب سمنه ويقوّى دورة الدم و يزيد فى إفراز العرق، ويرفع القوة فى كل عضو من أعضاء الجسد ، وإن الضحك مظهر لبعض الغرائز الدفاعية عن النفس ، وذوقية إجتماعية معينة لانه إشارة إلى زوال الخطر ، كل ذلك على حدّ لاإفراط فيه .

وقد أجمع العلماء على القول : ان الضحك خصيصة إنسانية لاتزال أسبابها و دوافعها مجهولة حيث ان الضحك يكون مصحوباً بحركات جسدية معيّنة و لماذا يحدث الضحك عند لمس الابط والخاصرة أو باطن القدم إلى غير ذلك من المواضع

الحسّاسة في الجسم .

وان سريان الضحك لايختص بفرد دون فرد، وفئة دون فئة، أو امة دون امة، ووطن دون وطن، ولغة دون لغة، وذى لون دون ذى لون، بل تشترك فيه الامم جميعهم: نبيّها وحكيمها، مصلحها ومفسدها، فيلسوفها وفقيهها، قائدها وجنديها، تاجرها وعاملها، شاعرها وأديبها، زعيمها وصعلوكها، غنيها وفقيرها، قويها وضعيفها، عالمها وجاهلها، ذكرها وانثاها، وصغيرها وكبيرها ...

و الممدوح من الضحك: مايعنى به المزاح المحبب، و الدعابة البريئة و المرح المتكبر و الاجابة المثيرة و النكتة العفوية المسكتة .

فى الكافى: باسناده عن معمر بن خلاد قال: سئلت أبى الحسن عليه السلام فقلت: جعلت فداك الرجل يكون مع القوم، فيجرى بينهم كلام يمزحون ويضحكون؟ فقال: لابأس مالم يكن، فظننت انه عنى الفحش ثم قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتيه الأعرابى، فيهدى له الهدية ثم يقول: مكانه أعطنا ثمن هديتنا، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا اغتمّ يقول: مافعل الاعرابى ليته أتانا .

وفيه: باسناده عن الفضل ابن أبى قرّة عن أبى عبدالله عليه السلام قال: مامن مؤمن إلاّ وفيه دعابة، قلب: وما الدعابة؟ قال: المزاح .

و فيه: عن يونس الشيبانى قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل قال: فلا تفعلوا فان المداعبة من حسن الخلق، وانك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يداعب الرجل يريد أن يسرّه .

قولـه عليه السلام: «فلا تفعلوا» أى فلا تفعلوا ماتفعلون من قلّة المداعبة بل كونوا على حدّ الوسط .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن محمد الجعفى قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: ان الله عز وجل يحبّ المداعب فى الجماعة بلا رفث. يريد به الفحش من القول أو الكذب.

و فى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «روّحوا القلوب ساعة، فان القلوب

إذا كلت عميت».

و في رواية اخرى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لأمزح ولاأقول إلا حقاً»

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يضحك حتى تبدو نواجده.

وقال الامام على عليه السلام: «من كانت فيه دعابة فقد برىء من الكبر»

قال الشاعر:

إنما الناس منا	حسن خلق و مزاح
ولناما كان فينا	من فساد أوصلاح

فلابأس بالمزاح من غير ريبة،فان المزاح والمضاحكة والدعابة والمفاكهة مالم تكن أداةهزء وهراء وسخرية وإزدراء ليست بحرام ، وماهو حرام و مذموم ما يغني به الاستهزاء والسخرية والتكذيب ... و كذلك كثرة الضحك ذميمة .

في أمالي الصدوق :رضوان الله تعالى عليه باسناده عن طلحة بن زيد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كثرة المزاح تذهب بماء الوجه، و كثرة الضحك تمحو الايمان .

وفي نهج البلاغة :قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «ولاتكثرنّ الضحك فان كثرته تميت القلب»

و في الكافي :باسناده عن الحسن بن كليب عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ضحك المؤمن تبسّم.

وفيه :باسناده عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «القهقهة من الشيطان»

و فيه:باسناده عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كثرة الضحك تميت القلب وقال: كثرة الضحك تميث الدين كما يميث الماء الملح .

فعلينا دعاة الاسلام والمسلمين أن نعلم الذميم من الضحك والمديح منه لكيلا نفرّط ولانفرط فيه ، فنأخذ بالمديح منه ، وهوالذى يطهر النفس : نفس الفرد و نفس الشعوب و هو الذى يملك مفتاح القيم الانسانية و الفهم السليم و الفكر

الواضح ، والمزاح الهادى والنظرة المستنيرة إلى الحياة ، فاضحك وتعلم كيف تضحك وما تضحك وأين تضحك ومتى تضحك ؟؟؟ .

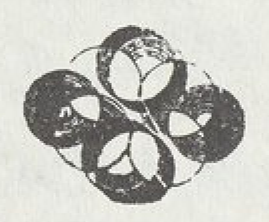
ان الله جل وعلا يقول : « وانه هو أضحك وأبكى » النجم: ٣٣)

ان الله تعالى ماخلق صفة ذميمة كما لم يخلق موصوفاً ذميماً ، وانه سبحانه لايضيف لنفسه القبيح حيث اسند الضحك والاضحاك إلى نفسه ، ولايمن على خلقه بالنقص ...

وهو يقول : « ماخلق الله ذلك إلا بالحق » يونس: ٥)

ويقول : « انا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩)

ويقول : « الذى أحسن كل شيء خلقه » السجدة : ٧)



﴿ضحك و ضحك﴾

في الكافي: عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريا يبكي ولا يضحك، وكان عيسى بن مريم يضحك ويبكي، وكان الذى يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذى كان يصنع يحيى.

وفيه: باسناده عن خالد بن طهمان عن أبي جعفر عليه السلام: إذا قهقهت فقل حين تفرغ: اللهم لاتمقتني.

وفيه: باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان من الجهل الضحك من غير عجب، قال: وكان يقول: لاتبدين عن واضحة، و قد علمت «عملت ظ» الاعمال الفاضحة، ولا يأمن البيات من عمل السيئات.

وفي عيون الاخبار: باسناده عن الرضا عن أبي موسى بن جعفر عليهما السلام قال: قال الصادق عليه السلام: كم ممن كثر ضحكه لاعباً (لاغياً خ) يكثر يوم القيامة بكاؤه وكم من كثر بكاؤه على ذنبه خائفاً يكثر يوم القيامة في الجنة ضحكه و سروره.

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث فيهن المقت من الله: نوم من غير سهر، وضحك من غير عجب، وأكل على الشبع.

و في المجالس: باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان بالمدينة رجل بطّال يضحك الناس، فقال: قد أعياني هذا الرجل أن اضحكه يعني على بن الحسين عليهما السلام.. الحديث وفيه ان على بن الحسين عليه السلام: قال: قولوا له

« ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون » .

وفي الكافي : مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام أو أحدهما قال : كثرة المزاح تذهب بماء الوجه ، وكثرة الضحك تمج الايمان مجاً .

و في المجالس : باسناده عن طلحة بن زيد عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كثرة المزاح تذهب بماء الوجه ، وكثرة الضحك تمحو الايمان » .

وفي مجالس ابن الشيخ: باسناده عن هارون بن عمر بن عبدالعزيز عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه أبي عبدالله عن آبائه عن علي عليهم السلام قال : كان ضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم التبسّم ، فاجتاز ذات يوم بفتية من الأنصار وإذاهم يتحدّثون ويضحكون ملؤا أفواههم، فقال: مه ياهؤلاء من غرّه منكم أمله وقصر به في الخير عمله فليطلع القبور ، وليعتبر بالنشور واذكروا الموت فانه هادم اللذات .

و في قرب الاسناد : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه : أن داود عليه السلام قال لسليمان عليه السلام : يابني إياك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك تترك الرجل فقيراً يوم القيامة .

و في وسائل الشيعة : عن الامام علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء ـ في حديث ـ قال : من تبسّم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة ومن كتب الله له حسنة لم يعذّبه .

و في الفقيه : عن محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق عليه السلام: كفارة الضحك : اللهم لاتمقتني .

﴿ كلمات قصار حول الضحك ﴾

غرر حكم ودرر كلم حول الضحك عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه المقام:

١- قال الامام على عليه السلام: « إحذر الهزل و اللعب ، و كثرة المزح و الضحك والترهات »

٢- و قال عليه السلام: « إياك أن تذكر من الكلام مضحكاً و إن حكيته عن غيرك »

٣- وقال عليه السلام: « خير الضحك التبسّم »

٤- وقال عليه السلام: « كفى بالمرء جهلاً أن يضحك من غير عجب »

٥- وقال عليه السلام: « كثرة ضحك الرجل يفسد وقاره »

٦- وقال عليه السلام: « كثرة الضحك يوحش الجليس ويشين الرئيس »

٧- وقال عليه السلام: « من كثر ضحكه قلّت هيبته »

٨- وقال عليه السلام: « من كثر ضحكه مات قلبه »

٩- وقال عليه السلام: « من كثر ضحكه إسترذل »

١٠- و قال عليه السلام: « و قرّوا أنفسكم عن الفكاهات ومضاحك الحكايات و محال النزاهات »

١١- وقال عليه السلام: « لا تكثرنّ الضحك فتذهب هيبتك ولا المزاح فيستخف بك »

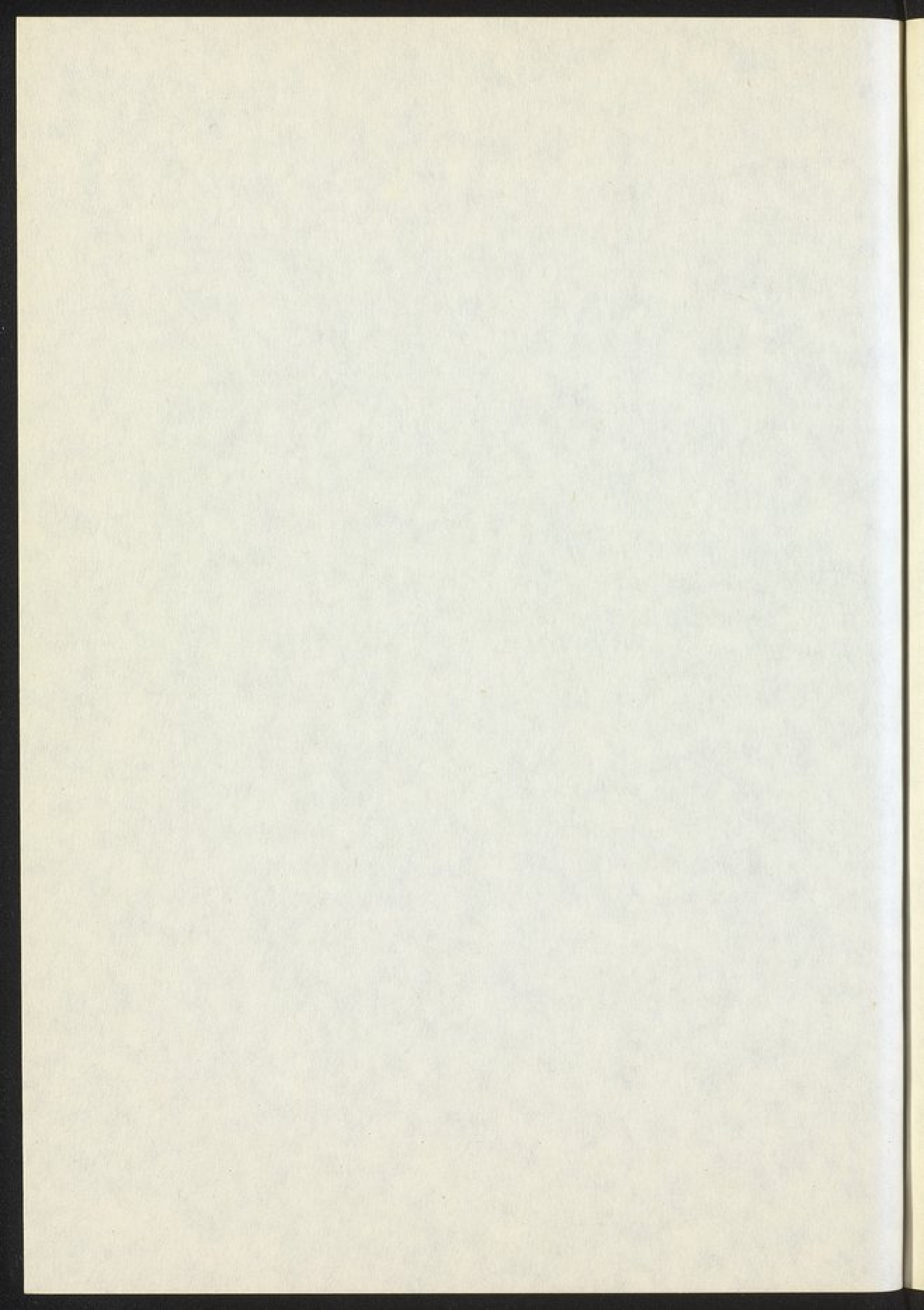
١٢- وقال عليه السلام: « الدنيا ضحكة مستعبر »

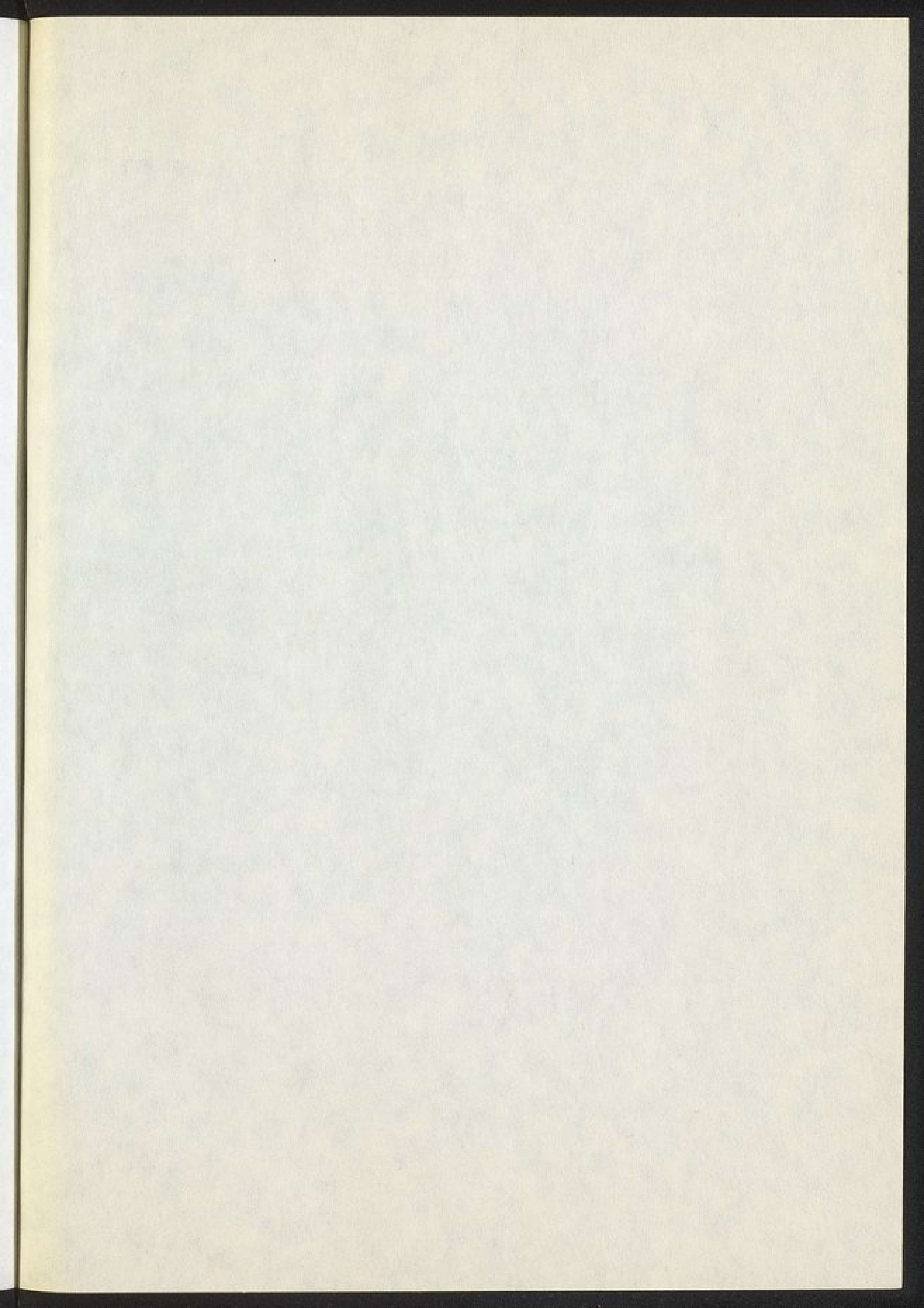
١٣ـ وقال عليه السلام: « ياأباذر إن الرجل يتكلم بكلمة في المجلس ليضحكهم بهافيهوى في جهنم ما بين السماء والارض »

١٤ـ وقال عليه السلام: « لا تكثرن الضحك فان كثرته تميت القلب »

١٥ـ وقال عليه السلام: « ياأباذر ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ويل له »

تمت سورة المطففين والحمدلله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين







سورة الانشقاق مكية وآياتها خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت ﴿١﴾ وأذنت لربها وحقت ﴿٢﴾ وإذا الأرض مدت ﴿٣﴾ وألقت ما فيها وتخلت
﴿٤﴾ وأذنت لربها وحقت ﴿٥﴾ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴿٦﴾
فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴿٧﴾ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴿٨﴾ وينقلب إلى أهله مسرورا ﴿٩﴾
وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴿١٠﴾ فسوف يدعوا ثبورا ﴿١١﴾ ويصلى سعيرا ﴿١٢﴾ إنه كان في أهله
مسرورا ﴿١٣﴾ إنه ظن أن لن يحور ﴿١٤﴾ بلى إن ربه كان به بصيرا ﴿١٥﴾ فلا أقسم بالشفق ﴿١٦﴾ و
الليل وما وسق ﴿١٧﴾ والقمر إذا اتسق ﴿١٨﴾ لتركبن طبقا عن طبق ﴿١٩﴾ فما لهم لا يؤمنون ﴿٢٠﴾ وإذا
قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ﴿٢١﴾ بل الذين كفروا يكذبون ﴿٢٢﴾ والله أعلم بما يوعون
﴿٢٣﴾ فبشرهم بعذاب أليم ﴿٢٤﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴿٢٥﴾

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسين بن أبي العلاء قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من قرأ هاتين السورتين وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة : «إذا السماء إنفطرت» و«إذا السماء إنشقت» لم يحجبه الله من حاجته، ولم يحجزه من الله حاجز ، ولم يزل ينظر إلى الله وينظر الله إليه حتى يفرغ من حساب الناس .

اقول : رواه الطبرسي في المجمع وفيه « لم يحجبه من الله حجاب » بدل « لم يحجبه الله من حاجته » والمجلسي في البحار وفيه « لم يحجبه من الله حاجب » والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة مثل مافي البحار ، والحويزي في نور الثقلين « لم يحجبه الله من حاجة » والبحراني في البرهان مثل مافي البحار .

وذلك ان من قرأ هذه السورة وتدبّر فيما تحويه وجعلها نصب عينيه، فقد كان يوم القيامة ممن يؤتى كتابه بيمينه وكان ممن ينظر الله جل وعلا إليه برحمته الخاصة للمؤمنين ، و ينظر هو إلى رحمة الله تعالى من غير حجب ومنع عن النظر إليها فيحاسب يومئذ حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً .

قال الله عزوجل : « فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً » الانشقاق : ٧ ـ ٩) .

وقال : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » القيامة : ٢٢ و ٢٣) .

وقال : « و إذا سئلك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان

فلستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » البقرة : ١٨٦) .

وقال : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » غافر : ٦٠) .

بخلاف الذين لم يهتدوا بهذا الوحى السماوى ، و اوتى كتابهم يوم القيامة وراء ظهورهم ، فهم يحاسبون حساباً شديداً ، ولا ينظر الله جل وعلا يومئذ إليهم نظر رحمة .

قال الله تعالى : « وأما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً » الانشقاق : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلاّ كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين إلاّ فى ضلال » الرعد : ١٤) .

وقال : « ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » آل عمران : ٧٧) .

وفى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : «من قرأ هذه السورة أعاذه الله تعالى أن يعطى كتابه وراء ظهره ، وان كتبت وعلقت على المتعسرة بولدها أوقرأت عليها وضعت من ساعتها » .

اقول : روى الطبرسى فى المجمع عن أبى بن كعب، والحويزى فى نور الثقلين صدر هذه الرواية .

ولا يخفى على القارىء الخبير ان الرواية مردودة سنداً لمكان ابى ، ولكنها مقبولة متناً لمساس صدرها بما تحويه السورة ، وأما ذيلها فمن غير بعيد أن يكون من خواص السورة لاهل التقوى واليقين مافيه .

الغرض

غرض السورة بيان لما في واقع الانسان من السعي في الحياة الدنيا ، وملاقيه سعيه في الدار الآخرة إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً .

إذ يؤتى كتابه بيده و يحاسب به ، فمن اوتي كتابه بيمينه فيكون حسابه يسيراً هيناً ، ويعود إلى أهله راضياً مسروراً ، ومن اوتي كتابه وراء ظهره فيتمنى الموت ، فلاينا له ويندب حظه ويصلى النار المتسعرة جزاء لماقدمت يداه لماغرّ به في الحياة الدنيا من المال و المقام ، و الاشتهار و الرئاسة ، و من العدد و العدد . . .

و ذلك بعد ذكر التقدمة المشيرة إلى بعض أشراط الساعة و مشاهد يوم القيامة و أهواله : من إنشقاق السماء إنقياداً لأمر ربها وأداءاً لما عليها نحوه من حق الطاعة ، ومن إنبساط الارض وإتساعها و إمتدادها وإنفتاحها لالقائها مافي بطنها من الموتى على ظهرها ، للتأكيد الانذاري والتنديدي للكفار بأنهم ستتبدل حالهم يوم القيامة وينالهم العذاب الأليم دون المؤمنين .

متعقباً بأقسام ربانية للتأكيد والتقريع والانذار على الكافرين ، وبتساؤل إستنكاري يتضمن التنديد عن سبب عنادهم وعدم ايمانهم وعدم تأثرهم بالوحي السماوي ، و السجود لله جل وعلا حينما يسمعون آياته البليغة و عظاته المؤثرة النافعة

و بتقرير لحقيقة أمرهم و الباعث لهم على ذلك و هو تكذيبهم بالبعث و الحساب والجزاء وعلمه تعالى بسرائرهم وحقائق امورهم ، و بأمر النبى الكريم ﷺ بتبشيره إياهم على سبيل الاستهزاء بالعذاب الأليم الذى هو نتيجة تكذيبهم مع البشارة للمؤمنين بأجر لاينقطع ، وهو نتيجة ايمانهم وصالح عملهم .



﴿النزول﴾

سورة «الانشقاق» مكية نزلت بعد سورة « الانفطار » و قبل سورة «الروم».

وهي السورة الثالثة والثمانون نزولاً ، والرابعة والثمانون مصحفاً ، وتشتمل على خمس و عشرين آية ، سبقت عليها/ ٤٤٢٣ آية نزولاً ، و/ ٥٨٨٤ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على/ ١٠٧ كلمة، وقيل : / ١٠٩ كلمة، و على / ٤٣٠ حرفاً ، و قيل : / ٤٣٣ حرفاً و قيل : ٤٣٤ حرفاً ، و قيل : / ٤٤٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « فأما من اوتي كتابه بيمينه » فهو أبو سلمة عبدالله بن عبدالاسود بن هلال المخزومي و هو من بني مخزوم ، « وأما من اوتي كتابه وراء ظهره » فهو أخوه الاسود بن عبد الاسود المخزومي ، فقتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر .

و في جوامع الجامع :روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ ذات يوم : «واسجدواقترب» فسجد هو و من معه من المؤمنين و قريش تصفق فوق رؤسهم ، و تصفر فنزلت أي هذه السورة أو الاية و هي قوله تعالى : « و إذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون »

و في الدر المنثور : عن إبن عباس قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأخلفه قوم

فنزلت « وإذا قرىء القرآن ...»

وفى الجامع لاحكام القرآن : و قال مقاتل : نزلت « بل الذين كفروا يكذّبون » فى بنى عمرو بن عمير و كانوا أربعة ، فأسلم إثنان منهم. وقيل :هى فى جميع الكفار .



«القراءة»

قرأنافع وإبن‌عامر و أبوجعفر و إبن كثير «يصلّى سعيراً بضم الياء و فتح الصادو تشديداللام من باب التفعيل‌مبنياً للمفعول كقوله‌تعالى:« ثم‌الجحيم‌صلّوه» الحاقة : ٣١) وقوله :« وتصلية جحيم» الواقعة : ٩٤) والباقون بفتح الياء وإسكان الصادو تخفيف اللام ثلاثياً مبنياً للفاعل ، فعل لازم و متعد كقوله تعالى:«الذى يصلى النار الكبرى « الاعلى: ٢٢) وقوله :« إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون » يس: ٦٤)

وعن‌عاصم ونافع وإبن كثير أيضاً :« يصلى» بضمّ الياء وسكون الصادو فتح اللام مخففاً ، ثلاثياً ، مبنياً للمفعول .

أقول: ان‌القراءة المشهورة فى‌المصاحف هى‌القراءة الثانية .

وقرأ نافع وأبوعمرو وعاصم وإبن‌عامر :« لتركبن» : بضمّ الباءعلى جمع الفعل خطاباً لأفراد الانسان كلهم ، والباقون بفتحها على إفراد الفعل خطاباً للانسان المتقدم ذكره، أوخطاباً للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورُوعى فيه‌معنى الانسان لان‌المراد به‌الجنس .

﴿الوقف والوصل﴾

«إنشقت لا» للعطف التالي ، و«حقت لا» و«مدت لا»و «تخلت لا» لتراتب العطف ،و«حقت ط» لتمام الكلام بحذف الجواب، أي إذا كانت هذه الأمارات ظهر ماظهر ، و«فملاقيه ج » لتمام الكلام والتفريع الآتي. وقيل : عامل « إذا» فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى كدحه ، فلاوقف إلى قوله :« فملاقيه» وقيل : قوله: «فاما من اوتي» الشرط مع جوابه جواب للشرط الاول، وقوله :« ياأيها الانسان » إلى قوله: «فملاقيه » إعتراض ولاوقف على «يمينه» .

« بيمينه لا » لفاء التفريع الآتية الجزائية ، و« يسيراً لا» للعطف اللازم ، و «مسروراً ط» لتمام الكلام و«ظهره لا» لجواب الشرط ، و«ثبوراً لا» للعطف اللازم، و«سعيراً ط» لتمام الكلام، و«لن يحور ج» لاحتمال تعلق مابعده بما قبله، وعدمه ، و«بلى ج» لاحتمال تعلقه بما قبله و مابعده ، و «بصيراً ط » لتمام الكلام ، و إبتداء التالي بالقسم .

«بالشفق لا» للعطف التالي، و«وسق لا» كالسابق ، و « اتسق لا» لمكان جواب القسم التالي و «طبق ط» لتمام الكلام ، و الاستفهام التالي ، و « لايؤمنون لا ی » لا تصال الكلام،و«ی» علامة العشر وتوضع عند إنتهاء عشر آيات، و«لايسجدون ط» لتمام الاستفهام ، و«يكذبون ز» للآية ، والوصل أولى لان الواو للحال ، و «يوز-عون ز »لفاء التعقيب ، و«أليم لا» للاستثناء التالي .

﴿ اللغة ﴾

٣٥- الشق و الانشقاق - ٨٠٣

شق الشيء يشقه شقاً - من باب نصر نحو مد - : فلقه وصدعه و فرّقه .

قال الله تعالى :« وإذا السماء إنشقت » الانشقاق : ١) أي إنفلقت وتصدعت و إنفجرت وتفرّقت ، وإنشقاقها من أشراط الساعة .

وقال تعالى :«ثم شققنا الارض شقاً » عبس: ٢٦) أي إنفرجت، وإنشق الشيء: إنفلق مطاوع شقه، قال تعالى :« إقتربت الساعة و إنشق القمر » القمر: ١)

ويقال :« شق عصا المسلمين » أي فرّق جمعهم و كلمتهم .

الشق- بكسر الشين- من الانسان : الجانب الواحد وقد يطلق على النصف من كل شيء . والشق : الخرق جمعه الشقوق .

الشقيق : الاخ من الرحم كأنه شق نسبه من نسب أخيه ، و كل ما إنشق بنصفين فكل منهما شقيق الاخر ، والشقيق هو الاخ من الاب والأم ، ومنه الحديث: «أنتم إخواننا وأشقاؤنا »

الشقيقة : الاخت وجمع الشقيق : شقائق .

و تشقق الشيء : تفلق صدوعاً كثيرة قال الله تعالى :« و يوم تشقق السماء بالغمام » الفرقان : ٢٥) أصلها تتشقق .

وإشقق الشيء يشقق أصله تشقق يتشقق فادغمت التاء في الشين ، فجاءت الهمزة لسكون الابتداء قال تعالى :« وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء» البقرة ٧٤)

وشق عليه الامر يشق شقاو مشقة : صعب وفي الحديث :« لولاان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة » أى لولان اثقّل عليهم من المشقة و هى الشدة .

و أفعل التفضيل منه أشق كقوله تعالى : « و لعذاب الاخرة أشق » الرعد : ۳۴)

شققت عليه أشق : أوقعته فى المشقة قال تعالى :« وماار يدان أشق عليك » القصص : ۲۷)

الشق - بالكسر-: نصف الشيءقال تعالى :«لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس» النحل : ۷)

أى بمشقتها و تعبها أوهى من نصف الشيء كأن هذاالجهد ينقص قوة النفس حتى يذهب بنصفها . و فى الحديث : « إتقوا النار و لو بشق تمرة » أى نصف تمرة .

الشقة - بضم الشين - : المسافة الشاقة و السفر الطويل في حديث و فد عبدالقيس : « اناناأتيك من شقة بعيدة » أى مسافة بعيدة قال الله تعالى : « ولكن بعدت الشقة » التوبة : ۴۲)

وشاقه مشاقة وشقاقاً : خالفه وعاداه وحقيقته أن يأتى كل واحد منهما فى شق غير شق صاحبه .

وقال الله تعالى : « ذلك بأنهم شاقوا الله و رسوله » الانفال : ۱۳)

وقال : « وإن تولوا فانما هم فى شقاق » البقرة : ۱۳۷)

وفى رواية: « أعوذبك من الشقاق والنفاق »

فى المفردات : الشق : الخرم الواقع فى شيء يقال : شققته بنصفين الشق : المشقة والانكسار الذى يلحق النفس والبدن .

والشقة - بضم السين - : الناحية التى تلحقك المشقة فى الوصول إليها قال:

« بعدت عليهم الشقة »

والشقة في الاصل: نصف ثوب وإن كان قديسمى الثوب كماهو شقة .

وفي النهاية : الشقاق : تشقق الجلد وهو من الأدواء كالسعال والزكام و السلاق .

وفي الحديث : « النساء شقائق الرجال » أي نظائرهم وأمثالهم في الاخلاق والطباع كانهن شققن منهم ولان حواء خلقت من آدم عليه السلام.

و في اللسان : الشق : الصبح وشق الصبح يشق شقاً : إذا طلع وفي الحديث: « فلما شق الفجران أمرنا باقامة الصلاة »

يقال : شق الفجر وإنشق إذا طلع كأنه شق موضع طلوع وخرج منه . و يقال : شق ناب الصبى إذا طلع وخرج .

و في المجمع : الانشقاق : إفتراق إمتداد عن إلتيام فكل إنشقاق : إفتراق وليس كل إفتراق إنشقاقاً .

وشق علينا الامر - من باب قتل - : إذا صعب ولم يسهل فهو شاق .

وشق ناب البعير : طلع . وشق فلان العصا : فارق الجماعة وإنشقت العصا : تفرّق الامر .

و في القاموس وشرحه : الشق : نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس أو أحد جانبيه .

الشقيقة : الفرجة بين جبلين من جبال الرمل تنبت العشب . والشقائق جمعها.

ومعنى الاشتقاق : أن ينتظم الصيغتين فصاعداً على معنى واحد كلفظة «الله» من أله إذا تحيّر .

١٦- المد- ١٤١٤

مدّ الشيء يمدّه مدّاً - من باب نصر - : بسطه في طول وإتصال فهو ممدود.

وتتفرع منه معان .

١- يقال : مدّ الله الارض : بسطها ومهّدها للعيش عليها وتقلب الانسان و الحيوان فيها . قال الله تعالى : « وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً» الرعد : ٣)

٢- يقال: تمدّ الارض : حين تدنو الساعة وذلك تسوية سطحها وإزالة العوج والارتفاع والانخفاض عنها ، فلايكون فيها وهادو لاجبال .

قال تعالى : « وإذا الارض مدّت » الانشقاق :٣) أى بسطت بأن تزال جبالها و كل اكمه فيها حتى تمتدّ وتنبسط كقوله تعالى : « قاعاً صفصفاً »طه :١٠٦) وقيل : أى انها تمتدّ ويزداد فى سعتها .

٣- يقال : مدّ الله تعالى الظل : بسطه ونشره ولايبقيه لاصقاً بالجرم المظل قال تعالى : « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل » الفرقان :٤٥)

أى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قال : « ولو شاء لجعله ساكنا » أى دائماً بل يتغير أى لاشمس معه . و قيل : أى جعله منبسطاً لينتفع به الناس .

وظل ممدود : سابغ عام . ومال ممدود: كثير كأنما بسط ولم يطو . ويقال : مدّ الله لفلان من العذاب : طوّله له .

٤- يقال : فلان مدعينه إلى الشيء : طمح إليه و نظر إليه نظر راغب فيه متمنّ له و فيه معنى البسط أيضاً قال تعالى : « ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم » طه : ١٣١)

٥ ـ يقال : مدّ فلان زيداً فى أمره : قوّاه عليه وزيّنه له و أكثر ما جاء الامداد فى المحبوب والمدّ فى المكروه.

قال الله تعالى : « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون » الطور : ٢٢) و

هذا من منح الخير .

وقال : « كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً » مريم : ٧٩) وهذا في المكروه والشر .

الامداد: الاعانة والاغاثة والتقوية. ومنه الاستمداد أى طلب المدد و مادة الشيء وهى التى يحصل الشيء معها بالقوة ، وكل شى يكون مددا لغيره و مادة اللغة : مبادى إشتقاق ألفاظها ، ومواد العلم : اصول مسائله ومنه مادة الجرح من القيح .

٦- يقال : مدّ الله تعالى للمذنب :أمهله بطول العمر والتمتع به ولم يعالجه بالعقوبة ،قال الله تعالى : « الله يستهزىء بهم ويمدّهم فى طغيانهم يعمهون» البقرة: ١٥) اى يقويهم بالحلم عليهم و الامهال لهم .

٧- يقال : مدّه : زاده من مثل ماهو فيه يقال : مدّ النهر ومدّ الدواة : زاد فى مدادها وحبرها ،ويقال هذا من مال هذا مال ممدود أى مزيد بالنماء كالزروع والضروع وأصناف التجارة ، ومدّ له من العذاب : زاده منه .

قال الله تعالى :« ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر - يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » لقمان: ٢٧) أى يزيده مما هو فيه .

وقال :« ولو جئنا بمثله مدداً » الكهف : ١٠٩)

ومدّ النهار : إرتفع وطال، ومدّ الدين : أمهل المديون ، ومدّ ظله : أى طال عمره ، ومدّ البحر : إرتفع ماءه ، وهو خلاف الجزر .

٨- يقال : مدّ الشيء : بسطه ممسكا به .

٩- مدّد الشى: بالغ فى بسطه وتطويله . قال تعالى :« انها عليهم مؤصدة فى عمد ممدّدة » الهمزة: ٦)

الامتداد : إنبساط و هو مطاوع ، ويقال : « مدّ الجبل وبالجبل فامتدّ »

التمديد: الامهال في المدة .

١٠ـ المدّة : القطعة من الزمان قلّت أو كثرت قال تعالى :« فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم »التوبة:٤)

١١ـ المداد : السائل يكتب به قال تعالى :« قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر » الكهف : ١٠٩) سمى المداد مداداً لامداده الكاتب فى الكتابة .

١٢ـ المدّ ـ بالضم ـ : مكيال وهو رطلان أهل العراق و رطل وثلث عند أهل الحجاز . وقيل : المدّ هو ملأ كفى الانسان المعتدل إذا ملأهما .

فى المفردات: أصل المدّ : الجرّ و منه المدّة للوقت الممتدّ .

و فى اللسان المدّ : الجذب والمطل ، يقال: فلان يمادّ فلاناً أى يماطله ويجاذبه . وفى الحديث : « إن شاؤا ماددناهم »

وفى البصائر : أصل المد جرّ شىء فى طول وإتصال شىء بشىء فى إستطالة.

وفى الأساس: يقال : هذا ممد الحبل و طراز ممدّد أى ممدود بالاطناب شدّد للمبالغة .

وفى القاموس وشرحه : المداد : المثال والمداد : الطريقة . يقال: بنوا بيوتهم على مداد واحد أى طريقة واحدة .

والمدة : الغاية من الزمان والمكان ويقال: لفلان مدّة فى رياسته أى غاية.

١٢ - الكدح - ١٢٨٥

كدح الرجل يكدحاً ـ ومن باب منع ـ : جدّ فى العمل وبذل فيه جهده وإتعب نفسه خيراً كان أو شراً فهو كادح .

قال الله تعالى : « يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » الانشقاق ٦) أى لاتنفك تجدّ وتعمل إلى أن تلقى ربك فتجزيك لما فعلت .

يقال : فلان إكتدح لعياله : كسب بجدّ وتعب .

والمكادحة : السعي و العمل ومنه في صفات المؤمن « مكادحته أحلى من الشهد » أي عمله وسعيه أحلى من العسل .

في المفردات: الكدح : السعي والعناء .

و في النهاية : الكدوح: الخدوش و كل أثر من خدش أوعضّ فهو كدح، والكدح في غير هذا : السعي والحرص والعمل .

وفي اللسان : كدح لاهله كدحاً : وهو إكتسابه بمشقة ،و كدح وجه أمره: إذا أفسده .

٢- الثبور- ١٩٥

ثبره الله تعالى يثبره ثبوراً - من باب نصر - : أهلكه .

ودعوة الثبور : هي ما ينادى به المخرج الواقع في شدة يرى ان هلاكه أهون عليه من الاستمرار فيها ، وذلك بقوله : و اثبوراه قال الله تعالى : « فسوف يدعوا ثبوراً » الانشقاق : ١١) أي هلاكاً وويلاً وخسراناً .

وثبر فلاناً عن الشيء يثبره ثبراً -من باب نصر أيضاً - : صدّه عنه ومنعه و خيّبه ولعنه وطرده .

ويقال : « ثبّرت فلاناً عن الشيء أثبره » أي رددته عنه .

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لفرعون : « و اني لاظنك يا فرعون مثبوراً » الاسراء : ١٠٢) أي مصروفاً عن الحق

وثبرت القرحة تثبر ثبراً - من باب علم - : إنفتحت ونفخت وسالت مدّتها .

وثابر على الامر : واظب عليه وداومه . يقال : وهو مثابر على التعلّم . الثبار : المواظبة .

الثبرة : الارض السهلة . وقيل : أرض ذات حجارة بيض وذات تراب شبيه

بالنورة يكون بين ظهرى الارض فاذا بلغ عرض النخلة إليه وقف يقال : « لقيت عروق النخلة إليه فردّتها »

وفى المفردات : الثبور : الهلاك والفساد .

وفى اللسان : الثبر : الحبس .

وفى القاموس: وشرحه : الثبر : التخييب واللعن والطرد .

٨٦- الحور - ٣٧٤

حار يحور حوراً وحووراً - من باب قال - : رجع .

يقال : حارت الغصّة حوراً : إنحدرت كأنها رجعت من موضعها .

قال الله تعالى : « انه ظن أن لن يحور » الانشقاق : ١٤) أى لن يرجع ولن يبعث .

المحار : المرجع . ويقال: حوّر الله فلاناً: خيّبه ورجعه إلى نقص ، ويقال: ذهب فلان فى الحوار والبوار أى فى النقصان والفساد .

وحار بعد ماكار : نقص بعدما زاد أوتردد فى الامر بعد المضىّ فيه .

وفى الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أى من النقصان بعد الزيادة. وقيل: أى من فساد الامور بعد صلاحها .

حاوره محاورة راجعه فى الكلام وتحاورا : تراجعا وتجاوبا .

قال الله تعالى : « فقال لصاحبه وهو يحاوره » الكهف : ٣٤)

وقال : « والله يسمع تحاوركما » المجادلة : ١)

وحار الشىء : كسد ، وحار فلان: تحير ، وحار الثوب :غسله وبيّضه الحور: شدة بياض العين مع شدة سوادها ، يقال : حورت عينه تحور حوراً : إذا إشتدّ بياض العين مع شدة سوادها .

إمرأة حوراء لشدة بياضها مع شدّة ملاحتها ، والجمع : حور

قال الله تعالى : حور مقصورات فى الخيام » الرحمن : ٧٢)

الحوارى : الخالص المنقى من كل شيء ، وشاع إستعماله فى الخلصاء للا-نبياء عليهم السلام قال تعالى : « قال الحواريون نحن أنصار الله » آل عمران :٥٢) أى خلصانه و أنصاره ، وأصله من التحوير : التبييض قيل:انهم كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها

فى المفردات: الحور : التردد إما بالذات، و إما بالفكر و حار الماء فى الغدير : تردد وحار فى أمره : تحير .

وفى النهاية : أصل الحور : الرجوع إلى النقص .

وفى اللسان : الحور:الرجوع عن الشيء وإلى الشيء .

وفى المثل : حور فى محار : أى نقصان فى نقصان .

وقال الشاعر : وما المرأ الا كالشهاب وضوئه ـ يحور رماداً بعد إذ هو ساطع) أى يرجع رماداً .

٣٤ - الوسق - ١٦٦٧

وسق يسق وسقاً ـ من باب ضرب نحو وعد ـ : جمع وضم .

قال الله تعالى : « والليل وما وسق » الانشقاق : ١٧ أى ضم و جمع ما كان منتشراً بالنهار من الخلق والدواب والهوام . . .

وذلك ان الليل إذا أقبل يأوى كل إلى مقره ، أو جمعها تحت ظلامه أو وسق: أن يطرد الخلق إلى مقارهم . . .

يقال : وسق الابل ووسقه أيضاً فاستوسق : طرده فاطاع .

إتسق : إجتمع والقمر يتسق بجميع نوره ويستوى أمره، وذلك حين يكون بدراً .

قال الله تعالى : « والقمر إذا اتسق » الانشقاق : ١٨)

يقال : إتسق أمره إتساقاً : إنتظم واستوى .

و في حديث النجاشي : « إستوسق عليه أمر النجاشي » أي إجتمعوا على طاعته وإستقرّ أمر الملك فيه .

الـوسق : ستون صاعاً وهو ثلاثمأة وعشرون رطلاً عند الحجازيين وأربعمأة وثلاثون رطلاً عند العراقيين على إختلافهم في مقدار الصاع والمدّ .

وفي الحديث : « ليس في الحنطة والشعير حتى يبلغ خمسة أوساق »

وفي الحديث: « ليس في الحنطة والشعير حتى يبلغ خمسة أوساق »

في المفردات: الوسق : جمع المتفرّق يقال : وسقت الشي إذا جمعته الوسق قيل : هوستون صاعاً .

وفي النهاية: الوسق : الحمل و كل شيء وسقته فقد حملته .

وفي المجمع : عن الخليل : الوسق : حمل البعير و الوقر : حمل البغل والحمار .

وفي اللسان : إتساق القمر : إمتلاؤه وإجتماعه وإستواؤه ليلة ثلاث عشرة

وقال أبو عبيدة : وماوسق : أي وماجمع من الجبال والبحار والأشجار كأنه جمعها بأن طلع عليها كلها فاذا جلّل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها .

وفي المحيط : الوسيق : المطر لان السحاب يسقه أي يطرده .

٦٢- القمر - ١٢٥٤

قمر السقاء يقمر قمراً ـ من باب علم ـ: بانت أدمته من بشرته .

وقمر الشيء :إشتدّ بياضه وقمر الرجل :تحير بصره من الثلج ولم يبصر فيه أقمر الرجل : إرتقب طلوع القمر .

القمر : الكوكب السيار الذي يقال : يستمد نوره من الشمس و يدور

حول الارض وينيرها ليلاً وجمعه أقمار . ..

قال الله تعالى : « و القمر قدرناه حتى عاد كالعرجون القديم » يس : ٣٩)

وقال : « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » الرعد: ٢)

وقال : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » يونس : ٥)

ويقال : إقمارّ إقميراراً : إبيض وصار بلون القمر .

وتقمّر الرجل : خرج فى القمراء يطلب الصيد والظباء والطير : لصيدها فيها لانه يقمر بصرها فيها .

قمر يقمر قمراً - من باب نصر - : راهن ولعب القمار .

يقال : تقامروا : لعبوا بالقمار . قمرت الرجل : أى لاعبته و غلبته فى القمار

٢- الطبق- ٩١٩

طبق الشيء على شيء يطبق طبعاً وطباقاً - من باب منع - : ساواه ووافقه .

ومن المادى الطبق : غطاء كل لازم عليه، ومنه طبق كل شيء : ماساواه و هذا الشيء طباق هذا .

وطابقه وطبقه وطبيقه ومطبقه أى ساواه .

وطبّق الشيء الشيء : غطاه و طابق بين شيئين : جعل أحدهما فوق الاخر والمصدر طباق والاشياء طباق: أى بعضها على بعض .

قال الله تعالى :« سبع سموات طباقاً» الملك: ٣) أى ذات طباق كل واحد من الطباق طبقة .

قيل: ان السموات متطابقة تمام التطابق للارض وفى هذا التطابق مجال وسيع لبيان ناحيته وجهته .

و فى الحديث : « السماء تطبيق علينا» أى تعمّ بغيمها جميع بقاع الارض

بحيث لا يعلم مطلعها من مغربها ، فلا تعلم جهة القبلة .

يقال: « غيم طبق » أى عام واسع ، ومطر طبق أى عام .

والمطابقة : الموافقة ، والطبق والطبقة : الحال ، والطبق جمع طبقة و هى المفصل ولذلك قيل للذى يصيب المفصل : طبّق فهو مطبّق .

والطبق الذى يؤكل عليه أو فيه والجمع أطباق .

والطبق - بكسر الطاء وسكون الباء وفتحها - من الناس : الكثير وقيل : الجماعة ، ويقال : مضى طبق بعد طبق: أى عالم من الناس بعد عالم و الدهر أطباق : حالات .

وفى شعر العباس : إذا مضى عالم بدا طبق يقولون : إذا مضى قرن بدا طبق أى قرن آخر .

والطبقة : المرتبة يقال للناس : طبقات والناس طبقات أى منازل ودرجات بعضها أرفع من بعض .

وفى المفردات: المطابقة: من الاسماء المتضايفة وهو أن تجعل الشىء فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل . ثم يستعمل الطباق فى الشىء الذى يكون فوق الاخر تارة وفيما يوافق غيره تارة كسائر الاشياء الموضوعة لمعنيين ثم يستعمل فى أحدهما دون الاخر كالكأس والرواية ونحوهما .

وقوله :« لتركبن طبقاً عن طبق » أى يترقى منزلاً عن منزل وذلك إشارة إلى أحوال الانسان من ترقيه فى أحوال شتّى فى الدنيا نحو ما أشار اليه بقوله :«خلقكم من تراب ثم من نطفة »

وأحوال شتى فى الاخرة من النشور والبعث والحساب و جواز الصراط إلى حين المستقرّ فى إحدى الدارين - ويقال لما يوضع عليه الفواكه ولما يوضع على رأس الشىء: طبق .

ولكل فقرة من فقار الظهر : طبق لتطابقها .

وفى النهاية : فى حديث إبن مسعود فى أشراط الساعة : « توصل الاطباق و تقطع الارحام » يعنى بالاطباق البعداء و الأجانب لان طبقات الناس أصناف مختلفة .

وفى المجمع : الطبق غطاء كل شىء واطبقت عليه الحمى أى دامت و مثله أطبق عليه الجنون ـ التطابق : الاتفاق وطابقت بين الشيئين : جعلتهما على حدّ واحدو الزقتهما .

وفى اللسان : الطبق : غطاء كل شىء لازم عليه والجمع : أطباق .

وفى الحديث : « حجابه النور لو كشف طبقه لاحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره »

والمطابق من الخيل والابل و الفرس : الذى يضع رجله موضع يده .

٥٢- الوعاء- ١٦٨٥

وعى الحديث و الخبر يعيه و عياً ـ من باب ضرب نحو وقى ـ : حفظه و حواه وتدبّر فيه .

يقال لصدر الرجل : وعاء علمه و اعتقاده .

قال الله تعالى : « لنجعلها لكم تذكرة و تعيها اذن واعية » الحاقة : ١٢)

الوعاء : الظرف يوعى فيه الشىء ويصان ويحفظ والجمع : أوعية .

قال الله تعالى : « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه » يوسف: ٧٦)

أوعى الشىء يوعيه : حفظه ووضعه فى صواع له .

ويقال : هو يوعى المال أى يكنزه و لاينفق منه فى وجوه البر و يقال : ان المنافق يوعى فى صدره الكفر والنفاق : أى يضمره ويكنّه .

قال الله تعالى : « تدعوا من أدبر وتولى وجمع فاوعى » المعارج : ١٨)

و قال : « بل الذين كفروا يكذبون و الله أعلم بما يوعون » الانشقاق: ٢٣)

فى المفردات: الوعى : حفظ الحديث ونحوه يقال : وعيته فى نفسه .

و **فى النهاية** : يقال: أوعيت الشيء فى الوعاء : إذا أدخلته فيه . ويقال : وعيت الحديث أعيه وعياً فأناواع : إذاحفظته وفهمته .

وفلان اوعى من فلان أى أحفظ وأفهم .

ومنه حديث أبى أمامة : « لايعذّب الله قلباً وعى القرآن » أى عقله ايماناً به وعملا فأمامن حفظ ألفاظه وضيّع حدوده فانه غير واع له .

اقول: بل هو ممن وردفيه : « رب تال القرآن والقرآن يلعنه»

١٤- الأجر- ١٤

أجر فلان فلاناً يأجره أجراً ـ من باب ضرب ونصر ـ : أثابه على عمل .

والأجر : هوجزاء العمل دنيوياً كان أواخر وياً ، يقال : آجره الله على ما فعل: أثابه المأجور : المثاب

قال الله تعالى : « وآتيناه أجره فى الدنيا ـ ولأجر الاخرة خير للذين آمنوا »

وجمع الأجر : أجور

وسميت مهور النساء أُجوراً تجوّزاً قال تعالى: « فمااستمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة » النساء : ٢٤) فالأجور كناية عن مهورهن .

وإن الأجر لايقال إلاّ فى النفع دون الضر بخلاف الجزاء فانه يشملهما .

قال الله تعالى : « و أما من آمن و عمل صالحا فله جزاء الحسنى » الكهف : ٨٨)

و قال : « ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا و اتخذوا آياتى و رسلى هزواً » الكهف : ١٠٦)

والأجرة وهى جزاء العمل فى الدنيا .

يقال: أجرنى يأجرنى : صار أجيراً لى.

قال الله تعالى: « على أن تأجرني ثماني حجج » القصص : ٢٧)

إستاجره : اتخذه أجيراً يخدمه بعوض قال تعالى حكاية عن إحدى ابنتي شعيب عليه السلام: « قالت إحداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين » القصص : ٢٦)

الأجير: من سلّم نفسه بعوض ويكون بمعنى فاعل كنديم وجليس .

الاستئجار : طلب الشيء بالاجرة .

في المفردات : الأجر و الأجرة مايعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو اخروياً .



﴿النحو﴾

١- (اذا السماء انشقت)

إذا» ظرف للاستقبال،يتضمن لمعنى الشرط،و يختص بالدخول على الجملة الفعلية ، ويحتاج إلى جواب، ويقع في الابتداء عكس «إذا» الفجائية، والفعل بعده إماظاهر كقوله جل و علا :« إذاوقعت الواقعة » وإما مقدر كقوله تعالى : « إذا السماء إنشقت » على تقدير : إذاإنشقت السماء .

فالسماء فاعل لفعل مقدر يفسره المذكور و «انشقت » فعل ماض من باب الانفعال ، وتأنيث الفعل لتأنيث السماء مجازاً ،والجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد«إذا» في موضع جرباضافة «إذا» إليها، والتقدير: وقت إنشقاق السماء، و«إذا» في موضع نصب، والعامل فيه جوابه .

وفي جوابه وجوه : أحدها- محذوف ، على تقدير :«بعثتم» أو«جوزيتم» و نحو ذلك ممادل عليه سياق السورة. ثانيها- قوله تعالى:« أذنت» على أن الواو فيها زائدة ، على تقدير : إذاالسماء إنشقت أذنب .

ثالثها - على تقدير : يقال: ياأيها الانسان انك كادح. رابعها - على تقدير : فياأيها الانسان. على حذف الفاء. خامسها-ان قوله جل وعلا :« فأمامن اوتي كتابه بيمينه» هو الجواب .

سادسها - ان«إذا» مبتداء و«إذاالارض» خبره ، والواو زائدة . سابعها - لا جواب لـ«إذا» في المقام . والتقدير : اذكر إذا السماء . . . ثامنها - محذوف يدل

عليه قوله عزوجل : « فملاقيه» أي إذا كان يوم القيامة لقى الانسان عمله . تاسعها ـ
في الكلام تقديم وتأخير أي يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه
إذا السماء انشقت .

٢- (و أذنت لربها وحقت)

الواو للعطف ، و« أذنت » وضمير التأنيث راجع إلى «السماء» و « لربها »
متعلق بـ « أذنت » وضمير التأنيث راجع إلى «السماء » والواو الثانية أيضاً للعطف ،
و « حقت » فعل ماض ، مبنيّ للمفعول ، عطف على « أذنَت » .

٣- (واذا الارض مدت)

الواو للعطف ، و مدخولها عطف على « إذا السماء إنشقت» والكلام فيها،
هو الكلام فيها و« مدت » فعل ماض ، مبني للمفعول .

٤- (وألقت مافيها وتخلت)

الواو للعطف ، و « القت» فعل ماض من باب الافعال ،فاعله ضمير مستتر فيه،
راجع إلى « الارض » و « ما » موصولة في موضع نصب ، مفعول به لـ « القت »
و« فيها » متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول . أي الذي هو كائنة في الارض. و
« تخلت » عطف على « ألقت » و «تخلت » فعل ماض ، من باب التفعيل ، أصله :
تخلّيت .

٥- (وأذنت لربها وحقت)

الكلام فيها هو الكلام في نظيرها السابق فراجع .

٦- (ياأيها الانسان كادح الى ربك كدحا فملاقيه)

« يا » حرف نداء و « أيّ » وصلية ، و« ها » تنبيهية ، و« الانسان »مناد،
و « انك » حرف تأكيد ، وكاف الخطاب في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ،
و «كادح» إسم فاعل ، خبر لحرف التأكيد ، و « إلى ربك » متعلق بـ « كادح » و
« كدحاً » مفعول مطلق لـ « كادح » .

وقيلَ : « إلى » هنا بمعنى اللام . وقيل : متعلق بمحذوف على تقدير: انك
كادح لنفسك صائر إلى ربك كما أن قوله : « وتبتل إليه » على تقدير :تبتل من

الخلق راجعاً إلى الله تعالى أو راغباً إليه .فان الكدح متضمن لمعنى السير لتعديته بـ « إلى » .

«فملاقيه» الفاء للعطف ، ومدخولها ،إسم فاعل من باب المفاعلة، اضيف إلى ضمير المفعول، الراجع إلى « كدحاً» و هو العمل والسعى ، و قيل : راجع إلى الرب على تقدير :ثواب ربك و جزائه .

٧-(فامامن اوتى كتابه بيمينه)

الفاء للتفريع ، و «أما» للتفصيل ، و «من» شرطية ، و «اوتى» فعل ماض ، مبنى للمفعول من باب الافعال ، و فاعله النيابى ضمير مستتر فيه راجع إلى «من » و « كتابه » مفعول ثان ناب مناب المفعول الاول ، و الضمير راجع إلى « من »و « بيمينه » متعلق بفعل الايتاء ، و الجملة فعل الشرط .

٨- (فسوف يحاسب حساباً يسيراً)

الفاء جزائية ، و «سوف» للتسويف ، و« يحاسب »فعل مضارع، مبنى للمفعول من باب المفاعلة ، وفاعله النيابى ضمير ، راجع إلى « من » و«حساباً» مفعول مطلق ، مصدر من باب المفاعلة نحو ضراباً،و« يسيراً» صفة لـ« حساباً » والجملة جزاء الشرط .

٩- (وينقلب الى أهله مسروراً)

الواو للعطف ، و « ينقلب » فعل مضارع من باب الانفعال ، و فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « من » و « إلى أهله » متعلق بـ «ينقلب » و « مسروراً » إسم مفعول ، حال من فاعل الفعل ، على تقدير: مسروراً بذلك .

١٠- (وأما من اوتى كتابه وراء ظهره)

الواو للعطف ،و« أما » عطف على ما تقدم ، و«وراء» منصوب على الظرفية ، متعلق بـ « اوتى » اضيف إلى « ظهره» . وقيل : منصوب بنزع الخافض على تقدير من وراء ظهره .

١١-(فسوف يدعوا ثبوراً)

الفاء للجزاء،و«سوف»للتسويف ،و « يدعوا » فعل مضارع ،وفاعله ضمير مستتر راجع إلى «من» و« ثبوراً »مفعول به لفعل الدعاء،معناه:انه يقول:ياثبوراه فكأنه يدعوه و يقول: يا ثبور تعال فهذا أوانك مثل ما قيل: فى يا حسرتى، و قيل: مصدر من معنى دعوا.

١٢- (ويصلى سعيراً)

الواو للعطف، و « يصلى » فعل مضارع، فاعله ضمير مستترفيه، راجع إلى « من » عطف على « يدعوا » و «سعيراً» مفعول فيه أي يصلى فى السعير.

١٣- (انه كان فى أهله مسروراً)

« انه » حرف تأكيد، والضمير فى موضع نصب، إسمها، راجع إلى « من » فى « من اوتى كتابه وراء ظهره » و «كان» فعل ماض من أفعال الناقصة، و إسمه ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من » و « فى أهله » متعلق بـ « مسروراً » وهو خبر لـ « كان » و الجملة فى موضع رفع، خبر لحرف التأكيد.

(انه ظن أن لن يحور)

«ظن» فعل ماض، و «أن» مخففة من الثقلية، و إسمها محذوف أى أنه لن يحور. وليست « أن » الناصبة للفعل إذ لايجتمع عاملان على كلمة واحدة، و « لن » حرف تأبيد، و « يحور » فعل مضارع، منصوب بـ «لن » والجملة فى موضع رفع،خبر لحرف التأكيد الثانى،والجملة المؤكدة سدّت مسد مفعولى «ظن» والجملة بتمامها فى موضع رفع، خبر لحرف التأكيد الاول.

١٥- (بلى ان ربه كان به بصيراً)

« بلى » حرف جواب، تختص بالنفى، وتفيد إبطاله، سواء كان مجرداً عن إستفهام أوسؤال كقوله تعالى: « انه ظن أن لن يحور بلى ان ربه كان به بصيراً» الانشقاق: ١٤ و ١٥)وقوله جل وعلا حكاية عن الظالمين : « ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون » النحل: ٢٨)وقوله عزوجل: « زعم الذين

كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم » التغابن : ٧)

أم مقروناً بالاستفهام ، حقيقياً كان كقولك: أليس زيد بقائم؟ فيقول المجيب: بلى . أوتوبيخياً كقوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا » الاحقاف: ٣٤) وقوله عزوجل : «أم يحسبون أنالانسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون »الزخرف : ٨٠)

أوتقريرياً كقوله تعالى : «ألست بربكم قالوا بلى شهدنا »الاعراف :١٧٢)

و قوله سبحانه : « أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » البقرة : ٢٦٠)

ولا يخفى على الأديب الأريب : ان النفى مع التقرير أجرى مجرد النفى المجرد فى ردّه ببل . « ان » حرف تأكيد ، و « ربه » إسم لحرف التأكيد ، و الضمير راجع إلى « من » و « به » متعلق بـ «بصيراً » وهوخبر لـ «كان» والجملة خبر لحرف التأكيد ، والجملة المؤكدة جواب .

١٦- (فلااقسم بالشفق)

الفاء تفريعية و «لا» حرف نفى ، و « اقسم » فعل مضارع للمتكلم وحده من باب الافعال ، جاء بالنفى لزيادة التأكيد ، و المراد إثباته ، و قيل : «لا» زائدة اريدبها التأكيد ، و الباء فى «بالشفق» للقسم ، جائت مع فعل القسم ومتعلق به.

١٧- (والليل وما وسق)

الواو للعطف، و « الليل » مجرور بالعطف على « بالشفق» وفى«ما» وجوه: أحدها ـ موصولة بمعنى الذى . ثانيها ـ مصدرية . ثالثها ـ نكرة موصوفة . و « وسق » فعل ماض ، صلة الموصول على الوجه الأول .

١٨- (والقمراذا اتسق)

الواو للعطف ، و « القمر » مجرور بالعطف على « بالشفق » و« إذا » شرطية و«اتسق» فعل ماض من الافتعال ، أصله : إوتسق . والفعل فعل الشرط ولاجزاء له

لمكان جواب القسم .

١٩- (لتركبن طبقاً عن طبق)

اللام للتأكيد ومدخولها فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب، مؤكد بنون الثقيلة ، وأصله : تركبونن ، فحذفت نون الرفع لتوالي الامثال ، و الواو لالتقاء الساكنين ، و «طبقاً» مفعول به ، و«عن طبق» متعلق بمحذوف أي طبقاً حاصلاً عن طبق أي حالاً عن حال . أو «عن طبق» في موضع نصب ، على أنه صفة ل«طبقاً» أي مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في «لتركبن» أي لتركبن طبقاً مجاوزين لطبق أو مجاوزاً ، ويحتمل أن تكون «عن» بمعنى «بعد» أي بعد طبق، والجملة جواب للقسم المتقدم .

٢٠- (فمالهم لايؤمنون)

الفاء للتفريع ، و «ما» إستفهامية إنكارية ، في موضع رفع على الابتداء، و «لهم» متعلق بمحذوف ، وهو الخبر والمعنى : أيّ شيء إستقر لهؤلاء الكفار غير مؤمنين ، وقيل : «ما» إستفهامية تعجيبية أي إعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الآيات ...

و«لايؤمنون» في موضع نصب ، حال لضمير الجمع في «لهم» والضمير راجع إلى الكافرين بقرينة السياق ، وعامل الحال معنى الفعل الذى تعلق به «لهم»

٢١- (واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون)

الواو للعطف ، و «إذا» شرطية ، و«قرىء» فعل ماض ، مبنيّ للمفعول ، و «عليهم» متعلق ب«قرىء» و«القرآن» ناب مناب الفاعل ، و الجملة فعل الشرط و «لايسجدون» في موضع نصب، حال من ضمير الكفار ، و عامل الحال معنى الفعل الذى تعلق به «لهم» .

٢٢- (بل الذين كفروا يكذبون)

«بل» حرف إضراب ، ومعناه إما إبطال لماقبلها كقوله جل وعلا : « و قالوا

اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون » الانبياء : ٢٦) أي بل هم عباد ...و إما إنتقال من غرض إلى غرض آخر كالمقام .

و«الذين» موصولة في موضع رفع على الابتداء ، و« كفروا» صلة الموصول، و«يكذّبون » فعل مضارع من باب التفعيل، لجمع المذكر الغائب، خبر للمبتداء على حذف المفعول أي يكذّبون بالقرآن الكريم أو يكذّبونه.

٢٣- (والله أعلم بمايوعون)

الواو للحال ، و « أعلم» أفعل تفضيل ، و لكن المراد به العلم لله عز و جل إطلاقاً من غير إرادة التفضيل منه، و«بما» متعلق بـ«أعلم» و«ما» موصولة، و«يوعون» فعل مضارع من باب الافعال . وأصله : يوعيون ، فثقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى العين ، بعد حذف كسرها ، فاجتمعت الياء مع الواو الساكنين ، فحذفت الياء لان الواو هيهنا علامة الجمع والعلامة لاتغيّر ولاتحذف، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي يوعونه .

٢٤- (فبشرهم بعذاب اليم)

الفاء تفريعية، و«بشر» فعل أمر من باب التفعيل، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه و آله وسلم ، و «هم» في موضع نصب ، مفعول به ، و « بعذاب » متعلق بـ«بشر» و « أليم» صفة لـ «بعذاب » .

٢٥- (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غيرممنون)

«إلاّ » حرف إستثناء ، وفيه وجهان: أحدهما - أن يكون متصلاً ، وهذا إذا كان الاستثناء من الجنس ، فيكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه ، و يكون «الذين آمنوا ..» في موضع نصب لكونه إستثناء من ضمير «بشرهم» فكأنه قال: إلاّ من آمن منهم .

ثانيهما - أن يكون منقطعاً، فيكون الاستثناء ههنا منقطع الجنس، فالمستثنى

غير داخل في المستثنى منه، فيكون «الذين آمنوا» منصوباً، لان الاستثناء المنقطع منصوب ، والمعنى : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...

و«لهم» متعلق بمحذوف، خبر مقدم، و«أجر» مبتدأ مؤخر، والكلام مستأنف، و «غير ممنون» نعت من «أجر»



﴿ البيان ﴾

١- (اذا السماء انشقت)

تقرير لبعض أشراط الساعة و أعلامها و أهوالها ، وما يقع يوم القيامة من إنقلاب في نظام الكائنات ، وتبدّل في نواميس الوجود ، ومايكون حينذاك .

وقدّم إنشقاق السماء تفخيماً لشأنها ، وفي هول تبدّلها من الشدة مالافي تبدل غيرها، وفي حذف الفعل أولاً ، وإسناده إلى الضمير ثانياً على شريطة التفسير من إفادة التحقق والثبوت لامحالة .

٢- (وأذنت لربها وحقت)

إشارة إلى إنقياد السماء لتأثير قدرة الله جل وعلا ، وفعلها فعل المطاوع الذي إذا امر انصت وأذعن و امتثل ماامر به، وإلى أن هذا الانقياد والامتثال حق عليها لأنها مخلوقة من مخلوقاته، وهي في قبضته ، فان أراد تبديل نظامها فعل، ولم يكن لها أن تعصي إرادته، فلاتمتنع عن قبول ماار يد بها من الانشقاق فعل المأمور المطاع الذي أصغى واستجاب لحديث آمره .

وقيل : هذه كناية عن نهاية طوع السماء لربها ، وعدم تمنعها عن إرادة الله عزوجل وإستجابتها وإنقيادها لربها . أي كأنها سمعت وانقادت لتدبيره تعالى . و هذا توسع.

و في ايثار «حقت» مبنياً للمفعول دلالة على أن حق الانقياد جعل في ذاتها المفتقرة جوهرياً إلى ربها الذي «بيده ناصية كل شيء» و «ملكوت كل شيء» و

«حقت» ولا «حق لها» فان حق الانقياد لايكون منفصلاً عن كيانها ، بل فى جوهر ذاتها ، فلزمتها الطاعة ، وحق عليها الولاء و الخضوع لأمر الله عزو جل ، فان لم تستجب لذلك طوعاً أجابت كرهاً « فقال لها و للارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » : فصلت : ١١)

وقيل : فى «حقت» دلالة على أنها عرفت الحق فانقادت له .

وفى تعرض عنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضمير السماء «لربها» إشعار بعلة الحكم ، وهذه الآيات المنبئة عن كون مانسب إلى السماء من الانشقاق و الاذن و غيرهما تدل على أن ذلك جار بمقتضى الحكمة الالهية كقوله جل وعلا : « أتينا طائعين »

٣ـ (واذا الارض مدت)

إشارة إلى إختلال العالم السفلى إثر تبدّل العالم العلوى عند وقوع الساعة : و فى ايثار «مدت» مبنياً للمفعول دلالة على أن إمتداد الارض من جوهر ذاتها فكما أنها مدّت فى البداية للتعمير : « وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى و أنهاراً» الرعد : ٣)

فكذلك تمدّ فى النهاية للتدمير ، فتبسط بزوال جبالها و نسفها حتى تصير قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً و لا أمتاً ، و تقطّع أوصالها ، و تفقد مابينها من التماسك ...

٤ـ (والقت مافيها وتخلت)

كناية عن خروج الناس من قبورهم، وخروج مافى بطن الارض بأنها تنفتح عمافى باطنها ،فتقذف به إلى سطحها، فلايبقى فيها شىء، وفى ايثار الفعل «تخلّت» من باب التفعل دلالة على أن الارض تخلى مافى بطنها غاية الخلوّ ، كأنها تكلّفت أقصى مايمكنها من الفراغ .

قيل: فى التعبير هنا بلفظ الالقاء «ألقت» إشارة إلى أنها تلفظ مافيها لفظاً كما

يلقى سقط الجنين من بطن امه .

وفى تلخيص البيان : للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال : « و هذه إستعارة ، والمراد بها بعث الموتى وإعادة الرفاة ، و كأن الارض كانت حاملاً بهم ، فوضعتهم أو حاملة لهم، فألقتهم ، فكانوا كالجنين المولود أو الثقل المنبوذ » إنتهى كلامه ورفع مقامه الشريف .

٥- (واذنت لربها وحقت)

وصف للارض فى تبدلها حين وقوع الساعة من إنقيادها لأمر ربها، و أدائها لماعليها من حق الطاعة ، كما أن السماء وصفت بذلك حين إختلال نظامها .

و قيل : لم يذكر جواب « إذا » ليذهب السامع إلى أىّ مذهب ممكن ، فيكون أدخل فى التهويل على المخاطبين ، فكأنه قيل : إذا كان الامر كذا و كذا مماتقدّم ذكره ترون ماعملتم من خير أوشر، فاكدحوا لذلك اليوم تفوزوا بالنعيم .

٦- (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه)

خطاب للانسان فى صدد مصائر الناس يوم القيامة: فكل إنسان ساع فى حياته الدنيا ، و كل ساع ملاق عند ربه نتيجة سعيه ، فالمراد بالانسان الجنس أى ابن آدم ، فخطاب لجميع المكلفين من ولد آدم .

قيل: ان الخطاب للانسان لاالناس و لاالأناسى خطاب شخصى مع كل إنسان إنسان ، و ليدلّ ان الكدح للجميع لاالمجموع ، فكل كادح ، وعلى كل أن يكون كادحاً .

وفى التعبير عن لقاء جزاء العمل «فملاقيه» بلقاءالله تعالى تفخيم لشأنه، و فى عطف «فملاقيه» على « كادح» دلالة على أن غاية هذا السير و السعى والعناء هو الله عز و جل بما أن له الربوبية أى ان الانسان بما أنه عبد مربوب و مملوك مدبّر

ساع إلى الله تعالى بما أنه ربه و مالكه المدبر لأمره ، فان العبد لايملك لنفسه إرادة ولاعملاً فعليه أن يريد ولايعمل إلاّ ماأراده ربه ومولاه وأمره به فهو مسئول عن إرادته وعمله .

ومن هنا يظهر أولاً أن قوله جل وعلا : « انك كادح إلى ربك » يتضمّن حجة على المعاد لماعرفت ان الربوبية لاتتمّ إلاّ مع عبودية ، ولا تتم العبودية إلاّ مع مسئولية ، ولاتتم المسئولية إلاّ برجوع وحساب على الاعمال ، ولايتم الحساب إلاّ بجزاء وثانياً ان المراد بملاقاته إنتهائه الى حيث لاحكم إلاّ حكمه من غير أن يحجبه عن ربه حاجب . وثالثاً ان المخاطب فى الاية الكريمة هو الانسان بما أنه إنسان ، فالمراد به الجنس ، وذلك ان الربوبية عامة لكل إنسان .

ففى ايثار [illegible] الانسان ، والخطاب له على سبيل الافراد ، و فى تعرّض عنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضمير الخطاب للانسان مالا يخفى على القارىء المتأمل الخبير فتدبر جيداً .

٧ـ (فأما من اوتى كتابه بيمينه)

شروع فى كيفية عرض الناس يوم القيامة ، وبيان تفصيلى لاختلافهم يومئذ من حيث الحساب والجزاء ، حسب إختلافهم فى العقيدة و العمل فى الحياة الدنيا ، وقد جاء بهم النظم القرآنى أفراداً لاجماعات كما جاء بأصحاب الشمال أفراداً لان الحساب يومئذ إنما يوم على هذا الوجه وهو أن يحاسب كل إنسان بما عمل لقوله عزوجل : « و كلهم آتيه يوم القيامة فرداً » مريم : ٩٥)

وقدّم وصف مصير المؤمنين على مصير الكافرين أخاذاً من شأنه أن يبعث فى المؤمنين طمأنينة وسروراً وإستبشاراً و رغبة فى صالح الاعمال كماجاء وصف مصير الكفار مفزعاً يثير الخوف ويحمل على الارعواء ، مع إجمال قصة المؤمنين وتفصيل قصة الكافرين ، وان الاجمال مقدم على التفصيل فى الذكر ، وان الترغيب مقدم على التهديد ، والرحمة مقدمة على الغضب ، وان ايتاء الكتاب باليمين أمارة

للملائكة والمؤمنين لكون صاحبه من أهل الجنة ولطفاً للخلق في الاخبار به ، و كناية عن قبول أعماله . . .

وقيل : تفصيل مترتب على مايلوّح إليه قوله تعالى : « انك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » ان هناك رجوعاً وسئوالاً عن الاعمال . . . وحساباً و جزاءاً .

٨-(فسوف يحاسب حساباً يسيراً)

تفريع على ايتاء الكتاب باليمين ، وبيان لعرض عمل المؤمن عليه ، و لعل الفائدة في ايراده أن يكون المؤمن على ثقة وإطمئنان بوعد الله عزوجل ، أو إشارة إلى طول الامتداد بين مواقف ذلك اليوم .

٩-(وينقلب الى أهله مسروراً)

إشارة إلى جزاء من اوتي كتابه بيمينه ، وبيان لما يترتب على يسر الحساب. وتعبير الانقلاب إلى الاهل مستمدّ من مألوو الخطاب الدنيوى .

١- (واما من اوتى كتابه وراء ظهره)

شروع في بيان موقف الكفار ، و تفصيل لاحوالهم يوم القيامة ، وما يؤل إليه أمرهم من الثبور و السعير ، وان ايتاء الكتاب على وراء الظهر أمارة للملائكة و المؤمنين على أن صاحبه من أهل النار ، وعلامة المناقشة في الحساب و سوء المآب .

ومن المحتمل: ان في ايتاء كتاب المجرم وراء ظهره إشارة إلى أنه حين رآى كتابه السواد، وما طلع به عليه من نذر الشؤم و البلاء فرّ منه وطرح يديه وراء ظهره بعيداً عنه حتى لايمسه ولكن أنّى له أن يهرب منه، انه لابد أن يأخذه، فان لم يمدّ يده هو إلى أخذه لحق الكتاب به و تعلق بشماله حيث بلغت مداها من الارتداد وراء ظهره .

وفي هذه الصورة مايكشف عن حركات النفس ويتبعها من حركات ترتسم على الجوارح... ومن هنا يظهر عدم التنافي بين ايتاء كتابه وراء ظهره و ايتائه بشماله

كمافي قوله عزوجل: « وأما من اوتي كتابه بشماله »الحاقة : ٢٥) فمدّ اليسار إلى الكتاب دليل الكراهة ، وأظهر في الدلالة على الكراهة والنفور أن يستدبره، ويعرض عنه فيكون من وراء ظهره لشعوره بأنه ديوان السيئات و سجين المخازى فأمره كيت و كيت .

قيل : إن تسئل : ان الكتاب إذا اوتي وراء ظهره ، فكيف يؤمر بقرائته إذ قال جل وعلا : « إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » الاسراء : ١٤)و هو لا يستطيع ذلك ؟

تجيب : ان مايظهر من قوله تعالى: «أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبا رها »، ساء :٤٧) ان الله عزوجل يطمس وجوه الكفار ،فيردّها على أدبارها يوم القيامة موبة لهم ، فيجعلها وراءهم ، فاذاً يتيسّر لهم قراءة الكتاب فيقرؤنه بلسانهم، و يرون إليه بأعينهم ، ووجوههم مقلوبة إلى قفاهم .

اقول : فتأمل جيداً .

١١- (فسوف يدعوا ثبوراً)

تفريع على ايتاء الكتاب وراء ظهره ، وبيان لمايحلّ بمن اوتي كتابه بيمينه يوم القيامة من تمنّي الموت ، فلاينااله ويندب حظّه ، فيصرخ صرخات الثبور ويولول ولولات الهلاك ، نادياً نفسه ناعياً مصيره،ينادى هلاكه بقوله : و اثبوراه أقبل فهذا أوانك ، فاني لااريد أن أبقى حياً ،وسمّى المواطأة على الشيء مثابرة لانه كأنه يريد أن يهلك نفسه في نفسه ، والنفس تمنعه عن ذلك .

١٢- (ويصلى سعيراً)

بيان لما يترتب على دعائه الثبور ، كيف لايكون منه هذا والنار قد فتحت أبوا بها له ، جزاء بماقدمت يداه في الحياة الدنيا . . . ناراً موجّجة لايقدر قدرها ولايوصف عذابها ، ففي تنكير « سعيراً » إشعار على هولها وفخامة شأنها بحيث لا يكتنه كنهها .

١٣- (انه كان فى أهله مسروا)

مستأنف سيق لبيان سبب ما قبله ، إشارة إلى ماكان عليه هذا المجرم الضال، هذا المستكبر الكافر ، وهذا المستبد الفاجر فى الحياة الدنيا من غرور بنفسه وإعجاب بحاله ، وبما يسوقه إلى المؤمنين من كيد خداع ، من مكر و إستهزاء ومن سخرية وإفتراء ، و بطراً باتباعه لهواه وماناله من متاع الدنيا ، و إنجذاب نفسها إلى زخارفها ، فنسيها ذلك أمر الآخرة ، فكان يضحك للدنيا ، وهى تضحك عليه لاهياً عما يعنيه ، ساهياً عن عاقبة أمره وسوء مصيره فيدخل هذا الباغى الكافر جهنم . ويقاسى حرّ نارها لانه كان فى حياته مغروراً بما كان له من قوة ومال ، وماكان يتمتع به من هدؤ البال والنعم غير حاسب لحساب الآخرة ، و غير راج لنفسه ثواباً ولاخائف عليها عقاباً ، ناعماً بمتاع الدنيا لايهمّه أمر الآخرة ، ولا يتحمّل مشقة التكاليف ، فأبدله الله جل وعلا بسروره غماً لاينقطع ، وقد كان المؤمن مهتماً بأمر الآخرة فأبدله الله تعالى بهمّه سروراً لايزول ولايبيد .

١٤- (انه ظن ان لن يحور)

مستأنف بيانى سيق لتقرير سبب سروره هذا الخاطىء الكافر ، والباغى الفاجر ، بمتاع الدنيا ، وهو التوغل فى الذنوب والآثام و الانهماك فى الشهوات والاوهام الصارفة عن الآخرة الداعية إلى إستبعاد البعث بعد الموت للحساب والجزاء ولا يخفى ان الحور هو: الرجوع إلى المكان بدأ منه مسيرته فى حركة دائرية تصحبه فيها الاضطراب والقلق والحيرة ، وهكذا مسيرة الانسان فى الحياة ، يتحرك فيها على طريق دائرى ينتهى من حيث بدأ ، ويبدأ من حيث إنتهى ، فحياة الاخرة هى إمتداد الحياة الانسان فى هذه الدنيا ، ولو كانت لحياة الدنيا هى غاية حياة الانسان ثم عاد بعدها إلى العدم لكان شأنه فى هذا شأن أحطّ الحيوانات من ديدان و حشرات . . .

و قد خلقه الله عز و جل أكرم مخلوقاته و فضّله على ماسواه ، و من

مقتضى هذا التكريم والتفضيل أن تمتدحياته ، وأن يتصل وجوده ، و أن ينقل من عالم الارض إلى عالم السماء ، ولعل هذاهوبعض السر فى إضافة هذا الانسان إلى « ربه » ففى التعبير عن الحياة بعد الموت بالحور إشارةإلى أنهاردّة إلى حالتها الاولى للجزاء و كمايدور الحائر إلى حيث كان ، فماالحياة إلاّ دائرة يسير عليها الانسان من نقطة حياة التكليف والعمل إلى نقطة الانتهاء:حياة الجزاء ، فنقطتان متلازمتان كأنهما واحدة، ومتشاركتان فى مبدإ الحياة ، ويدور الانسان فيهاعلى محور الشخصية عبر الحوادث والحالات وإلى المنتهى .

ولاحاجة لناعلى حور الحياة من البراهين زيادةعلى واقع الكائنات ، فان الشفق والليل وماوسق والقمر إذا اتسق أدلة كونية تمثل لناحورالحياة ودورها ... والله عزوجل لايقسم بها لفقد البرهان، وإنما هوقسم بشىء من البرهان ، ثم ينفيه موجهاً إلى برهان أعمق ،وتبيان أعرق ، هو أدلة الفطرو العقول ...

١٥- (بلى ان ربه كان به بصيراً)

ردّ لظن هذا الخاطىء ، وجواب بالايجاب لمابعد النفى أى بلى لتتبدّل حاله ، فليس الامر كماظنه ، وإنما هو يبعث بعد الموت للحساب والجزاء ، و يرجع أمره إلى الله جل و علا الذى هو بصير بعباده ، يعلم ما يصلحون له ، و ما يصلح لهم... حين كانت عين الله تعالى مراقبة له ، و بصيرة بـه ، و محصية عليه عمله .

وقوله تعالى : «ان ربه كان به بصيراً» تعليل للرد المذكورفان الله جل وعلا كان ربه المالك المدبّر لأمره و كان يحيط به علماً ، ويرى ما كان من أعماله وقد كلّفه بما كلّف، ولاعماله جزاء ،خيراًأوشراً،فلابدأن يرجع إليه ويجزى بما يستحقه بعمله ، فقوله : « ربه كان بهبصيراً » تحقيق وتعليل لما بعد « ان» كما ان « بلى » ايجاب لما بعد « ان » والمعنى:بلى ليحورن ألبتةلان ربه جل وعلا هو الذى خلقه ، فكان هو به و بأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا يخفى

منها خافية ، فلابد من رجمه وحسابه ، وجزائه عليها حتماً .

١٦- (فلااقسم بالشفق)

أقسام ربانية فى معرض التوكيد و الانذار للكافرين بأنهم سينتقلون من حال إلى حال ، ولا يخفى ان هذه الا قسام المنفية الواردة فى القرآن الكريم إنما يقسم بها على امور واضحة لاتحتاج فى تقرير حقيقتها و توكيد وجودها إلى قسم . . .

فالتلويح بالقسم هنا إشارة إلى أن ما يقسم عليه لايحتاج إلى قسم لمن عنده أدنى نظر و تأمل أو مسكة عقل ، فهو فى الواقع قسم مؤكد بهذا النفى الذى وقع عليه .

١٧- (والليل وماوسق)

إشارة إلى مايحمل الليل من نجوم و كواكب كما أنه يحمل كل هذه الكائنات التى كانت تتحرك بالنهار ، فيضمها إلى جناحه ، ويحملها على صدره كما تحمل الام وليدها . . ولوسق : الحملى الذى يوضع على ظهر الدابة . . . و ان القسم بالليل قسم بجميع المخلوقات لاشتمال الليل عليها ، و ان الليل يجلل بظلمته كل شيء ، فاذا جللها فقد وسقها كقوله تعالى : « فلااقسم بما تبصرون ومالا تبصرون » الحاقة : ٣٨ ـ ٣٩)

فى تلخيص البيان : فى قوله تعالى : « والليل وما وسق » قال : و هذه إستعارة ومعنى « وسق» ههنا أى ضمّ وجمع ، فكأنه يضم الحيوانات الانسية إلى مساكنها والحيوانات الوحشية إلى مو الجها والطيور إلى أوكارها ومواكنها ،فكأنه ضمّ ما كان بالنهار منتشراً أوجمع ماكان متبدداً متفرقاً، والأوساق مأخوذة من ذلك لأنها الاحمال التى يجمع فيها الطعام و مايجرى مجراه، يقال : طعام موسوق أى مجموع فى أوعية ،وقد قيل:ان معنى وسق أى طرد و الوسيقة: الطريدة ،فكأن الليل يطرد الحيوانات كلها إلى مثاويها ، ويسوقها إلى مخافيها» إنتهى كلامه .

١٨- (والقمر اذا اتسق)

إستعارة، فان معنى الاتساق : الاجتماع والانتظام والتكام والاستواء ، فكأن القمر ينتظم نوره بأن ينضمّ إلى بعض، فاكتمل نوره وتبدّر، وذلك فى الليالى البيض : (١٣ و ١٤ و ١٥)من كل شهر .

كمايقال : امورفلان متسقة أى مجتمعة على الصلاح كما يقال : منتظمة.

١٩- (لتركبن طبقاً عن طبق)

خطاب للناس يشير إلى المراحل التى يقطعها الانسان فى مسيره إلى ربه مترتبة متطابقة ، إلتفات من الغيبة إلى الخطاب باعتبار، ومن خطاب الافراد إلى الجمع باعتبار آخر ، و فيها إستعارة على بعض الوجوه، والمراد بها لتنتقلن من حال شديدة إلى حال مثلها من حال الموت وشدته إلى البعث وروعته .

جواب للأقسام المنفية التى لوّح بها ،والتى يخفيها النفى ويظهرها المقام، وفى هذه الاقسام تأكيد لقوله تعالى : « ياأيها الانسان انك كادح . . . » وما بعده من نباء البعث وتوطئة وتمهيد لقوله : «فمالهم لايؤمنون »من التعجيب والتوبيخ، وقوله : « فبشر هم بعذاب أليم » من الانذار والوعيد .

وفى التعبير بالركوب عن التحول من حال إلى حال ،ومن موقف إلى موقف - إشارة إلى أن ذلك لايكون إلا على طريق شاق يلاقى فيه الناس الأهوال و المخاطر . . . انهم ينتقلون من نهار ، كله سعى وعمل إلى ليل بطل فيه ، كل سعى وعمل، وفى الليل يلتقى المهمومون مع همومهم على حين يتناجى السعداء مع آمالهم وأحلامهم ! . . .

ثم انهم ينتقلون من الحياة إلى الموت ، ثم من الموت إلى الحياة ، و من الدنيا إلى الآخرة و ما بعدها من الاحوال . . . و هى رحلة طويلة شاقة يقطعها الانسان فى جهد و عناء متنقلاً من حال إلى حال ، و متقلّباً فى صور مختلفة و منازل متباينة . . .

٢٠- (فمالهم لايؤمنون)

تساؤل إستنكارى يتضمن التنديد عن سبب عنادهم و عدم ايمانهم ، فالفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال القيامة و أهوالها الموجبة للايمان وصالح العمل ، فالمعنى : انه إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين وأى شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته ، وأى مانع لهم .

و فى الاية الكريمة تلوين الخطاب إلى الغيبة لتخصيص التوبيخ إلى من يستحقه ، ولذا ناسب الالتفات الذى فيه من الخطاب إلى الغيبة ، كأن لما رآى انهم لايتذكرون بتذكيره ولايتعظون بعظته أعرض عنهم إلى النبى الكريم ﷺ فخاطبه بقوله : « فما لهم لايؤمنون » .

٢١- (واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون)

إشارة إلى عدم تأثر هؤلاء الكفار المجرمين ، و الفجار المستكبرين ، بهذا القرآن الكريم وعدم السجود لله عزوجل حينما يسمعون آياته البليغة وعظاته المؤثرة ، وإلى مافى قلوبهم من القسوة والنكران ، والعناد و الكبر . . .

فماذا حدث لهم ؟ وأى شيء منعهم حتى صاروا إذا قرىء عليهم القرآن الكريم لايعترفون باعجازه ، وبلوغه الغاية التى لايمكن البشر أن يصلوا إليها ! فامرهم عجيب، فهم أهل لسان وأرباب بلاغة ، وأصحاب براعة . . .وذا يقتضى أن يعلموا إعجازه ، ومتى علموه إستكانوا وخضعوا له ، وأدركوا صحة نبوة الرسول الذى جاء به ، و وجبت عليهم طاعته ، فالاستكبار هو المانع من الايمان به .

ففى الاية إشارة إلى حقيقة أمرهم والباعث لهم على عدم ايمانهم وهو الاستكبار .

وإشارة إلى مافى القرآن الكريم من جلال تعنو له الجباه وتخشع لسلطانه القلوب السليمة ، تقشعر له الجلود إذا تليت على أصحابها آياته . . .

٢٢- (بل الذين كفروا يكذبون)

تقرير لما يترتب على عدم التأثر بالقرآن الكريم من الكفر ، ولما يترتب على الكفر من التكذيب بالقرآن ، على طريق الاضراب عن السؤال المتقدم يستحثهم إلى الايمان وتوقير آيات الله جل و علا و الخشوع بين يديها ، فهذا التحريض لهم لاينفعهم ولايؤثر فيهم لما فيهم من الاستكبار.

فالسبب الاصلى هو الاستكبار بانه الموجب لعدم السجدة و ترك الايمان الذى يتعقب عليه إظهار الكفر الذى يتعقب عليه التكذيب بآيات الله تعالى .

فهم ماداموا مستكبرين لايسجدون لله جل وعلا ولايؤمنون بآياته . . بل يكفرون بها ويستمرّون بالتكذيب ، كما تشير إلى ذلك كلمة الموصول ، وصيغة المضارع «يكذبون» التى تفيد الاستمرار .

والمعنى : ان هؤلاء الكفار والمجرمين ، والفجار والمستكبرين لم يتركوا الايمان والسجود لله تعالى لقصور البيان أولانقطاع من البرهان لكنهم استكبروا ، فتركوا الايمان وأظهروا الكفر واستمروا على التكذيب .

٢٣- (والله أعلم بمايوعون)

تهديد لهؤلاء المستكبرين بآيات الله جل و علا بأن الله تعالى هو أعلم بما يجمعون فى صحف أعمالهم ومافى سرائرهم و ضمائرهم من التكبر والكفر ، من البغى و الضلال ، من التكذيب و الاستهزاء ، و من سوء الافعال و منكر الاقوال . . .

و فى تلخيص البيان: فى قوله تعالى : « والله أعلم بمايوعون » قال : وهذه إستعارة والمراد بهاما يسرّون فى قلوبهم ويكنّون فى صدورهم . يقول القائل : اوعيت هذا الامر فى قلبى أى جعلته فيه كما يجعل الزاد فى وعائه ، ويضمّ المتاع فى عيابه ، و القلوب أوعية لما يجعل فيها من خير أوشر ، وعلم أو جهل وباطل أوحق .

٢٤- (فبشرهم بعذاب اليم)

وعيد على طريق الحكم على الوصف إذفرّع تبشيرهم بالعذاب الأليم على الاستكبار الموجب لترك السجود لله جلّ و علا ، وعدم الايمان قلباً وإظهار الكفر لساناً، وإستمرار التكذيب .

فيترتب مابعد الفاء من بشارة العذاب على ماقبلها من الاستكبار والطغيان .

وفى التعبير بالبشرى عن الانذار بالعذاب الأليم إشارة إلى أنه لاشيء لهؤلاء الضالين المكذبين يبشرون به فى هذا اليوم ، و انهم إذا بشروا بشيء ، فليس إلاّ النار والعذاب الأليم ، وفى هذا تيئيس لهؤلاء الضالين من أيّ خير ! !

ان تسئل: إن البشارة إنما تكون فى الأمر السارّ لاالمكروه إذقال الله تعالى :« لابشرى يومئذ للمجرمين» الفرقان : ٢٢) فكيف الجمع ؟

تجيب :ان هذا من باب التهكم عليهم، والازراء بهم على مافرطوا فى جنب الله سبحانه ، وقد استعملت كلمة «بشرهم» على سبيل الاستهزاء بمواضع عديدة فى القرآن الكريم :

كقوله تعالى:« بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً » النساء: ١٣٨)

وقوله :« وبشر الذين كفروا بعذاب أليم» التوبة: ٣) وغيرهما ...

٢٥- (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غيرممنون)

إستثناء منقطع من ضمير «فبشرهم» لعدم دخول المؤمنين بدواً فى بشارة العذاب

وقوله تعالى :« لهم أجر غير ممنون » مستأنف بيانى سيق لتقرير ما أفاده الاستثناء من إنتفاء العذاب عنهم، ومبيّن لكيفيته ومقارنته لجميل الأجر، و عظيم الجزاء بمااستحقوه من الايمان وصالح الأعمال ...

فكأنه قيل : انك استثنيت المؤمنين الصالحين من بشارة العذاب فما لهم بايمانهم وصالح أعمالهم ؟ قيل: لهم أجر لايصفه الواصفون ، ولايحصيه العادّون ، ولايقدر قدره المجتهدون، أجر لايمنّ به عليهم، وأجر إزاء ايمانهم وصالح أعمالهم ... إزاء صدقهم وصفائهم ، إزاء صلاحهم و فلاحهم ، إزاء أمانتهم و عدالتهم ، إزاء

زهدهم وطاعتهم، وإزاء إجتنابهم عن الكفر والطغيان ، وعن الاستكبار والعصيان ... فلايعطون مجّاناً فيحمل المنة تثقل على المعطى عليه .

وفى ذلك ترغيب فى الايمان والطاعة ، وتحريض على البر و صالح الاعمال ، وزجر عن الكفر والمعصية ، وردع عن الاثم والعدوان .



﴿الاعجاز﴾

ومن المعلوم للمحقق الأريب، و المتدبر البليغ ان بكل سورة من السور القرآنية وجوهاً من الاعجاز ...

ومن وجوه إعجاز هذه السورة إبتداءها بأصوات صارخة مدمدمة تثير الهول والفزع بماتبعث من نذر الهلاك والدمار ، والعذاب والنار ، وبماتحمل من صور الانقلابات الهائلة المروّعة التى تقلب أوضاع هذا الوجود وتبدل نواميس هذا العالم!

و مثل هذه الصواعق المزلزلة كانت تضرب آذان قريش ، فتضطرب لذلك القلوب ، و تهيج النفوس تملأ الآفاق رعباً وفزعاً ، فلا يتنفس أهل مكة منها إلاّ الرعب والفزع ... وهيهات أن تفرّ إنسان من وجه هذا النذير المبين !

فماان تكاد هذه الكلمات تطرق الآذان حتى تنطبع فى كيان سامعها إنطباعاً لتناغم كلماتها وتوازن آياتها وتقابل معانيها ... و إذاهى على كل فم، وفى كل بيت... غناءاً وحداء ونشيداً .. .

فاقرأ السورة و استحضر معها الحرب التى كانت قائمة بين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش و مدّ عينيك إلى متجّه هذه الصواعق المنطلقة حيث تدخل كل بيت من بيوت قريش ، وتقع على كل نادمن أندية القوم ، وتدقّ كل رأس من رؤس الجبابرة والعتاة والطغاة منهم ...أتظن مع هذا أن يقرّ للقوم قرار ويهدأ بال؟

ثم توجّه الخطاب إلى كل فرد من الانسان ، وتصوّر مصائرهم يوم القيامة بحيث كأن كل واحد يرى نفسه فى هذه الحياة الدنيا على مصيره يوم الآخرة ، وقد

خرست الألسنة وخضعت الاعناق ، وانكفأت الرؤس ، وهمد القوم همود الاموات...

وهنا يصدر عن السماء هذا البلاغ المبين يؤذن به محمد رسول الله الخاتم ﷺ في أسماع الدنيا ... فيظل هذا الصوت العلوى الكريم ، قائماً على الحياة ، آخذاً مداره في فلك الزمن يطلع على الأجيال والامم . . . صباحاً ومساءاً . . . بنور الحق ، بقول الحق ، وبرسول الحق :

«أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» الطور: ٣٣ و ٣٤)

ومن وجوه اعجازها اسلوباً قوله تعالى: « فبشرهم بعذاب أليم» الانشقاق: ٢٤)

وذلك ان في إقامة البشرى مقام النذير الذي يقتضيه المقام إعجازاً حيث يستدعى بهذه البشرى ذلك الذين أصم آذانهم عن سماع آيات الله عز وجل ، ومضوا إلى حيث يأخذون مكانهم في مجلس الضحك والاستهزاء واللهو والسرور والضلال ...

ثم ما إن يتوقفون عند سماع كلمة البشرى ، ويفتحون آذانهم لها حتى تحملوا إليهم معها ما يسؤهم فيسمعونه مكرهين .

فقوله جل وعلا : « فبشرهم » هي اليد القوية أمسكت بهم ، و هي المعجزة القاهرة التي آذانهم وألقت فيها بهذا التذير : « بعذاب أليم» وهذا اسلوب من الأساليب البلاغية التي تكشف عن جسامة الامر وقداحة الخطب ، وذلك بوصفه بغير صفته.

﴿التكرار﴾

وقد تكرر قول الله عز و جل : « و أذنت لربها و حقت » : ٢ و ٥)

وهذاليس بتكرار لأن الاول فيصفة السماء والثانى فى صفة الارض ، فاذا اتصل واحد بغيرما اتصل بهالآخر لايكون تكراراً .

قال الله تعالى فى هذه السورة : « بل الذين كفروا يكذّبون » : ٢٢) وقالفى سورة البروج :« بلالذين كفروا فيتكذيب » : ١٩)

رعاية لفواصل الآى مع صحة اللفظ وجودة المعنى ، و ما بلغ الغاية من الدقة :

و ذلك لان الكلام فى سورة الانشقاق عن الأحياء من الكفار فى زمن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فاستعمل القرآن الكريم الفعل المضارع ، دون إقترانه بما يحول معناه إلى الاستقبال دلالة على كفرهم فى الحال ، دون أن يغلق عليهم باب الايمان ، فلوقال فيهذه السورة :« فى تكذيب » لاحتجّوا بالقدر ، وأمافىسورة البروج فالكلام فى الذاهبين من الكفار: « فرعون و ثمود » وقد ثبت كفرهم، و ليس لهم مستقبل حياة ، فاستعمل المصدر الشامل لكل الاوقات . . . ألاترى انه قال فى هذه السورة : « فمالهم لايؤمنون و إذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون » ؟

قال الله جل وعلا في سورة التين : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون » : ٦)

على التعقيب ، فأورد الفاء و الاستيناف أجمع مقدمة ، و قال في سورة الانشقاق : « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » : ٢٥) كما في سورة فصلت : ٨)

بغير الفاء لان الكلام في سورة الانشقاق و فصلت بني على الاستيناف ، فلم يحتج إلى الفاء .

ونحن نشير في المقام إلى صيغ عشر لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة ، و في غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (الشق) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ٢٨ مرة :

٢ـ « « (المدّ) « « « : ٣٢ « :

٣ـ « « (الكدح) « « « : مرتين :

وهما في هذه السورة : ٦)

٤ـ « « (الثبور) « « « : خمس مرات:

١ـ سورة الانشقاق : ١١) ٢ـ ٤ـ سورة الفرقان : ١٣ و ١٤) ٥ـ سورة الاسراء: ١٠٢)

٥ـ « « (الحور) « « « : ١٣ مرة :

٦ـ « « (الوسق) « « « : مرتين :

وهما في هذه السورة : ١٧ و ١٨)

٧ـ « « (القمر) « « « : ٢٧ مرة:

٨ـ « « (الطبق) « « « : أربع مرات:

١ـ٢ـ سورة الانشقاق : ١٩) ٣ـ سورة الملك : ٣) ٤ـ سورة نوح: ١٥)

٩_ « « « « (الوعاء) « : سبع مرات :

١_ سورة الانشقاق: ٢٣) ٢_ سورة يوسف : ٧٦) ٣_ سورة المعارج : ١٨)
٦_ ٧_ الحاقة : ١٢)

١٠_ « « « « (الأجر) « : ١٠٧ مرة :



﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث فى المقام على جهات ثلاث :

احدها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بين هذه السورة وما قبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آى هذه السورة نفسها .

اما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « الانفطار » وقد كان فيها تقرير لعلم النفس البشرية يوم القيامة بما عملت فى الحياة الدنيا من الكفر والايمان ، من الضلالة والهداية ، من التكذيب والتصديق ، من الفساد والصلاح ، من الخيانة والأمانة ومن المعصية و الطاعة . . . و تقرير لضبط الاعمال بواسطة الملائكة الكاتبين ، و تقرير لمصير الأبرار و الفجار يوم القيامة ، فأشار فى هذه السورة إلى أن كل إنسان ملاق لما ساع فى الحياة الدنيا ، فيؤتى كتابه بيده فيحاسب به : إن كان خيراً فخيراً ، و إن شراً فشراً .

واما الثانية : فمناسبة هذه السورة بما قبلها مصحفاً فبامور :

احدها - ان الله جلا وعلا لما ذكر فى سورة « المطففين » أهوال القيامة و أحوال أهلها إفتتح هذه السورة بمثل ذلك ، فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير ، فكل منهما معرض من معارض هذا اليوم المشهود ، فاذا ذهبنا نلتمس مناسبة لترتيبهما كان ذلك أشبه بالتماس المناسبة بين ترتيب الآى فى السورة الواحدة ،

والمناسبة هنا وهناك قائمة أبداً . . .

ثانيها - ان الله تعالى لما ذكر في سورة «المطففين» مقر كتب الحفظة من صحائف أعمال العباد، صالحها وفاسدها ،حقها وباطلها ،خيرها وشرها ...ذكر في هذه السورة عرضها يوم القيامة .

ثالثها - ان الله عزوجل لما أشار في سورة « المطففين » إلى صورة من صور أخلاق بعض التجار و السوقيين تنديداً بهم ، و إلى مصائر الفجار ، و مآل أمر الأبرار يوم القيامة ، و في ختامها لسخرية الكفار بالمؤمنين في الحياة الدنيا ، وإنقلاب الحال في الآخرة، أشار في هذه السورة إلى أن كل إنسان ملاق لما ساع في الحياة الدنيا ، فيؤتى كتابه بيده :

فمن اوتى كتابه بيمينه ، فيكون حسابه سهلاً يسيراً ، و يعود إلى أهله راضياً مسروراً ، ومن اوتى كتابه وراء ظهره ، فتنقلب حاله الدنيوية يوم القيامة إلى أسوء الاحوال . . .

و أما الثالثة : فان هذه السورة لما إبتدأت بذكر التقدمة المشيرة إلى بعض أشراط الساعة و مشاهد يوم القيامة من إنشقاق السماء و أدائها ماعليها من حق الطاعة ، ومن إنبساط الارض وإتساعها و إلقائها ما في بطنها من الموتى ، و قذفها إلى ظهرها ، و أداء ماعليها من حق الطاعة و الانقياد للتأكيد الانذارى و التنديدى للكفار بان ستتبدل حالهم يوم القيامة ، أخذت بماتدور عليه من الغرض، وأن ليس للانسان إلاّ ماسعى ، وان سعيه سوف يرى ان خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، فينقسم الناس حينئذ على فريقين :

فريق المؤمنين الصالحين يحاسبون حساباً يسيراً ، ويرجعون مسرورين إلى أهلهم .

وفريق الكافرين الفاسدين يؤتون كتابهم وراء ظهورهم ، فيدخلون نار

جهنم خالدين فيها ، لانهم الذين كانوا فرحين فى الحياة الدنيا بما يتمتعون به من اللذات والجرى وراء الشهوات . . إذكانوا يظنون أن لابعث و لا حساب و لاجزاء . .

مؤكدة بأقسام ربانية ومتعقبة بتساؤل إستنكارى يتضمن التنديد بهم عن سبب عنادهم وعدم ايمانهم ، وعدم تأثر هم بالقرآن الكريم وترك السجود لله عزوجل، حينما يسمعون آياته البليغة وعظاته المؤثرة ، والنصائح الصانعة . . .

وبتقرير لحقيقة أمرهم و الباعث لهم على ذلك ، وهو الاستكبار المتعقب عليه عدم الايمان ، وترك السجود لله جل وعلا، و إظهار الكفرو تكذيب الحق... و علمه تعالى بسرائر هم وحقائق امورهم . . .

و بأمر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتبشيره إياهم على سبيل الاستهزاء و من باب التهكم ، بالعذاب الأليم كما كانوا هم يستهزؤن بالمؤمنين و يضحكون منهم .

وقيل : ان فى الجمع بين الشفق والليل والقمر مراعاة للمناسبة الزمنية الجامعة بينها . . . فالشفق أول الليل من الافق الغربى ، و القمر أوله من الافق الشرقى ..حيث يكون إتساقه كماله وهو بدر فى الليلة الخامسة عشرة،فالمقسم به الواقع عليه النفى ، هوهذا الظرف من الزمن ، وهوليلة إنتصاف الشهر القمرى، حيث تغرب الشمس و يطلع القمر . . . أو حيث يولّى سلطان الشمس ، و يقوم سلطان القمر . . .

فالظرف الزمنى هنا هو الليل الذى يقوم عليه سلطان القمر ، والليل يمثل الانسان فى جسده الترابى ، المظلم المعتم . . والقمر يمثل الضمير أو الفطرة المركوزة فى هذا الانسان ، والتى يهتدى بها الحق والخير ، حين تظلم شمس العقل ، و تختفى فى ظلمات الحيرة ، و بين سحب الشكوك والريب .

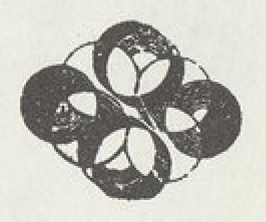
ولهذا وقع القسم على تلك الحال التي يركب فيها الانسان غواشي الضلال، وتلقاه على طريقه المزالق والمعاثر: «لتركبن طبقاً عن طبق» فلا يكون له مفزع حينئذ إلاّ فطرته التي يهتدي بها إلى طريق النجاة كما يفعل الحيوان في تصريف اموره على ما توجهه إليه غريزته . . . فاذا افتقد الانسان فطرته في هذا الموطن كان من الهالكين .

فتأمل جيداً .



﴿الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه﴾

و انى لم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن فى هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً ، فآياتها محكمات والله عزوجل هو أعلم .



تحقيق في الاقوال

٢- (واذنت لربها وحقت)

في الاية الكريمة أقوال : ١-عن إبن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة و الضحاك : أي سمعت و أطاعت في إنشقاقها ، و حق لها أن تأذن بالا نقياد لأمر ربها الذي خلقها ، وتطيع له لانه خلقها .

وهذا من باب التوسع . فكأنها سمعت وإنقادت لتدبير الله جل وعلا ، فان الاذن : الاستماع ، ومنه الاذن لجارحة السمع ، وهو مجاز عن الانقياد والطاعة .

٢- قيل : أي حقق الله عزوجل على السماء الاستماع لأمره بالانشقاق .

٣- قيل : سمعت لربها في إنشقاقها وخرابها الحدّ شكت من وقعة سماعها سماعاً تكوينياً إذ أجابت في إنشقاقها كما أجابته عند تكوينها : « فقال لها و للارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » فصلت : ١١)

٤- قيل: لا يبعد ان الله تعالى يخلق فيها الحياة حتى تطيع وتجيب ما نداها الله عزوجل به من الانشقاق والانفراج والتصدع و التقطع .

فطاعتها بمعنى انها لاتمتنع، ولاتأبى مما أراد الله تعالى بها من الانشقاق ، فتسلمت إذا ورد عليها الامر من ناحيه المطاع ، فهي مطيعة و تسليم ، ففي هذه كناية عن نهاية طوعها لربها وعدم تمنعها عن إرادته عزوجل ، حق لها أن تمتثل لانها مخلوقة من مخلوقاته ، و هي في قبضته ، فان أراد تبديد نظامها فعل ، ولم يكن لها أن تعصى إرادته .

اقول : والاخيرهو الانسب باسلوب السياق .

٣- (واذا الارض مدت)

فى مدّ الارض أقوال : ١- عن إبن عباس و إبن مسعود : أى زيدت فى سعتها كما يمدّ الأديم العكاظى ، فبسطت من غيرأن يبقى عليها بناء ولا جبل ، لأن الاديم إذا مدّ زال كل إنثناء فيه ، و إمتدّ وإستوى ، وذلك لوقوف الخلائق عليها يوم القيامة للحساب والجزاء حتى لايكون لاحدمن البشر إلاّ موضع قدميه لكثرة الخلائق فيها .

٢- عن مقاتل : أى إذا إستوت الارض ، فيزول كل إنثناء عليها ، فلابناء ولاجبل إلاّ دخل فيها .

وذلك انمدّ الارض هوظهورها كالبساط الممدود، فلاترى العين المحلقة بعيداً فوقها جبالاً و لا هضاباً ، و إنما تراها على مستوى واحد لاعوج فيهاو لا أمتاً .

٣- قيل : أى بسطت الارض بزوال جبالها ونسفها ، و فرشت و وسعت و دكّت جبالهاوآكامها حتى تصير كالصحيفةالملساء ، فتمدّ مدّ التدمير فى الغاية كما مدت مد التعمير فى البداية .

اقول : والمعانىمتقارب .

٤- (والقت مافيها وتخلت)

فى الاية الكريمة : أقوال ١- عن مجاهد وقتادة : أى ألقت الارض ما فى بطنها من الموتى والكنوز والمعادن ، وما يتعلق بالانسان من العقائد و الافعال والاقوال . . . وتخلت منها ، أى خلاجوفها ، فليس فى بطنها شىء ، وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقى الحامل مافى بطنها عند الشدة . ٢- عن سعيد بن جبير : أى ألقت الارض ما فى بطنها من الاموات ، تخلت ممن على ظهرها من الأحياء . . .

٣- قيل : أى تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها . ٤- قيل : أى ألقت ماإستودعت وتخلت مما استحفظت لأن الله جلا وعلا إستودعها عباده أحياء وأمواتاً ، و إستحفظها بلاده مزارعة و أقواتاً . . . ٥- قيل أى ألقت ما فى بطنها من كنوزها ومعادنها ، وتخلت مماعلى ظهرها من جبالها و بحارها ...

٦- قيل : أى إنقلبت ظهر بطن الارض على أثر زلزالها و مدّها العنيف ورجفتها الاولى المدمّرة .

٧- قيل: أى ألقت الارض مافى جوفها من الموتى وتخلّت ممافيها من الموتى و الكنوز و المعادن، ومماعلى ظهرها من الجبال والبحار ، وبالغت فى الخلو ممافيها وعليها، فأخرجت كل ذلك إلى ظاهرها، فلم يبق فيها شى،فكأنهاتكلفت أقصى مايمكنها من الفراغ

اقول : والاول هوالمؤيد بالايات الكريمة من غير تناف بينه وبين أكثر الاقوال الاخر ، فتامل جيداً.

٦- (ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه)

فى « الانسان » أقوال : ١- عن قتادة وإبن زيد : أى يابنى آدم . فالمراد من الانسان هو الجنس. ٢ عن مقاتل: اريد بالانسان الاسودبن عبدالاسود ٣- عن إبن عباس: عنى بالانسان ابى ابن خلف ، فانه كان يسعى فى ايذاء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

٤- قيل : عنى بالانسان جميع الكفار أى ياأيها الكافر إنك كادح . ٥- قيل : عنى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أى انك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تكدح فى إبلاغ الرسالة فأبشر انك تلقى الله تعالى بهذا السعى والتعب فيه .

اقول : و الاول هوالمؤيد بالتفصيل الآتى .

وفى قوله تعالى : « كادح إلى ربك كدحاً » أقوال: ١- قيل: الكدح : جهد النفس فى العمل حتى يؤثر فيها ، و غاية هذا السعى والسير والعناء هو الله جل وعلا بما أن له الربوبية أى ان الانسان بما أنه عبد مربوب ومملوك مدبر ساع إلى

الله عزوجل بما أنه ربه ومالكه المدبر لأمره ، فان العبدلايملك لنفسه إرادة ولا عملاً فعليه أن يريد ولايعمل إلاّ ما أراده ربه ومولاه وأمره به ، فهو مسئول عن إرادته وعمله .

٢-قيل: ان الانسان بماهو إنسان مفطور على الجدّ والسعي في هذه الحياة الدينا، فأبداً لاوجود للانسان ولا كيان إلاّ بالجدّ والاجتهاد والتعب والكدح في سبيل العلم والرزق والعبادة والسياسة والتجارة ...و إن إختلفت مراتب الكدح حسب إختلاف الكادحين ، ،و اختلفت أهدافه . . .من الانتفاع لنفسه أو منفعة الآخرين . . . بل لادين ولاأخلاق إلاّ بالكدح و العمل ، قال الله عزوجل : « خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» الملك:٢) الحياة إشارة الى الدنيا والموت إلى الآخرة، ومعنى هذه الاية بالعبارة أو بالاشارة ان الله خلق الانسان كي يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ، ولآخرته كأنه يموت غداً .

وان كل الاعمال التى أحلّ الله تعالى هى عبادة لله جل و علا ، و ان من لايعمل و كلّ على غيره فهو لايستحق الحياة ولا إسم انسان حتى ، و ان تلقّب نفسه أو لقّبه الناس بالعالم والنائب والوزير والزعيم . . .

٣- قيل: أى انك سعياً وعامل عملاً. ٤- عن إبن عباس : أى تعمل عملاً تلقى الله جلا وعلا به خيراً كان أو شراً . ٥-عن قتادة : اى إن كدحك يابن آدم لضعيف فمن إستطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله جل وعلا ، فليفعل ولاقوة إلاّ بالله . ٦ - عن ابن عباس أيضاً : أى انك راجع الى ربك رجوعاً . ٧ - عن القتبى : أى عامل ناصب فى معيشتك إلى لقاء ربك .

اقول : والثاني هوالانسب بظاهر السياق ، والمؤيد بالرواية الآتية .

وفي قوله تعالى : «فملاقيه» أقوال : ١- قيل : أى ملاقى ربك ، على أن الضمير راجع الى الرب ، والمعنى : إلى لقاء ربك ،فالملاقى بمعنى اللقاء أى تلقى ربك بعملك . ٢- قيل : أى انك ستلقى ما عملت من خيراً وشر ، فيجازيك

بعملك ويكافئك على سعيك . ٣- قيل : أى ملاقى عملك . ٤ - قيل : أى تلاقى كتاب عملك لان العمل قد انقضى ، ولهذا قال : « فأما من اوتى كتابه بيمينه ».

٥- قيل : أى أنت ملاقى جزاء عملك،فجعل اقاء جزاء العمل لقاءله تفخيماً لشأنه .

٦- قيل : أى ملاقى كدحك وهو سعيك فى الحياة الدنيا . ٧- قيل : أى صائر إلى حكمه حيث لاحكم إلاّ حكمه من غير أن يحجبه عن ربه حاجب .

اقول : والثانى هو الانسب بالتفصيل الآتى ، وفى معناه السادس .

٧- (فأمامن اوتى كتابه بيمينه)

فى الاية الكريمة أقوال: ١-قيل اريد بهذا الكتاب هنا كتاب الشريعة يؤتاه يمين المؤمنين إذ عاشوه يمين الحياة وركنها فى الدنيا ، ويؤتاه شمال المجرمين أو وراء ظهورهم كما عاشوه هكذا . ٢-قيل: اريد بالكتاب هنا كتاب النجاح يؤتاه أصحاب اليمين بأيمانهم علامة النجاح أو كتاب السقوط يؤتاه أصحاب الشمال بشمائلهم علامة السقوط . ٣- قيل: اريد بالكتاب صحيفة الاعمال التى يكتب فيها الأعمال و العقائد حقها وباطلها ، خيرها وشرها ، صالحها وفاسدها ، ولكل إنسان يوم القيامة موقف يؤتى كتابه بيده إن كان مافيه خيراً فيؤتى بيمينه وإن كان مافيه شراً فبوراء ظهره وشماله .

٤- قيل : اريد بالكتاب الحالة الثابتة من النيات و الاقوال و الافعال بما استنسخها الله عز وجل بأقلام الامواج على صحائف الاجواء والاعضاء وأكناف الارض ... : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » و إذا إستطاع هذا الانسان الضئيل الضعيف أن يستخدم الامواج و تحويل الصور و الاصوات على الشاشات التلفزيونية وأمثالها فلله جل وعلا كتاب لاعمال الانسان فوق هذا الكتاب: «مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها و وجدوا ماعملوا حاضراً» الكهف : ٤٩) .

٥- قيل : إن المراد باتيان الكتاب باليمين أواليسار أو وراء الظهر هو تمثيل و تصوير لحال المطلع على أعماله فى ذلك اليوم . . . فمن الناس من إذا كشف له عمله إبتهج وإستبشر ، وهو التناول باليمين ، و منهم من إذا تكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر وتمنى لو لم تكشف له ، وهذا هو التناول باليسار أو وراء الظهر .

اقول : وعلى الثالث جمهور المحققين ، وهوالمؤيد بالايات الكريمة و الروايات الواردة . . .

٨- (فسوف يحاسب حساباً يسيراً)

فى الحساب اليسير أقوال:١- عن إبن زيد :انه لايناقش المؤمن فى الحساب ولايواقف أصحاب اليمين على ما عملوا من الحسنات و مالهم من الثواب ، و ما حطّ من الاوزار إما بالتوبة أوبالعفو . قال الله تعالى فيهم : « و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب » الرعد : ٢١) وقال : « اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة » الاحقاف : ١٦)

٢- قيل : الحساب اليسير : التجاوزعن السيئات والاثابة على الحسنات ،و من نوقش الحساب عذب ، فالحساب اليسير ماسوهل فيه ، و خلا عن المناقشة .

٣- قيل : اريد بالحساب اليسير : العرض على الموقف فقط،فلا يحقق عليه جميع دقائق أعماله ، فلايلاقى صعوبة فى حسابه ، و لا يحاسب على سيئاته إذ كان هو تارك الكبائر والشهوات ، وتائباً عن الصغائر ، و نادماً عمااقترفه من اللمم ،فتعرض عليه أعماله ليعرف ماعمل به فى الحياة الدنيا ، ثم يثاب عليه .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها فتأمل جيداً .

٩- (وينقلب الى أهله مسروراً)

فى « أهله » أقوال : ١- عن قتادة : أى إلى أزواجه فى الجنة من الحور العين وإلى ما أعدّ الله جل وعلا فيها من النعيم مغتبطاً قرير العين . ٢- قيل :

أى إلى أهله الذين كانوا له فى الحياة الدنيا ليخبر هم بعاقبة أمره ، وخلاصه و سلامته ، ، سواء كانوا هم من أهل الجنة أم لم يكونوا ؟ . ٣- قيل : هم أزواجه وأو لاده وعشائره . . .

فهم عشيرته المؤمنون من ولده و زوجه وذووه الاقربون ممن يدخلون الجنة.

و قد سبقوه إلى الجنة والسرور هو الاعتقاد والعلم بوصول نفع إليه ، أو دفع ضرر عنه فى المستقبل .

وقال قوم :هو معنى فى القلب يلتذّ لأجله بنيل المشتهى يقال :سرّ بكذا من مال أو ولد أو بلوغ أمل فهو مسرور .

٤- قيل : هم أصحاب اليمين من المؤمنين ، و إن لم يكونوا من عشيرته فالمؤمنون إخوة إذ لا أنساب يومئذ إلاّ نسب الايمان وهذا قبل دخول الجنة .

٥- قيل هم وأزواجه من المؤمنات والحور العين والغلمان وغيرهم. . . ٦- قيل: هم أهل المحشر كلهم هاتفاً بكل من يلقاه من أهل المحشر : « هاؤم اقرؤا كتابيه ».

اقول : و الرابع هو المروى من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

١٠- (وأما من اوتى كتابه وراء ظهره)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس و الكلبى : أى يمدّ يده اليمنى ليأخذ كتابه ، فيجذبه ملك ،فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

٢- عن قتادة ومجاهد ومقاتل:أى يفكّ ألواح صدره و عظامه ، ثم تدخل يده و تخرج من ظهره فيأخذ كتابه من وراء ظهره .

٣- قيل : أى يجعل وجهه قفاه فيكون الوجه واللسان وراء ظهره ،فينظر إلى صحيفة عمله بعينه و يقرأها بلسانه ، فيوتى كتابه من جانب ظهره فيأخذه

بشماله كما قال الله عزوجل : «من قبل أن نطمس وجوهاًفنردّها على أدبارها» النساء: ٤٧)

٣ـ ـ : أى تغلّ يده اليمنى إلى عنقه ، وتكون يدهاليسرى خلف ظهره فيأخذبها كتابه .

اقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين .

١٢ـ (ويصلى سعيراً)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن الجبائى : أى يدخل نار جهنم و يصلى بحرّها ويعذّب بها . ٢ـ قيل : أى يصير صلاء النار المسعرة . ٣ـقيل: أى يدخل ناراً مؤججة لايوصف عذابها ولايقدر قدرها .٤ـ قيل: أى يدخل النار المتسعرة، ويقاسى حرّها . ٥ـ قيل : أى يلزم النار معذّباً على وجه التأبيد .

اقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

١٣ـ (انه كان فى أهله مسروراً)

فى الاية الكريمةأقوال : ١ـ قيل : أىان كان فى عشيرتهوأولادهوأزواجه مسروراًبحاله، ومايسوقهإلى المؤمنين من كيد وخدعة،وإستهزاءوسخرية، وبما هو فيه من متاع الدنيا ، غافلاً لاهياً عما يعنيه . ٢ـ قيل : أى انه كان فى أمثاله مسروراً بالكفر والطغيان ، والضلالة والعصيان .و عن الجبائى: انه كان مسروراً بمعاصى الله جل وعلا ولايندم عليها .

٣ـ قيل : انه كان فى أهله ممن يوافقه فى الكفر والمعصية سواء كانوا من أولاده وذوى قرباه و أزواجه أم غير هم من الكفار المجرمين و الفجار المستكبرين .

اقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق فتدبر جيداً .

١٤ـ (انه ظن ان لن يحور)

فى الاية الكريمة أقوال : ١ـ عن إبن عباس ومجاهد و قتادة : أى كان

يعتقد انه لايرجع إلى الله تعالى ولا يعيده بعد موته ، و المعنى : لن يرجع حياً مبعوثاً ، فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب ، يقال : حاريحور إذا رجع ، و منه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «اللهم إني أعوذبك من الحور بعد الكور» يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة .

و قال إبن عباس : ما كنت أدري ما معنى « يحور » حتى سمعت أعرابية تقول : لبنت لها : « حوري » أي إرجعي

٢- قيل : أي ان الكافر ظن أن لايرجع المؤمن في الآخرة إلى خلاف حاله في الحياة الدنيا من السرور والتنعم . ٣- قيل : أي ان الكافر ظن أن لن يهلك . من الحور بمعنى الهلكة .

٤- عن إبن زيد : أي ان الكافر ظن أن لن تتبدل حاله في الحياة الدنيا من السرور والتنعم ولن تتقلب إلى خلاف حاله في الآخرة من الحزن والعذاب.

٥- قيل :أي أن الكافر ظن أن يتردد إلى ربه وإلى عمله، ولن يكدح إلى الله عزوجل ، فلن يلاقيه بعمله .

٦- عن مقاتل: أي ان الكافر حسب في دار التكليف والعمل أن لن يرجع إلى حال الحياة والجزاء ، فارتكب المآثم وإنتهك المحارم وإجترح المعاصي من غير مبالات ، ولايخشى عقاباً ولايرجى ثواباً .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

١٥- (بلى ان ربه كان به بصيراً)

في الاية الكريمة أقوال : ١- عن الكلبي : أي كان الله تعالى بصيراً بهذا بهذا الضال المنكر للبعث من يوم خلقه إلى يوم يبعثه . ٢- قيل أي كان بصيراً بوجوده وعقيدته وأقواله وأعماله ، ومافي قلبه... أن يبعث للحساب والجزاء ، فلا يخفى عليه خافية. ٣- عن الزجاج : أي كان بصيراً به قبل أن يخلقه ، عالماً بان مرجعه إليه . ٤- عن عطاء : أي كان عالماً بماسبق له في ام الكتاب من السعادة

والشقاء .

٥- قيل : أى كان عالماً برجوعه إليه وبأعم ، وأقواله وأفكاره ... ٦- قيل : أى كان هو عين الله تعالى ، مراقبة له ، وبصير ،، ومحصية عليه عمله، وانه بعمله له لبالمرصاد، بصيراً بما فيه من الاعتقاد، ومامنه من الافعال والاقوال . . .

أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٦- (فلااقسم بالشفق)

فى الشفق أقوال : ١-عن إبن باس والكلبى و مقاتل و إبن عمر : الشفق البياض .وان الشفق بقية ضوء الشمس حمرتها، فكأن تلك الرقة من ضوء الشمس. والشفق من الشفقة وهو رقة القلب وك ك الشفق ،وإن التركيب يدل على الرقة ثم ان الضوء من عند غيبة الشمس فى ال ة والضعف. وعن إبن عباس أيضاً : الشفق : البياض بعد الحمرة .

وقيل الشفق هو ضوء النهار المختلط بظلام الليل عند غروب الشمس ، شفق لعنايته المختلطة بالخوف ، وهو الاشفاق فهو الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب خاشع لضوء النهار مرهوب بظلام الليل بين الخوف والرجاء . ٢ - قيل : الشفق هو : الصفرة المشوبة بحمرة تعلو وجه النهار عند الغروب .٣- عن عكرمة: الشفق ما بقى من النهار .

٤ - قيل : الشفق هو : الحمرة فى الافق بعد غروب الشمس ٥ - قيل : الشفق : الحمرة من غير أن تكون مقيدة بالمشرق والمغرب .

٦- عن مجاهد : الشفق : البياض وهو حمرة الافق قبل طلوع الشمس. ٧- قيل: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، فاذا غاب قيل: غاب الشفق . وعن مالك بن أنس : الشفق : الحمرة التى فى المغرب ، فاذا ذهبت فقد خرجت من وقت المغرب و وجبت صلاة العشاء .

٨- عن الجواهرى : الشفق بقية ضوء الشمس و حمرتها فى أول الليل إلى

قريب من العتمة . ۹ ـ عن عكرمة أيضاً : الشفق الذى يكون بين المغرب و العشاء .

۱۰ـ عن مجاهد أيضاً : الشفق : النهار كله لما فى النور من الرقة واللطافة كما ان فى الظلمات الغلظ والكثافة لان القسم بالنهار يناسب القسم بالليل . ۱۱ـ عن مجاهد أيضاً : الشفق : الشمس نفسها .

۱۲ـ قيل : الشفق : الحمرة ثم الصفرة ثم البياض التى تحدث بالمغرب أول الليل . ۱۳ ـ قيل : الشفق هو : الحمرة التى تشاهد فى الافق الغربى بعد الغروب. وأصله رقة الشىء يقال : ثوب شفق أى لا يتماسك لرقته ، و منه أشفق عليه أى رق له قلبه .

۱۴ـ قيل : الشفق : السواد الذى يكون إذا ذهب البياض . وقيل: الشفق: إسم للحمرة و البياض فهو من الاضداد .

۱۵ـ قيل: الشفق: الحمرة المشرقية قبل ذهابها عن قمة الرأس، وهى الكائنة فى جهة المشرق ، فاذا ذهبت عن قمة الرأس ، دخل الليل ويجب المغرب، فالشفق ما بين غروب الشمس ، وقبل وقت صلاة المغرب .

اقول : والاخير هو الأنسب بالقسم التالى ، فليس الشفق داخلاً فى الليل.

۱۷ـ (والليل وما وسق)

فى وسق الليل أقوال : ۱ـ عن إبن عباس و مجاهد و إبن زيد و مقاتل و الحسن و قتادة : أى وما جمع الليل ما إنتشر فى النهار من الانسان و الحيوان ، فانها تتفرق وتنتشر بالطبع فى النهار، وترجع إلى مأواه فى الليل فتسكن . ۲ـ قيل : ان الله تعالى أقسم بالضياء والظلام ، فانه أقسم بالنهار مدبراً وبالليل مقبلا.

۳ـ عن إبن عباس أيضاً : اى وماجنّ وستر .

۴ـ قيل : أى جمع وضمّ ماداخل فيه من الدواب وغيرها مما تفرّق وإنتشر فى النهار، فأفراد الاسرة يجمعهم الليل بعد أن فرّقهم النهار، و كذا الجيران و

الاصحاب يجتمعون للسمر، وكذا النجوم والكواكب ...

٥- قيل : أى إحتوى فيكون القسم قسماً بجميع المخلوقات لاحتواء الليل عليها كقوله جل وعلا : «فلااقسم بما تبصرون ومالاتبصرون»

٦- عن عكرمة : أى وما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه . وقيل : أى وما طرد أى طرد الليل الكواكب من الخفاء إلى الظهور . وعن الضحاك ومقاتل : أى وماساق لان ظلمة الليل تسوق كل شىء إلى مسكنه.

٧- عن إبن عباس أيضاً : أى وما حمل . وكل شىء حملته فقد وسقته . والعرب تقول: لاأفعله ماوسقت عينى الماء أى حملته ، ووسقت الناقة أى حملت. وأوسقت النخلة : كثر حملها . وعن الضحاك ومقاتل أيضاً : أى حمل من الظلمة أو حمل من الكواكب كما تحمل الام وليدها . وعن أبى مسلم : أى طرد من الكواكب، فانها تظهر بالليل وتخفى بالنهار، وأضاف ذلك إلى الليل لان ظهورها فيه مطرد .

٨- عن سعيد بن جبير: وما عمل فيه العباد من التهجد والاستغفار بالاسحار

٩- قيل : أى ضمّ ولفّ وأصله من سورة السلطان وغضبه ، فلو لا انه خرج إلى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لمجيئه ، ولكن خرج من باب الرحمة . فمزح بها فسكن الخلق إليه ثم اندعروا وإلتفوا وإنقبضوا ورجع كل شىء إلى مأواه، فسكن فيه من هوله وحشاً وهو قوله تعالى: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه» أى بالليل و «لتبتغوا من فضله» أى بالنهار، فالليل يجمع ويضمّ ما كان منتشراً بالنهار فى تصرفه .

١٠- قيل : كما ان الشفق يجمع بين المتفرقين : ضوء النهار وظلام الليل كذلك الليل يجمع بين المتفرقات الكثيرة : من أشياء وأحياء وأحداث ومشاعر وعوالم خافية ، ساربة فى الارض والنهار، غائرة فى الضمير، وتجمع فيها الاعمال والاقوال النهارية فى متون المسجلات العضوية والارضية بفضائها ، وفى صحف

الاعمال بكتابة كرام الكاتبين ... والناس عنها غافلون .

و عن مجاهد وعكرمة أيضاً : أى وما دخل فى الليل وحاز إذا جاء الليل ومنه الوسق لانه جامع لستّين صاعاً .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين ، مع أن لكل وجهاًمن غير تناف بينها ، ولكن التعميم غير بعيد عن سياق الاطلاق فتدبر جيداً .

١٨- (والقمر اذا اتسق)

فى إتساق القمر أقوال : ١- عن سعيد بن جبير والحسن ومجاهد و قتادة وإبن زيد و عكرمة والضحاك : أى إمتلأ و اجتمع نوره . و عن الفراء : إتساقه : إمتلائه وإستوائه ليالى البدر وهى ثلاث ليال من ليالى البيض فى كل شهر: ليلة (١٣ و١٤ و١٥)

٢- عن قتادة : أى إستدار. ٣- قيل : أى تم وإنتظم وتكامل نوره وأبدره جعله مقابلاً لليل و ماوسق ، ويقال : إتسق الشيء إذا تتابع ، و يقال : أمر فلان متسق : مجتمع على الصلاح منتظم .

اقول : والمعانى متقارب .

١٩- (لتركبن طبقاً عن طبق)

فى الاية الكريمة أقوال : ١- عن إبن عباس وسعيدبن جبير وإبن‌مسعود: أى لتركبن يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم فى مهمتك حالاً بعد حال بالضعف والقوة، والهزيمة والغلبة ... على أن الخطاب مفرد للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

ففى الاية بشارة له صلى الله عليه وآله وسلم بالظفر على المشركين فكأنه يقول:اقسم يامحمد لتركبن حالاً بعد حال و أمراً بعد أمر من الشدائد فى إبلاغ الرسالة حتى يحتم لك حسن العاقبة وجميل العافية فلايحزنك تكذيبهم و تماديهم فى الكفر فانك تركب أمرهم قبيلاً بعد قبيل وفتحاً بعد فتح فكان كما وعده .

٢- عن إبن عباس وإبن‌مسعود أيضاً ومسروق وأبى العالية والكلبى والشعبى:

أى لتركبن يامحمد سماء بعد سماء تصعد فيها ليلة الاسراء ، فتركبن منزلاً بعد منزل ، وأمراً بعد أمر ، و درجة بعد درجة ، و رتبة بعد رتبة فى القربة من الله سبحانه . ففى الآية بشارة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمعراج .

٣ ـ قيل : أى لتتحولن أيها الناس عن حالكم فى هذه الحياة الدنيا إلى حال اخرى مطابقة لها ، حيث تجدون وجودكم فى الآخرة صادراً عن وجودكم فى الدنيا .

وذلك لان الطبق هو الشىء أوالحال الذى يطابق آخر، سواء كان أحدهما فوق الاخر أم لا ، و المراد به كيف كانت المرحلة بعد المرحلة التى يقطعها الانسان فى كدحه إلى ربه من الحياة الدنيا ، ثم الموت ثم الحياة البرزخية ثم الانتقال إلى الآخرة ، ثم الحياة الآخرة ، ثم العرض والحساب والجزاء .. فتلك الاحوال طبقات فى الشدة بعضها أشد من بعض ، و الحال الثانية تطابق الاولى ، فلكم حيوات يماثل كل واحدة منها اخرى فى الحسّ والادراك والألم واللذة، وإن خالفت فى بعض شؤنها الحياة الاولى. فالطبق مايطابق غيره ومنه قيل للغطا الطبق .

٤ـ عن السدى وأبى عبيدة : أى لتركبن أيها الامة المسلمة سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه، فتعملون أعمال من كان قبلكم منزلاً بعد منزل .

وعن مكحول: ان فى كل عشرين سنة تحدثون أمراً لم تكونوا عليه.وقيل: أى لتركبن سنة من كان قبلكم فى التكذيب والاختلاق والافتراء على الانبيا عليهم السلام.

٥ـ عن إبن مسعود إيضاً:أى لتركبن السماء طبقاً عن طبق بأن لها أحوالاً مختلفة، فتتشقق تارة وتحمر تارة اخرى ، ثم تكون لوناً بعد لون ، وتصير تارة كالدهان واخرى كالمهل ، و اخرى هباء منبثاً . على أن هذا القول مناسب لاتساق القمر ولاول السورة من إنشقاق السماء ...

٦- عن سعيدبن جبير أيضاً : أى قوم كانوا فى الحياة الدنيا خسيس أمرهم فيرتفعون فى الدار الآخرة ، و آخرون كانوا أشرافاً فى الدنيا ، فيضعون فى الآخرة .

٧- عن عكرمة والحسن : أى لتركبن أيها الانسان حالاً بعد حال : فطيماً بعد ما كان رضيعاً ، و وليداً بعد ما كان حملاً ، مضغة بعد ما كانت علقة ، نطفة بعدما كانت منياً ، وشيخاً بعد ما كان شاباً إلى أن يبعث الله تعالى و كله شدة بعد شدة . و قيل : يشتمل الانسان من كونه نطفة إلى أن يموت على سبعة و ثلاثين إسماً .

وقال الشاعر :

كذلك المرء إن ينسأله أجل يركب على طبق من بعده طبق

٨- عن الحسن ومجاهد أيضاً وعطاء : أى لتركبن أيها الناس حالاً بعدحال: رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقراً بعد غنى ، وعزة بعدذلة ، وذلة بعد عزة ، وصحة بعد سقم ، وسقماً بعد صحة ، وجهلاً بعد علم ، وعلماً بعد جهل ، وقوة بعد ضعف ، وضعفاً بعد قوة ...

٩- قيل: أى لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال من شدائد القيامة وأهوالها...

١٠- قيل : أى لتركبن أيها الانسان منزلة عن منزلة ، وطبقاً عن طبق، و ذلك ان من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه ، و من كان على فساد دعاه إلى فساد قومه لان كل شيء يجر إلى شكله .

١١- عن إبن زيد : أى و لتصبرنّ من طبق الدنيا إلى طبق الآخرة . وان الناس يلقون بعد الموت شدائد متنوعة و أحوالاً مترتبة حين يتبين السعيد من الشقى ، والمحسن من المسيىء ، والمصلح من المفسد ، والمطيع من الطاغى ، و الخاضع من المستكبر ...

١٢- عن إبن عباس أيضاً : أى لتركبن شدائد الموت و أهوال البعث و

العرض والحساب والجزاء .

١٣- قيل : أي لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال ، و منزلاً بعد منزل ، و أمراً بعد أمر في الآخرة ، فتنقلب أحوالهم الدنيا وية في الآخرة،فستنتقلون من أحوال الدنيا إلى أحوال الاخرة .

١٤- قيل : أي لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال ، وهو الموت ثم الحياة، ومابعدها من أحوال القيامة . و ذلك ان كل حالة لاحقة للانسان لهي طبق عن سابقتها ،ونتيجة عنها ، فان الطبق هو المطابقة ، وهو جعل الشيء فوق آخر بقدره، فاللاحق صادر عن السابق لا «طبقاً بعد طبق» من غير رباط بين الطبقين ، بل « عن طبق » فالانسان إنما يركب طوال الحياة : حياة التكليف والعمل ، و حياة الحساب والجزاء يركب مراكب الاحول اللاحقة عن الحالات السابقة : ركوب الحساب والجزاء الصادر عن ركوب التكليف والعمل،فالحياة الدنيا طبقات بعضها عن بعض ، والبرزخ طبق عن الدنيا ، والآخرة طبق عنهما تطابقاً في المساعي حسب قدر السعي والساعي بكدّه وكدحه : « وأن ليس للانسان إلاّ ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » النجم : ٣٩ - ٤١)

فكل لاحقة من حياة ،مطيّة لسابقتها حسب السعي والنيات ، يقدّمها الانسان لغده ، فالاحوال كأنها مطايا يركبها الانسان واحدة بعد واحدة ، حتى تنتهي به عند غاية تؤدي إلى مرحلة جديدة ، وهي حياة الجزاء الأو في كالاحوال المتعاقبة الكونية : طبق الليل و ما وسق بعد الشفق ، ثم طبق القمر إذا اتسق ، حتى ينتهي إلى وضح النهار ، فيلاقي سعيه ظاهراً باهراً من غير خفاء منه عليه .

فتركبن الناس تارة جميعاً لكل طبقة كأفراد ، واخرى مجموعاً لكل امة مثالها للسابقة ، نتيجة التماثل الامي في التصرفات الجماعية . . .

١٥- قيل : أي لابد أن يمرّ الانسان بالعديد من الاطوار: من النطفة إلى الجنين ، و منه إلى الطفولة ، ثم الشباب والكهولة ثم إلى الهرم، من أرذل العمر

إلى الموت والقبر ، ومنه إلى الحياة الاخرى بالنشر ولقاء شدائد يوم القيامة وأهواله ، ثم العرض و الحساب و الجزاء . . . إما الثواب بالايمان و صالح العمل ، و إما العقاب بالكفر وفساد العمل ، فللناس يومئذ أحوال مختلفة : فمنهم في هول وفزع ، ومنهم في راحة و أمن ، ومنهم في شدة وحزن ، ومنهم في يسر وسرور ، ومنهم في ندامة وذلة ، ومنهم في غبطة وعزة ، ومنهم في بكاء وسواد الوجوه ، ومنهم في ضحك و بياض الوجوه . . .

١٦ـ قيل : أي جماعة بعد جماعة ، وقرناً بعد قرن إذ يقال : أتانا طبق من الناس و طبق من الجراد أي جماعة .

وقال العباس في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم :

وأنت لما ولدت أشرقت الار ض و ضائت بنورك الافق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق .

أي قرناً من الناس .

١٧ـ قيل : أي لتنتقلن أيها الناس حالاً بعد حال في الاخلاق و الصفات و الاعمار ومايعتريكم من العوارض . . .

وذلك ان الانسان لازال في تغيّر في كل يوم واسبوع ، وفي تبدل في كل شهر وسنة جسماً وروحاً ، فان جسمه في كل يوم في تغير وتبدل ، و كذلك عقله وقواه و عزمه وإرادته وفكره وعلمه وعمله وقوله ، و كذلك العوارض الخارجية من المقام والجاه والرئاسة و الثروة والعزة والذلة والصحة والسقم والألم والسرور والحزن و الفرح . . .

١٨ ـ قيل أي لتركبن القمر بأن يتغيّر أحواله من إسرار و إستهلال و إبدار .

١٩ـ قيل: أي لتركبن أيها المشركون حالاً بعد حال من المذلة والهوان في الحياة الدنيا ، ومن الحسرة والعذاب في الآخرة .

اقول : و الرابع هو المروى من غير تناف بينه وبين أكثر الاقوال ، فالتعميم غير بعيد .

٢٠- (فمالهم لايؤمنون)

فى الاية الكريمة : أقوال : ١- قيل : أى فما لكفار قريش ؟ و أىّ شىء يمنعهم من الايمان بالله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به ، وباليوم الآخر بعد ما وضحت لهم الآيات و قامت الدلالات . . . و هـذا على سبيل الاستنكار و التوبيخ .

٢- قيل : أى أىّ شىء لهم إذالم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم ، فلاشىء لهم من النعيم والكرامة إذالم يؤمنوا ،و هذا على سبيل التعجيب منهم فى تركهم الايمان .

و المعنى: اعجبوا منهم فى ترك الايمان مع هذه الآيات و البراهين . . . فما وجه الارتياب الذى يصرفهم عن الايمان؟ وأىّ مانع لهم ؟وأى عذرلهم فى ترك الايمان مع وضوح الدلائل . . .

٣- قيل : أى فأىّ شىء حدث لهم حتى جحدوا قدرة الله تعالى و أنكروا صحة البعث ، و كل شىء أمامهم ينادى بباهر قدرته ، ويرشد إلى عظيم سلطانه؟

٤- قيل : أى فما لهؤلاء المشركين لايصدّقون بتوحيد الله جل وعلا ، و لايقرّون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم ركبوا طبقاً عن طبق ، مع ماقدعاينوا من حججه بحقيقة توحيده . ٥-عن إبن زيد : أى فمالهم لايؤمنون بهذا الحديث وبهذا الامر .

اقول : والتعميم هوالانسب بظاهر الاطلاق .

٢١- (واذاقرىءعليهم القرآن لايسجدون)

فى «لايسجدون» أقوال : ١-عن إبن عباس وعطاء والحسن ومقاتل والكلبى : أى لايصلّون لله تعالى . ٢- قيل : اريد بالسجود نفسه . ٣- عن أبى مسلم : أى

يتذكرون بتذكيره ولايتعظون بمواعظه ولايستكنون .

اقول : وعلى الثالث جمهور المفسرين .

٢٣- (والله أعلم بما يوعون)

في قوله تعالى : « يوعون » أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة ومقاتل : أى يضمرون في صدورهم من الكفر والشرك،والتكذيب بآيات الله جل وعلا ، و من العداوة والبغى واللجاج والعناد والاعراض والانكار، وما يجمعون فى قلوبهم من الحسدة والبغضاء على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، ومن سائر العقائد الفاسدة والنيات الخبيثة، فالله عزوجل يجازيهم عليها لانه أعلم بما يجمعون من محصول ضلالهم و كفرهم وتكذيبهم . من أوعى :جمع وحفظ ماجمع فى وعاء. ومنه قوله تعالى : « وجمع فأوعى » المعارج : ١٨)

٢- قيل : أى يمنعون الناس ويصدّونهم عن سبيل الله تعالى . ٣- عن مجاهد: أى يكتمون ما فى صدورهم من العقائد الباطلة، ويسرّون مايفعلون من الاعمال الفاسدة . . . ٤- قيل : أى ان لهم وراء التكذيب مضمرات فى قلوبهم لايحيط بها العبارة ولايعلمها إلاّ الله تعالى . وعن الفراء : أصل الايعاء :جعل الشىء فى وعاء والقلوب أوعية لما يحصل فيها من علم أوجهل ، من ايمان أو كفر ، من اخلاص أو نفاق ، ومن محبة أوعداوة . . .

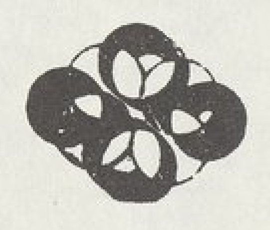
٥- عن إبن زيد : أى بما يجمعون من الاعمال الصالحة و السيئة. ٦-قيل: أى بما يجمعون فى صحف أعمالهم من السيئات ، فيحملون الآثام فى قلوبهم ، فجعلوها وعاء لما فعلوا ثم يدّخرون لأنفسهم من أنواع العقاب،فشبه ذلك بالوعاء لذلك ، فالمعنى :و بما يجمعون فى صحفهم من الكفر والتكذيب وسوء الاعمال. . .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن التعميم هو الانسب بظاهر السياق .

٢٥- (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غيرممنون)

في قوله تعالى: « غير ممنون » أقوال: ١ ـ عن إبن عباس والسدي: أي غير منقوص. ٢ ـ عن إبن عباس أيضاً ومجاهد والضحاك: أي غير محسوب ولامعدود ولامقطوع لقوله تعالى: « عطاء غير مجذوذ » لان نعيم الآخرة غير منقطع. ٣ ـ عن الحسن والجبائي: أي غير منقّص ولامكدّر بالمنّ، فلايمنّ على المؤمنين بالأجر، فان نعيم الجنة غير مكدّر بالمنّ، فيخلو الأجر من قول يثقل على المأجور. ٤ ـ قيل: أي ليس لأحد على الأجر منّة فيما يكسب.

اقول: ولكل وجه من غير تناف بينها.



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١- (اذا السماء انشقت)

تقوم الساعة وتقع القيامة ، حين إنشقت كل سماء من السموات السبع من المجرة ، وانفطرت بالغمام وتصدّعت ، فتفترق أجزائها ، وصارت حينئذ واهية ، وتمور موراً ، وصارت وردة كالدهان ، فيزول يومئذ هذا السقف الذى يبدو منها فى مرأى العين ، وتبدل غيرها ، فيختلّ عندئذ نواميس الوجود، و نظام العالم العلوى بأسره .

قال الله عزوجل : «يوم تشقق السماء بالغمام» الفرقان: ٢٥)

وقال : «يوم تكون السماء كالمهل » المعارج : ٨)

وقال : «فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» الرحمن: ٣٧)

وقال: «وإذا السماء فرجت» المرسلات: ٩)

وقال : «فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة - فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية» الحاقة: ١٣-١٦)

وقال : «يوم تمور السماء موراً» الطور: ٩)

وقال : «يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتب» الانبياء : ١٠٤)

وقال : «يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات» إبراهيم: ٤٨)

٢- (واذنت لربها وحقت)

وتقوم الساعة حين إستمعت السماء كلها لما نداها الله جل وعلا، واستجابت

لأمر ربها ، وأطاعت فى الانشقاق ، وانقادت لربها ، وامتثلت لتأثير قدرته وفعلت فعل المطواع الذى إذا أمر أنصت وأذن وامتثل ما أمر به، فأدّت السموات لما عليها نحوه من حق الطاعة والولاء والخضوع لأمر الله عزوجل لأنه العظيم الذى لايمانع ، ولايغالب ، بل قد قهر كل شيء ، و ذلّ له كل شيء ، فكانت حقيقة و جديرة بان تستمع لنداء ربها ، و تطيع أمره فى غاية أمرها كما أطاعته فى بدء أمرها .

قال الله تعالى : «ثم استوى إلى السماء و هى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» فصلت: ١١)

٣- (واذا الارض مدت)

و تقع القيامة حينما تنبسط الارض ، وتمتد وتدكّ جبالها وتقطع أوصالها، وتفقد مابينها من التماسك ، فتزول جبالها وآكامها ، و كل أمت فيها و يستوى ظهرها .

قال الله تعالى : «و يوم نسيّر الجبال و ترى الارض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» الكهف: ٤٧)

وقال : «يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» إبراهيم : ٤٨)

وقال: «فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة : ١٣-١٥)

وقال : «فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولاأمتاً» طه: ١٠٦- ١٠٧)

٤- (وألقت مافيها وتخلت)

و حينما ألقت الارض مافى بطنها ، و قذفت به إلى سطحها من الموتى و الدفائن كمايلقى سقط الجنين من بطن امه، وتخلّت بحيث لايبقى شيء فى جوفها، ولاتمسك به فى بطنها ، فتخلت غاية الخلو كأنها تكلف يومئذ بأقصى جهدهافى

الخلو والفراغ .

قال الله تعالى : «ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم - و أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور» الحج: ١-٧)

وقال: «وحملت الارض والجبال فدكتادكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة : ١٤و١٥)

وقال : « وإذا القبور بعثرت» الانفطار: ٤)

و قال : «إذازلزلت الارض زلزالهاوأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها يومئذ تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها» الزلزلة : ١-٥)

٥- (واذنت لربها وحقت)

وتقوم الساعة حينما إستمعت الارض لنداء ربها في إلقاء ما في جوفها و تخلّيها وتحديث أخبارها ، وأطاعت عندئذ أمر ربها ، وحق لها أن تستمع وتطيع لامره جل وعلا .

قال الله تعالى : « يومئذ تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها » الزلزلة : ٤ و ٥)

٦- (ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه)

خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم ، يقول الله عزوجل لكل واحدمنهم: ياأيّها الانسان انك مفطور على السعي والعمل ، فتتعب نفسك في هذه الحياة الدنيا بشديد الجد وغاية الجهد ، وتسعى سعياً جاداً متصلاً لاينقطع لتحمل عملك إلى الله تعالى ، و توصله إليه ، فأنت يوم القيامة ملاقي ماسعيت في الحياة الدنيا من ايمان أو كفر، من إهتداء أو ضلال ، من إخلاص أونفاق ، من حق أو باطل، من سعادة أو شقاء ، من خير أو شر ، من إصلاح أو إفساد ، من محبة لاولياء الله أو عداوة عليهم ، من صدق أو كذب ، ومن أمانة أو خيانة ...

فانك عامل في الحياة الدنيا ، ومجدّ في عملك ، و مبالغ في إدراك الغاية

إلى أن تنتهى حياتك ، و إن كنت لاتشعر بجهدك وجدّك ، أو تشعر به و تلهو عنه ، وكل خطوة فى عملك فهى فى الحقيقة خطوة إلى أجلك ، فاذاكان الانسان مفطوراً على الجد والسعى ، ويتعب نفسه فى الحياة الدنيا ، فليكن عمله ممايتجيه من الهلاك و الدمار ، و من غضب الله جل وعلا وسخطه ، و يوجب له رضا ربه و رضوانه ، ولايكن مما يسخطه عليه فيهلكه ويعذبه فى الدنيا والآخرة

قال الله عزوجل : «الذى خلق الموت والحياة ليبلو كم أيّكم أحسن عملاً» الملك : ٢)

وقال : «من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها مانشاء لمن نريد- و من أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً - قل كل يعمل على شاكلته» الاسراء : ١٨و١٩و٨٤)

وقال : «ان الساعة آتية أكاداخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى» طه: ١٥)

وقال : « وأن ليس للانسان إلاماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الا وفى وأن إلى ربك المنتهى» النجم: ٣٩-٤٢)

وقال : «إن سعيكم لشتى» الليل : ٤)

وقال : «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة : ٦-٨)

وقال : «وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون إلاّ عباد الله المخلصين اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم -- ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون» الصافات: ٣٩-٦١)

٧- (فاما من اوتى كتابه بيمينه)

يوم القيامة يؤتى كل إنسان صحيفة أعماله . . . فأما من اوتى كتاب عمله بيده اليمنى ، وهو من أهل الايمان والطاعه ، من أهل الاخلاص و السلامة، من أهل الشكر و السعادة ، من أهل الخير والنجاة ، و من أهل الصلاح الذى كفّ

أذاه عن الناس ...

قال الله عزوجل : « و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه و نخرج له يوم القيامة كتا بأ يلقاه منشوراً إقرأ كتابك بنفسك اليوم عليك حسيباً من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ـ فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلاً » الاسراء : ١٣ ـ ١٧)

وقال : « فمن يعمل من الصالحات و هو مؤمن فلا كفران لسعيه و إناله كاتبون » الانبياء : ٩٤)

وقال : « أم يحسبون أنالانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنالديهم يكتبون» الزخرف : ٨٠)

وقال : « وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين » الانفطار : ١٠ ـ ١١)

وقال : « فأما من اوتى كتابه بيمينه فيقولها ؤم اقرؤا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه » الحاقة : ١٩)

٨- (فسوف يحاسب حساباً يسيراً)

فسوف يحاسب يوم القيامة هذا الذى اوتى صحيفة أعماله بيمينه بما فيها حساباً سهلاً يسيراً هيناً ، فلارهق فيه ولا عسر ، فما هو إلا العرض في موقف الحساب حتى يخلى سبيله ، ففترة العرض والانتظار هى هذاالحساب اليسيرالسهل، وهذه صورة حساب بلاتحقيق جميع دقائق أعماله ولا تدقيق فيها ، ولا مناقشة ، على مافيها من الصغائر...فيثاب على الحسنات و يتجاوز عن السيئات ولايناقش ، فمن حوسب بالمناقشة فى الاعمال هلك وعذب لامحالة .

قال الله تعالى : « من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاًفاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » الفرقان : ٧٠)

وقال :« والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » العنكبوت :٧)

وقال : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً » النساء : ٣١)

قال : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم » الانفال : ٢٩)

وقال :« اولئك الذين نتقبّل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة » الاحقاف : ١٦)

٩- (وينقلب الى اهله مسروراً)

ويرجع هذا المحاسب بعد الفراغ من موقف هذا الحساب اليسير قد برئت ساحته راضياً مسروراً إلى أهله المؤمنين ، سواء كانوا من عشيرته و أقربائه أم لم يكونوا ؟ بشرى نجاته وسلامته، وقد غمره السرور وفاض عليه البشر هاتفاً لهم: « هاؤم اقرؤا كتابيه » مبتهجاً قرير العين ، فرحاً بما أعطاه الله عزوجل ، ومغتبطاً بما اوتي من الخير والكرامة .

قال الله تعالى : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » عبس : ٣٨ -٣٩)

وقال : « فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية » الحاقة : ١٩ - ٢١)

وقال : « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين يا عباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين » الزخرف : ٦٧- ٦٩)

و قال : « و الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » الطور : ٢١)

وقال : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : ٢٣ - ٢٤)

١٠- (وأما من اوتي كتابه وراء ظهره)

وأما الذى اوتى كتاب عمله بشماله من وراء ظهره يوم القيامة لانه الذى أساء عقيدته وأفعاله وأقواله . . . وأدبر خيره وأقبل شره ،وجعل كتاب الشريعة وأمر ولاية أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وراء ظهره، مستدبراً إياهما فى حياته، واتبع هواه مستقبلاً الشهوات فى حياته، وإرتكب المآثم ، بانياً حياته حياة الحيوان من غير أن يتفكر فى حياته كحياة تليق بالانسان . وقد عمى عن آيات الله عزوجل، وصم عن سماع كلماته ، وعظات أوليائه ،فاجترح الجرائم وانهمك فى حب الدنيا والاشتهار و الرئاسة والمقام. . . و قد كان الشيطان يأتيه من شماله فى الحياة الدنيا.

قال الله عزوجل : « وأما من اوتى كتابه بشماله ـ انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين » الواقعة : ٢٥ ـ ٣٤)

وقال : «أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ـانهم كانوا قبل ذلك مترفين» الواقعة :٤١ـ٤٥)

وقال : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً منشوراً ـ يوم ندعوا كل اناس بامامهم ـ فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضل سبيلاً » الاسراء: ١٣ ـ و٧١ و ٧٢)

١١ـ (فسوف يدعوا ثبوراً)

فسوف يصرخ هذا الذى اوتى كتابه يوم القيامة وراء ظهره عند رؤيته ما فيه صرخات الثبور ، ويولول ولولات الهلاك والخسار والحسرة نادباً لنفسه ناعياً مصيره بقوله : يا ثبوراه لاثبوراً واحداً و لا من نوع واحد ... ثبوراً فى عقائده الباطلة ، ثبوراً فى أفكاره المنحرفة، ثبوراً فى أعماله الفاسدة و ثبوراً فى أقواله المنكرة . . . ينادى بالموت والهلاك فلاينالاه .

قال الله تعالى: «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصيها » الكهف : ٤٩)

وقال : « وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم أدر

ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه »
الحاقة : ٢٥ - ٢٩)

وقال ، « دعوا هنالك ثبوراً لاتدعوا اليوم ثبوراًواحداً وادعوا ثبوراً كثيراً
- يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى
ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً » الفرقان : ١٣-٢٨)

١٢ - (ويصلى سعيراً)

ويدخل نارجهنم المستعرة المؤججة لا يوصف عذابها ، ولايقدر قدرها ،
يحترق بشديد حرارتها ، ويلزمها ويخلدفيها جزاءما قدمت يداه . . .

قال الله جل وعلا : « من كان يريد العاجلة عجلنالة فيها ما نشاءلمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً » الاسراء : ١٨)

و قال : « انهم صالوا النارقالوا بل أنتم لامرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس
القرار » ص : ٥٩ - ٦٠)

وقال : « حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير » المجادلة : ٨)

وقال : «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراًحامية » الغاشية: ٢ -٤)

وقال:«الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيهاولا يحيى»الاعلى:١١-١٣)

وقال : « فانذرتكم ناراً تلظّى لايصليها إلاّ الاشقى الذى كذّب و تولى »
الليل : ١٤ - ١٦)

١٣- (انه كان فى أهله مسروراً)

لانه كان فى حياته مغروراً بما كان له من قوةومال وجاه ورئاسة وعدة
وعدد . . ناعماً بين أهله وإخوانه الشياطين وأضرابه وأذنابه، مسروراً بحاله، وبما
يسوقه إلى المؤمنين من كيد وخدعةومكر وإستهزاءوهتك حرمات، بطراًبمايتمتع
به من هدؤالبال والنعم ولذات الدنياوزخارفها ،وفرحاً بما يناله من متاع الدنيا
و تنجذب نفسه إلى زينتها ، وينسيه ذلك أمر الآخرة .

وقد كان يضحك فى الدنيا لها ، وتضحك هى عليه لاهياً ساهياًمن غيرأن يتفكر

في العواقب ولا يخاف مما أمامه من سوء المصير ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الزائل الحزن الطويل و الغم الباقي لاينقطع .

كما أن ذلك عادة الفجار المجرمين ، و الحكام المستبدين ، و الفساق المستكبرين، وطليق العنان المترفين الذين هم لايهمهم أمر الآخرة، وهم يسرّون بماهم عليه من البغي والضلالة، من طليق العنان والمعصية، من الظلم والجناية، من الاستبداد والغواية ، من ايذاء المؤمنين وهتك الحرمة، من لذة الدنيا والشهوة ومن غرور الجاه والرئاسة . . . ولايتفكرون في عواقبها ، ولايندمون عليها، ولا يكونون كئيباً حزيناً .

قال الله تعالى : « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون و إذا مروابهم يتغامزون و إذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون» المطففين : ٢٩-٣٢)

وقال : « ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون غافر : ٧٥)

وقال: «وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع» الرعد:٢٦)

و قال :« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله يبغونها عوجاً اولئك في ضلال بعيد » ابراهيم : ٣)

وقال : « ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم و سمعهم و أبصارهم و اولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون » النحل : ١٠٧ -١٠٩)

وقال : « كلابل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة » القيامة : ٢٠ - ٢١)

١٢- (انه ظن أن لن يحور)

ان هذا الكافر اللجوج ، والضال المستكبر ، والفاجر المستبد، و الباغي المستهزىء ظن أنه لن يرجع إلى الله عزوجل بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء...

و ذلك لان التوغل في المعاصي ، وحب الدنيا و الجاه ، و طالب المقام و الرئاسة ، والانهماك في الشهوات والاستكبار و الاستبداد . . . مما يوجب إستبعاد البعث والغفلة عن الآخرة ، وإنكار الحساب والجزاء .

قال الله عزوجل : «واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق و ظنوا أنهم إلينا لا يرجعون » القصص : ٣٩)

وقال : « فقال الكافرون هذا شيء عجيب أ إذا متنا و كنا تراباً ذلك رجع بعيد » ق : ٢ـ ٣)

وقال : « انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أ إذا متنا و كنا تراباً وعظاماً أ إنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون» الواقعة : ٤٥ ـ ٤٨)

وقال : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير » التغابن : ٧)

١٥- (بلى ان ربه كان به بصيراً)

ليس الامر كما ظنّ هذا الضال المنكر للبعث ، بل هو ليرجعن إلى الله عزوجل ، وإليه منتهاه بالبعث بعد الموت ، ويرى الفزع والآفات ، و يخرس من أهوال يومئذ وشدائده ... فسيعيده الله جل وعلا كما بدأه أول مرة، ويجازيه يوم القيامة على ما كان عليه في الحياة الدنيا من إعتقاد حق أو باطل ، من إهتداء أوضلال ، من كمال أوسقوط ، من إرتقاء أو إنحطاط ، من خير أوشرّ من صدق أو كذب ، من إصلاح أو إفساد ، و من طاعة أو معصية . . . لأن ربه تعالى كان بأحواله و أفعاله وأقواله وبد قائق اموره عليماً لايخفى عليه منها شيء كما أنه بعباده وبكل شيء بصير .

قال الله تعالى : « ولاتحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون » إبراهيم :٤٢)

وقال: «إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم

بما كانوا يكفرون » يونس : ٤)

وقال : « وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » الروم : ٢٧)

وقال : « وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن إلى ربك المنتهى » النجم : ٣٩ ـ ٤٢) وقال : « فان الله كان بعباده بصيراً »فاطر : ٤٥)

وقال : « انه بكل شيء بصير » الملك: ١٩)

١٦ـ (فلااقسم بالشفق)

الشفق هو الحمرة الباقية من آثار الشمس فى الافق الشرقى إلى أن تذهب عن قمّة الرأس ، و يتعقب عليها الصفرة والبياض ، فدخل الليل .

ان الشفق والفجر هما نتيجة إنكسار شعاع الشمس وإنعكاسه بواسطة الهواء حيث تصل إلى الارض منكسرة بعد غروب الشمس ، و بعد إنتهائه يشاهد نور الشمس منعكساً عن الغيوم فى الطبقات العليا ،ثم يتناقص ذلك النور أيضاً رويداً رويداً حتى إبتداء الظلام الحالك .

و كذلك الامر صباحاً غير انه على ترتيب معاكس لما يصير إليه مساءاً و يبقى الشفق غالباً حتى تنزل الشمس / ١٨ درجة تحت الافق عمودياً ، و ذلك يختلف باختلاف العرض والفصول وأحوال الهواء . . .

ولايخفى ان هذه الاقسام المنفية : « لا اقسم » فى القرآن الكريم إنما يقسم بها على امور واضحة لاتحتاج فى تقرير حقيقتها و توكيد وجوهها إلى قسم... وان الشفق مرحلة الانتقال من النهار إلى الليل.

فالتلويح بالقسم هنا إشارة إلى أن ما يقسم عليه لايحتاج إلى قسم لمن عنده أدنى نظر أو مسكة عقل ، فهوفى الواقع قسم مؤ كد بهذا النفى الذى وقع عليه.

كقوله عزوجل : « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم» الواقعة : ٧٥ ـ ٧٦)

.قوله جل وعلا : « فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين » المعارج : ٤٠ ـ ٤١)

١٧ـ (والليل وما وسق)

واقسم بالليل وبما ضمّ إليه مما انتشر فى النهار من الانسان و الحيوان با لحركة للسعى لتسكن فيه ، ومن الملائكة .

وذلك ان الليل يجمع فيه ويضمّ إليه كل ما انتشر فى النهار حتى جناحيك الذين تمدّهما إلى العمل نهاراً ، تضمّهما إلى جنبيك للراحة ليلاً

يضم الليل الامهات بأفراخها ، والسائمات بمناخها ، و الوحوش بمأواها و الحشرات بـأحجارها . . . و يجمع أفـراد الاسرة و الاصحاب بعد أن فرّقهم عمل النهار .

قال الله عز وجل : « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون » يونس : ٦٧)

وقال : « ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » النمل : ٨٦)

وقال : «من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» القصص: ٧٢ـ٧٣)

وقال : « وجعل الليل لباساً و جعل النهار معاشاً » النباء : ١٠ ـ ١١)

١٨ـ والقمر اذا اتسق)

واقسم بالقمر إذا استوى وا كتمل و تمّ نوره و صار بدراً و هو فى الليلة الخامسة عشر ، وهى ليلة إنتصاف الشهر القمرى . ومن المحتمل أن يكون البدر هو ثلاث ليال بيض : (١٣ و١٤ و ١٥) فى كل شهر قمرى .

وأصل الاتساق :الانتظام والتكامل و الاستواء . ويقال : إتسق الشيء : بلغ غاية تمامه .

١٩- (لتركبن طبقاً عن طبق)

لتتحولن أيها الناس ، وتنتقلون عن حال إلى حال اخرى حتى يستقر الحكم الامر يوم القيامة إما الجنة ونعيمها ، وإما النار وعذابها .

٢٠- (فمالهم لايؤمنون)

فما لهؤلاء المشركين لايؤمنون بالله جل وعلا وتوحيده؟ وأي مانع لهؤلاء الكفار يمنعهم من الايمان بمحمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم و قد جاءهم بالحجج الواضحة ؟ وأي حجة لهم في ترك الايمان بالكتاب السماوي وعدم تأثرهم بالقرآن الكريم مع وجود براهينه القاطعة و دلائله القارعة ؟ و ما وجه الارتياب الذي يصرف هؤلاء المكذبين عن الايمان بالبعث والحساب والجزاء؟ وأي عذر للمجرمين أن لايعملوا اليوم الآخر وقد جائتهم به النذر ! ! !

وماذا أضلهم عن ذلك كله أو حجبهم دونه ؟ إنه ليس إلا الكبر والعناد و إلا التنكر لفطرتهم الى تهتف بهم أن آمنوا بالله تعالى ورسوله و كتابه و باليوم الاخر .

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « ومالكم لاتؤمنون بالله و الرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم » الحديد : ٨)

وقوله : « ومامنع الناس أن يؤمنوا إذجاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً » الاسراء : ٩٤)

وقوله : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذجاءهم الهدى و يستغفروا ربهم » الكهف : ٥٥)

٢١- (واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون)

ومالهؤلاء الكفار والمشركين ، والفجار المستكبرين؟ وماحدث لهم حتى صاروا إذا قرىء عليهم القرآن الكريم لايسجدون له ، ولايخشعون لعظمته ، و لايذعنون بحقيقته ، ولايتفكرون في آياته البليغة ، ولايتعظون بعظاته المؤثرة ،

ولايطيعون فى العمل بواجباته . ولا يتذكرون بتذكيره ، ولا يعترفون با عجازه !!!

وهم أهل لسان ، و أرباب بلاغة ، و أصحاب براعة ، و هذا يقتضى أن يعترفوا باعجازه حقيقة الاعتراف ، وخضعواله غاية الخضوع ، و عظّموه نهاية التعظيم ، وصدّقوا صحة نبوة محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وعملوا بواجباته ، و تركوا مانهاهم عنه . . . كيف لا !

وهو يخاطب الانسان كونياً وفطرياً وعقلياً، ويواجه بصر الانسان وبصيرته، ويتكاثر عليه أيّاً كان ، ومتى كان و أينما كان ، و يستجيش من التقوى . و يستأصل دوافع الطغوى ، و يحمله على الايمان وصالح الاعمال ، على الطاعة و صدق القول ، وعلى خلوص النية وحسن الاخلاق . . .

لماذا لايخضعون عند التلاوة غاية الخضوع اكراماً وإحتراماً له ، و أدنى ما يتطلبه الخضوع هو الاستماع والانصات : « و إذا قرىء القرآن فاستمعواله و أنصتوا لعلكم ترحمون » الاعراف : ٢٠٤)

فاذا كان فى الاستماع لهذا القرآن والانصات رحمة فكيف الايمان والاعمال الصالحة . . .

خضوع السمع للتفهم ، خضوع القلب للايمان ، خضوع الجوارح للعمل ، خضوع اللسان للبيان و التبليغ ، فيعيشون تحت رايته ، أهم خرجوا عن فطرة الانسان الخاضعة لكل جمال و كمال ؟ فهل تجد أجمل من هذا القرآن الكريم وأروع منه فى مايتطلبه الانسان كانسان من جمال و كمال ؟

و كأن هذه الاية الكريمة تعنى الفجار المستكبرين عامة، والشباب المتطرف اللامبالى خاصة تقرع آياته أسماعهم ، ولا يحاول أحدهم أن يقرأ سورة واحدة قصيرة بتدبر وإمعان ، أو يرجع إلى تفسير معروف ، ولو من باب الكشف ومجرد الاطلاع ! و فى نفس الوقت يلهث وراء الكتب الجنسية و الجاسوسية و السياسية

الشيطانية والفكاهية وماأشبه ذلك من كتب الالحاد والفساد و الضلال و إشاعة الفحشاء ...

قال الله عزوجل : « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً » الاسراء : ٤٦)

وقال : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » الحج : ٧٢)

وقال : واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم » لقمان : ٧)

وقال : « وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» فصلت : ٢٦)

٢٢- (بل الذين كفروا يكذبون)

ان الذين كفروا لايكتفون بالكفر وترك الايمان، بل هم يكذّبون بالحق، ويصرّون على التكذيب ، ويستمرّون عليه من غير أن يقرؤه ويتدبروا فيه ،أو يسئلوا ويتفكرّوا فيه .

وذلك ان من طبيعة الكفر هي التكذيب والعناد واللجاج والمخالفة للحق ، فهم لم يتركوا الايمان لقصور البيان في الحق أو إنقطاع البرهان له ،بل الكفار يقلّدون أسلافهم الكفرة ، وآبائهم الجهلة ،ورؤسائهم الفجرة في التكذيب بالحق ورسول الحق ، وبالبعث والحساب والجزاء .

قال الله جل وعلا : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » البقرة : ١٧٠)

وقال : « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاّ كانوا عنها معرضين فقد كذّبوا بالحق لما جاءهم » الانعام : ٤ ـ ٥)

وقال : « و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا

أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير » لقمان : ٢١)

وقال : « ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذّبون بيوم الدين و ما يكذّب به إلاّ كل معتدأثيم إذاتتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » المطففين ١٠ -١٣)

٢٣- (واللهأعلم بمايوعون)

والله جل وعلاهو أعلم بما يضمرون في صدورهم من صميمهم على الشرك ، وإستمرارهم على الكفر و التكذيب بالتوحيد والرسول ﷺ وما جاء هم به ، وباليوم الآخر والحساب والجزاء ، أعلم بما في قلوبهم من العداوة و البغضاء و الكبر واللجاج والعناد وسوء النية ، أعلم بما في صدورهم من أسباب الاصرار على الشرك و دواعي الكفر و الطغيان والعصيان ، والاستمرار عليها ، أعلم بأنهم يقيسون الحق بالباطل ، والايمان بالكفر ، الخير بالشر ، و الملذات المحللة با المحرمة ... و أعلم بما يجمعون في صحف أعمالهم من فسادها وشرّها و قبيحها وسيئها . . . وأعلم بسرائرهم وحقائق امورهم . . . .

قال الله جل وعلا : «ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوامنه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون انه عليم بذات الصدور» هود : ٥)

و قال : « قدبدت البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر » آل عمران : ١١٨)

و قال : « وربك يعلم ماتكنّ صدورهم وما يعلنون » القصص : ٦٩)

وقال: «ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير » غافر: ٥٦)

وقال : « الله أعلم بما في أنفسهم» هود : ٣١)

وقال : « وهو أعلم بما يفعلون » الزمر : ٧٠)

٢٤- (فبشرهم بعذاب أليم)

فبشّر يا أيها الرسول ﷺ هؤلاء المشركين ، و المنكرين ، والفجار

والمجرمين ، و الفسّاق المستكبرين ، والطغاة المكذبين ... بشّرهم بعذاب موجع مولم في جهنم يذوقون فيها و بال أمرهم ، يذوقونه بسبب كفرهم و طغيانهم ، بغيهم وضلالتهم ، وعصيانهم وإصرارهم على فساد العقائد وسيىء الأعمال . .

ولا يخفى على القارى الخبير ان التعبير عن الاخبار بالعذاب بالتبشير مبنى على التهكم .

كقوله تعالى : « ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم » آل عمران : ٢١)

وقوله : « بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » النساء : ١٣٨ ـ ١٣٩)

وقوله : « ويل لكل أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيئاً إتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين » الجاثية : ٧ ـ ٨)

٢٥ـ (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون)

لكن الذين آمنوا بالله جل وعلا وبرسوله ﷺ وما جائهم ، وباليوم الآخر والحساب والجزاء و أدّوا فرائض الله تعالى واجتنبوا عن ركوب ما حرم الله عزوجل عليهم ، لهم عند الله تعالى أجر كثير غير منقطع أبداً ولا منقوص ولا مكدّر بالمنّ به عليهم ، أجر غير معدود يخلو من قول يثقل على المأجور ، أجر غير محسوب بسبب ايمانهم وصالح أعمالهم وصدق أقوالهم وخلوص نياتهم و طيب حياتهم ، و خضوعهم للحق ، وعملهم بواجبات القرآن الكريم ، وتركهم ما نهاهم عنه ، و إجتنابهم عن الفسق الظاهر والباطن . . . وصبرهم وإستقامتهم على الهدى .

قال الله تعالى : « ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى و هو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » غافر : ٤٠)

وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة و أجر كبير ـ إن

الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور» فاطر: ٧-٣٠)

وقال :«الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم » آل عمران : ١٧٢)

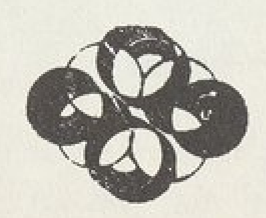
وقال : « الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة و أجر كبير » هود: ١١)

وقال : « ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداً » الكهف : ٢ - ٣)

وقال : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنّهم من الجنة غرفاً تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون» العنكبوت : ٥٨ - ٥٩)

وقال: « ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير » الملك :١٢)

وقال : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون» فصلت:٨)



﴿ جملة المعاني ﴾

٥٨٨٥- (اذا السماء انشقت)

تقوم الساعة حين إنشقت السماء من المجرة .

٥٨٨٦- (وأذنت لربها وحقت)

وتقع القيامة حين إستمعت السماء لنداء الله جل وعلا وإستجابت لأمر ربها وأطاعت .

٥٨٨٧- (واذا الارض مدت)

وتجيىء الساعة حينما إنبسطت الارض ويستوى ظهرها .

٥٨٨٨- (والقت مافيها وتخلت)

ورمت يومئذ ما فيها على وجهها ، وتخلت بحيث لايبقى فى جوفها شيء .

٥٨٨٩ - (وأذنت لربها وحقت)

واستمعت الارض لنداء ربها فى إلقاء مافى جوفها وتخليها وأطاعت عندئذ أمر ربها .

٥٨٩٠ - (يا أيها الانسان انك كادح ربك كدحاً فملاقيه)

يا أيها الانسان انك ساع فى لقاء جزاء ربك سعياً بالعمل ، فأنت ملاق ما سعيت من خير أو شر ، ومن صالح أو فاسد من العقيدة والعمل .

٥٨٩١ - (فأما من اوتى كتابه بيمينه)

فأمن اوتى صحيفة أعماله يوم القيامة بيده اليمنى .

٥٨٩٢ - (فسوف يحاسب حساباً يسيراً)

فسوف يحاسب يومئذ بما فى صحيفة أعماله حساباً سهلاً يسيراً .

٥٨٩٣ - (وينقلب الى أهله مسروراً)

ويرجع هذا المحاسب بعدالفراغ من موقف الحساب اليسير إلى المؤمنين ضاحكاً مستبشراً .

٥٨٩٤- (وأما من اوتى كتابه وراء ظهره)

وأما الذى اوتى كتاب أعماله بيده اليسرى من وراء ظهره .

٥٨٩٥-(فسوف يدعوا ثبوراً)

فسوف يصرخ يومئذ عند رؤيته مافى صحيفة أعماله من الكفر و العصيان بقوله : ياثبوراه .

٥٨٩٦- (ويصلى سعيراً)

و يدخل نارجهنم المؤججة لايوصف عذابها ، وهو يقاسى حرّها ويخلّد فيها .

٥٨٩٧ - (انه كان فى أهله مسروراً)

لانه الذى كان فى الحياة الدنيا بين أهله مسروراً بما كان له من متاع الدنيا وزخارفها .

٥٨٩٨- (انه ظن أن لن يحور)

لان هذا الكافر الضال ظن فى الحياة الدنيا أنه لن يرجع إلى الله تعالى بالبعث للحساب والجزاء بما كان عليه من فساد العقيدة وسوء الاعمال . . .

٥٨٩٩- (بلى ان ربه من كان بصيراً)

ليس الامر كماظن هذاالكافر المستكبر ،بل هو ليرجعنّ إلى الله جل وعلا بالبعث بعد الموت لان ربه تعالى كان بدقائق أموره عليماً لايخفى منها عليه تعالى شىء.

٥٩٠٠- (فلااقسم بالشفق)

فلااقسم بما بعد غروب الشمس وقبل وقت صلاة المغرب من الوقت الذى له العظمة والجلال ، وانه لقسم عظيم .

٥٩٠١- (والليل وماوسق)

واقسم بالليل وما انضم إليه مما انتشر فى النهار من الملائكة والانسان و الحيوان . . .

٥٩٠٢- (والقمر اذا اتسق)

واقسم بالقمر إذا اكتمل وصار بدراً.

٥٩٠٣ - (لتركبن طبقاً عن طبق)

لتنتقلون دائماً عن حال إلى حال اخرى حتى يستقر لكم الامر يوم القيامة إما الجنة ونعيمها وإما النار وعذابها.

٥٩٠٤ - (فمالهم لايؤمنون)

فما لهؤلاء الكفار بالله تعالى و رسوله ﷺ و كتابه وباليوم الآخر .

٥٩٠٥ - (واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون)

و ما حدث لهم حتى صاروا إذا قرىء عليهم القرآن الكريم لا يخضعون لعظمته حتى الاستماع و الانصات .

٥٩٠٦- (بل الذين كفروا يكذبون)

هم لا يكتفون بالكفر و ترك الايمان بل من طبيعة الكفر ان الذين كفروا يكذّبون بالحق ، و يصرّون على التكذيب و يستمرون عليه .

٥٩٠٧- (والله أعلم بما يوعون)

والله تعالى هو أعلم بما يضمرون فى صدورهم من الكفر ، ويجمعون ما فى صحف أعمالهم من الشر .

٥٩٠٨ - (فبشرهم بعذاب اليم)

فبشّر يا أيها النبى ﷺ هؤلاء الكفار بعذاب موجع مولم يوم القيامة .

٥٩٠٩-(الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون)

لكن الذين آمنوا بالله جل وعلا و برسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابه وباليوم الاخر، و التزموا بلوازم الايمان من صالح الاعمال وترك المحارم، لهم أجر كبير عندالله عزوجل غير مكدّر بالمن به عليه.



﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي : في قوله عزوجل : «إذا السماء إنشقت» قال: يوم القيامة

وفي مصباح الشيخ الطوسي قدس سره في دعاء مروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « وأسئلك باسمك الذي وضعته على الجبال فنسفت ، و ضعته على السماء فانشقت»

و في الدر المنثور : أخرج إبن أبي حاتم عن علي عليه السلام قال : تنشقّ السماء من المجرّة .

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن: وروي عن عليّ عليه السلام قال: تشقّ من المجرّة . وقال: المجرة باب السماء . وهذا من أشراط الساعة وعلاماتها .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه ، فيقتل من كل مأة تسعة و تسعون ، فيقول كل واحد منهم: لعلي أن أكون أنا أنجو .

و في رواية : يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى: «وأذنت لربها وحقت» أي أطاعت ربها وحقت، وحق لها أن تطيع ربها .

وفيه : في قوله جل وعلا : «وإذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت» قال: تمدّ الارض فتنشق فيخرج الناس منها .

وفى جوامع الجامع : والاذن : الاستماع قال عدىّ :

وسماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذى مشار

قوله : «ماذى» : عسل أبيض . و«مشار» : أبيض .

و فى الدر المنثور : عن جابر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : تمد الارض يوم القيامة مدّ الأديم ثم لايكون لابن آدم منها إلاّ موضع قدميه .

وفى المجمع : وروى أبوهريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : «تبدّل الارض الارض والسماوات » فيبسطها ويمدها مدّ الأديم العكاظى لاترى فيها عوجاً ولا أمتا .

وفى تفسير جامع البيان : باسناده عن الزهرى عن سيد الساجدين زين العابدين الامام على بن الحسين عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة مدّ الله الارض حتى لايكون لبشر من الناس إلاّ موضع قدميه ، فأكون أوّل من يدعى ... الحديث .

و فى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام ـ فى خطبة شقشقية ـ : «يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه»

و فيه : قال الامام على عليه السلام ـ فى صفة خلق الانسان ـ : « أم هذا الذى أنشأه فى ظلمات الارحام وشغف الأستار نطفة دهاقاً وعلقة محاقاً، وجنيناً وراضعاً و وليداً ويافعاً ، ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً و بصيراً لاحظاً ، ليفهم معتبراً و يقصّر مزدجراً حتى إذا قام إعتداله ، و استوى مثاله ، نفر مستكبراً و خبط سادراً ماتحاً فى غرب هواه ، كادحاً سعياً لدنياه ، فى لذات طربه وبدوات أربه، ثم لا يحتسب رزية ، ولا يخشع تقيّة ، فمات فى فتنته غريراً ، و عاش فى هفوته يسيراً ، لم يفد عوضاً ، ولم يقض مفترضاً ...»الخطبة .

اقول : قوله عليه السلام : «شغف» : جمع شغاف أى غلاف القلب ، يقال: شغفه الحب أى بلغ شغافه . قال الله تعالى : «قد شغفها حباً» يوسف: ٣٠) و «دهاقاً »

أى مملؤة ، و «محاقاً» المحاق : ثلاث ليال من آخر الشهر، و سميت محاقاً لان القمر يمتحق فيهن أى يخفى وتبطل صورته ، وإنما جعل العلقة محاقاًههنالانها لم تحصل لها الصورة الانسانية بعده فكانت ممحوّة ممحوقة .

وقوله عليه‌السلام : «يافعاً» اليافع: الغلام المرتفع، و «خبط سادراً» خبط البعير إذا ضرب بيديه إلى الارض ومشى لايتوقى شيئاً ، والسادر : المتحير ، و السادر أيضاً : الذى لايهتمّ ولايبالى ماصنع ، و « ماتحاً» الماتح: الذى يستقى الماء من البئر وهو على رأسها ، والمائح : الذى نزل البئر إذا قلّ ماؤها، فيملأ الدلاء...

وقوله عليه‌السلام : «فى غرب» الغرب، الدلو العظيمة ، و «كادحاً» الكدح:شدة السعى والحركة وإتعاب النفس فى العمل، و «بدوات أربه» : مايخطر له من آرائه التى تختلف فيها دواعيه ، فتقدم وتحجم ، و «مات فى فتنته غريراً» أى شاباً ، و من المحتمل أن يكون المراد انه غير مجرّب للامور ، و «هفوته» : زلّته ، و «لم يفد عوضاً» : لم يكتسب .

وفى الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه‌السلام ـ فى حديث ـ قال: والناس يومئذ على صفات ومنازل : فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، و منهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب لانهم لم يلبسوا من أمر الدنيا بشىء ، وإنما الحساب هناك على من يلبس بها ههنا ، منهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير .

و فى تفسيرابن كثير : عن جابر قال : قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم :قال جبرئيل يامحمد عش ماشئت فانك ميت ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، و اعمل ماشئت فانك ملاقيه .

وفيه : عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من نوقش الحساب عذّب . قالت : فقلت : أفليس قال الله تعالى . «فسوف يحاسب حساباً يسيراً»؟ قال : ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب .

وفيه : عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلاّ معذباً فقلت : أليس الله يقول : «فسوف يحاسب حساباً يسيراً» ؟ قال: ذاك العرض انه من نوقش الحساب عذب .

وفيه : عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في بعض صلاته : اللهم حاسبني حساباً يسيراً ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال : أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، انه من نوقش الحساب ياعائشة يومئذ هلك .

وفي المجمع : وفي روايةاخرى: يعرف عمله ثم يتجاوز عنه . وفي حديث آخر : ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته قالوا: و ماهي يا رسول الله ؟ قال : تعطي من حرمك ، و تصل من قطعك ، تعفو عمن ظلمك .

و في معاني الاخبار : باسناده عن إبن سنان عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل محاسب معذّب ، فقال له قائل : يا رسول الله فأين قول الله عزوجل: « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » قال : ذلك العرض يعني التصفح .

وفي محاسن البرقي : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا .

وفي تفسير ابن كثير : عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إنكم تعملون أعمالاً لاتعرف ، ويوشك العازب أن يثوب إلى أهله فمسرور أومكظوم.

و في جوامع الجامع : في قوله تعالى : « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » قال : أي سهلاً مهيناً لاتناقش فيه .

وروى: ان الحساب اليسير هو الاثابة على الحسنات ،والتجاوز عن السيئات، ومن نوقش الحساب عذب .

وفي الكافي: باسناده عن سدير الصيرفي قال : قال أبوعبدالله عليه السلام - في

حديث طويل - : إذا بعث الله عزوجل المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه كلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع و لا تحزن، و أبشر بالسرور و الكرامة من الله جلّ و عزّ، حتى يقف بين يدى الله جل وعز فيحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنة، و المثال أمامه، فيقول له المؤمن: رحمك الله نعم الخارج خرجت معى من قبرى، ومازلت تبشرنى بالسرور والكرامة من ربى حتى رأيت ذلك، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذى كنت ادخلته على أخيك المؤمن فى الدنيا خلقنى الله جل وعز منه لابشرك.

اقول: وما يظهر من هذه الرواية هو تجسم الاعمال يوم القيامة.

وفى تفسير البرهان: بالاسناد عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قوله تعالى: «وأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً» هو على عليه السلام وشيعته يؤتون كتبهم بأيمانهم.

وفيه: بالاسناد عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى إذا أراد أن يحاسب المؤمن أعطاه كتابه بيمينه وحاسبه فيما بينه وبينه، فيقول: عبدى فعلت كذا و كذا وعملت كذا و كذا؟ فيقول: نعم يارب قد فعلت ذلك، فيقول: قد غفرتها لك و أبدلتها حسنات، فيقول الناس: سبحان الله أما كان لهذا العبد ولا سيئة واحدة وهو قول الله عزوجل: «وأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً» قلت: أىّ أهل؟

قال: أهله فى الدنيا هم أهله فى الجنة إذا كانوا مؤمنين، و إذا أراد الله بعبد شراً حاسبه على رؤس الناس و بكّته، و أعطاه كتابه بشماله، و هو قول الله عزوجل: «وأما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً انه كان فى أهله مسروراً» قلت - أى قال الراوى -: أىّ أهل؟ قال: أهل فى الدنيا قلت: «انه ظن أن لن يحور»؟ قال: ظن انه لن يرجع.

وفيه: عن أبى عبدالله عليه السلام عن ابيه قال: أتى جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ

بيده فأخرجه إلى البقيع ، فانتهى إلى قبر ، فصوّت بصاحبه: فقال: قم باذن الله قال: فخرج منه رجل مبيض الوجه يمسح التراب عن وجهه ، وهو يقول : الحمدلله والله أكبر. فقال : عد باذن الله ثم إنتهى به إلى قبر آخر ، فصوت بصاحبه ، فقال له: قم باذن الله، فخرج منه مسودّ الوجه ، وهو يقول: واحسرتاه واثبوراه ثم قال: عد باذن الله تعالى ثم قال : يامحمد هكذا تحشرون يوم القيامة المؤمنون ، يقولون : هذا القول و هؤلاء يقولون : ماترى .

و فى قرب الاسناد : باسناده عن صفوان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام : ياجبرئيل أرني كيف يبعث الله تبارك و تعالى العباد يوم القيامة ، قال: نعم فخرج إلى مقبرة بنى ساعدة ، فأتى قبراً فقال له :اخرج باذن الله فخرج رجل ينفض رأسه من التراب ، وهو يقول : والهفاه واللهف: الثبور ثم قال : ادخل فدخل ... الحديث .

و فى تفسير القمى : وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله: «وأمامن اوتى كتابه بيمينه» فهو أبو سلمة عبدالله بن عبدالاسود بن هلال المخزومى وهو من بنى مخزوم «وأمامن اوتى كتابه وراء ظهره» فهو أخوه الاسود بن عبدالاسود بن هلال المخزومى ، فقتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر .

وقوله : «فسوف يدعوا ثبوراً» والثبور : الويل « انه ظن أن لن يحور بلى » يقول : أن لن يرجع بعدما يموت .

وفى العلل : باسناده عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان للقائم عليه السلام مناغيبة يطول أمدها ، فقلت له: ولم ذاك يابن رسول الله عليه السلام قال: ان الله عزوجل أبى إلا أن يجرى فيه سنن الانبياء عليهم السلام فى غيباتهم ، وانه لابدله ياسدير من إستيفاء مدد غيباتهم ، قال الله عزوجل : «لتركبن طبقاً عن طبق» أى سنناً على سنن من كان قبلكم .

وفى الكافى : باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام عن قول الله : « لتركبن

طبقاً عن طبق» قال: يا زرارة أولم تركب هذه الامة بعدنبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان ؟

اقول : أي كانت ضلالة هذه الامة بعدنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم مطابقة لما صدر من الامم الماضية من ترك وصي الحق ولسان الصدق ، وإتباع العجل والسامري وأشباه ذلك الذين ادعوا الخلافة الاسلامية غير لائقين لها، وتبعهم سواد الاعظم: طائفة عن جهالة ، وطائفة عن حب الدنيا وشهواتها ، وثالثة عن حب الرئاسة ونيل المقام والاشتهار ورابعة عن شهوة البطن وخامسة عن عناد وعداوة على من يليق لهذه الخلافة واختاره الله جل وعلا، ونصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحكم مستمرى المدى إلى زماننا هذا كما نرى ... كيف يتصدى الحكومة الاسلامية من لاشأن له علماً وعملا !!

من هو مخدوش في العقيدة والولاية ومخدوش في الفكر والقول والعمل ... أعاذنا الله جل وعلا من شر هؤلاء البيغاء ... بحق محمد وأهل بيته المعصومين وهناك علماء من أهل الولاء وخبراء من أهل التقوى واليقين !!!

وفي البرهان : في قوله تعالى : «لتركبن طبقاً عن طبـق» يقول : حالا بعد حال يقول: لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، ولا يخطون طريقهم (لاتخط) شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع وباعاً بباع ، حتى أن كان (او كان خ) من قبلكم دخل (دخلواخ) جحر ضب لدخلتموه قال: قالوا: اليهود والنصارى من تعني يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: فمن أعني لينقض عرى الاسلام عروة عروة، فيكون أول ما تنقضون من دينكم الامامة ، وفي نسخة الامامة وآخره الصلاة .

وفي الاحتجاج: عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في حديث يقول : وليس كل من أقر أيضاً من أهل القبلة بالشهادتين كان مؤمناً ان المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدفعون عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما عهد به من دين الله وعزائمه وبراهين نبوته إلى وصيه ، ويضمرون من الكراهية لذلك والنقض لما أبرمه عند إمكان الامر لهم فيه

ماقد بينه الله لنبيه مثل قوله : «لتركبن طبقاً عن طبق» أي لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الامم في الغدر بالاوصياء بعد الانبياء وهذا كثير في كتاب الله عزوجل .

وفي المجمع : في قوله تعالى : «لتركبن طبقاً عن طبق» وقيل : معناه شدة بعد شدة ، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء . وروى ذلك مرفوعاً .

وفي جوامع الجامع : في الاية الكريمة : وعن أبي عبيدة : لتركبن سنن من كان قبلكم من الاولين وأحوالهم . وروى ذلك عن الصادق عليه السلام .

وفي تفسير ابن كثير : عن جابر الجعفي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام عن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن إبن آدم لفي غفلة مما خلق الله له إليه ان الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقياً أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكاً آخر ، فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت إرتفع ذانك الملكان ، وجاءه ملك الموت ، فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح في جسده ، ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملكا القبر ، فامتحناه ثم يرتفعان .

فاذا قامت الساعة إنحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات ، فانتشطا كتاباً معقوداً في عنقه ثم حضرا معه واحداً سائقاً وآخر شهيداً ، ثم قال الله تعالى: «لقد كنت في غفلة من هذا» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لتركبن طبقاً عن طبق» قال : حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن قدامكم لامراً عظيماً لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم .

وفي الجامع لاحكام القرآن : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه قالوا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال: فمن ؟

وفي البرهان : عن إبن عباس في قوله : «لتركبن طبقاً عن طبق» أي لتصعدن ليلة المعراج من سماء إلى سماء ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لما كانت ليلة المعراج كنت من

ربي قاب قوسين أو أدنى، فقال لي ربي: يامحمد السلام عليك مني إقرأمني على بن أبيطالب السلام، وقل له: فاني احبه واحب من يحبه يامحمد من حبي لعلى بن أبيطالب إشتققت له إسماً من أسمائي فأنا العلي العظيم، وهو علي، وأنا المحمود وأنت محمد يامحمد لوعبدني عبد ألف سنة إلا خمسين عاماً قال: ذلك أربع مرات لقيني يوم القيامة، وله عندي حسنة من حسنات على بن أبيطالب عليه السلام قال الله تعالى «فمالهم» يعني المنافقين «لايؤمنون» يعني لايصدقون بهذه الفضيلة لعلى بن أبي طالب عليه السلام.



﴿ بحث فقهي ﴾

وقداستدل بعض المحققين من الفقهاء بقوله عزوجل : « فلااقسم بالشفق » الانشقاق : ١٦) على أن الشفق -وهو الحمرة المشرقية قبل ذهابها عن قمّة الرأس- غير داخل في الليل للقسم التالي بالليل ، على طريق العطف فلاتجوز صلاة المغرب وإفطار الصوم قبل ذلك ، فاذاذهبت دخل وقت المغرب .

وقال بعض المتفقهين بوجوب السجدة عندقوله جل وعلا : «إذاقرىء عليهم القرآن لايسجدون» الانشقاق : ٢١) وذلك ان في الآية الكريمة إخباراً بامتناع المشركين عن السجدة عندتلاوة عزائم الآيات الكريمة على ماورد في النزول ، و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد عندها، وهذايدل على وجوبها رغماً على المشركين الممتنعين عنها في وجوبها كماتستحب عندتلاوة الآية المخبرة عن سجدة المؤمنين إذاتليت عليهم عزائم الآيات الكريمة توافقاً لهم كقوله تعالى : «إذاتتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً» مريم : ٥٨) .

وفي أحكام القرآن للجصاص : قال في قوله تعالى :«وإذاقرىء عليهم القرآن لايسجدون»: يستدل به على وجوب سجدة التلاوة لذمه لتارك السجود عند سماع التلاوة وظاهره يقتضي ايجاب السجود عندسماع سائر القرآن إلاانا خصصنا منه ماعدا مواضع السجود ، واستعملناه في مواضع السجود بعموم اللفظ، ولانالولم نستعمله على ذلك كناقد ألغينا حكمه رأساً .

ثم قال : فان قيل : إنماأراد به الخضوع لان إسم السجود يقع على الخضوع

قيل له: هو كذلك إلا انه خضوع على وصف، وهو وضع الجبهة على الارض كما ان الركوع والقيام والصيام والحج وسائر العبادات خضوع ولا يسمى سجوداً لانه خضوع على صفة إذا خرج عنها لم يسم به.

اقول: ان السور التى تجب فيها السجدة أربع نقلا وإجماعاً وهذه هى:

١- سورة «العلق» ٢- سورة «النجم»

٣- سورة «فصلت» ٤- سورة «السجدة»

فى الخصال: باسناده عن داود بن سرحان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «إن العزائم أربع: إقرأ باسم ربك الذى خلق، والنجم، وتنزيل السجدة وحم السجدة» وماسواها فتستحب فيها السجدة.

وفى وسائل الشيعة: عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال العزائم: «الم تنزيل، وحم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك، وماعداها فى جميع القرآن مسنون، وليس بمفروض»

اقول: ان السور التى تستحب فيها السجدة إحدى عشرة سورة على التحقيق وهذه هى:

١- سورة «الاعراف» آية: ٢٠٦) ٢- سورة «الرعد» آية: ١٥)

٣- سورة «النحل» آية: ٤٩) ٤- سورة «الاسراء» آية: ١٠٧)

٥- سورة «مريم» آية: ٥٨) ٦و٧- سورة «الحج» آية: ١٨و٧٧)

٨- سورة «الفرقان» آية: ٦١) ٩- سورة «النمل» آية: ٢٥)

١٠- سورة «ص» آية: ٢٤) ١١- سورة «الانشقاق» آية: ٢١)

ولا يخفى على القارىء الخبير ان آية الانشقاق تندّد بالذين لا يخضعون للقرآن الكريم، حيث ان هذا الوحى السماوى مثال عن العظمة الالهية وغاية العلم والحكمة، فكما ان السجدة من الخلق الضعيف المحتاج لزام للخالق المتعال الغنى المطلق كذلك لكلامه، فليست السجدة المأمور بها، المندّد بتركها - هنا

سجدة التلاوة ، إذ ليست تلاوة القرآن الكريم - ككل - بالتى تفرض السجدة هذا ، والنص: «إذا قرىء عليهم القرآن» لا «آيات السجدة» ولا «هذه الآية» إضافة إلى أن الآية الكريمة هذه ليست لتطلب السجدة لنفسها وإلا لدار ، وإنما تطلب لغيرها من القرآن كقرآن ، فليس إلا القرآن كله ، لا آيات السجدة بخصوصها ، ولقد أجمع أصحابنا - فقهاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية - قديماً وحديثاً انها ليست من آيات السجدة الواجبة ، أللهم إلا إستحباباً ورجحاناً .

وليست كذلك سجود الصلاة إذ لم تأمر الاية الكريمة بالصلاة ، ولا القرآن كله يأمر بها ، إذ فهو غاية الخضوع للقرآن الكريم إذا قرىء .



﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد تشبثت المجسمة - وفي رأسهم أبوالحسن الاشعري شيخ أهل السنة و الجماعة - بقول الله سبحانه: «ياأيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه» الانشقاق: ٦)

على مذهبهم السخيف من رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بالابصار ..

اقول: وقدثبت سابقاً - على مايظهر من السياق - ان المراد باللقاء هناهو لقاءالانسان سعيه الدنيوي وجزائه في الاخرة ، مؤمناً كان الساعي أم كافراً، فكل يلاقي جزاء عمله يوم القيامة على ماسعى في الحياة الدنيا ، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً

ومن ثم جاء التعبير بلقاء يوم الحساب ولقاء الآخرة أيضاً كناية عن نفس المعنى:

قال الله عز وجل : «والذين كذبوا بآياتنا ولقاءالآخرة حبطت أعمالهم» الاعراف : ١٤٧)

وقال: «الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم» الكهف: ١٠٥)

وقال:«فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون» الزخرف :٨٣) .

وقال:«اني ظننت اني ملاق حسابيه» الحاقة:٢٠) وغيرها من الآيات الكريمة وهذا بناء على رجوع الضمير في «ملاقيه» إلى «كدحاً» وهو السعي الذي يتعقبه الجزاء وأما القول برجوعه إلى «ربك» فكان المراد باللقاء هو يوم الرجوع والانتهاء

إلى حيث لاحكم إلاحكم الله جل وعلا: «انالله وإناإليه راجعون » البقرة : ١٥٦)و «الملك يومئذلله يحكم بينهم» الحج: ٥٦)

ويستدل بقوله عز وجل: «ان ربه كان به بصيراً» الانشقاق: ١٥)على لزوم البعث بعدالموت للحساب و الجزاء ، وذلك لان العلم التام بأحوال المكلفين الذى اشير في الآية الكريمة يوجب ايصال الجزاء إليهم ، فلابدمن دار سوى دار التكليف ، و إلا كان قدحاً فى القدرة والحكمة .

ويستدل بقوله تعالى: «لتركبن طبقاً عن طبق» الانشقاق : ١٩) على حدوث هذاالعالم ونظام نواميس الوجود، وانالآية الكريمة أدل دليل وأوضح برهان على ذلك وعلى إثبات الصانع .

وقدقالت الحكماء : من كان اليوم على حالة ، وغداً على حالة اخرى ،فليعلم ان تدبيره إلى سواه .

وقيل لابى بكر الوراق : ماالدليل على أن لهذا العالم صانعاً ؟ فقال :تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية ونسخ العزيمة .

وقد ورد صحيحاً عن طريق أهل بيت الوحى عليهم السلام : «عرفت الله بفسخ العزائم...»

وقال بعضهم : ان فى الآية الكريمة إخباراً بتغييرات فى الافلاك والعناصر ،و هذادليل على صحة ايجاد سائر التغييرات من أحوال القيامة و غيرها، ويدل ذلك على صحة البعث والحساب والجزاء إذ لاريب في أن القادر على بعض التغيير قادر على مثله لامحالة .

ويستدل بقوله تعالى: «فمالهم لايؤمنون وإذاقرىء عليهم القرآن لايسجدون الانشقاق : ٢٠- ٢١)على أن الايمان والسجود من فعل الانسان من غير إجبار فيهما وهو قادر عليهما، فليس الايمان والسجود من فعل الله عز وجل كما زعمته المجبرة من أهل السنة .

وذلك ان الحكيم لايقول : مالك لاتؤمن ولاتسجد ، وهو يعلم أنك لاتقدر

على الايمان والسجود ؟ ولو وجد ذلك لما كان من فعلك .

ويستدل بقوله عزوجل : «لا يسجدون » على أن الكفار مخاطبون بالفروع الدينية كما أنهم مخاطبون بالاصول الدينية ، وإن كانت صحة العبادات مبنية على الايمان ، ومن هنا قدم التوبيخ والتعجيب على ترك الايمان على التوبيخ والتعجيب على ترك السجود .



﴿القمر وسيره﴾

قال الله عزوجل : «والقمر إذا اتسق» الانشقاق: ١٨)

نحن نرى ليلة البدر أنسب للبحث حول القمر لظهوره باكتماله في جو السماء تمامها: واعلم أن القمر هو: كوكب دائر حول الارض في ذلك إهليجي والارض في أحد بورتي ذلك الفلك الاهليجي الذي يسير القمر فيه ، حتى ان بعده عن الارض يتغير دائماً ، وهو أقرب إلى الارض بست وعشرين ألف ميل في الاوج عما هو في الحضيض ، وبعده الاوسط : ٢٣٨٠٠٠/ ميل، بحيث يقتضي سلسلة مرتبة من ٣٩/ كرة مثل الارض لكي تصل إلى القمر .

وهو يتم دورانه النجمي في (٢٧) يوماً وثلث يوم، وإنما دورانه القانوني يزيد على ذلك بأكثر من يومين بسبب تقدم الارض في فلكها مدة دوران القمر .

وان طريق دوران القمر الحقيقي ناتج من حركتين ، وهما دورانه حول الارض ودوران الارض حول الشمس ، وهو على شكل خط متموج ، يقطع طريق الارض في نقطتين في كل شهر، وتتغير دائماً إلى جهة الشمس بسبب صغر قطر القمر بالنسبة إلى إتساع دائرة فلك البروج .

وان أصحاب النجوم يحسبون من قرون متمادية سير الشمس والقمر ، فلم يجدوا في سيرهما إختلافاً .

قال الله جل وعلا : «فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم » الانعام : ٩٦)

وقال : «وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» الرعد: ٢)

وقال: «لاالشمس ينبغى لهاأن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار و كل فى فلك يسبحون» يس: ٤٠)

وقال : «الشمس والقمر بحسبان» الرحمن : ٥)

وان القمر يسير فى كل مرة (٢٩) يوماً و(١٢) ساعة و(٤٤) دقيقة و (٣٠) ثانية، فكان كما يكون اليوم فى مقداره ، ويسير سيراً سريعاً فى فصل، وبطيئاً فى فصل آخر بحساب دقيق ، و كذلك الشمس وسائر الكواكب . . .

وان القمر لايبعدعنا إلابقدر ثانية، وثلث الثانية من السنة الضوئية ، والشمس تبعدعنا (٨) دقائق و(٢٠) ثانية من السنة الضوئية، وان الشمس خلال هذه المدة: (٨) دقائق و(٢٠) ثانية، وهى المدة التى يجب أن تنقضى لوصول شعاعها إلينا . تقطع فى الفضاء فى سيرها الطبيعى المقرر من جانب الله جل وعلا: خمسة ملايين كيلومتر مع العلم بأن الضوء يسير من أقصى الارض إلى أقصاها خلال: ١٤١ر من الثانية .

وان قطر القمر: ٢٢٦٠ر ميلا أى انه أصغر من الارض بنحو خمسين ضعفاً ، و هو بسبب لمعانه يظهر دائماً أكبر مما هو فى الحقيقة ، وهذا نتيجة شعاع نوره.

وهو لايتجه نحو الارض إلا بوجه واحد منه ، غير أننا نرى غالباً (٥٧٦) جزءاً من ألف جزء من سطحه ، وذلك لاسباب ثلاثة :

احدها : - ان ميل محور القمر قليلا على فلكه، وميل فلكه على فلك الارض ينتج من ذلك انه عند اتجاه قطبه الشمالى بالتداول مرة نحو الارض ، ومرة عنها يقطع نظرنا تارة على القطب الشمالى ، واخرى على القطب الجنوبى ، وهذا يسمى التمايل عرضاً .

ثانيها - ان دوران القمر على محوره ، وهو يتم فى مدة واحدة ، وحركته فى فلكه متغيرة ، فتارة تسرع واخرى تبطىء ، فينتج من ذلك اننا نرى أحياناً من

كلاجانبيه مالانراه فيأوقات اخرى ، وهذايسمى التمايل طولا .

ثالثها : - انالارض أكبر كثيراً منالقمر ، فبواسطة دوران الارض على محورها أوإنتقال الناظر شمالا أوجنوباً يمتدالنظر إلىأكثر من نصف كرتهقليلا ولوا كتسى الفضاء أقماراً لكان نورها يوشك أنيساوى نورالنهار لاننور القمرلا يزيد عنجزء من: ٣٠٠,٠٠٠,١ جزء مننور الشمس ، وأشعة القمر قليلة الحرارة حتىان بعض الطبيعيين يقول: إنهاأشعة باردة.

ولايزال العلماء يبحثون فيأمر وجود كرة هوائية محيطة بالقمر و يقولون إذاكان عليههواء فهوفيغاية اللطافة ، وإذاكان القمرمأهو لايرى سكانهالارضفي حجمالبدر أربع عشرة مرة .

وقيل: انالقمر يستمد نوره من الشمس ، وهوإنما يظهر هلالا لان جزءاً صغيراً منالجزء المنورمنه يتجهإلينا ،ويكون باقيهمحتجباً بظلالارض ثميتزايد ذلكالجزء يوماً بعد يومحتى يستقبل بجميعجرمه فياليومالخامسعشربعد مولده ويسمى حينئذ بدراً اشير إليهفي قولهعزوجل : «والقمرإذا اتسق» الانشقاق ١٨)

ثميأخذ بالتناقص حتىيعود هلالا كما كانفي أوائل أيامه ... إذيتجه الجزء المنورشيئاً فشيئاً إلىالجهة المختفية عناحتى يغيبالجزء المنورتماماً ، ويتمهذا الدوران في(٢٩) يوماً و (١٢) ساعة و (٤٤) دقيقة و (٣٠) ثانية وذلك هوالشهر القمرى .

وانفلك القمر مائل علىدائرة فلك البروج ، والنقطتان اللتان فيهما يقاطعانها تسميان العقدتين :

احداهما - هيالعقدة الصاعدة ، وهي النقطة التيبقطع بهاالقمر ، دائرة فلكالبروج ، وهوسائر منالجنوب الى الشمال .

ثانيهما - هينقطة تقاطعه ، وهوناذل منالشمال إلىالجنوب .

وان الخط الوهمى الذى يوصل بين هاتين النقطتين يسمى خط العقدتين

ليس للقمر إختلاف فصول ، وذلك لكون نصف محوره يكاد يكون عمودياً على فلكه ففى مدة خمسة عشر يوماً من أيامنا يستمر القمر معرضاً لاشعة الشمس الحارة المحرقة بدون هواء كروى يلطفها، و يعقب هذا النهار ليل مثله طويل وشديد الزمهرير ، و تظهر للعين المجردة نقط منيرة على وجه القمر ، و هى روس الجبال اللامعة فى أشعة الشمس ، وأماكن مظلمة ، وهى سهول واقعة فى ظل الجبال التى فيه .

ولكن يظهر وجه القمر بالمنظار فى حالة إنقلاب ، وعدم نظام بسبب هيجان البراكين المخيفة، غير ان البراكين الآن فى حالة سكون ، ويروى على كل وجه القمر فوهات منتظمة تشهد بان القمر كان مراراً كثيرة فى حال إضطراب من هيجان تلك البراكين فى الازمان المغايرة .

قيس أكثر من ألف جبل فى القمر ، فوجد ان علو بعضها ينيف على/ ۲۰۰۰۰ قدم، وتبين ظلال هذه الجبال عندما تقع أشعة الشمس غير عمودية عليها كظل عصا موضوعة مقابل الشمس ، والبعض منها رؤس منفردة فى وسط سهول مستديرة، و البعض الآخر سلاسل جبال تمتد مئات من الاميال، وأكثرها قد سميت بأسماء علماء هذا الفن منها أفلاطون ، و كوبر نيكوس و أرستارخس و كبلر و غيرهم و بعض شلاشل الجبال سميت بأسماء جبال الارض مثل أبنان و كربات وغيرهما .

وان فى القمر سهولاً تشبه المروج ،وقد ظنوها بحوراً ، ولكنها فى الحقيقة سهول غير مستوية بخلاف سطوح الماء المحدب على أن الاسماء التى سميت بها أولا باقية إلى الآن مثل قولهم: بحر الهدؤ وبحر الرحيق وبحر الصفا إلى غير ذلك وتظهر أيضاً خطوط لامعة طويلة غير مظلمة تشع من رؤس بعض الجبال مثل تيخو و كبلر و غيرهما ، و سواق تشبهها غير انها منخفضة لها جوانب متسلطة، وأما هيئتها ،فغير محققة غير انه قد ظن قديماً بأن النوع الثانى مجارى أنهر قديمة .

ومن أغرب مناظر القمر فوهات براكينه تظهر كأنها كؤس فى مركزه مخروطية

الشكل مرتفعة ، وقصر بعض تلك الكؤس ١٠٠ ميل، ومنها سهول منخفضة محاطة بأسوار شامخة بركانية، وواسعة بحيث ان تلك الجدران تتجاوز افق الناظر في مركز السهل ، و كؤس اخر عميقة وضيقة حتى لاتشاهد منها الشمس أوالارض ألبتة مثال ذلك فوهة سميت نوتون عمقها ينيف عن ٢٢٠٠٠ قدماً.



﴿القمر و منازله﴾

قال الله تعالى: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» يس: ٣٩)

واعلم أن المراد من المنازل هي المسافة التي يقطعها القمر في كل يوم وليلة وهي (٢٨) منزلاً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو، يسير فيها من ليلة الاستهلال إلى الثامنة وعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة واحدة على تمام الشهر أو نقصانه.

والمنازل هي: ١- الشرطان ٢- البطين - كزبير - وهي ثلاثة كواكب صغار كأنها اثافي وهو بطن الحمل. ٣- الثريا وهي ستة كواكب وقع كل إثنين منها في مقابل الآخر. ٤- الدبران - بالتحريك - ٥- الهقعه و هي ثلاثة كواكب بين منكبي الجوزاء كالاثافي إذا طلعت مع الفجر إشتدحر الصيف.

٦- الهنعة منكب الجوزاء الايسر، وهي خمسة نجوم مصطفة ينزلها القمر

٧- الذراع وهي ذراع الاسد المبسوطة وللاسد ذراعان مبسوطة ومقبوضة وهي تلي الشام، والقمر ينزل بها والمبسوطة تلي اليمن، وهي أرفع من السماك، و أمد من الاخرى، وربما عدل القمر، فنزل بها تطلع لاربع يخلون من تموز و تسقط لاربع يخلون من كانون الاول. ٨- النثرة وهي كوكبان بينهما مقدار شبر وفوقهما شيء من بياض كأنه قطعة سحاب، ويقال لهما أيضاً عند أهل النجوم: أنف الاسد.

٩- الطرف من القوس ما بين السية والانهران او قريب من عظم الذراع من كبدها والانهران العواء والسماك لكثرة مائهما ١٠- الجبهة و هي أربعة كواكب

ثلاثةمنها مثلثة كالاثافي وواحد منها منفرد ١١- الزبرة - بالضم- وقديقال الدبرة وهي كوكبان نيران بكاهل الاسد ينزلهما القمر.

١٢- الصرفة وهي نجم واحدنيّر يتلو الزبرة لانصراف البرد بطلوعها. ١٣- العوّاء- بفتح العين - وهي خمسة كواكب. وقيل: أربعة كأنها كتابة ألف. ١٤- السماك- ككتاب- نجمان نيران. ١٥- الغفر وهي ثلاثة نجوم صغار. ١٦- الزباني بالضم- كوكبان نيران في قرني العقرب.

١٧- الاكليل وهي أربعة نجوم مصطفة. ١٨- القلب وهو نجم من المنازل ١٩ الشولة وهي كوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لها: ذنب العقرب.

٢٠- النعائم وهي أربعة كواكب نيرة. ٢١- البلدة- بالضم- وهي ستة كواكب صغار تكون في برج القوس وتنزلها الشمس في أقصر أيام السنة وقيل: البلدة رقعة من السماء لاالكواكب، وهي بين النعائم وبين سعد الذابح ينزلها القمر، وربما عدل عنها، فنزل بالقلادة وهي ستة كواكب مستديرة تشبه القوس.

٢٢- سعد الذابح كوكبان نيران بينهما قيد ذراع، وفي نحر أحدهما كوكب صغير لقمر بهمنه كانه يذبحه. ٢٣ سعد بلع- كزفر - معرفة منزل للقمر طلع لما قال الله تعالى: «ياأرض ابلعي ماءك» وهو كوكبان مستويان في المجرى أحدهما خفي والآخر مضيىء يسمى بلع كانه بلع الآخر، وطلوعه لليلة تمضي من آب. ٢٤- سعد السعود. ٢٥- سعد الاخبية وهي كواكب مستديرة: ٢٦- فرغ الدلو المتقدم.

٢٧- فرغ الدلو المؤخر. ٢٨- الرشاء ويقال له أيضاً: بطن الحوت، وهي كواكب صغار مجتمعة في صورة الحوت وفي سرتها نجم نيّر.

وان تلك المنازل: (٢٨) منزلاً تنقسم على الاثنى عشر برجاً ولكل برج منزلان وثلث، فينزل القمر كل ليلة منها منزلا، فاذاكان في آخر منازله دقّ واستقوس، يستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة إن كان الشهر تسعة وعشرين.

ويكون مقام الشمس في كل منزل منها ثلاثة عشر يوماً، وهذه المنازل هي

مواقع النجوم التى نسبت إليها العرب الانوآء المستمطرة أشار إليها الله تعالى بقوله «فلااقسم بمواقع النجوم» الواقعة : ٧٥)

وهذه البروج تنقسم على أربعة :

احداها - بروج ربيعية ، وهى ثلاثة : وهى الحمل والثور و الجوزاء وهذه ربيعية شمالية والشمال يسار القبلة ، وانما سميت بذلك لان الكواكب الدائرة فى الفلك مشكلة فى كل برج بشكل مسماه وقت التسمية .

ثانيها - - بروج صيفية وهى ثلاثة : السرطان و الاسد و السنبلة، وإبتداء السرطان من نقطة الانقلاب الصيفى ، وهذه الثلاثة صيفية شمالية .

ثالثها - بروج خريفية وهى ثلاثة : الميزان والعقرب والقوس و ابتداء الميزان من نقطة الاعتدال الخريفى ، وهذه الثلاثة خريفية جنوبية.

رابعها- بروج شتائية وهى ثلاثة: الجدى والدلو والحوت وإبتداء الجدى من الانقلاب الشتوى وهذه الثلاثة شتوية جنوبية والجنوب يمين القبلة.

وتسير الشمس فى كل واحد من هذه البروج شهراً ، وتنقضى السنة بانقضائها وتعلم مدة سكون الشمس فى كل برج، وتكون السنة الشمسية- وهى مدة وصول الشمس إلى النقطة التى فارقتها من ذلك البرج - ثلاثمأة وخمسة وستين يوماً و ربع يوم.

وأما السنة القمرية فهى عبارة عن إجتماع القمر مع الشمس إثنى عشرة مرة و زمان هذه يتم فى ثلاثمأة وأربعة وخمسين يوماً ، و كسر وهو ثمان ساعات و ثمان وأربعون دقيقة ، ولايكون الشهر القمرى أقل من تسعة وعشرين يوماً ولا أكثر من ثلاثين ، و كذلك لاتكون السنة القمرية أقل من ثلاثمأة وأربعة وخمسين يوماً ولا أكثر من ثلاثمأة وخمسة وخمسين يوماً .

ولايخفى ان السنة يتعذر تقسيمها إلى عدد كامل من الأيام و الشهور لانها مؤلفة من ٣٦٥,٢٤٢٢/ يوماً أو (١٢) شهراً قمرياً و (٣٧) فى المأة من الشهر

وكل شهر مؤلف من (٢٩) يوماً و ٥٣ فى المأة من اليوم .

وان البرج عند هم ثلاثون درجة حاصلة من قسمة ثلاثمأة وستين أجزاء دائرة البروج على اثنى عشر ، والدرجة منقسمة بستين دقيقة وهى منقسمة بستين ثانية وهى منقسمة بستين ثالثة ، وهكذا إلى الروابع والخوامس والسوادس وغيرها .

ويقطع القمر بحركته الخاصة فى كل يوم بليلته ثلاث عشرة درجة وثلاث دقائق وثلاثاً وخمسين ثانية وستاً وخمسين ثانية .

وتسمية ماذكرنا من المنازل ـ وهى ثمانية وعشرون منزلاً ـ مجاز لانه عبارة عن كواكب مخصوصة من الثوابت قريبة من المنطقة والمنزلة الحقيقية للقمر الفراغ الذى يشغله جرم القمر على أحد الاقوال فى المكان .

فمعنى نزول القمر فى هاتيك المنازل مسامتته إياها ، وكذا تعتبر المسامتة فى نزوله فى البروج لانها مفروضة أولا فى الفلك الاعظم ، وأما تسمية نحو الحمل والثور والجوزاء بذلك ، فباعتبار المسامتة أيضاً .

قال الله عزوجل : « هو الذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون » يونس : ٥)



القمر ونوره

قال الله تعالى : « تبارك الذى جعل فى السماءِ بروجاً و جعل فيها سراجاً و قمراً منيراً » الفرقان : ٦١)

وقال : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً » نوح : ١٥ - ١٦)

وقد كثر الكلام قديماً وحديثاً بأن نور القمر يكون من ضياء الشمس - ولكنى لم أجد دليلاً قاطعاً على ذلك - إذ ذهب أصحاب الهيئة القديمة والجديدة إلى أن جرم القمر مظلم كثيف صقيل ، يقبل من الشمس الضوء لكثافته ، وينعكس عنه لصقالته ، فيكون أبداً المضيء من جرمه الكرى أكثر من النصف بقليل لكون جرمه أصغر من جرم الشمس .

و هم يقولون : قد ثبت فى الاصول : انه إذا قبل الضوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصغرى أعظم من نصفها ، و تفصل بين المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تسمى دائرة النور ، وتفصل بين ما يصل إليه نور البصر من جرم القمر ، و بين ما لا يصل دائرة تسمى دائرة الرؤية ، و هى أيضاً قريبة من العظيمة لما ثبت فى (٢٤) من مناظر اقليدس أن ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها .

وهاتان الدائرتان يمكن أن تتطابقا ، وقد تتفارقان إما متوازيتين أو متقاطعتين ، أو لاذا و لاذاك ، وقد تؤخذان عظيمتين ، إذ لا تفاوت فى الحس بين كل منهما

وبين العظيمة ، ويجعل ما يقارب التطابق تطابقاً .

فاذا اجتمعت الشمس والقمر صار وجهه المضيء إليها و المظلم إلينا ، و تطابق الدائرتان وهو المحاق فاذا بعد عنها يسيراً تقاطعت الدائرتان على حوادّ ومنفرجات ، فاذا بعد منها قريباً من اثنى عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدائرتين فى جهة الحادتين اللتين إلى صوب الشمس وهو الهلال ، ولاتزال هذه القطعة تتزايد بتزايد البعد عن الشمس والحوادّ تتعاظم، والمنفرجات تتصاغر حتى يصير التقاطع بين الدائرتين على قوائم ... ويحصل التربيع ،فيرى من الوجه المضيء نصفه ، ولا يزال يتزايد المرئى من المضيء و يتعاظم إنفراج الزاويتين الاوّلتين إلى وقت الاستقبال ، فتطابق الدائرتان مرة ثانيه ، و يصير الوجه المضيء إلينا وإلى الشمس معاً ، وهو البدر، ثم يقع التقارب ،فيعود تقاطع الدائرتين على المختلفات أولاً ثم على قوائم ثانياً، وحصل التربيع الثانى ثم يؤول الحال إلى التطابق ، فيعود المحاق ، وهكذا إلى ماشاء الله سبحانه.

اقول : وليس فى ذلك كله إلاّ خرص وتخمين، وليس لهم بذلك من علم .

قال الله عزوجل : «مالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون »الزخرف: ٢٠)

وقال : «ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون » الجاثية : ٢٤)

واتبعهم بعض الناس فقال : إن الضوء يطلبهم على الشيء الذى يكون نوره بالذات كنور الشمس ، ويطلق النور على شيء يكون النور عرضاً عليه كنور القمر لانه إكتسابى من الشمس .

و قال : ففى ذلك تنبيه على أن نور الشمس بذاتها ، و نور القمر بالعرض فمابالذات ضوء ، وما بالعرض نور فخلق الله جل و علا الشمس نيّرة فى ذاتها،و القمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها .

اقول : إن لفظ النور لايدل على كون ضياء القمر إكتسابياً و لا لفظ الضياء على كون نور الشمس ذاتياً ، وليس هذا إلاّ التصرف فى معنى اللغات ...

وقال بعض المحققين : ومازعم أصحاب الهيئة وأتباعهم مدفوع بالاخبار الواردة ... ان الله جل وعلا خلق شمسين نيرّين قبل الافلاك فالشمس والقمر خلقهما الله عزوجل من نور عرشه ، و كان في سابق علمه أن يطمس نور القمر وماورد صحيحاً : ان الله تعالى خلق نور القمر سبعين جزءاً و كذا نور الشمس .

وفي تفسير القمي : عن الامام الثامن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : الشمس و القمر آيتان ـ إلى أن قال ـ : و ضوئهما من نور عرشه وحرّهما من نار جهنم ، فاذا كانت القيامة عاد إلى العرش نورهما ، وعاد إلى النار حرّهما ، فلايكون شمس و لاقمر .

اقول : يستفاد من الرواية امور :

احدها ـ ان لجرم الشمس حرارة و نوراً .

ثانيها ـ ان لجرم القمر حرارة ونوراً كالشمس ، وهذا لايلازم التساوى فيهما بينهما .

ثالثها ـ ان الاشياء تفنى يوم القيامة و تعدم صورها . . .

وفيه : باسناده عن سلام بن المستنير انه قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : لم صارت الشمس حرّ من القمر ؟ قال : ان الله خلق الشمس من نور النار و صفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا ، حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار فمن ثمّ صارت أحرّ من القمر ، قلت : فالقمر ؟ قال : ان الله خلق القمر من ضوء نور النار ، و صفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء ، فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس .

اقول : رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي ، والشيخ الصدوق قدّس الله تعالى روحه في العلل والخصال بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام .

وقوله عليه السلام : « حتى إذا كانت سبعة أطباق » يحتمل أن يكون المعنى : ان

الطبقة السابعة فيها من نار ، فيكون حرارتهاالجهتين : لكون طبقات النار أكثر بواحدة ، و كون الطبقة العليا من النار . و يحتمل أن يكون لباس النار طبقة ثامنة ، فتكون الحرارة للجهه الثانية فقط ، و كذا فى القمر يحتمل الوجهين : ثم انه يحتمل أن يكون خلقهمامن النار والماء الحقيقيين من صفوهما وألطفهما ، وأن يكون المراد جوهرين لطيفين مشابهين لهما فى الكيفية ،ولم يثبت إمتناع كون العنصريات فى الفلكيات ببرهان .

و فى الدر المنثور : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الشمس والقمر و النجوم خلقن من نورالعرش .



﴿ القمر وسواد وجهه ﴾

وقد إختلفت الكلمات فى سواد وجه القمر إختلافا كثيراً لا نرى لها وجهاً وجيهاً .

وقد وردت فى ذلك روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

فـى تفسير العياشى : عن أبى الطفيل قال : كنت فى مسجد الكوفة ، فسمعت علياً عليه‌السلام وهو على المنبر وناداه إبن الكواء وهو مؤخر المسجد ،فقال: ياأمير المؤمنين ! أخبرنى عن هذه السواد فى القمر؟ فقال : هو قول الله : «فمحونا آية الليل» .

اقول : ان إبن الكواء هو من زعماء الخوارج ، وإسمه عبدالله .

وفى الاحتجاج: قال إبن الكوا : يا أمير المؤمنين ! أخبرنى عن المحو الذى يكون فى القمر؟ قال عليه‌السلام :الله أكبرالله أكبر الله أكبر رجل أعمى يسئل عن مسئلة عمياء أماسمعت الله تعالى يقول : «وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة» .

وفى تفسير جامع البيان : عن على عليه‌السلام فى جواب إبن الكوا عـن السواد الذى فى القمر قال : ذاك آية الليل محيت .

وفيه : عن أبن عباس قال : كان القمر يضيىء كما تضيىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار ، فمحونا آية الليل السواد الذى فى القمر.

وفيه: قال مجاهد: السواد الذى فى القمر و هو « آية الليل » و كذلك خلقه الله.

و فى الدر المنثور: عن مجاهد قال: كتب هرقل إلى معاوية يسئله عن ثلاثة أشياء: أىّ مكان إذا صليت فيه ظننت انك لم تصلّ إلى قبلة؟ و أىّ مكان طلعت فيه الشمس مرة لم تطلع فيه قبل ولا بعد؟ و عن السواد الذى فى القمر؟ فسئل ـ معاوية ـ إبن عباس، فكتب إليه: « أما المكان الاول فهو ظهر الكعبة، و أما الثاني فالبحر حين فرقه الله لموسى عليه‌السلام و أما السواد الذى فى القمر فهو المحو »

اقول: وقد ورد فى تفسير المحو أقوال من المفسرين:

منها ـ ان المراد من المحو ما يظهر فى القمر من الزيادة والنقصان فى النور، فيبدو فى أول الأمر فى صورة الهلال، ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدراً كاملاً ثم يأخذ فى الانتقاص قليلاً قليلاً، و ذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق.

ومنها ـ ان المراد من المحو الكلف الذى يظهر فى وجهه.

ومنها ـ ان الشمس والقمر كانا سواء فى النور والضوء، فأرسل الله تعالى جبرئيل عليه‌السلام فامرّ جناحه على وجه القمر، فطمس عنه الضوء.

اقول: والأخير هو المروى، ومعنى المحو فى اللغة: إذهاب الأثر.

وقال بعض المحققين: ان حمل المحو على القول الاول أولى لقوله تعالى: «لتبتغوا فضلاً من ربكم» لان المحو إنما يؤثر فى إبتغاء الله إذا حملناه على زيادة نور القمر ونقصانه لانه بسبب حصول هذه الحالة تختلف أحوال نور القمر، وأهل التجارب بينوا ان إختلاف أحوال القمر فى مقادير النور له أثر عظيم فى أحوال هذا العالم ومصالحها مثل أحوال البحار فى المدّ والجزر، ومثل أحوال البحرانات

على ما يذكره الاطباء في كتبهم، وأيضاً بسبب زيادة نور القمر و نقصانه تحصل الشهور، و بسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبتنية على رؤية الأهلة ...

كما قال الله جل وعلا: «و لتعلموا عدد السنين و الحساب» يونس: ۵)

فلو حملنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضاً برهان قاطع على صحة قول المسلمين في المبدإ و المعاد و أما دلالته على المبدإ فلان جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة، فوجب أن يكون متشابه الصفات، فحصول الاحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على أنه ليس بسبب الطبيعة، ولا على سبيل المصادفة، بل لأجل ان الفاعل المختار خصّص بعض أجزائه بالنور القوى، و بعض أجزائه بالنور الضعيف، و ذلك يدل على أن مدبر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات.

وأحسن ماذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه انه إرتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل إرتكاز الكواكب في أجرام الافلاك، فلما كانت تلك الاجرام أقل ضوءاً من جرم القمر لاجرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان و هذا لايفيد مقصود الخصم لان جرم القمر لماكان متشابه الاجزاء ... فلم إرتكزت تلك الاجرام الظلمانية في بعض أجزاء القمر دون سائر الاجزاء، و بمثل هذا الطريق يتمسك في أحوال الكواكب...

وذلك لان الفلك جرم بسيط متشابه الاجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب، في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب... وذلك يدل على أن إختصاص ذلك الكواكب بذلك الموضع المعين من الفلك لأجل تخصيص الفاعل المختار الحكيم.

و في الاحتجاج: عن القاسم بن معاوية عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: لما خلق الله عزوجل القمر كتب عليه: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله علي

أمير المومنين » وهو السواد الذى ترونه .

أقول : لايبعد أن يكون المراد : ان نظام الكون يشهد بصحة هذه الاصول الثلاثة . . . أما التوحيد فظاهر ، و أما النبوة فلان الله تعالى يهدى بها الانسان إلى كماله وصلاحه ، فوجود المصالح فى سائر أجزاء العالم شاهد على سنة إلهية فى الكون ، وهى ايصال كل نوع إلى مافيه صلاحه وخيره وينحصر طريق ذلك فى النوع الانسانى بارسال الانبياء وأشرفهم هو محمد رسول الله الخاتم عليه السلام .

و أما الولاية فلبقاء آثار النبوة و كمال الدين بها إذ قال الله عزوجل : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً - يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته » المائدة : ٣ - ٦٧)

وأما دلالة سواد القمر على ذلك فلانه أشبه شىء بخطّ تكوينى على لوح صاف نيّر .

وفى الخصال: باسناده عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله عليه السلام فى مرضه الذى توفّى فيه : ادعوا إلىّ أخى : فأرسلو إلى علىّ عليه السلام فدخل فولّيا وجوههما إلى الحائط و ردّا عليهما ثوباً فأسرّ إليه ، و الناس محتوشون و راء الباب ، فخرج على عليه السلام فقال له رجل من الناس : أسرّ إليك نبى الله شيئاً ؟ قال : نعم أسرّ إلىّ ألف باب ، فى كل باب ، ألف باب ، قال : و عيته ؟ قال : نعم وعقلته ، فقال : فما السواد الذى فى القمر ؟ قال : ان الله عزوجل قال : « و جعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » قال له الرجل : عقلت ياعلىّ .

اقول : والظاهر ان السؤال كان عن علّة الكلف فى القمر ،فأجاب مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب صلوات الله عليه بأنه إنما جعل فيه ذلك

ذلك ليقلّ نوره، و يحصل الفرق بينه وبين الشمس، فيمتاز الليل من النهار فالمحو هو تقليل نور القمر باحداث الكلف فيه، ويدل على ذلك ما:

فى العيون و العلل: عن يزيد بن سلام انه سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما بال الشمس والقمر لا يستويان فى الضوء والنور؟ قال: لما خلقهما الله عزوجل أطاعا و لم يعصيا شيئاً، فأمر الله عزوجل جبرئيل أن يمحو ضوء القمر، فمحاه فأثّر المحو فى القمر خطوطاً سوداء، ولوأن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح لما عرف الليل من النهار، و لا النهار، من الليل و لا علم الصائم كم يصوم، ولاعرف الناس عدد السنين، وذلك الله عزوجل: وجعلنا الليل و النهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب» قال: صدقت يامحمد. الخبر.

اقول: وللناس فى سواد القمر أقوال مختلفة:

منها - انه خيال لاحقيقة له. وردّ هذا بانه يستحيل عادة توافق جميع الناس على خيال واحد لاحقيقة له.

ومنها - انه شبح ما ينطبع فيه من السفليات من الجبال والبحار والانسان والحيوان... حتى وقد أشاعت مردة من أراد الحكومة على الناس بينهم - فى زماننا هذا - بانعكاس صورته على القمر لالفات نظراتهم إليه وإعتقادهم به وتقويتهم إياه بالشعار من غير شعور و التصفيق و الغوغاء فى نيله بما أراد، و قد صدّق أكثر هم ذلك من غير تصور... و قد رأيت الاشارة إلى ذلك لازماً فى المقام لئلا تشيع أمثال تلك الاوهام بين العوام بعد هذه الايام لنيل شرذمة من أتباع الهوى وعبيد الشهوة والاشتهار بالمقام.

وردّ بانه لو كان كذلك لكان يختلف باختلاف القمر فى قربه وبعده وإنحرافه عما ينطبع فيه.

ومنها - انه سواد كائن في الوجه الآخر . و ردّ بانه لو كان كذلك لم يرمتفرّقاً .

ومنها - انه سحق النار للقمر . و ردّ بانه غير مماسّ للنار لانه مركوز في تدوير هو في ثخن حامل ، فبينه و بين النار بعد بعيد ، و لو فرض انه في حضيض التدوير مع كونه في حضيض الحامل لم يتصوّر هناك مماسّة إلابنقطة واحدة ، و أيضاً فهو غير قابل للتسخن عندهم فكيف ينسحق بها .

ومنها - انه جزء من القمر لايقبل النور كسائر أجزائه القابلة له . وردّ بانه مخالف لماذهبوا إليه من بساطة الفلكيات ، فيبطل جميع قواعدهم المبنيّة على بساطتها .

ومنها - انه وجه القمر ، فانه مصوّر بصورة إنسان ، فله عينان وحاجبان وأنف وفم . وردّ بانه لافائدة في جعل هذه الاجزاء فيه .

ومنها - انه أجسام سماوية مختلفة معه في تدويره غير قابلة للانارة حافظة لوضعها معه دائماً . وهذا أقرب الوجوه عندهم. وغير ذلك من التقولات في سواد القمر من غير إبتنائها على علم ولادليل صحيح ولابرهان واضح . . .

وفي البحار : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام لما صعد المنبر وقال : سلوني قبل أن تفقدوني قال : فقام إليه رجل فسئله عن السواد الذي في القمر ، فقال عليه السلام : أعمى سئل عن عمياء أما سمعت الله عزوجل يقول :« فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة »

والسواد الذي تراه في القمر ان الله عزوجل خلق من نور عرشه شمسين، فأمر جبرئيل فامرّ جناحه الذي سبق من علم الله جلّت عظمته لما أراد أن يكون من إختلاف الليل والنهار والشمس والقمر وعدد الساعات والأيام والشهور و السنين و الدهور و الارتحال و النزول و الاقبال و الادبار و الحج و العمرة ، و محل الدين وأجر الأجير وعدد أيام الحبل والمطلّقة والمتوفى عنها زوجها، وما أشبه ذلك.

﴿القمر وخسوفه﴾

قال الله تعالى : فاذا برق البصر وخسف القمر » القيامة : ۷ ـ ۸)

هذا عند مجيىء الساعة ، وأما قبل ذلك فتقول علماء الهيئة : ان خسوف القمر يحدث من مروره فى ظل الارض، وهذا لايمكن حدوثه إلاّ عندالاستقبال، ففى نصف طريقه يمرّ فوق ظل الارض ، وفى النصف الثانى تحته

فالخسوف يحدث والقمر فى إحدى العقدتين أو بقرب إحداهما . وقالوا :ان الخسوفات الكلية للقمر أندر من الخسوفات الجزئية ، و أكثرها تظهر لا كثر سكان الكرة الارضية .

ويحدث أن يشاهد الخسوف كل مدة ، و فى البعض الآخر تشاهد بداءته فقط وفى غيرها نهايته غير أن القمر لايختفى تماماً عن النظر حتى فى الخسوف الكلى، وذلك بسبب إنكسار شعاع الشمس بمرورها فى طبقات الهواء السفلى حيث ينحل النور ، ويظهر القمر على لون السماء وقت الغياب ، و درجة الانكسار و اللون متوافقان على كثافة الهواء و فى ذلك الوقت .

فى الكافى :باسناده عن الحكم بن المستورد عن سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام قال :ان من الآيات التى قدّرها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذى خلقه الله بين السماء والارض ،قال : وان الله قدّر فيه مجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب ثم قدّر ذلك كله على الفلك ثم و كّل بالفلك ملكاً معه سبعون ألف ملك ، فهم يديرون الفلك ، فاذا أداروه دارت الشمس والقمر والنجوم

والكواكب معه ، فنزلت فی منازلها التی قدّرها الله فیها لیومها ولیلتها .

فاذا كثرت ذنوب العباد و أراد الله تبارك و تعالى أن يستعتبهم بآية من آياته أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذى عليه مجارى الشمس و القمر و النجوم والكواكب ، فيأمر الملك اولئك السبعين ألف ملك أن يزيلوه عن مجاريه قال : فيزيلونه ، فتصير الشمس فی ذلك البحر الذی یجری فی الفلك.

قال : فيطمس ضوءها ويتغيّر لونها ، فاذا أراد الله عزوجل أن يعظم الاية طمست الشمس فی البحر على مايحبّ الله أن يخوّف خلقه بالآية ، و ذلك عند إنكساف الشمس ، قال : و كذلك يفعل بالقمر ، قال فاذا أراد الله أن يجليّها أو يردها إلى مجراها أمر الملك الموكل بالفلك أن يردّ الفلك إلى مجراه ، فيردّ الفلك فترجع الشمس إلى مجراها ، قال : فتخرج من الماء وهی كدرة .

قال والقمر مثل ذلك ، قال: ثم قال علی بن الحسين عليه السلام: أما انه لايفزع لهما و لايرهب بهاتين الآيتين إلاّ من كان من شيعتنا ، فاذا كان كذلك ، فافزعوا إلى الله عزوجل ثم ارجعوا إليه

اقول : رواه القمی فی « تفسيره » و الشيخ فی «الفقيه» و المجلسی فی «البحار» عن الحكم بن المستنير .

وقوله عليه السلام « إلاّ من كان من شيعتنا » لأنهم يؤمنون بذلك ، وأما أكثر الناس فيسندونهما إلى حركات الافلاك ، فلايرهبون لهما .

وفی مجمع البحرين : و كلهم رووا : « انهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ولايكسفان لموت أحد ولالحياته » .

وفی الفقه: باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام قال :إنما جعلت للكسوف صلاة لانه من آيات الله ، لايدرى ألرحمة ظهرت أم لعذاب ؟ فأحبّ النبی صلى الله عليه وآله وسلم أن تفزع امته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقيهم مكروهها كماصرف عن قوم يونس عليه السلام حين تضرّعوا إلى الله عزوجل .الحديث.

وفي المقنعة: للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه قال: روى عن الصادقين عليهما السلام ان الله إذا أراد تخويف عباده و تجديد زجره لخلقه كسف الشمس و خسف القمر، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الله بالصلاة.

وفي التهذيب: باسناده عن على بن عبدالله قال سمعت أباالحسن موسى عليه السلام يقول: انه لما قبض إبراهيم بن رسول الله عليه السلام جرت فيه ثلاث سنن: أما واحدة فانه لما مات إنكسفت الشمس فقال الناس: انكسفت الشمس لفقد إبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره، مطيعان له لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فاذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلّوا، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف.

اقول: ولا ينافي ذلك ما قد يكون الكسوف و الخسوف لتخويف العباد عند فقد أولياء الله تعالى إذا كان فقدهم من قبل الناس بغير حق كما في قتل الامام على بن أبيطالب والحسين بن على عليهما السلام، وقد يقع ذلك تعظيماً للفقيد كما قد يحدث لاشاعة الفحشاء والآثام بين الناس.

و بذلك يجمع بين ما تقدم وبين ما يدل على الوقوع عند فقد بعض الاولياء.

و أما ما قيل: ان خسوف القمر يكون عند إستقبال الشمس إذا كان على إحدى العقدتين أو بقربها بحيث يكون عرضه أقلّ من مجموع نصف قطره و قطر مخروط ظلّ الارض إنحجبت بالارض عن نور الشمس، فيرى ان كان فوق الارض على ظلامه الاصلي كلاً أو بعضاً وذلك هو الخسوف الكلى أو الجزئى، واما إذا كان عرضه عن منطقة البروج بقدر نصف القطرين فلا ينخسف، وما جاء في الاخبار ففيها وجوه:

أحدها - ان هذه مقدمات حدسيّة ظنيّة فانه يمكن أن تكون هذه الاختلافات لجهة اخرى كما قال ابن هيثم في إختلاف تشكّلات القمر انه يجوز أن يكون ذلك لان القمر كرة مضيئة نصفها دون نصف، وانها تدور على مركز

نفسها بحركة متساوية لحركة فلكها ، فاذا كان نصفه المضيىء إلينا فبدر أو المظلم ، فمحاق ، وفيما بينهما يختلف قدر ماتراه من المضيىء .

و أيضاً يمكن أن يكون الفاعل المختار يحدث فيه نوراً بحسب إرادته في بعض الأحيان ولايحدث في بعضها ، فالحكم ببطلان الخبر أو تأويله غير مستقيم.

ثانيها ـ انه يمكن أن يكون عند حدوث تلك الاسباب يقع المرور على البحر أيضاً ، و يكون له أيضاً مدخل في ذلك ، و إمتناع الخرق و الالتئام على الافلاك وعدم جواز الحركة المستقيمة فيها وإمتناع إختلاف حركاتها ، وأمثال ذلك لم يثبتوها إلا بشبهات واهية وخرافات فاسدة، لايخفى وهنها على المتأمل الخبير ، مع أن القول بها يوجب نفي كثير من ضروريات الدين من المعراج ، ونزول الملائكة ، و عروجهم و خرق السماوات و طيّها و إنتشار الكواكب و إنكسافها يوم القيامة ، و غير ذلك مما يصرّح به القرآن الكريم والاخبار المتواترة...

ثالثها ـ ما ذكره الشيخ قدّس سره في الفقيه إذ قال : ان الذي يخبر به المنجمون فيتفق على مايذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء ، و إنما يجب الفزع إلى المساجد والصلاة لأنه آية تشبه آيات الساعة .

وقال الشهيد رضوان الله تعالى عليه في « الذكرى» في جملة فروع أوردها في أحكام صلاة الكسوف ـ :الرابع لو جامعت صلاة العيد بأن تجب بسبب الآيات المطلقة أو بالكسوفين نظراً إلى قدرة الله تعالى و إن لم يكن معتاداً على أنه قد إشتهر ان الشمس كسفت يوم عاشوراء لما قتل سبط المصطفى سيد الشهداء الامام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام كسفة بدت الكواكب فيها نصف النهار فيما رواه البيهقي وغيره .

وروى الزبير بن بكّار في كتاب « الأنساب »انه توفّي في العاشر من شهر ربيع الاول و روى الأصحاب ان من علامات المهدي عليه السلام كسوف الشمس في النصف الاول من شهر رمضان إلى آخر ما قال :

وفي البحار : قال المجلسي رضوان الله تعالى عليه : رأيت في كثير من كتب الخاصة والعامة وقوع الخسوف في يوم عاشوراء وليلته .

و في ارشاد المفيد قدس سرّه باسناده عن ثعلبة الازدي قال : قال أبو جعفر عليه السلام آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام : كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره قال : قلت : يابن رسول الله تكسف الشمس في آخر الشهر و القمر في النصف ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : أنا أعلم بما قلت : انهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام

وفي الكافي : باسناده عن بدر بن الخليل الازدي قال : كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال : آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الارض : تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره ، فقال رجل : يابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر ، و القمر في النصف ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : اني أعلم ما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام .

رابعها ـ ما أوّله بعض المتفلسفين و هو ان المراد بالبحر في الكسوف ظلّ القمر ، وفي الخسوف ظلّ الارض على الاستعارة .

وقال المجلسي: وجدت في بعض الكتب مناظرة لطيفة وقعت بين رجل من المدعين للاسلام يذكر هذا التأويل للخبر ، وبين رجل من براهمة الهند قال له حين سمع ذلك التأويل منه : لايخلو من أن يكون مراد صاحب شريعتك ما ذكرت أم لا فان لم يكن مراده ذلك ، فالويل لك حيث اجترأت على الله ، و عليه وحملت كلامه على مالم يرده ، و افتريت عليه .

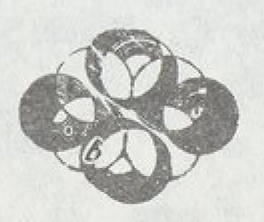
وإن كان مراده ذلك فله غرض في التعبير بهذه العبارة ومصلحة في عدم التصريح بالمراد لقصور أفهام عامة الخلق عن فهم الحقائق ، فالويل لك أيضاً حيث نقضت غرضه ، وأبطلت مصلحته وهتكت سرّه .

ثم قال المجلسي: هذا الكلام متين ، و إن كان قائله على ما نقل من

الكافرين لان عقول العباد قاصرة عن فهم الاسباب والمسببات ، و كيفية نزول الأنكال والعقوبات ، فاذا سمعوا المنجم يخبر بوقوع الكسوف أو الخسوف فى الساعة الفلانية بمقتضى حركات الافلاك لم يخافوا عند ذلك ، و لم يفزعوا إلى ربهم ولم يرتدعوا به عن معصيته، ولم يعدّوه من آثار غضب الله تعالى لانهم لايعلمون انه يمكن أن يكون الصانع القديم والقادر الحكيم لما خلق العالم ، وقدّر الحركات وسبّب الاسباب والمسببات ، وعلم بعلمه الكامل أحوالهم وأفعالهم فى كل عصر و زمان .

و كل دهر وأوان وعلم ما يستحقون من التحذير والتنذير قدّر حركات الافلاك على وجه يطابق الخسوف والكسوف وغيرهما من الآيات بقدر ما يستحقونه بحسب أحوالهم من الانذارات و العقوبات . . . و هذا باب دقيق يعجز عنه أفهام أكثر الخلق .

وبالجملة: الحديث وإن كان خبراً واحداً غير نقىّ السند لكن لا يحسن الجرأة على ردّه ، و ينبغى التسليم له فى الجملة ،وإن صعب على العقل فهمه ،فانه سبيل أرباب التسليم الثابتين على الصراط المستقيم .



﴿أقمار غير قمرنا هذا﴾

وقد وردت في المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

في بصائر الدرجات للصفار رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : ان من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين شمس إلى شمس أربعون عاماً ، فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم أو لم يخلقه ، وان من وراء قمر كم هذا أربعين قمراً ما بين قمر إلى قمر مسيرة أربعين يوماً فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم أو لم يخلقه . . . الحديث .

اقول : ولا يخفى على من له دراية ان الرواية قوية سند أو متناً ، و هي تصرح بوجود شموس حسيّة خارج عالمنا ، و من و راء نظام شمسنا و تصرح بوجود أقمار حسية خارج عالمنا ، و من وراء نظام قمرنا هذا ، مع أن الامام عليه السلام قد أكّد كلامه بما لا ينبغي معه التأويل من إشارته إلى الجرم المحسوس ، وإضافته إلى المخاطبين ، وتكرير كلمة « عين » إذ قال : « ان من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس » وأشار إلى المسافة بين شمس وشمس ، وبين قمر إلى قمر ، فكيف يسوغ التأويل وتوجيه الكلام عن مرامه ولا يخفى ما بينهما من الفرق في المسافة.

وأما قوله عليه السلام: « فيها خلق كثير » فظاهره يخالف ما اشتهر عند أواخر المتأخرين من أن الشمس والقمر يفقدان لوازم العيش من وجود الهواء و إعتدال الحر والمياه القابلة ، ونحوها فكيف يوجد الحيّ فيهما ويبقى؟ فقيل : ان الظاهر من الخبر المتصدد إثبات المخلوق في الشمس من دون حقيقته ، و لا إشارة إلى أنه حيّ أو عاقل أو نبات أو سائل ، فيكفينا إذاً وجود الكائنات الغازية والعناصر

السائلة فى الشمس لأنها من المخلوقات إيضاً ،فلاينافى ظاهر الخبر رأى المتأخرين.

اقول : وهذا خلاف الظاهر من الخبر المتصدد إذفيه : « فيهاخلق كثير ما يعلمون » فنفى العلم بشيء خاص مشعر بأن مانفيت عنه قابل لأصل العلم و الدراية .

وقد ذهب الاستاذان : « هرشل » كاشف نجمة اورانوس و « واراغو » و جماعة من المتأخرين إلى أن الاجرام بأسرها مسكونة ، و حاملة للخلق حتى الأقمار والشموس ، غاية الامر ان الكائن فى كل جرم خلقه الله تعالى على حسب إستعداد موطنه مثل كائنات حية تعيش فى النار كالسمند على ما نقل .

ولكن الاوجه أن يراد من قوله : « فى الشمس » أى فى عالم الشمس على الحذف مجازاً أى وفى عالم كل شمس وفى عالم كل قمر خلق كثير .

ويؤيد ذلك قوله عليه السلام : « فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم آدم أولم يخلقه » إذلم ينف عنهم العلم تماماً بل نفى عنهم العلم الخاص ، وهذا يدل على أنهم قابلون لاصل العلم ، فيثبت كونهم أحياء ناطقين فى تردد الامر بين كونهم من نوع البشر أومن الملائكة المجردين . ومن العجيب انه لم يختلف من المتقدمين فاضلان فى أن القمر واحد منفرد فى عوالم الوجود ، ويعهد أحد جوز وجود قمر آخر غير هذا القمر ، فان الطريق إلى إدرا كه اما الحس و إما العقل :

أما الحس فكليل جداً غير قابل فان البصر لايبصر غير الانجم والكواكب، ولا يحس أيضاً بكرات تدور حول الكواكب و النجوم ... و لا بعوالم و نظامات غير نظامنا وعالمنا ، فادراك عالم آخر أو شمس اخرى أمر تقوم به العقول ، وتعجز عنه الابصار و الحواس المجردة ...

وأما العقل فلم يكن عند هم مايقتضى لوجود قمر آخر أو عالم آخر ، بل كان مانعاً عن إعتقاد عالم آخر بنظام آخر فى دائرة الوجود الخارجى كما كانوا

يعتقدون إستضائة القمر بأسره من نور شمسنا من غير نور لنفسه أصلاً .

ولكن الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين تلوح تارة ، و تصرح تارة اخرى على أن في أعماق الفضاء الواسع كواكب ثابتات وشموس و أقمار منيرة بذاتها ، حامية بنفسها ، سابحة في الفضاء سبحاً ، و ليس شيء منها منوطاً من جهة بعالمنا ولا مربوطاً بنظام شمسنا وقمرنا ، ولكل واحدة منها نظام خاص و عالم مخصوص مؤلف من أراض وسيارات و أقمار دوّارة ، وهي في مركز نظامها كشمسنا في عالمنا هذا.

وهذا قبل ألف سنة، ولما كان ذلك صادراً بلا إقامة برهان علمي و كانت ظواهر ألفاظها الحقة مخالفة للعلوم ، ولم تكن العقول والأفهام يوم ذاك مهيأة لا دراك الحقائق أخذ العلماء والحكماء من المسلمين يؤلّون مقالات الشريعة، ويظهرون للناس : ان المقصود من هذه الظواهر معان خفية غير المعاني الحقيقية ،فصرفوا بتأويلاتهم البعيدة التي لا يرضى صاحبها ،فبدّلوا حقائقها تبديلاً، فلم يتفطن أحدهم بتعدد القمر في عالم الوجود . . .

حتى نشرت العلوم في عصرنا وظهر كثير من الحقائق ... فأمكننا إستفادة المعاني الحقيقية من ظواهر مقالات شريعتنا الاسلامية ، فاصبح اليوم تعدد الاقمار والشموس . . .

وأول قمر إكتشفوه غير قمرنا المبصر قمر للمشترى إكتشفه « غاليلة » سنة (١٦١٠م) ثم تتابعت إكتشافات الأقمار الخفية حتى بلغ القدر المسلم منها في عصرنا ثمانية و عشرون قمراً : واحد لأرضنا ، و إثنان للمريخ ، و ثمان للمشترى ، و ثمان لزحل ، وثمان لاورانوس، وواحد لنبتون ، ويزداد على ذلك باضافة قمر واحد لزهرة كما ادعى رويته : كاسني ومونتاين وغيرهما على ما في كتب الباحثين...

وفي روضة الوافي : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين

على بن أبيطالب عليه السلام قال : « قمرنا أم قمرهم ؟ »
وهو ظاهر فى أن لناقمراً ، ولغيرنا أيضاً قمراً ، و هذا قبل أن يحدث فى العالم رأى بتعدد الأقمار باكثر من ألف سنة .

وفى رواية : عن الامام على بن أبيطالب عليه السلام أيضاً قال : « ان فى قمر كم هذا لخلقاً كانوا يحرثون »

فلونطقت الروايات بوجود كائنات حية فى القمر ، فلا ينبغى لمن له أدنى مسكة إستبعاده بمعارضته للمشهور ، فان جمعاً من عظماء الفلاسفة المتأخرين و الباحثين حول النجوم خالفوا المشهور ، و ذهبوا إلى وجود الحيوان فى خصوص قمرنا مثل « هوك » و «هرشل» و « غوك » و « كاسنى » و « اراغو » على ما فى حدائق النجوم ، ومثل «مستوك» و«ييكرين»وغيرهم ولهم على ذلك شواهد و أدلة لا يسعها المقام ، ونحن على جناح الاختصار .



«القمر ودرس التوحيد»

ان الله جل وعلا يأمرنا بأن نتتبّع السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار ، وأن ننظر إلى ماخلق من عوالم شتى : من كواكب وأقمار وشموس و مجرات وسدم كيف تتكوّن الأنجم و كيف تبيد :

فيقول : « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً» نوح : ١٥-١٦)

ويقول : «فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر و البحر قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون»الانعام: ٩٦-٩٧)

ويقول: «ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين» الاعراف : ٥٤)

ويقول : «وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون» النحل : ١٢)

ويقول : « وهو الذى خلق الليل و النهار والشمس و القمر كل فى فلك يسبحون» الانبياء : ٣٣)

ويقول : «ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض وسخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنى يؤفكون» العنكبوت: ٦١)

ويقول : «وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير» فاطر: ١٣)

ان الله تعالى يريد منا أن نتوغل فى عوالم السماء ، و ما خلق من عوالم اخرى لنعرفه سبحانه بعلمه وحكمته، بعظمته وجلاله، بقدرته وتدبيره، وبرحمته و رأفته .. . ولكى نزداد يقيناً به عزوجل لأنها من آياته .. . وقد كان إبراهيم خليله عليه السلام يستدل بها على الصانع الحكيم العليم الخبير القادر المتعال لهذا العالم الرحيب .

قال الله تعالى : «الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبّر الامر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون» الرعد: ٢)

وقال : «ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر» فصلت: ٣٧)

وقال : « و كذلك نرى ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جنّ عليه الليل رآى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا احبّ الآفلين فلما رآى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رآى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون» الانعام : ٧٥ـ٧٨)

وأما اليوم فحقاً : ان علم الفلك اللاسلكى والمكانيك الرياضى فتحا على الانسان بعض أبواب المعرفة بالنسبة إلى مالايتناهى من شموس و كواكب وأقمار ومجرات وسدم ونيازك إلى ماهنالك من عوالم تدهش الألباب ، فان التلسكوب اللاسلكى يلتقط إشارات عن مسافة قدرها ثمانية آلاف مليون سنة ضوئية ، و السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء بسرعة (٣٠٠,٠٠٠) كيلومتر فى الثانية خلال سنة كاملة أى هى المسافة التى طولها : (٩٤٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) كيلومتر أو (٥٨٧٩,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ميل .

ثم ان بعد القمر عن الارض : (٢٤٠,٠٠٠) ميل ، والقمر هو العامل الأهم لحدوث الجزر والمدّ على سطح الكرة الأرضية في كل يوم مرتين، وان إرتفاع المدّ في بعض النقاط على الارض يبلغ (٦٠) قدماً حتى ان القشرة الارضية لتنجذب نتيجة جذب القمر لها عدّة اينجات، ونحن لانشعر بحدوث هذا الانجذاب من قبل القمر للقشرة الارضية ، و لمياه البحار و الانهار . . . يحدث كل ذلك بنظام وهدؤ .

ولو كان بعد القمر عنا : (٦٠٠٠) ميل فحسب عوضاً عن : (٢٤٠,٠٠٠) ميل لبلغ إرتفاع المد و الجزر للبحار بمقدار يؤدّى معه إلى إنغمار جميع السهول و الوديان تحت المياه نتيجة هذا المد الشديد ، ولكان ضغط الماء في كل مرّة شديداً جداً إلى درجة يؤدى إلى إبادة الجبال وما كان لأية قارّة من القارات أن تبرز من تحت المياه ليسكن عليها البشر .

و ذلك لان عمق الماء إذ ذاك كان يبلغ ميلاً ونصف ميل ، فما كان عند ذلك لأىّ إنسان أن يبقى حياً، وان الحيوانات البحرية أيضاً كانت تتغذى بعضها بالبعض الاخر و تفنى عن بكرة أبيها ، و ينقرض نسلها ، فعلم من كل ذلك ان لموقع القمر ومقدار بعده عن الارض أهمية عظمى لادامة الحياة على وجه الارض

وهكذا يتحقق قوله عزوجل: «فلا اقسم بمواقع النجوم» الواقعة ٧٥) وهو الواقع الحقيقى الذى لاريب فيه ، ان مواقع النجوم و منها القمر من الأهمية بحيث لولاها لاختلّ نظام العالم الرحيب .

فعلينا التعقل في ذلك فان الله جل وعلا يقول: «وسخّر لكم الليل والنهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » النحل : ١٢)

ويقول : «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون »

يونس : ٥)

فبالقمر يعلم عدد السنين والحساب ، و تضبط المواقيت الشرعية ، و منه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله عزوجل في طلوعه وغيبته مصالح تتعقل فيها يحكى ان أعرابياً نام عن جمله ليلاً ، ففقده فلما طلع القمر وجده فنظر إلى القمر وقال : ان الله صوّرك ونوّرك ، وعلى البروج دوّرك ، فاذا شاء نوّرك وإذا شاء كوّرك ، فلا اعلم مزيداً اسئلهلك فان اهديت إليّ سروراً فقد أهدى الله إليك نوراً .

ثم أنشأ في ذلك أبياتاً . . .

فاذا تأملنا فـي هذا العالم الشاسع نجده كالبيت المعدّ فيه كل ما يحتاج إليه الانسان ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والارض ممدودة كالبساط ، و النجوم منضودة كالمصابيح ... والانسان يعيش فيه هنيئاً، وضروب النبات مهيّأة لمنافعه ، و صنوف الحيوان متفرقة في مصالحه ، كما إذا كان لك البيت المتصرف فيه الممهد لعيشك الهنيىء فيه.

فهذه جملة واضحة دالة على أن هذ العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل ، و حكمة بالغة وقدرة غير متناهية . . .

وفي توحيد المفضل : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام للمفضل ـ : « استدلّ بالقمر ففيه دلالة جلية تستعملها العامة في معرفة الشهور ، ولايقوم عليه حساب السنة لان دوره لايستو في الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرّمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلّف عن شهور الشمس وسنيها ، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل ، فيكون مرّة بالشتاء ومرّة بالصف ، فكّر ـ يامفضّل ـ في إنارته في ظلمة الليل والارب في ذلك، فانه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان ، وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لاضياء فيها .

فلايمكن فيه شيء من العمل لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم فى تقصّى الاعمال بالنهار أو لشدة الحرّ و إفراطه فيعملون ضوء القمر أعمالاً شتّى كحرث الارض و ضرب اللبن و قطع الخشب ، وما أشبه ذلك،فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا ذلك، وأنساً للسائرين ، و جعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض ، و نقص مع ذلك من نور الشمس و ضيائها لكيلا تنبسط الناس فى العمل إنبساطهم بالنهار و يمتنعوا من الهدؤ والقرار ، فيهلكهم ذلك ، وفى تصرف القمر خاصة فى تهلله و محاقه و زيادته و نقصانه و كسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرّف له هذاالتصريف لصلاح العالم ما يعتبرفيه المعتبرون » .

وفى الصحيفة السجادية : من دعاء الامام سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام: «إذا نظر إلى الهلال:أيها الخلق المطيع الدائب المتردد فى منازل التقدير المتصرف فى فلك التدبير ، آمنت بمن نوّربك الظلم ، وأوضح بك البهم ، و جعلك آية من آيات ملكه ، و علامةمن علامات سلطانه (فحدّ بك الزمان) وامتهنك بالزيادة (بالكمال خ) والنقصان ،والطلوع والافول و الانارة والكسوف ، فى كل ذلك أنت له مطيع ، وإلى إرادته سريع .

سبحانه ماأعجب ما دبّر فى أمرك . و ألطف ما صنع فى شأنك : جعلك مفتاح شهر حادث لامر حادث ... » الدعاء .

﴿ القمر وعبدته ﴾

قال الله عزوجل : « ومن آياته الليل والنهار و الشمس و القمر لاتسجدوا للشمس ولاللقمر » فصلت : ٣٧)

ومن الناس من كانوا يزعمون ان القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة ، وإليه تدبير هذا العالم السفلى، والامور الجزئية فيه ،ومنه نضج الأشياء المكتوبة وايصالها إلى كمالها ، بزيادته ونقصانه تعرف الازمان والساعات. . .

وان القمر هو تلو الشمس وقرينها،ومنها نوره ، وبالنظر إليها تكون زيادته ونقصانه ، وهؤلاء القوم كانوا يسمّون الجندر يكينية أى عباد القمر ، و من سنتهم ان اتخذواله صنماً على شكل عجل يجرّه أربعة ، وبيد الصنم جرهر ومن دينهم أن يسجدوا له و يعبدوه .

وأن يصوموا النصف من كل شهر ولايفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن، ثم يرغبون إليه وينظرون إلى القمر، و يسئلونه حوائجهم ، فاذا استهل الشهر علوّ السطوح وأوقدوا الدخن ، ودعوا عندرؤيته ورغبوا إليه .

ثم نزلوا عن السطوع إلى الطعام والشراب والفرح والسرور، ولم ينظروا إليه إلاّ على وجوه حسنة ، وفى نصف الشهر إذا فرغوا من الافطار اخذوافى الرقص واللعب بالمعازف بين يدى الصنم و القمر .

فى العلل : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا كان يوم

القيامة اوتى بالشمس و القمر فى صورة ثورين عقيرين ، فيقذفان بهما ، و بمن يعبدهما فى النار ، وذلك انهما عبد افرضيا .

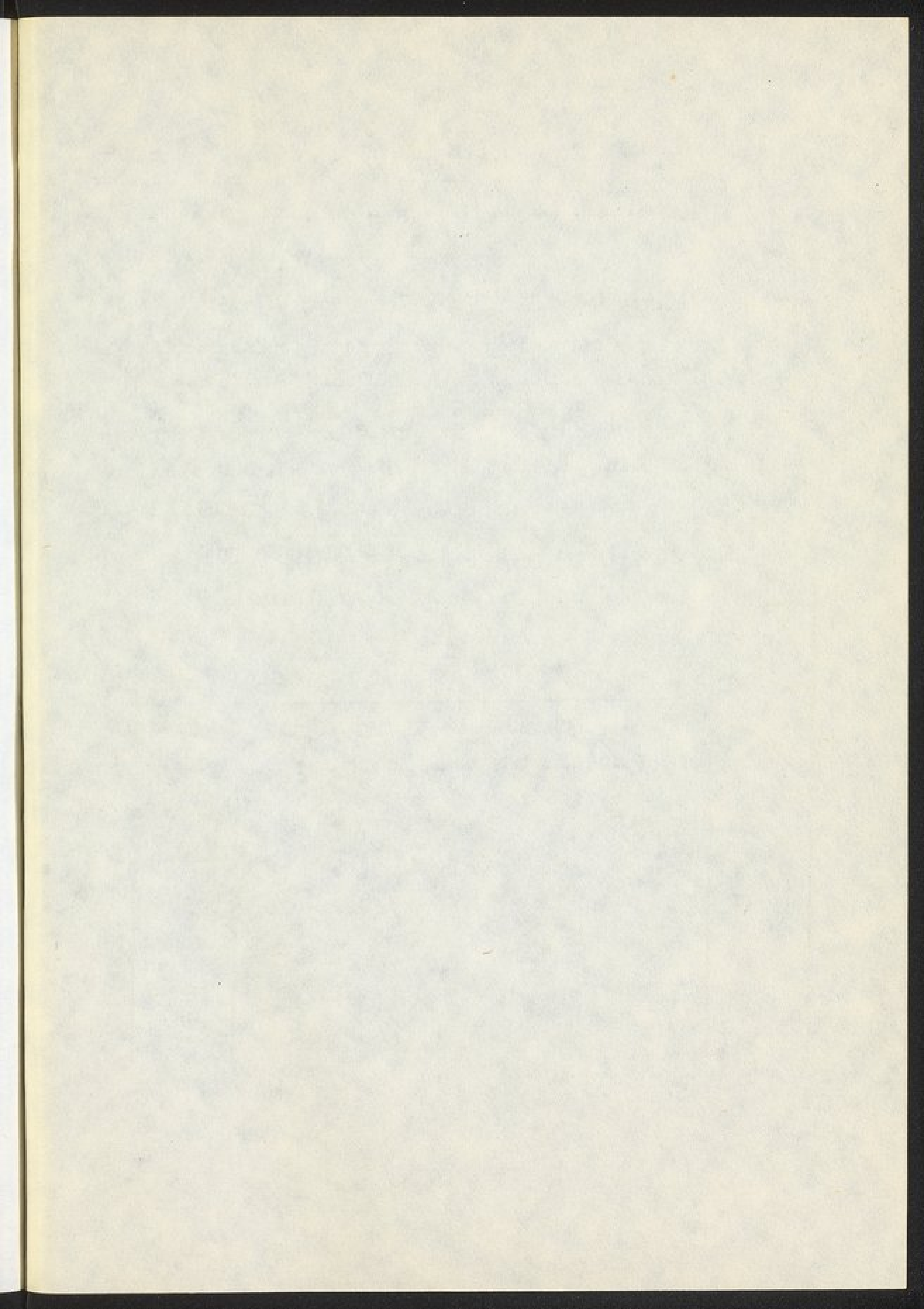
اقول : و من غير بعيد أن يكون المراد باتيان الشمس و القمر بصورة ثورين عقيرين يوم القيامة هما الصنمان اللذان على صورة الشمس والقمر ، و كانوا هم يعبد و نهما فى الحياة الدنيا ، أو اوتى بجرم الشمس بعد تكويرها ، و بجرم القمر بعد خسفه ، وليس جرمهما يومئذ كجر مهما فى الحياة الدنيا .

قال الله سبحانه : « وإذا رآى الذين أشر كوا شر كاء هم قالوا ربنا هؤلاء شر كاؤنا اللذين كنا ندعوا من دونك » النحل : ۸۶)

وقال : « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشر كوا مكانكم أنتم و شر كاؤكم فزيلنا بينهم وقال شر كاؤهم إيانا تعبدون » يونس : ۲۸)

تمت سورة الانشقاق و الحمدلله الاولى والاخرة

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة



فهرس ماجاء فى تفسير سورة الانفطار

يدور البحث حولها على فصلين :

الفصل الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

		رقم الصفحة
الاولى	فضل السورة وخواصها	٤
الثانية	غرض السورة	٦
الثالثة	حول النزول	٧
الرابعة	القراءة ووجهها	٨
الخامسة	الوقف والوصل ووجههما	٩
السادسة	حول اللغة	١٠
السابعة	بحث نحوى	١٤
الثامنة	بحث بيانى	٢٠
التاسعة	إعجاز السورة	٣٢
العاشرة	حول التكرار	٣٤

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٣٥
الثانية عشر	كلام في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٣٧
الثالثة عشر	تحقيق في الاقوال وبيان المختار منها	٣٨
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٤٧
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	٥٩
السادسة عشر	بحث روائي	٦٢
السابعة عشر	بحث فقهي	٦٨
الثامنة عشر	بحث مذهبي	٦٩

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة الانفطار وفيها ثلاث بصائر :

البصيرة الاولى: وفيها سبعة عشر أمراً :

		رقم الصفحة
الاول	بحث عميق علمي: فلسفي واجتماعي وأخلاقي في مرآتية النفس البشرية	٧١
الثاني	كلام دقيق علمي وقرآني في ملكات النفس	٧٤
الثالث	بحث كلامي وفلسفي في إدراك النفس بعد مفارقتها عن الأبدان	٨٠
الرابع	بحث روائي في علم النفس في الآخرة بما سنته في الدنيا	٨٢
الخامس	كلمات قصار في آثار معرفة النفس وتبعات جهلها	٨٥
السادس	غرر حكم ودرر كلم في إستعداد النفس	٨٩
السابع	كلمات قصار حول مافيه صلاح النفس وفسادها	٩٣
الثامن	غرر حكم ودرر كلم في طاعة النفس والمتقين ومعصيتها المجرمين	٩٨
التاسع	كلمات قصار في كرامة النفس وثمنها الجنة	١٠٣
العاشر	غرر حكم ودرر كلم في زهد النفس وملكها لنفسها	١٠٧
الحاديعشر	النفس والدنيا	١١٠

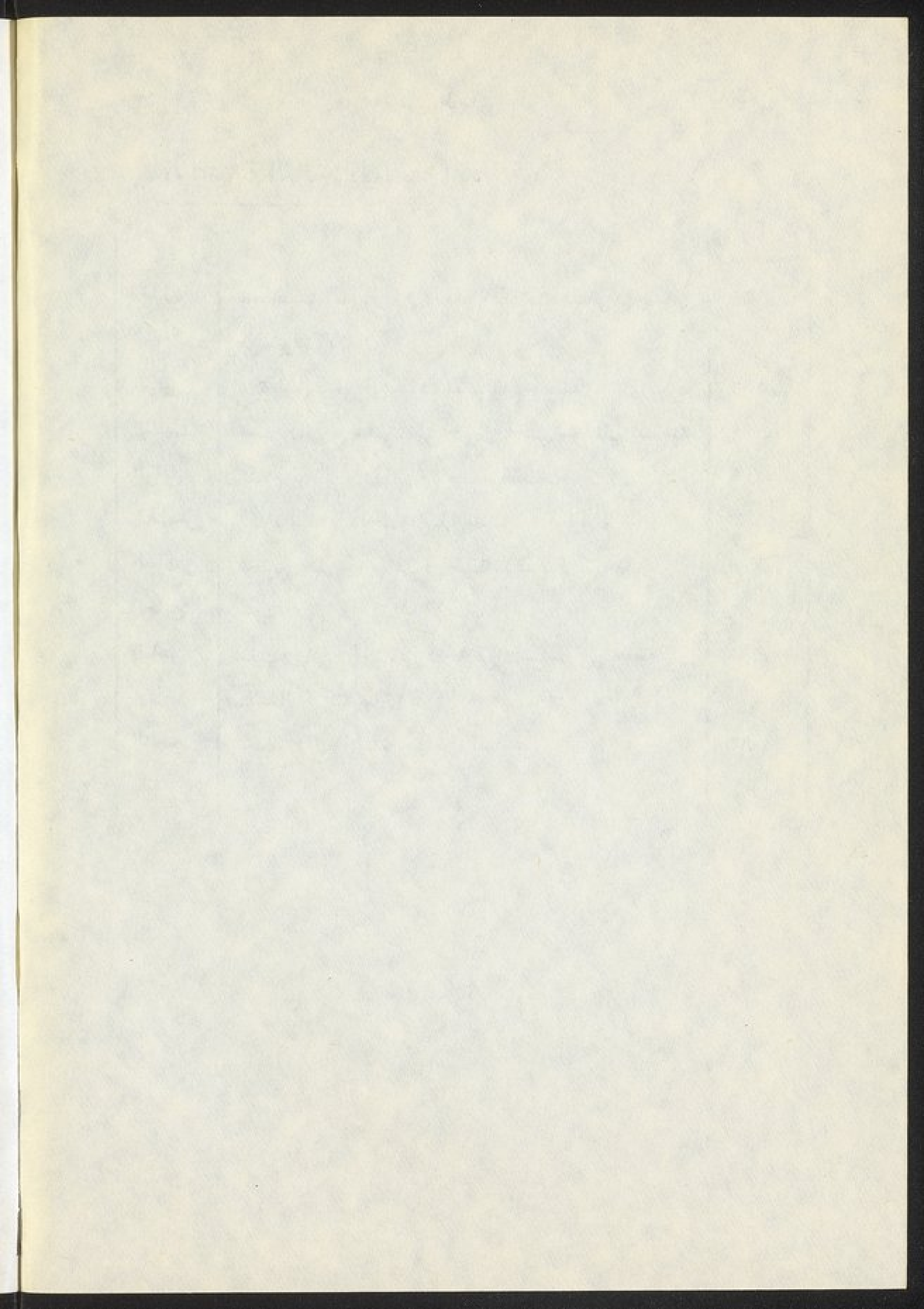
		رقم الصفحة
الثاني عشر	غنى النفس وعزها، وفقر النفس وذلها	١١٤
الثالث عشر	رضا النفس ونصحها وإنصافها	١١٦
الرابع عشر	شغل النفس بنفسها عن غيرها والعكس بالعكس	١٢٠
الخامس عشر	جهاد النفس ومحاسبتها	١٢٣
السادس عشر	تهذيب النفس وأدبها	١٢٧
السابع عشر	ضلالة النفس وهلاكها	١٢٩

البصيرة الثانية: وفيها امور أربعة:

		رقم الصفحة
احدها	تحقيق علمي قرآني وروائي في حقيقة الغرور	١٣٢
ثانيها	بحث علمي وإجتماعي وأخلاقي في أسباب الغرور	١٣٩
ثالثها	كلام في الدنيا والمغترون بها	١٤٢
رابعها	غرر حكم ودرر كلم حول الغرور	١٤٨

البصيرة الثالثة: وفيها تسعة امور :

		رقم الصفحة
الاول	بحث عميق علمی: قرآنی وروائی و كلامی وفلسفی وإجتماعی فی صورة الانسان	۱۵۶
الثانی	تحقيق علمی فی صورة الانسان وحقيقته	۱۶۲
الثالث	بحث روائی فی معنی خلق آدم عليه السلام على صورة الله سبحانه	۱۶۶
الرابع	كلام قرآنی وروائی فی حفظة الانسان	۱۶۹
الخامس	كلام سياسی وإجتماعی فی الجناية والحراسة	۱۷۳
السادس	تحقيق علمی وأخلاقی فی ضبط الاعمال و كتابتها	۱۷۸
السابع	بحث روائی فی كتّاب الاعمال	۱۸۲
الثامن	بحث روائی : إجتماعی وأخلاقی و سياسی فی حفظة الاعمال و كتابتها	۱۸۸
التاسع	بحث روائی فی كتابة أعمال المرضی	۱۹۳



فهرس ما جاء في تفسير سورة المطففين

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

		رقم الصفحة
الاولى	فضل السورة وخواصّها	١٩٨
الثانية	غرض السورة	٢٠٠
الثالثة	حول النزول	٢٠١
الرابعة	القراءة ووجهها	٢٠٦
الخامسة	الوقف والوصل ووجههما	٢٠٧
السادسة	حول اللغة	٢٠٩
السابعة	بحث نحوى	٢١٩
الثامنة	بحث بيانى	٢٢٩
التاسعة	إعجاز السورة	٢٣٨
العاشرة	حول التكرار	٢٥١

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٢٥٣
الثانية عشر	كلام في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٢٥٧
الثالثة عشر	تحقيق في الاقوال وبيان المختار منها	٢٥٨
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٢٨٥
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	٣١٣
السادسة عشر	بحث روائي	٣١٨
السابعة عشر	بحث فقهي	٣٣٠
الثامنة عشر	بحث مذهبي	٣٣٤



الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة المطففين وفيها سبع بصائر:

البصيرة الاولى : وفيها خمسة امور :

		رقم الصفحة
الاول	تحقيق علمي وإجتماعي في التطفيف والمطففين	٣٣٧
الثاني	بحث قرآني وروائي في ايفاء الكيل والوزن	٣٤٠
الثالث	دعاة الاسلام وسوق المسلمين: إجتماعي وسياسي	٣٤٥
الرابع	الغش في المعاملات	٣٥٠
الخامس	بحث قرآني وروائي : علمي وإجتماعي وأخلاقي في التطفيف والافساد في الارض	٣٥٣

البصيرة الثانية : وفيها إثنا عشر أمراً :

		رقم الصفحة
احدها	بحث عميق علمي: قرآني وروائي و كلامي وفلسفي وإجتماعي في حقيقة البعث و كيفيته	٣٦١
ثانيها	القرآن الكريم والبعث	٣٦٦
ثالثها	تحليل قرآني حول البعث	٣٧١
رابعها	تحقيق علمي دقيق في أطوار الانسان والبعث	٣٧٧
خامسها	العقل والبعث	٣٨١
سادسها	لزوم البعث وحتمية الجزاء	٣٨٧
سابعها	طوائف الناس في العقائد بالبعث	٣٩٢
ثامنها	البعث وعلل الانكار: أخلاقي وإجتماعي	٣٩٨
تاسعها	إعتراف الشيطان بالبعث وشبهات أذنابه فيه	٤٠٣
عاشرها	الحنفاء والبعث	٤٠٩
الحاديعشر	الشيعة الامامية الاثنى عشرية والبعث	٤١٢
الثاني عشر	بحث علمي وأخلاقي وإجتماعي في البعث وآثار الايمان به	٤١٥

البصيرة الثالثة: وفيها ثلاثة امور:

		رقم الصفحة
الاول	بحث علمي قرآني وروائي وإجتماعي وأخلاقي في الفجار والفجور	٤٢٠
الثاني	الامام علي عليه السلام قاتل الفجرة وعذاب الفجار	٤٢٥
الثالث	غرر حكم ودرر كلم حول الفجور والفجار	٤٢٨

البصيرة الرابعة: وفيها أمران:

		رقم الصفحة
احدهما	كلام علمي: قرآني وروائي وإجتماعي وأخلاقي في الاثم وجزاء الآثمين	٤٣٢
ثانيهما	كلمات قصار في الاثم والآثم	٤٣٦

البصيرة الخامسة : وفيها خمسة امور :

		رقم الصفحة
الاول	بحث عميق علمي: قرآني وروائي و كلامي وفلسفي و اجتماعي واخلاقي في رين القلوب وأسبابه وأحوالها	٤٣٩
الثاني	تحقيق علمي دقيق في أحوال القلوب واقسامها	٤٤٨
الثالث	بحث روائي في أقسام القلوب	٤٥٥
الرابع	كلام فيما فيه سواد القلب وفساده	٤٥٩
الخامس	كلمات قصار في رين القلوب	٤٦٢

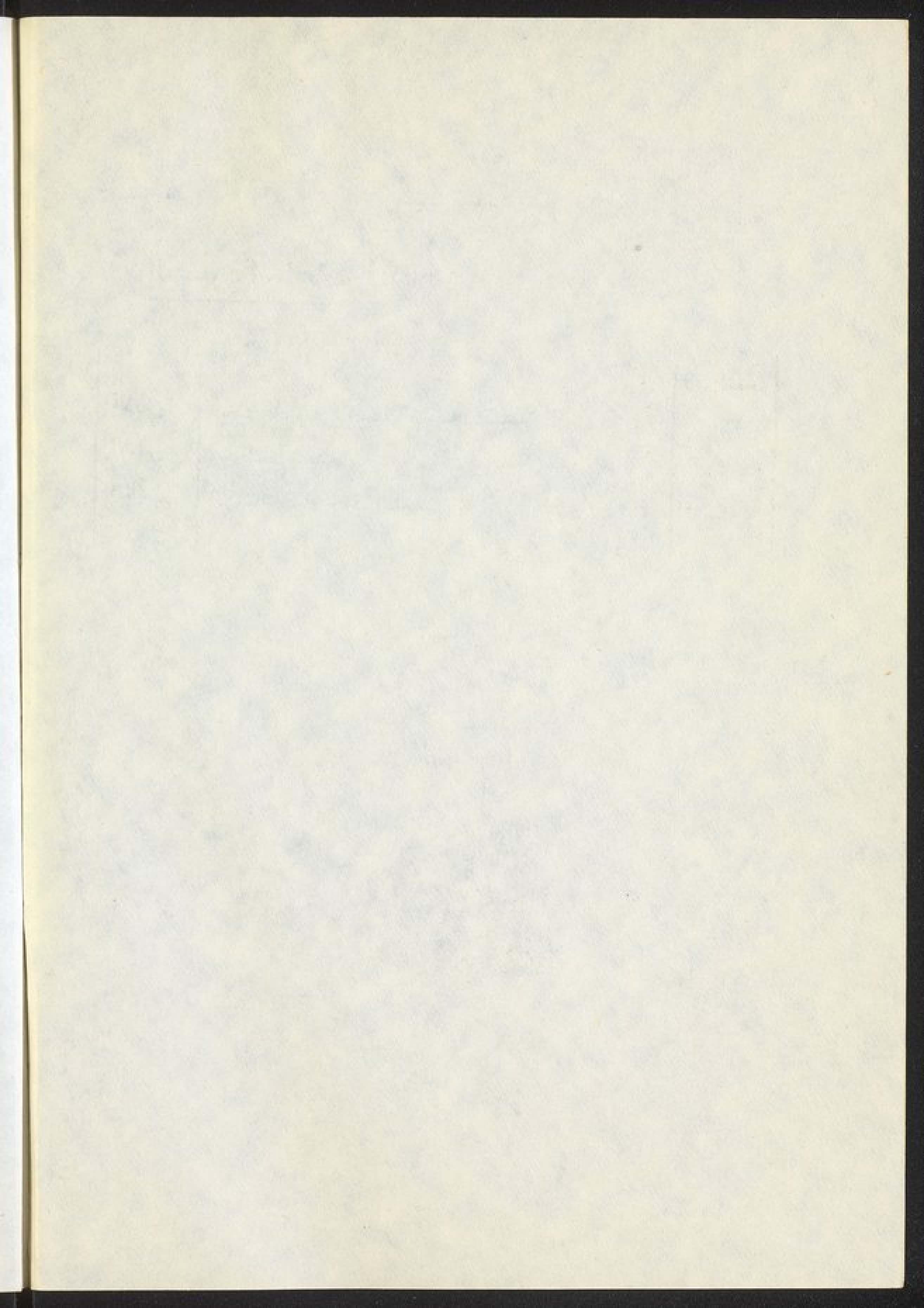
البصيرة السادسة : وفيها امور أربعة :

		رقم الصفحة
احدها	تحقيق علمي: قرآني وروائي في حقيقة البر و أقسامه	٤٦٥
ثانيها	بحث إجتماعي وأخلاقي في آثار البر و علائم الابرار	٤٧٠
ثالثها	الابرار والتنافس فيما نالوابه إلى الجنة	٤٧٤
رابعها	غرر حكم ودرر كلم في البر و الابرار	٤٧٧

البصيرة السابعة : وفيها ثلاثه امور :

		رقم الصفحة
الاول	بحث علمي في حقيقة الضحك وأقسامه	٤٨٢
الثاني	ضحك و ضحك	٤٨٧
الثالث	كلمات قصار حول الضحك	٤٨٩





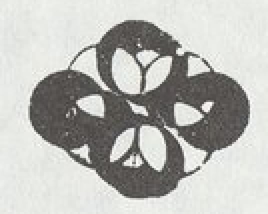
فهرس ما جاء في تفسير سورة الانشقاق

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

		رقم الصفحة
الاولى	فضل السورة وخواصها	٤٩٤
الثانية	غرض السورة	٤٩٦
الثالثة	حول النزول	٤٩٨
الرابعة	القراءة ووجهها	٥٠٠
الخامسة	الوقف والوصل ووجههما	٥٠١
السادسة	حول اللغة	٥٠٢
السابعة	بحث نحوى	٥١٧
الثامنة	بحث بيانى	٥٢٥
التاسعة	إعجاز السورة	٥٣٩
العاشرة	حول التكرار	٥٤١

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٥٤٤
الثانية عشر	كلام في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٥٤٨
الثالثة عشر	تحقيق في الاقوال وبيان المختار منها	٥٤٩
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٥٦٩
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	٥٨٧
السادسة عشر	بحث روائي	٥٩١
السابعة عشر	بحث فقهي	٦٠٠
الثامنة عشر	بحث مذهبي	٦٠٣

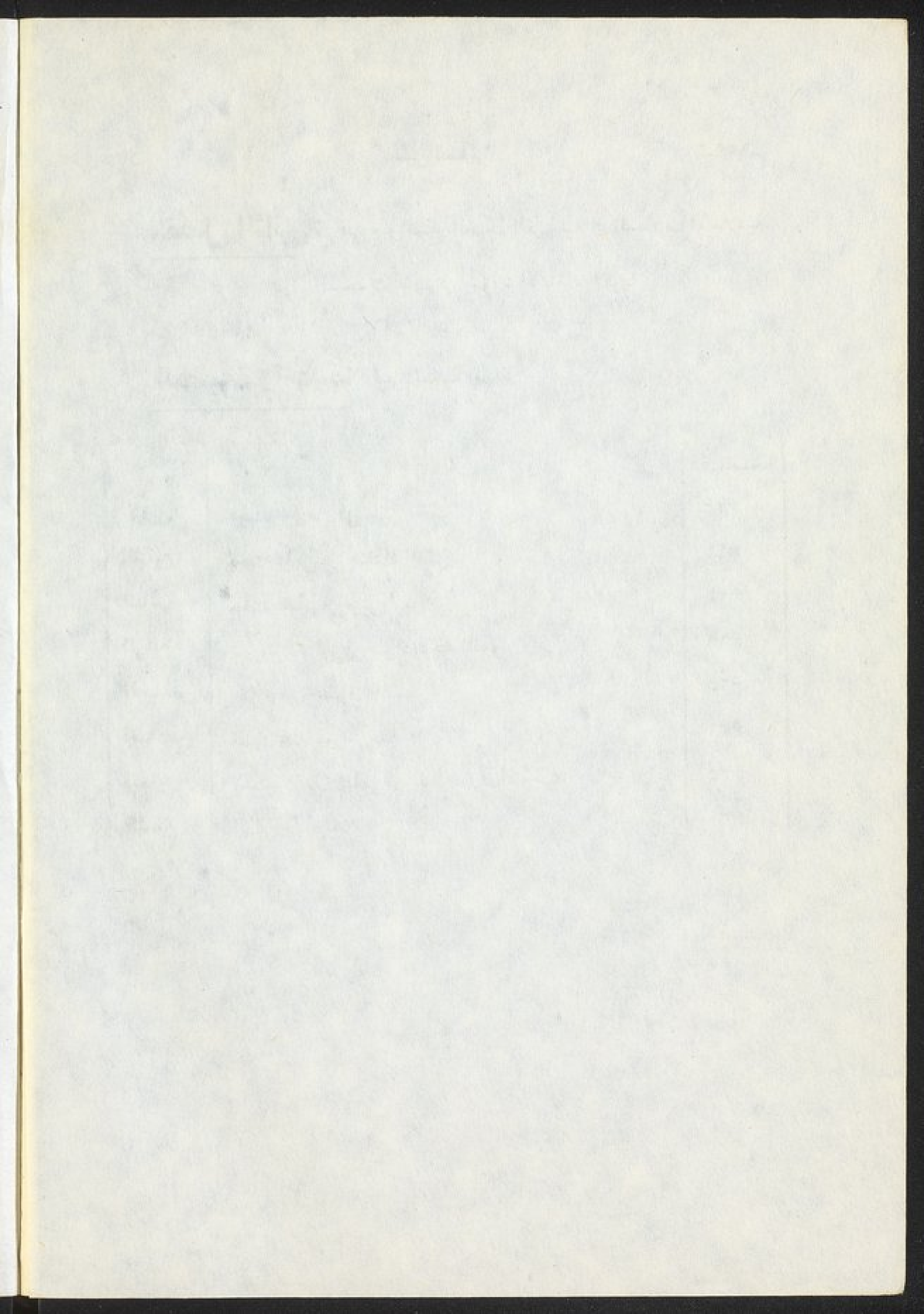


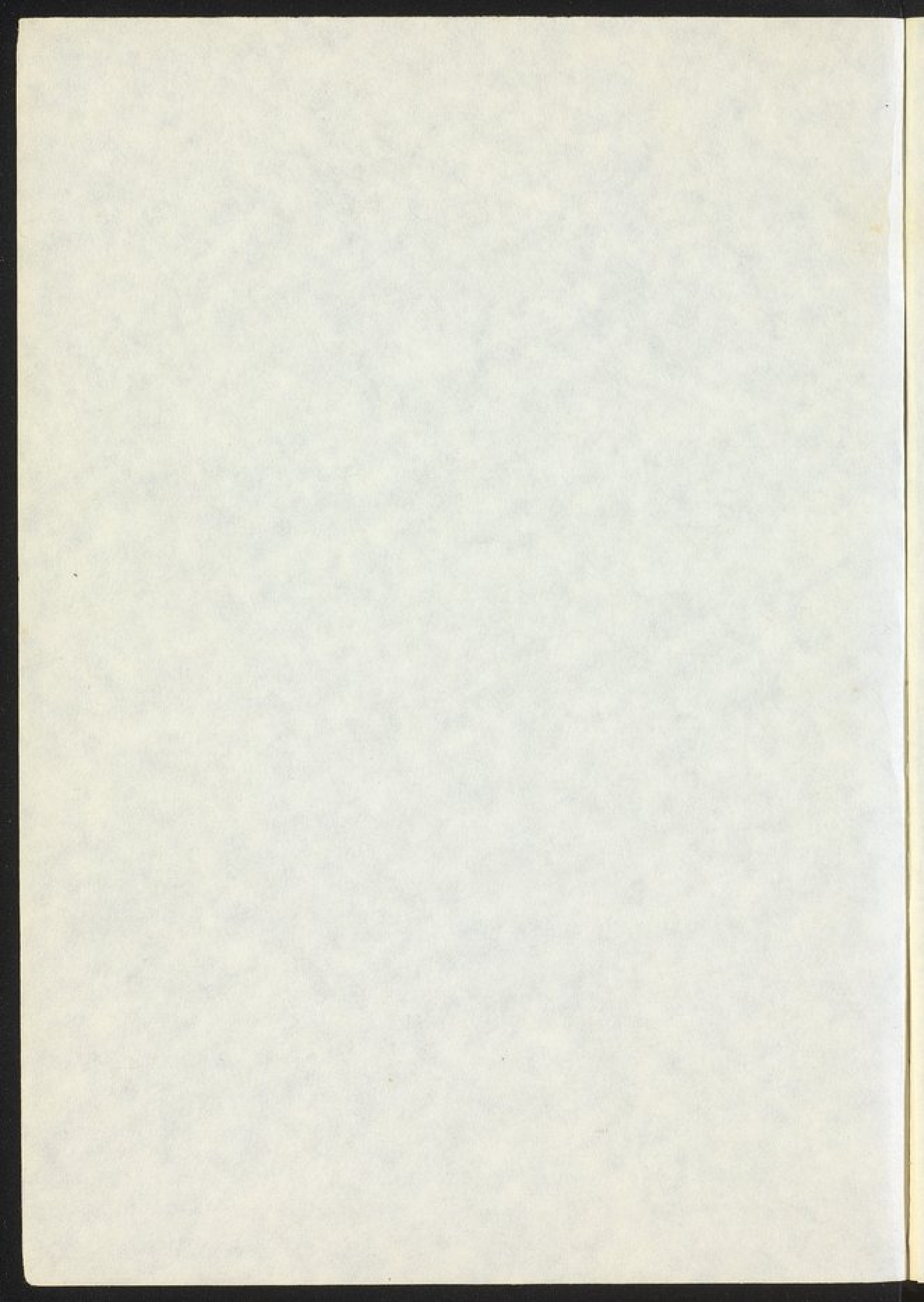
الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

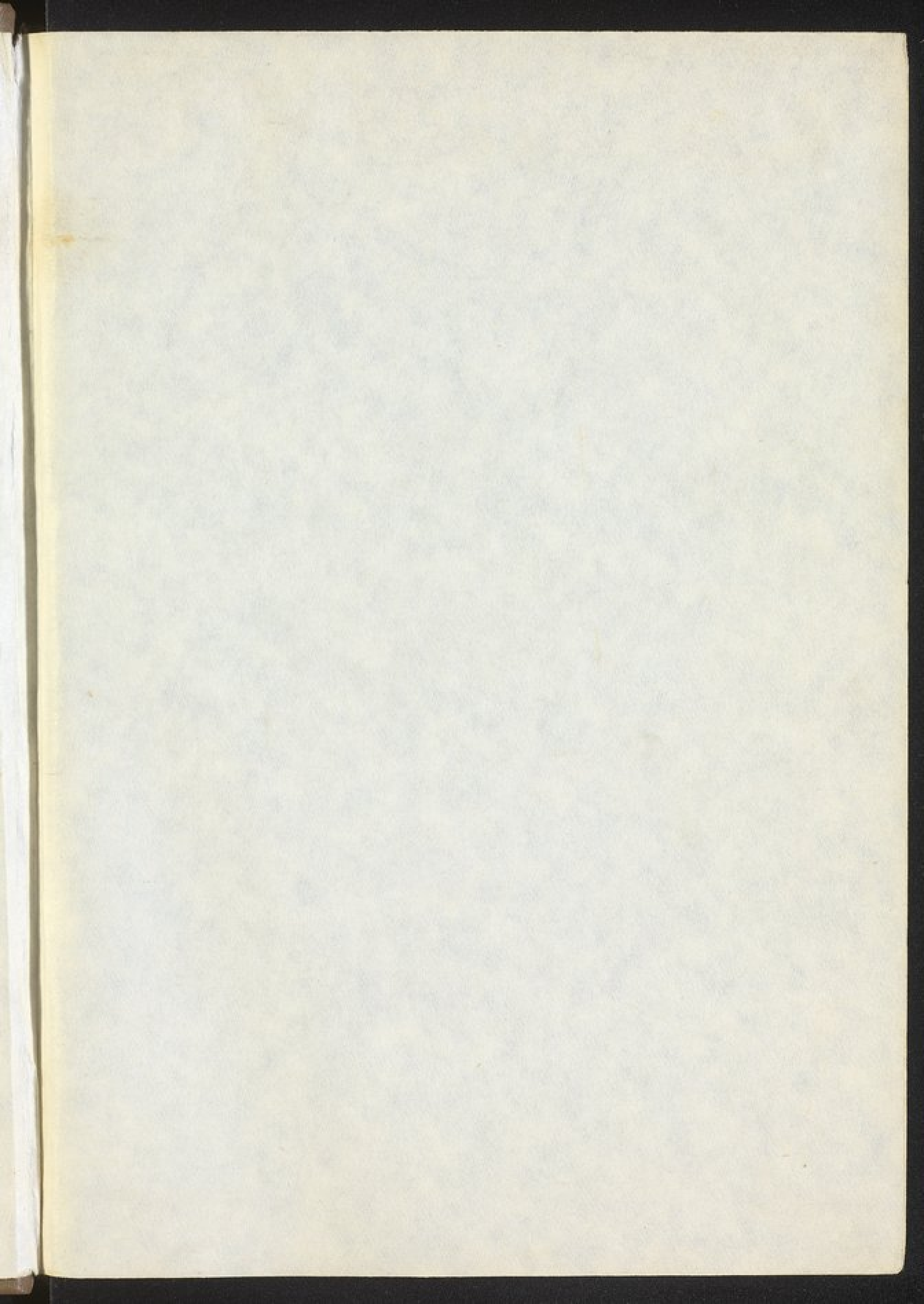
المبحوث عنها في سورة الانشقاق وفيها

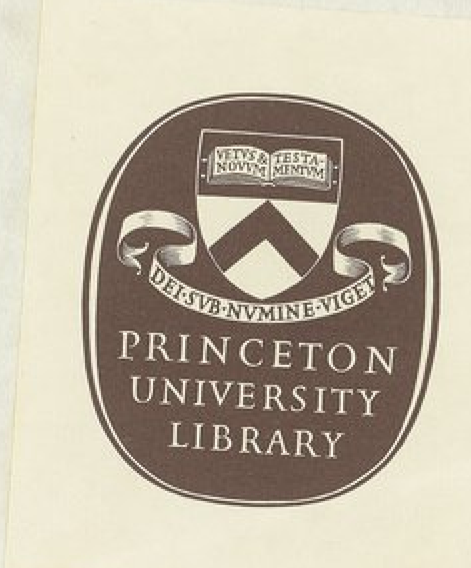
البصيرة واحدة: وفيها ثمانية امور:

		رقم الصفحة
الاول	بحث نجومي في سير القمر	٦٠٦
الثاني	بحث علمي في منازل القمر	٦١١
الثالث	بحث علمي في نور القمر	٦١٥
الرابع	تحقيق روائي في سواد وجه القمر	٦١٩
الخامس	كلام في خسوف القمر	٦٢٥
السادس	أقمار غير قمرنا هذا	٦٣١
السابع	بحث قرآني وعلمي في القمر ودرس التوحيد	٦٣٥
الثامن	القمر وعبدته	٦٤٠








VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

